ترتيب المَدارِك وتقريب المسَالِك
لمعرفة أعلام مذهب مالك

للقاضي عِياض بن موسى السَّبْتى

(ت ٥٤٤ هـ)

تحقيق

الدكتور على عمر

بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية

بجامعة المنيا والإمام بالرياض

ومن الباحثين بمركز تحقيق التراث (سابقا)

الجزء الأول

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

obeikandl.com

الطبعة الاولى
1430هـ - 2009
حقوق الطبع محفوظة للناشر
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
526 شارع بورسعيد – القاهرة
25938411-25922620 / فاكس: 25936277
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

اليحصبى ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو 1103-1149
ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك / تاليف : عياض بن موسى السبتى ، تحقيق : على عمر
- ط 1 – القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية 2008
1 مج : 24 سم
1- الفقهاء المالكية
2- عمر ، على (محقق)
ا-العنوان

ديوى: 922.582

رقم الايداع :22579



obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة التحقيق

* * *

المؤلف وكتابه:

هو عِياض بن موسى بن عِيَاض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليَحْصُبِيّ.

ونَسَبُه هكذا يرتفع إلى يَحْصُب بن مالك بن زيد، ويحصب أخو ذى أصبح الحارث بن مالك بن زيد الذى ينتهى إليه نسب الإمام مالك بن أنس الأَصْبَحِيّ.

ومِنْ ثَمَّ فالقاضى عياش بهذا يَمُتُّ إلى الإمام مالك بصلتين:

صلة المذهب المالكى الذى دان به سكان المغرب وما يزالون، وكان عياض من أبرز أعلامه وأشهرهم.

وصلة القربى والانتساب إلى قبيلة حِمْيَر من عَرب اليمن، ذات الصيت الذائع فى التاريخ الإسلامى(١).

ولد القاضى عِيَاض بسبتة فى منتصف شعبان سنة ٤٧٦ هـ، وسَبْتَة قاعدة من قواعد المَغرب. هيأها موقعها الجغرافى لأن تكون ملتقى العلماء، سواء الواردون عليها من المشرق والمغرب، بقصد الرحلة أو الإقامة. وأن تصبح نتيجة لذلك ملتقى لثقافات متنوعة متعددة.

وهكذا أنشأ المقيمون بسبتة، والوافدون إليها، مركزا ثقافِيًّا بِهَا لَه أهميته، وله مميزاته وخصائصه(٢).

---

(١) من مقدمة ترتيب المدارك - طبعة المغرب.

(٢) المصدر السابق.

وقد أسهم هذا الجو العلمى - الذى تهيأ له بمسقط رأسه سبتة فى تكوين ثقافته وفكره، بذلك صار عالم المغرب وإمام أهل الحديث فى وقته، كما كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم.

ولى قضاء سبتة، ثم قضاء غرناطة. وتوفى بمراكش سنة ٥٤٤ هـ.

من تصانيفه: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وأخبار القرطبيين، ، والجامع فى التاريخ، والعيون الستة فى أخبار سبتة، والمعجم فى ذكر أبى على الصدفى وأخباره وشيوخه وأخبارهم.

وكتابه الذى نقدم له اليوم، وهو: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب مالك، يعدّ مَعْلَمَة فى رجال المذهب المالكى، من أحسن ما أخرج للناس من كتب الفهارس والتراجم والطبقات فى أسلوب مبتكر ولفظ منسجم، بين فيه انتشار المذهب المالكى، وحلقات اتصال الخلف بالسلف طبقة فطبقة، ودورًا فدورًا، وهو مع ذلك تاريخ متسع لقسم عظيم من علماء المسلمين وأئمتهم، يعيد فينا ذكريات سلفنا الصالح، وما لهم من إحاطة وعناية وانقطاع للصالح العام.

وقد ظل القاضى عياض لفترات طويلة تجاوزت عصره من أبرز وجوه المغرب الفكرية لدى مؤرخى المغرب وغيرهم، وقد تجلَّى ذلك حين اعتمدت المؤلفات اللاحقة على كتاباته إلى حدٍّ بَعيد.

ومما يؤسف له أن دار الكتب العلمية ببيروت - كما هو منهجها فى هذا المجال - أعادت نشر كتاب ترتيب المدارك بأخرة محرّفا دون تمحيص أو توثيق.

ومن ثَمّ ارتأيت ألا أشير فى عملى إلى ما جاء فى هذه الطبعة من تصحيف وتحريف وتدليس وغير ذلك، لأنها والحالة هذه لا تستحق أن يُلتفت إليها أو يتناولها الباحث بالنقد أو التعليق.

ولعل من الأنسب هنا أن أستعير تعبيراً كتبه الأساتذة الأفاضل الذين قاموا بتحقيق كتاب: معرفة القراء الكبار، للذهبى، حين تعرضوا لمثل هذا الموقف من امتهان التراث العربى، وأنه قد صار «يتولى نشره من ليس له حظ فى التحقيق العلمى» وأن هذا العمل من جانب دار الكتب العلمية فيه «إساءة بالغة إلى الكتاب ومؤلفه، كما أنه يتّسم بفقدان الأمانة العلمية وتوسيد الأمر إلى غير أهله، وكأن الديار الإسلامية قدْ خَلت من مراجع حصيف، أو متابع خرّيت يقف على كل هذه المهانة التى يمتهن فيها التراث الأصيل على مرأى ومسمع من أهله الغُيُر على سلامته من عبث الجاهلين، وتعالم المتطفلين» ثم استطردوا قائلين: «فَلْيَتَّقِ الله الناشرون، فلا يمكّنوا من تحقيق الكتب إلا من كان أهلاً لذلك ممن جمع بين التقوى والمعرفة».

وحينما شرعت فى تحقيق هذا الكتاب رجعت إلى نسخة مخطوطة بدار الكتب برقم ٢٢٩٣ كتبت بقلم مغربى.

كما رجعت إلى الجزء الثانى من مخطوطة روان كشك برقم ٣٥٦ وينتهى بآخر الكتاب.

كما أنى تخيرت مما طبع نسخة قريبة من الصحة، وهى: النسخة المطبوعة فى المغرب سنة ١٩٨٣م.

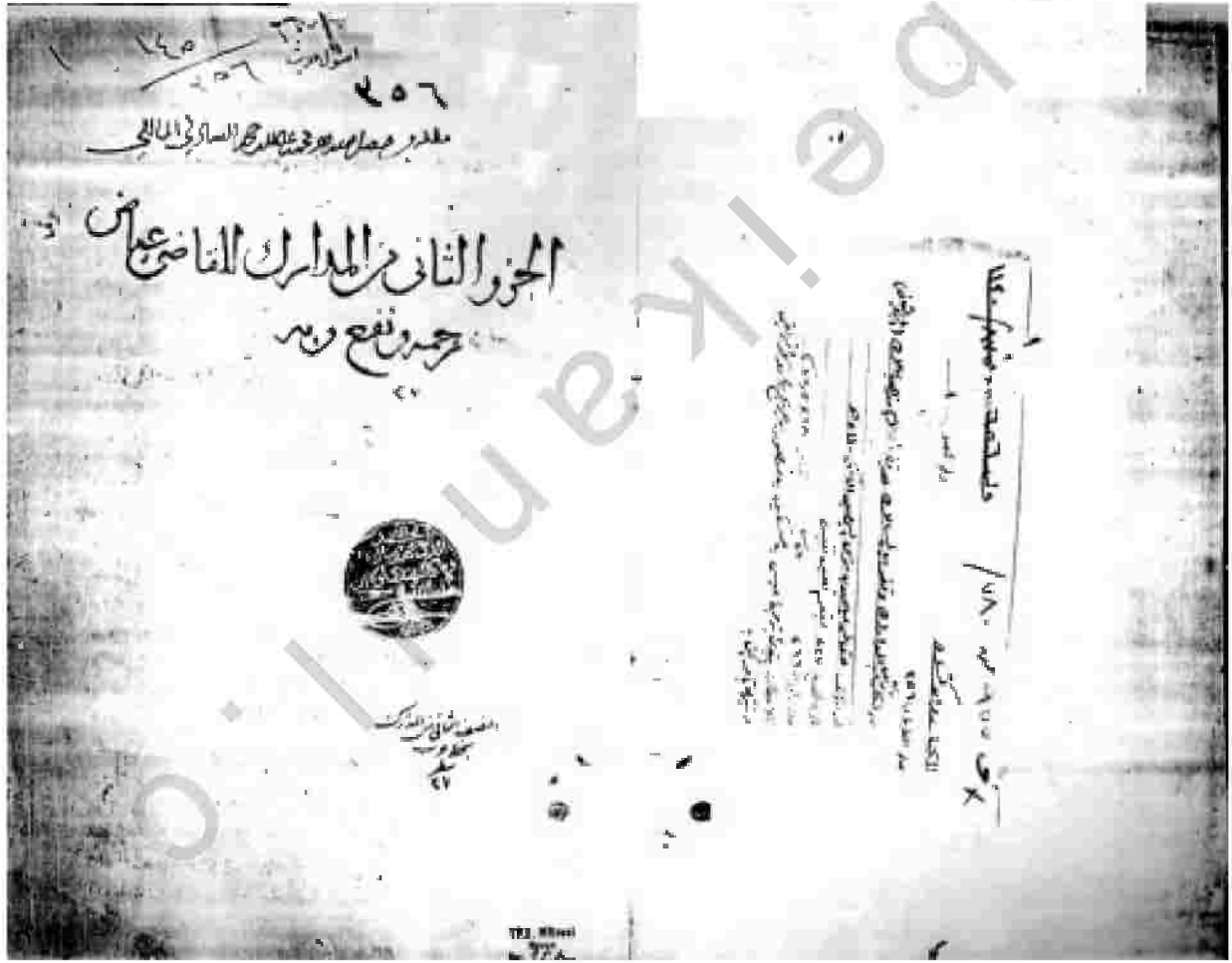
هذا وقد كان حرصى على سلامة النص أكثر من حرصى على التعريف بالأعلام والبلاد والإسراف فى الشرح والتعليق، إذ كان ذلك أهم ما يحتاج إليه العلماء والباحثون عند الرجوع إلى الكتب المحققة.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

القاهرة فى المحرم ١٤٣٠هـ
يناير ٢٠٠٩م

د. على عمر

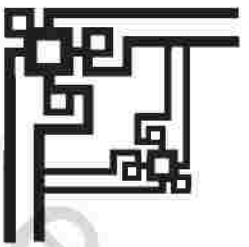
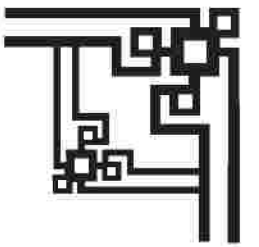
obeikandl.com



عنوان المخطوطة

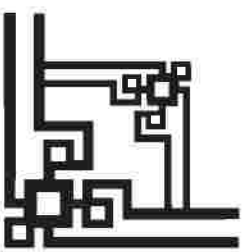


الورقة الأخيرة من المخطوطة

ترتيب المَدَارِك
وتقريب المسَالِك

للقاضي عياض




obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أسبغ على عباده بفضله نِعَمًا لا تحصى، وقدر على من شاء بعدله أن يُطاع ويُعصى، وعيَّن بين أهل الجنة والنار بِقَبْضَتَى القضاء، وميز في ظهر آدم بين طائفتي السعادة والشقاء.

ثم انتقى منهم، ليتمم عدله، خواصَّ وأصفياء، وجعل فيهم رُسُلاً وأنبياء، ليوضح بهم لمن أراد هداية منهاجه، ويُقيم على من صد عنه وصدف عن آياته حجاجه، فبذلوا في ذات الله جدَّهم، ونصحوا العباد جُهْدهم، إلى أن اختار الله تعالى لهم ما عنده، وقضى كل واحد منهم ما كُتب له من أثر ومُدّة، عليهم من صلوات الله ما لا يحيط به حصر ولا عدة.

ثم تمم الله على المؤمنين فضله، وختم أنبياءه ورسله، بأرجحهم ميزانًا، وأرفعهم مكانًا، وأكرمهم أخلاقًا، وأطيبهم أعراقًا، وأطولهم في الفضائل باعًا، وأكثرهم أُمَّةً وأتباعًا، أبي القاسم، سيد ولد آدم، ﷺ، كما شرّف وكرّم، فجاهد في الله حق جهاده، وزايل الجلائل الصعبة في إرشاد عباده، حتى أقاموا على سواء محجته، وأخذهم طوعًا وكرهًا ببالغ حجته، وسافهم في السلاسل إلى جنته، ودخلوا في دين الله أفواجًا بدعوته، فأنجز الله به وعده، وعُبِدَ الله تعالى وحده، وخصه بخير أمة أخرجت للناس؛ فآزروه في إقامة شرعه في حياته، وخلفوه في حياطته وحمايته بعد وفاته، نص في غير موطن على تفضيلهم، وأمر بالاقتداء بهم، وتوعّد على اتباع غير سبيلهم، بَوَّأهم دارَ وَحْيه، ومأْرِز دينه، ومُتَبوَّأ شرعِه، ومهبط ملائكته، ومهاجر نبيه، ومنزل كتابه، ومجثم مثوى رسله، ومجتمع الخير كله، كهفَ الإيمان

والحكمة، ومعدن الشريعة والسنة، وسراج الهدى الذي بنوره ضاءت أقطار المشارق والمغارب، وينبوع العلم الذي استمدت منه سائر الأودية والمذانب.

ثم خلفهم في كل قرن بأتباع صدق وعدل، وأخلاف هَدْى وفضل، وأَكْنَاف مَعْرفة وَعِلْم، ومعادن خَيْر وحِلْم، اختار منهم أئمة المسلمين، ونصبَ منهم أعلامًا للدنيا والدين، فبينوا للناس ما نُزِّل إليهم، وشرحوا لهم ما أشكل عليهم، وانقادوا لما ثبت من السنن لديهم، واعتبروا باستنباطهم، وصحيح اجتهادهم حُكْمَ ما لم يُنص على عينه، وقاسوا بما فهموا من الشرع - حكمه في غيره، ولم يَزِيغُوا عن سَنَن التحقيق، ولا أخذوا ببَنيّات الطريق، ولا حكموا الآراء المضلة في الدين، ولا انهملُوا انهمالَ الملحدين، وتنطعوا تنطُّع المعتدين، بل تبعوا آثار من مضَى قبلهم، واقتفَوْا في التمسك بأصول الشريعة سبلهم، ولم يَضرّهم خلاف من خالفهم من الفِرَق، ولا شَغَبُ من لَجَّ في هواه وغرق، فالموفق من اقتفى آثارهم، وغاير شُرود من شَرَد واتَّباعَهم، وعلم أن الحق مع هذا النمط الذي هدى الله واقتدى بهداه، ولم يُعرّج على ناعقٍ نَعَق وان اختدع العقول بلهجة صداه.

جعلنا الله ممن اتبع فسلِم، واقتفى ما مر عليه السواد الأعظم بمنّه.

وبعد فلما تكررت رغبات الأصحاب، شملنا الله وإياهم بسعادته، لإمضاء ما كانت النية اعتقدته، وتبييضِ ما غدت الهمة قد سَوّدته: من كتاب حاوٍ لأسماء أعيان المالكية وأعلامهم، وتبين طبقاتهم وأزمانهم، وجمع عيون فضائلهم وآثارهم، وضمّ نَشْرِ فنون سيرهم وأخبارهم، تشمل منفعته، وتجمل معرفته، وتستغرب فوائده، وتستعذب مصادره وموارده، إذ هو فن لم يتقدم فيه تأليف جامع، ولا اختص به تصنيف رائع، يوصل الطالب إلى الغرض، ويقف بالراغب على البغية، مع شدة حاجة المجتهد والمقلد إليه، وضرورة

الفقيه والمُتَفَـقِّه إلى ما ينطوي عليه، إلا ما جمعه عـبد الله بن محمد بن أَبِي دُلَيْم القرطبي، من ذلك، ومحمد بن حـارث القَرَويّ، مع تقدم زمنهما، وما اقتضبه الشيخ أبو إسحاق الفيروزابادي في موضع ذكرهم من مختصره.

وكل الكتب فما شفت غليلاً، ولا تضـمنت من الكثير إلا قليلاً، على أن ابن أبي دُليم اتسع اتساعًـا حسنًا، فيمن ذكره من المـغاربة، من أتباع رواة مالك: من المصـريين والأندلسيين، وطائفة من القـرويين، واقتصـر على ذكر طبـقاتهم، دون شيء من أخـبارهم، وبـيان أحـوالهم، ولم يُجْرِ لأحـد من الحجازيين والمشرقيين ذكرًا على جلالة مكانتهم، وكثرة أعلامهم.

قال القاضي: ولَمْ أَزَلْ منذ سمَت همتي لمعرفة هذا الفن، وتحركت نيتي للاطلاع عليه، أَسْـتَقْرِئُ سبلَ مسـالكه، وأفحص عن وجوه مداركـه، وأقيد أثناء مطالعتي شوارده، وأجرد مدة بحثي جرائده، إلى أن اجتمع لي من ذلك بعد طول المباحثة الشديدة، والعناية التامـة، والمطالعة المتواترة، ما وجدته بُغْيَةً وغُنْية، وبسط لي في تجريده أملاً ونية.

ولم ألق أحـدًا ممن يُعتـنى بقوله، ويُلتـفت إلى حـسن رأيه، ممن وقف على نُبـذٍ من أمره، وانتـهى إليـه نبأ من ذكـره، إلا قلقًـا إلى تمامه، شـديد التعطش إلى كماله، محرّضًا على صرف العناية إلى تحريره وتهذيبه، راغبًا في تقريب الفائدة بنظمه وتبويبه.

والنفس تمطل بذلك وتسـوَّف، وتوالي القواطع والشـواغل تصرف عن ذلك ويصدف إلى أن انبـعثت الآن عزمة مـصممة لـلتفرغ لتأليـفه، وترتيب مضمَّنه وتصنيفه.

فاستـخرت الله تعالى على ذلك، واسـتعنته، جل اسمه، لـتوطئة هذه المسالك، وجمـعت قراطيسى فنفضـتها، عما اسـتودعتها، وطالـعت تعاليقى

فـوقـفت على خَـفيّ أسـرارها، واسـتثْـبتُّ مـحفـوظاتي فـأنجدتني بشـوارد إذكارها.

فنظمت منشـورها، وفصـلت شذورها، ورتبت أعـجازها وصـدورها، وأبرزت تأليفًا مفـردًا في مضمونه، بالغًا فيمـا قصر عليه من أنواع هذا العلم وفنونه.

واقتـضى النظر بين يدي الغـرض تقديم مقـدمات تمس الحـاجة إليـها، ونتمم الفائدة بالوقوف عليها، تشـتمل على أبواب في ذكر المدينة وفضائلها، وتقديم علمـائها وعلمها، ووجوب الحـجج بإجماع أهلها، وتـرجيح مذهب مالك بن أنس إمامها.

وتقـصيت هذه الأبواب تقـصيًـا يشفي الـغليل، وأنعمـتهـا نظرًا يقف بالمنصب على سواء السبيل.

ثم قفيته باقتداء الأئمة به وثناء العـلماء عليه، ونشر فضائله وما أضيف من السِّيَر إليه، إلى سـائر ما يحتاج إليه، من معرفـة تاريخه ونسبه، ويتطلع إليه من مجاري أحواله في معاشرته وأدبه.

واستوعبت في هذه الجملة باختصار فنونها، والاقتصار على عيونها، ما طالت به تواليفُ جَـمّة، وشُحِنت به مـجلدات عدة. إذ ألف فضـائل مالك وأخباره جماعة من الأئمة، والسلف والخلف من فِرق هذه الأمة.

فممّن ألف في ذلك وأطال القاضي أبو عبد الله التُّسْتَري المالكي له في ذلك نحو ثلاث مجلدات.

ومثل ذلك أبي الحسن بن فهِر المصري.

ولأبي محمد الحسن بن إسماعيل الضّرَّاب.

وألف في ذلك القاضي أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي.

وأبو بِشر الدولابي.

وأبو العرب التميمي.

والقاضي أبو الحسن بن المُنْتاب.

وأبو علاقة محمد بن أبي غسان.

وأبو إسحاق بن شعبان.

والزبير بن بكار القاضي الزبيري.

وأبو بكر محمد بن محمد اليقطيني.

وأبو نصر بن الحباب الحافظ.

وأبو بكر ابن رازويه الدمشقي.

والقاضي أبو عبد الله البركاني.

وأبو محمد ابن الجارود.

والحسن بن عبيد الله الزبيدي.

وأحمد بن مروان المالكي.

والقاضي أبو الفضل القشيري.

وأبو عُمر المغامي.

وأحمد بن رشد.

وأبو بكر بن محمد بن صالح الأبهري.

وأبو بكر بن اللباد.

وأبو محمد عبد الله بن أبي زيد.

obeikan.com

وأبو عمر بن عبد البر الحافظ.

والقاضي أبو محمد بن نصر.

وأبو عبد الله الحاكم النيسابوري.

وأبو ذَرّ الهَرَويّ.

وأبو عمر الطَّلَمَنْكي.

وأبو عُمَر بن حَزْم الصدفي.

وابن الإمام التُّطيلي.

وابن الحارث القَرَوي.

وابن حبيب.

والقاضي أبو الوليد الباجي.

وأبو مروان بن الأصبغ القرشي النقيب.

وأكثر تعويلي على كتابي التستري والضراب، وتتبعت من غيرهما ما فيه زيادة فائدة أو نادرة لم تقع فيهما، وحذفت كثيرًا مما أطالوا به من كلامه في التفسير والجوامِع والرجال، إذ ليس من الغرض، وله مظان أخر هي به أليق.

ثم أثبت بعد ذلك جريدة في أسماء مشاهير الرواة عن مالك وحملة الفقه والعلم عنه، مختصة بالتعريف بهم، مُعَرَّات من تواريخهم وأخبارهم، إذ قد اتسعنا في أخبار الفقهاء منهم بعد هذا، ومن عداهم فليس من غرضنا ذكرهم.

ولم أقصد في هذه الورقات لاستيعاب كل من ذكرت له عنه رواية أو مجالسة أو سؤال إذ قد أودعنا ذلك كتابًا آخر في جمهرة رواة مالك انطوى

على أزيد من ألف وثلاثمائة راوٍ تَقَصَّيْتُها من الكتب المؤلفة في ذلك، إذ ألفت في ذلك كتبٌ عدة.

ككتاب أبي الحسن الدار قطني الحافظ.

وكتاب ابن إسماعيل الضراب المصري.

وأبي بكر أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي.

وأبي اسحاق بن شعبان القرطي.

وأبي الحسن بن أبي عمر البلخي.

وأبي عبد الله بن حارث القروي.

وأبي نعيم الأصبهاني.

ومنهم من بلَغ الألف ومنهم من قصّر دونها.

ومن الأندلسيين:

أبو عبد الله محمد بن مُفَرّج.

وعبد الله بن أبي دُلَيم وهما أقل عددًا.

وأبو محمد عبد الرحمن بن محمد البكري.

وفي كل واحد من هذه الكتب ما لم يَذكره الآخر.

فتتبّعتُ ذلك جُهدي وأضفت إليه ما شذ عنها وندر، فيما طالعته من كتب أهل الحديث وغيرهم.

اقتصرنا في هذه الورقات على ذكر ألف اسم ممّن عُرف اسمه وصحت روايته وشهرت صحبته، ورأينا أن لا نخلي هذا الديوان من هذا القدر لتتم في بابه فوائده وتكمل في فنه معارفه.

وبعد هذا اطردت أغراض التأليف، واتسقت طبقات التصنيف، فابتدأنا بذكر الفقهاء من أصحابه خاصة، ثم بأتباعهم طبقة طبقة وأخلافهم أمة بعد أمة، إلى شيوخنا الذين أدركناهم، وأئمة زمننا الذين عاصرناهم، ممن شُهرت إمامته، وعرفت معرفته، أو ظهرت تواليفه ونقلت أقواله وامتثلت فتاويه وآراؤه، على حسب تقدّم أزمانهم، وتعاقُب أوقاتهم.

فأنبأنا بأسمائهم وأعربنا عن ألقابهم وأنسابهم وقيدنا مهملها لئلا يقع فيها تصحيف، وأزحنا علة مشكلها ليأمن من أطلع عليها من التحريف. فقد قال أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله النَّجِيرمى: أولى الأشياء بالضبط أسماء الناس. لأنه لا يدخلها قياس ولا قبلها ولا بعدها شيء يدل عليه.

وقال علي بن المَدِيني: أشد التصحيف التصحيف في أسماء الرجال.

وقد قال ابن جُرَيج طلبت اسم جُنْدَع بن ضَمَرة ثماني سنين حتى عرفته، وكثيراً ما شاهدت وسمعت في بعضها من التصحيف الشنيع ما يقبح ذكره ويشهد على الجاهل بها نقصه.

وقد غلب على ألسنة الفقهاء أحمد بن ميسّرة بكسر السين وصوابه بفتحها. كذا قيده عبد الغني وغيره.

وكذاك أحمد بن المعذّل كثير من يقوله بدال مهملة وصوابه بمعجمة.

وقد ذكر الشيخ أبو اسحاق الشيرازي في رواة سحنون من الأندلسيين: إبراهيم بن محمد بن ديّان ولا يعرف ذلك في الأندلسيين، وقد رده عليه أهل الصنعة، والأشبه أنه ابن باز، وهو من جملة تلك الطبقة.

وكذلك صنع في أسماء كثيرة منهم وأنسابهم وذكرهم في غير طبقاتهم.

فأما تمييز المشتبه منها فمما لا يقف عليه إلا النّحرير، ولا يعرفه إلا الفطن بهذا الباب البصير.

ولقد بعث سحنون في محمد بن رزين وقد بلغه أنه يروي عن عبد الله ابن نافع، فقال له أنت سمعت من ابن نافع؟ فقال: أصلحك الله إنما هو الزُّبَيْري وليس بالصائغ.

فقال له: ولم دَلَّسْتَ؟ ثم قال سحنون: ماذا يخرج بعدي من العقارب؟ فقد رأى سحنون وجوب بيانهما، وإن كانا ثقتين إمامين. حتى لا تختلط روايتهما وأقوالهما، فإن الصائغ أكبر وأقدم وأثبت في مالك، لطول صحبته له. وهو الذي خلفه في مجلسه بعد ابن كِنانة، وهو الذي يحكي عنه سحنون ويحيى بن يحيى ويرويان عنه، ولم يسمع سحنون منه سماعه وإنما سمعه من أشهب كما نذكره بعد، ووفاته سنة ست وثمانين ومائة.

والزبيري: من متأخري أصحاب مالك، وهو شيخ ابن حبيب، وسعيد ابن حسان، ووفاته سنة ست عشرة ومائتين[1].

وكثيرًا ما تختلط روايتهما عند الفقهاء، حتى لا علم عند أكثرهم بأنهما رجلان، وربما جاءت رواية أحدهما مخالفة لرواية الآخر، فيقولون في ذلك اختلاف من رواية ابن نافع عن مالك، وقد وهم فيهما عظيم من شيوخ أهل الأندلس بعد أن فرق بينهما، لكنه زعم أن صاحب السماع هو الزبيري وأنه المذكور في العُتْبية.

ومثل ذلك عليّ بن زِياد التونسي، وعلي بن زياد الإسكندراني كلاهما من أصحاب مالك، فاضل مشهور. فالأول الفقيه شيخ سحنون وغيره، والآخر صالح يعرف بالمحتسب.

---

(١) كذا فى الأصول، ومثله لدى الذهبى فى العبر ١/ ٣٦٩، وابن فرحون فى الديباج ج١/ ٣٦١، ولدى ابن حجر فى التقريب ص ٢٦٨: «مات سنة بضع عشرة».

وقد جرى ذكر ابن زياد مرة بحَضْرَة من يفهم هذا الباب، فلم يكن عنده شك أن الفقيه المذكور إسكندارني فقلت له: هما اثنان، وَأَوْقَفتُه على من قال ذلك.

فمعرفة هذا مما يُضطر إليه، لا سيما إذا كان بينهما بَوْنٌ في العلم ومزية في العدالة والفضل.

ثم ذكرنا من مولدهم ووفاتهم وذكر مشايخهم ورواتهم وتصنيف أزمانهم وطبقاتهم ما انتهى إلينا علمُه، وصح عندنا نقلُه، لتُعرفَ بذلك أوقاتهُم وتستبين في التقدم والتأخر درجاتهم، ويتميز بذلك المتصل من المنقطع من رواياتهم.

وكثيرًا ما يَخْلِط الفقهاء هذا الباب، فربما حكوا الرواية وأسندوها عن المتقدم عن المتأخر إذا اشتبهت عليهم طبقاتهم، ولم تتميز لهم أوقاتهم.

وقد شاهدتُ مُعَظَّمًا منهم ذكر عن ابن حارث الفقيه مسألة، قال فيها ابن حارث: وقد شاهدت أحمد بن نصر يفتي بذلك. فحمل هذا الشيخ أنه ابن نصر الداودي المتأخر وطبقته بعد ابن حارث توفى ابن حارث سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، وتوفى الداودي سنة اثنتين وأربعمائة. وإنما أراد ابن حارث أحمد بن نصر بن زياد الهواري المتقدم من أصحاب ابن سحنون، وابن عبدوس كاتب القاضي حَماس ووفاته سنة سبع عشرة وثلاثمائة.

فلو عرف الشيخ - والله أعلم - أنهما اثنان وميز طبقتهما لما سقط هذا السقوط.

ولعدم المعرفة بهذا وهم جماعة فعدوا في الرواة عن مالك وأصحابه من لا تصح له عنه رواية ولا جمعه معه زمن والله أعلم.

فلقد ذكر الشيخ أبو إسحاق الشيرازي[1] أن أبا يحيى الوقار ممن سمع من مالك، وعده في طبقة أصحابه، ولم يذكر هذا أحد ممن جمع رواة مالك وإنما عدوه في أتباع أصحابه وهو الصحيح.

وكذلك ذكر أبو إسحاق فى أتباع أصحابه من يبعد عما ذكر غيره فى أصحابه.

وكذلك ذكر أبو إسحاق ابن شعبان إبراهيم بن محمد بن باز الأندلسي في رواة مالك، وهو من أصحاب سحنون مولده بعد وفاة مالك بمدة، وتوفى سنة أربع وسبعين ومائتين.

وكذلك ذكر أبو بكر الخطيب، على تقدمه وحفظه، عبد الملك بن حبيب في الرواة عن مالك وأدخل له حديثًا عن المغيرة عنه، وهو غلط عظيم، لا سيما من مثله. وعبد الملك بن حبيب إنما رحل سنة ثمان ومائتين بعد موت مالك بنحو ثلاثين سنة، وإنما ولد بعد موت مالك بسنتين على ما تراه في أخباره إن شاء الله تعالى.

وكذلك ما ذكره الشيرازي[2] أيضًا أن عبد الملك بن حبيب تفقه أولاً بيحيى، وعيسى، وحسين بن عاصم، وهو وهم. هؤلاء نظراؤه، وإنما تفقه أولاً بشيوخ هؤلاء بالأندلس زياد، وصعصعة، والغازي بن قيس، ونظرائهم.

وكذلك ذكر عبد الله بن غافق[3] في طبقة سحنون، وزعم أنه سمع مِنْ عَلِيّ بن زياد، وذلك باطل، هو من أصحاب سحنون، وليس من ذوي الأسنان منهم، ومولده بعد موت علي بن زياد بأزيد من عشرين سنة كما سنذكره.

---

(١) طبقات الفقهاء للشيرازى، ص ١٤٢.

(٢) طبقات الشيرازى، ص ١٥٢.

(٣) الشيرازى، ص ١٤٨.

وكذلك ذكر الرازي في استيعابه وأحمد بن عبد البر أن عيسى بن دينار سمع من مالك ورحل مع زياد وأقام بعده، وهذا كله وهم. وسنبين ذلك كله في مكانه إن شاء الله تعالى مع أمثاله.

ثم ذكرنا بعد هذا من فضائلهم ومناقبهم وثناء الجلَّة عليهم وتوثيق المزكين من الزكاء والعدالة، ومراتبهم في العلم والرواية، ومن تكلم فيه منهم على قلتهم، وأعد منهم في أولى التقدم والإمامة، مع ما يحتاج إليه الناظر المجتهد فيمن يعتد بخلافه وإجماعه، ويضطر إليه المتفقه والمقلد في معرفة من يدين بإمامته واتباعه.

ودحضنا الدَّلَسَ عن قوم منهم، تحامل المتعصبون عليهم، أو تَجَمّل أهل الريب بإضافتهم إليهم، وقد صح عنهم وعرف خلاف ذلك، بما سنجلبه إن شاء الله تعالى عنهم، إذ نَزّه الله تعالى أهل هذا المذهب عما خالط من الهوى سواهم من أهل المذاهب، وعَصَمَهم من علة الافتراق والتدابر، فليس في أئمتهم بحمد الله من صحت عنه بدعة، ولا من اتفق أهل التزكية على تركه لكذب أو جُرحة.

فإن كان أبو خَيْثَمَة زُهير بن حرب تكلم في أبي مُصْعب الزُّهري، ويحيى بنُ مَعين في إسماعيل بن أبي أويس ويحيى بن بُكير. فما ضرهم ذلك. فقد خرّج عنهم إمام المعدّلين صاحب الصحيح محمد بن إسماعيل البخاري، إذ لم ينسبهم إلى كذب ولا ريبة، وإن كان الباجي تَعَسَّف فيما نقله عن عبد الملك بن الماجشون في علله، فالصحيح عنه ضد ذلك، وهو المشهور من مذهبه حسبما نبينه عند ذكر كل واحد منهم في موضعه.

وكذلك صنع يحيى بعبد الله بن عبد الحكم فلم يقلد في قوله، وقد خالفه أبو حاتم الرازي في ذلك وغيره.

كما أن قول القاضي أبي الوليد رحمه الله في القزويني: إنه مجهول لا يُلْتَفَتُ إليه. وكذلك قال في الصالحي.

فلو اعتنى رحمه الله بهذا الباب لعلم أن الصالحي هو أبو بكر محمد ابن صالح الأَبْهَري، ولما قال فيه هذا، ولتبين حال أبي سعيد القزويني وجلالَته وإمامَته في العلم، وحسن تصانيفه فَصَحّح روايته ولم يرتب في نقله.

وكذلك ذكر في ابن خُوَيْز منداذ[1] وهو في شهرته وكثرة تصانيفه حيث لا ينكر أنه مجهول، وقال أن أحدًا من أيمتنا البغداديين لم يذكره، وهذا الشيرازي قد ذكره في كتابه[2]، وهذا أبو محمد عبد الوهاب يحكي عنه ويقول فيه، وقال أبو عبد الله البصري:

وأنت أيها المُنصف متى اعتبرتهم مع غيرهم وجدتهم أصح يقينًا، وأمتن دينًا، وأكثر أتباعًا، وأزكى صحابة واتباعًا حتى إن سيئاتهم حسنات سواهم، وما ينتقد بعضهم على بعض لا يلتف إليه من عداهم، ولهذا قال سحنون رحمه الله: المدني إذا لم يكن هكذا. يريد في الدين وشدّيدَه لم يَسْوَ شيئًا أو كما قال.

وفي كتاب الحكم المستنصر إلى الفقيه أبي إبراهيم، وكان الحكم ممن طالع الكتب ونقرَّ عن أخبار الرجال تنقيرًا لم يبلغ فيه شأوه كثير من أهل العلم، فقال في كتابه: وكل من زاغ عن مذهب مالك فإنه ممن رِينَ على قلبه، وزُيّن له سوء عمله.

وقد نظرنا طويلاً في أخبار الفقهاء، وقرأنا ما صنف في أخبارهم إلى

---

(١) الشيرازى، ص ١٥٧.

(٢) الشيرازى، ص ١٥٧.

يومنا هذا، فلم نر مذهبًا من المذاهب غَيْرَه أسلمَ منه، فإن فيها الجَهْمّية والرافضة، والخوارج، والمرجئة، والشيعة، إلا مذهب مالك رحمه الله تعالى فإنا ما سمعنا أن أحدًا ممن تقلد مذهَبه قال بشيء من هذه البدع، فالاستمساك به نجاة إن شاء الله تعالى.

وقد مزَّق القَرَوِيُّون أسمعتهم من ابن أبي حسان، وطرحوها على بابه لكلمة برزت منه لأمير إفريقية حرضه بها على العصاة، لا يبعد صوابها في بعض الأحوال كان الأولى بمثله غيرها، لإمامته وفضله وتقدمه، ستأتي مستوعبة إن شاء الله.

ولهذا ما تركوا الحمل عن محمد بن راشد، وكان ثقة من نَمط سُحنون، وإليه كانت الرحلة معه لتساهلٍ رُئِيَ منه في المعاملة، وترخُّصٍ في العَينة، والأخذ برأي من لم ير الذريعة فتركوه، حتى إنه لما مات لم ينظر سحنون في تركته، وأسندها إلى حبيب صاحب مظالمه.

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه: ثم جمعت من أخبارهم وقصصهم، وفِقَر من سِيَر حكامهم وقضاتهم، ونوادر من فتاوى فقهائهم وأئمتهم، ما يحتاج الحكام إليه، ولا غنى بالعلماء عنه، وأثبتنا من حِكَم حكمائهم ورقائق وعاظهم ومناهج صلحائهم وزهادهم، ما تُرْجَى بركته، ولا تخيب إن شاء الله تعالى منفعته.

وقد قال سُفْيان بن عُيَيْنَة رحمه الله تعالى: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة. وقال أبو حنيفة: الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحبّ إلي من الفقه، لأنها آداب القوم. وقال بعض المشايخ: الحكايات جند من جنود الله يثبّت بها قلوب أوليائه. قال وشاهده قوله تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ... ﴿١٢٠﴾﴾ [هود]. وذكرنا من محن ممتَحَينهم وبلايا مُبْتَلَيْهم ما فيه مسلاة للممتحنين وأدلة على ثبات قدمهم في الصالحين.

قال النبي ﷺ: أشدهم - يعني الناس - بلاء، الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، وإنما يبتلى المرء على قدر إيمانه، فإن كان إيمانه شديداً كان البلاء عليه أشد، حتى إن العبد يمشي على الأرض ما عليه خطيئة.

وقال: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه ليسمع تضرعه».

وذكرنا من بلدانهم وأوطانهم ورحّاليهم وقطّانهم إذ كان ينبوع هذا المذهب بالمدينة فيها تفجَّر ومنها انتشر، فكانت المدينة كلها على ذلك الرأي، وخرج منها إلى جهات من الحجاز واليمن فانتشر هنالك بأبي قرة القاضي ومحمد بن صدقة الفدَكي وأمثالهما.

واستقر من بلاد العراق بالبصرة، فغلب عليها بابن مَهْدِيّ والقَعْنَبي وغيرهما ثم بأتباعهم من ابن المعذَّل، ويعقوب بن شيبة، وآل حماد بن زيد إلى أن دخلها بعض الشافعية فتشارك المذهبان جميعًا بها إلى وقتنا هذا، وكان آخر الأئمة بها من المالكيين في زمننا ومرتبة شيوخنا أبا يعلى العبدي، وأبا منصور بن باخي، وأبا عبد الله بن صالح، فدخل هذا المذهب بغداد وغيرها من بلاد العراق، فانتشر بها مع غيرها من المذاهب، ولكنه غلب وفشا أيام قضاء آل حماد بن زيد، وانقطع ببغداد فلم يبق له بها إمام من نحو الخمسين والأربعمائة عند وفاة أبي الفضل بن عبدوس، ثم سكنها ابن صالح بعد التسعين.

وأما خُراسان وما وراء العراق من بلاد المشرق فدخلها هذا المذهب أولاً بيحيى بن يحيى التميمي، وعبد الله بن المبارك، وقتيبة بن سعيد، فكان له هنالك أئمة على مر الأزمان. وفشا بقزوين وأَبْهر وما والاها من بلاد الجبل، وكان آخر من درَس منه بينسابور أبو إسحاق بن القطان، وغلب على تلك البلاد مذهبُ أبي حنيفة والشافعي.

ودخل أيضًا من أئمة هذا المذهب إلى بلاد فارس القاضي أبو عبد الله البرنكاني ولي قضاء الأسوار وانتشر عنه هذا المذهب.

وغلب على بلاد فارس مذهب داود.

وأما الشام فكان بها من أصحاب مالك الوليدُ بن مسلم، وأبو مُسْهِر، ومروان بن محمد الطاطري وغيرهم، وغلب عليها أولاً مذهب الأوزاعي ثم دَخَلَتْها المذاهب.

وأما أرض مصر فأول أرضٍ انتشر بها مذهب مالك بعد المدينة، وغلب عليها وأصفق[1] أهلها على الاقتداء به، إلى أن قدم عليهم الشافعي، فكان واحدًا منهم معدودًا فيهم، إلى أن كثر عليه فِتيان ابن أبي السمح من فقهائهم، وجرت بينه وبينه خطوب اقتضت تحيزه مع أصحابه، كما سنذكره في موضع ذِكره، فَنَبَعَ بها حينئذ مذهب الشافعي وكثر أصحابه والمتعصبون له، وقد انتشر في الآفاق، ومذهب مالك في كل ذلك ظاهر بها غالب عليها إلى وقتنا هذا. ودخلها أئمة من أصحاب أبي حنيفة.

وأما إفريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين، إلى أن دخل عليُّ بن زياد، وابن أشرس، والبهلول بن راشد، وبعدهم أسد بن الفرات وغيرهم بمذهب مالك فأخذ به كثير من الناس ولم يزل يفشو إلى أن جاء سُحنون فغلب في أيامه، وفَضّ حلق المخالفين، واستقر المذهب بعده في أصحابه، فشاع في تلك الأقطار إلى وقتنا هذا.

وكان بالقيروان قوم قِلّة في القديم أخذوا بمذهب الشافعي، ودخلها شيء من مذهب داود، ولكنّ الغالبَ إذ ذاك مذهب المدينة والكوفة، وكان الظهور في دولة بني عبيد لمذهب الكوفيين لموافقتهم إياهم في مسألة التفضيل، فكان فيهم القضاء والرياسة.

---

(١) أصفق القومُ على كذا، أَوْلَهُ: أطبقوا عليه واجتمعوا.

وتشرق فيهم قـوم تقمُّنا لمسرّاتهم واصطياداً لدنياهم وأخـرجوا أضغانهم على المدنيين فجرت على المالكية في تلك المدة مِحَنٌ، ولكنهم مع ذلك كثير. والعامة تقتدي بهم، والناشىء فيهم ظاهر إلى أن ضعُفت دولة بني عُبيد بها، من لدن فتنة أبي يزيـد الخارجي، فظهروا وفـشوا عليهم، وصنفـوا المصنفات الجليلة، وقام منهم أئمة جلة طار ذكرهم بأقطار الأرض، ولم يزل ألأمر على ذلك إلى أن خرجت القـيروان. وأهلها وجهاتهـا وسائر بلاد المغرب مصـفقة على هذا المذهب، مجتمعة عليه، لا يعرف لغيره بها قائم.

وأما أهل الأندلس فكان رأيها مـنذ فُتحت على رأي الأوزاعي، إلى أن رحل إلى مالك زيادُ بن عبد الرحمن، وقَـرْعُوس بن العباس، والغازي[1] بن قيس ومَن بعـدَهم، فجاءوا بعلمـه، وأبانوا للناس فضله واقتـداء الأئمة به، فَعُرف حقُّـه ودُرس مذهبُه، إلى أن أخذ أمير الأندلس إذ ذاك هـشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشـام بن عبد الملك بن مروان الناسَ جميـعًا بالتزامهم مذهب مالك، وصير القضاءَ والفُتْيا عليه، وذلك في عشرة السبعين ومائة من الهجرة في حـياة مالك رحمه الله تعالـى، وشيخ المفتين يومئذ صعـصعة بن سلاّم إمام الأوزاعـية وراويتهم، وقد لحق بـه من أصحاب مالك عـدة فالتزم الناس بها هذا المذهب وحمـوه بالسيف عن غيره جـملة، وأدخل بها قوم من الرحالين والغرباء شـيئًا من مذهب الشافعي، وأبي حنيـفة، وأحمد، وداود، فلم يمكنوا من نشره، فـمات بموتهم على اختـلاف أزمانهم، إلا من تدين به في نفسه ممن لا يؤبه لقوله. على ذلك مضى أمر الأندلس إلى وقتنا هذا.

---

(١) تحرف فى طبعـة المغرب إلى: «الغاز» وصوابه من الديبـاج المذهب لابن فرحون ٢/ ١٢٤ ولديه: «الغازى بن قيس من أهل قرطبة، رحـل قديما فسمع من مالك الموطأ، وهو أول من أدخل موطأ مالك وقراءة نافع إلى الأندلس».

فبـدأنا في كل طبقة بأهل المدينة، ثم بمن والاها من جـزيرة العرب ثم بأهل المشرق ثـم كررنا على المصريين ومـن والاهم من المغاربة وختـمنا بأهل الأندلس، إلا من لم نجد له من أهل تلك البلاد في تلك الطبقـة اسما فتعدّى إلى ما بعده على الرسم.

وانتقينا أثناء ذلك من نوادر ظرفائهم وملح آدابهم ومحاسن شعرائهم ما ينشّط النفس عن كسلهـا ويصقل عنها رين صدئها، فـقد قال علي رضي الله عنه: سَلّوا النفوس ساعة فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد.

وذكرنا ما ينتحله كل واحد منهم من المعـارف، وما أضيف من الخصال إليه ونبهنا على الغالب من أنواع العلوم عليه، وسـمينا من تواليف مؤليفهم، وإملاءات مصنيفهم ما لا غنى عنه، وما ينبّه المتفقه على الاقتباس منه.

ولم نأل فيما جمعنا من ذلك تحريًا للاخـتصار لفنونه، وتحريًا للاقتصار على فصوصـه وعيونه وحذفًـا للطرق والأسانيد، وضمًا للـتفاريق والأباديد، واستصفيناه من كبار تصانيف المحدثين وأمهات تآليف المؤرخين.

ككتاب أبي عبد الله البخاري.

وعبد الرحمن بن أبي حاتم.

وأبي الحسن الدَّارَقُطْني.

والزبير بن بكار القاضي.

وأبي بكر بن حيان القاضي وكيع في تاريخ القضاة.

وكتب أبي جعفر الطبري.

والصولي.

وابن كامل.

وكتب أبي عُمَر الكندي.

وأحمد بن يونس المصري في المصريين.

ومن تاريخ أبي عُمر الصدفي القرطبي.

ومن كتب أبي عبد الله بن حارث في القَروَيين والأندلسيين.

ومن كتاب أبي العَرب التميمي.

وأبي إسحاق الرقيق الكاتب.

وأبي علي بن البصري في القرويين.

وتعاليق وجدتها بخط الشيخ أبي عمران الفاسي في ذلك.

وما وقع إلي من تاريخ أبي بكر بن أبي عبد الله المالكي في القرويين.

ومن تواريخ الأندلس ككتاب أبي عبد الملك بن عبد البر.

وكتاب الاحتفال لأبي عمر بن عفيف.

والانتخاب لأبي القاسم بن مفرج.

وكتاب القاضي أبي الوليد بن الفَرَضي.

وتواريخ أبي مروان بن حيان.

والرازي.

وكتاب أحمد بن عبد الرحمن بن مطاهر في الطليطليين، وسوى هذه الكتب، ككتاب ابن أبي دُلَيم المتقدم ذكره.

ومما وقع إلي من كتاب أبي بكر الخطيب في البغدادين.

وأوراقٍ جمعت للحاكم المستنصر بالله وجدت عليها خطه في كتاب في العراقيين.

وما وقع من ذلك في كتاب الأمير أبي نصر.

وفي كتاب الشيخ أبي إسحق.

وكتاب أبي عمر بن عبد البر في ذكر الأئمة الثلاثة ورواتهم، وغير هذه الكتب مما عسى أن يكون وقع من غرضنا فيها التـافه اليسير إلى ما تلقفناه من أفواه الرجال، والتقطناه بفرط الاعتناء والاهتبال.

وأنا أضرع إلى ذي العزة والجـلال، أن لا يجعل حظي من هذا الكتاب مجرّد التعب وواصلَ السهر والنصب، وأن يُحـسن فيه النية ويكمل بعفوه عن زللنا المنة.

وجدير بمطالعـه أن يحسن الظن ولا يبادر إلى الطعن حتى يجـيد النظر ويحقق ما أنكر؛ فإن تيـقن بعد ذلةً أصلحها، أو وجد مبهمـة أوضحها، وأن يشكر ما كفيناه في جمعه من شغل الخاطر، والفراغ للبحث والطلب المتواتر، ويعذر فـيمـا عسـاه يعثـر عليه من زلل خَـفِيّ أو ظاهر؛ فالغـالب على المرء التقصير، والأمر الذي ارتكبته خطير، ويغتفر القليل للكثير.

وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير، وعلى آله وسلم.

***

باب
ما ورد من الآثار في فضل المدينة
ودعاء النبي ﷺ لها

روى أنس بن ملك أن النبي ﷺ قال: «اللهم بارك لهم في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم ومدهم، يعني أهل المدينة.

وعن أبي هريرة عنه ﷺ: «اللهم بارك لنا في ثمارنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا ومدنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك وإني عبدُك ونبيك وإنه دعاك لمكة وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكة ومثله معه».

وقال عمر بن الخطاب لعبد الله بن عياش: أنت القائل: لمكة خير من المدينة؟ قال عبد الله: فقلت: هى حرم الله وأمنه، وفيها بيته. فقال عمر: لا أقول في حرم الله ولا في بيته وأمنه شيئًا، ثم قال له عمر كما قال أولاً، فأجابه عبد الله بجوابه وأجابه عمر بمثل الأول، ثلاث مرات ثم انصرف. أنا اختصرته.

وروى ابنُ عمر أن النبي ﷺ قال: «لا يصبر أحد على لأواء المدينة وشدتها إلا كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة»، وفي رواية «وشفيعًا».

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما المدينة كالكِير تَنْفي خَبَثَها وَيَنْصَعُ طَيِّبَها. وفي حديث أبي هريرة: تنفي الناسَ كما ينفي الكِير خبث الحديد».

وفي حديث زيد بن ثابت أنها تنفي الرجال كما تنفي النارُ خبث الفضة».

وروى سفيان بن أبي زهير قال: قال رسول الله ﷺ: «تفتح اليمن فيأتي قوم يُسوُّن فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون».

وذكر في فتح العراق والشام مثله، أنا اختصرتُه.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عنه ﷺ بمعناه. وقال: «والذي نفسي بيده لا يخرج منها أحد رغبة عنها إلا خلف الله فيها من هو خير منه».

وعن أبي هريرة عنه ﷺ: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال».

قال مالك بن أنس: المدينة محفوفة بالشهداء، وعلى أنقابها ملائكة يحرسونها لا يدخلها الدجال ولا الطاعون وهي دار الهجرة والسُّنّة وبها خيار الناس بعد النبي ﷺ وهجرة النبي ﷺ وأصحابه، واختارها الله بعد وفاته فجعل بها قبره وبها روضة من رياض الجنة ومنبر رسول الله ﷺ وليس ذلك لشيء من البلاد غيرها.

وفي رواية، «ومنها تبعث أشراف هذه الأمة يوم القيامة».

وهذا كلام لا يقوله مالك عن نفسه، إذ لا يُدرَك بالقياس.

وقال حماد بن واقد الصفار لمالك: يا أبا عبد الله! أيما أحب إليك: المقام هاهنا أو بمكة؟ فقال: هاهنا. وذلك أن الله تعالى اختارها لنبيه ﷺ من جميع بقاع الأرض. ثم ذكر حديث أبي هريرة في فضلها.

وقال جعفر بن محمد: قيل لمالك اخترت مقامك بالمدينة وتركتَ الريف والخصب: فقال: وكيف لا أختاره وما بالمدينة طريق إلا سلك عليها رسول

الله ﷺ وجبريل عليه السلام ينزل عليه من عند رب العالمين في أقل من ساعة.

قال أبو مصعب الزهري: قيل لمالك: لمَ صار لأهل المدينة لين القلوب وفي أهل مكة قساوة القلوب؟ فقال: لأن أهل مكة أخرجوا نبيهم وأهل المدينة آووه.

قال محمد بن مسلمة: سمعت مالكًا يقول: دخلت على المهدي فقال: أوصني، فقلتُ: أوصيك بتقوى الله وحده، والعطف على أهل بلد رسول الله ﷺ وجيرانه، فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: المدينة مُهَاجَري ومنها مَبْعَثي وبها قبري وأهلها جيراني وحقيق على أمتي حفظي في جيراني، فمن حفظهم في كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة، ومن لم يحفظ وصيتي في جيراني سقاه الله من طينة الخَبَال[1].

***

(١) الخبال: ما يسيل من جلود أهل النار. وطينة الخبال: عصارة أهل النار.

باب

الآثار

في اختصاص المدينة بفضل العلم والسنة والقرآن

روت عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ قال: فُتحت المدائن بالسيف وافتُتحت المدينة بالقرآن.

وعن أبي سعيد المَقبُري عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: المدينة قبة الإسلام ودار الإيمان وأرض الهجرة ومبدأ الحلال والحرام.

وروى كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «إن الدين لَيأْرِز[1] إلى المدينة - وفي رواية إلى الحجاز - كما تأرِز الحية إلى جُحْرها. وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأُروية من رأس الجبل. إن الدين بدأ غريبًا وسيعود غريبًا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنتي.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي ﷺ أنه قال: لينحازنّ الإسلام إلى المدينة كما يحوز السيل الدّمَن.

وعن أبي هريرة عنه ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يَأْرز الإيمان إلى المدينة كما تَأرِزُ الحية إلى جحرها.

قال أبو مصعب الزهري: في هذا الحديث»:

والله ما يأرز إلا إلى أهله الذين يقومون به، ويَشْرعَون شرائعه، ويعرفون تأويله ويقمون بأحكامه.

---

(١) أى ينضم إليها ويجتمع بعضه إلى بعض فيها.

وما ذاك من رسول الله ﷺ مدحًا للأرض والدور، وما ذاك إلا مدحًا لأهلها، وتنبيهًا على أن ذلك باق فيهم، زائل عن غيرهم حين يُرفع العلم، فيتخذ الناس رؤساء جُهّالاً فيسألون فيقولون بغير علم فَيَضلُّون ويُضِلُّون.

قال ابن أبي أُوَيس: سمعت مالكًا يقول في معنى الحديث: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ» أي يعود إلى المدينة كما بدأ منها.

***

obeikandl.com

باب
فضل علم أهل المدينة
وترجيحه على علم غيرهم واقتداء السلف بهم

قال زيد بن ثابت: إذا رأيت أهل المدينة على شيء فاعلم أنه السُّنة.

قال ابن عمر: لو أن الناس إذا وقعت فتنة رَدّوُا الأمر فيه إلى أهل المدينة فإذا اجتمعوا على شيء - يعني فَعَلوه - صلح الأمر، ولكنه إذا نعق ناعِقٌ تبعه الناس.

قال مالك: كان ابن مسعود يُسْأل بالعراق عن شيء فيقول فيه ثم يقدم المدينة فيجد الأمر على غير ما قال، فإذا رجع لم يحط راحلته ولم يدخل إلى بيته حتى يرجع إلى ذلك الرجل فَيُخبِرَه بذلك.

قال: وكان عمر بن عبد العزيز يكتب إلى الأمصار يعلّمهم السنن والفقه ويكتب إلى المدينة يسألهم عما مضى لعله يعمل بما عندهم.

وكتب إلى أبي بكر بن حَزْم أن يَجْمع له السُّنَنَ ويكتب بها إليه، فتوفى. وقد كتب له ابن حزم كتبًا قبل أن يبعث بها إليه.

قال مالك: والله ما استوحشَ سعيد بن المسيب ولا غيره من أهل المدينة لقول قائل من الناس، لولا أن عمر بن عبد العزيز أخذ هذا العلم بالمدينة لشكّكه كثير من الناس.

وقال عبد الله بن عمر بن الخطاب: كتب إلي عبد الله - يعني ابن الزبير - وعبد الملك بن مروان، كلاهما يدعوني إلى المشورة، فكتبت إليهما: «إن كنتما تريدان المشورة فعليكما بدار الهجرة والسّنة».

وقال رجل أبي بكـر بن عَمْرو بن حـزم في أمر: والله مـا أدري كيف أصنع في كـذا؟ فقـال أبو بكر: يا بن أخي! إذا وجـدت أهل هذا البلد قـد أجمعوا على شـيء فلا تشكَّن فيه أنه الحق. وقال الشافـعي أيضًا: أما أصول أهل المدينة فليس فيها حيلة من صحتها.

قال ابن نافع: كان مـالك يرى أن أهل الحرمين إذا بايعوا لزمت البـيعة أهل الاسلام.

قال مالـك كان ابن سيرين أشـبه الناس بأهل المدينة في ناحية مـا يأخذ به.

قال أبو نعـيم: سألت مالكًـا عن شيء فقال لي: إن أردت العلم فأقم - يعني بالمدينة - فإن القرآن لم ينزل على الفُرات.

قال الشافعي: رحلت إلى المدينة فكتبت اختلافهم، زاد في رواية: «في الجَدّ».

قال مِـسْعَر قلت لحـبيب بن أبي ثابت: أيما أعلم بالسنة أو الفـقه؟ أهل الحجاز أم أهل العراق؟ قال: أهل الحجاز.

وقال الشـافعي كل حديث ليس له أصل بالمدينة وإن كـان منقطعًا ففـيه ضعف.

وقال مـالك في أثر ذكر التـشهـد في الوصية: هو الذي أدركـتُ عليه الناسَ بهذه البلدة فلا تَشُك فيه فهو الحق.

قال عبد الله بن عمر: بعث عمر نافعًا إلى مصر يعلمهم السنن.

قال مـجاهـد وعمر بـن دينار وغيـرهما من أهل مكة: لم يزل شـأننا متـشابـهًا مـتناظرًا حتى خـرج عطاء بن أبي رباح إلى المدينة فلمـا رجع إلينا استبان فضله علينا.

* * *

obeikandl.com

رسالة مالك

إلى الليث بن سعد

في هذا

من مالك بن أنس إلى الليث بن سعد. سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو. أما بعد، عصمنا الله وإياك بطاعته في السر والعلانية، وعافانا وإياك من كل مكروه.

اعلم رحمك الله أنه بلغني أنك تُفتي الناس بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندنا وبِبَلَدِنا الذي نحن فيه. وأنت في إمامتك وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك، وحاجة من قِبَلهم إليك واعتمادهم على ما جاءهم منك، حقيق بأن تخافَ على نفسك، وتَتَّبع ما ترجو النجاة باتباعه، فإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ ... ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿... فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ...﴿١٨﴾﴾ [الزمر].

فإنما الناس تَبَع لأهل المدينة، إليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآن، وأُحلّ الحلال وحرم الحرام إذ رسول الله بين أظهرهم يحضرون الوحي والتنزيل، ويأمرهم فيطيعونه، ويَسُنّ لهم فيتبعونه، حتى توفاه الله واختار له ما عنده صلوات الله عليه ورحمته وبركاته.

ثم قام من بعده أَتْبَعُ الناس له من أمته ممن ولي الأمر من بعده، فما نزل بهم مما عَلِموا أنفذوه، وما لم يكن عندهم فيه علم سألوا عنه، ثم أخذوا بأقوى ما وجدوا في ذلك في اجتهادهم وحداثة عهدهم، وإن خالفهم مخالف أو قال أَمْرًا غيره أقوى منه وأولى تُرك قوله، وعمل بغيره.

ثم كان التابعون من بعدهم يسلكون تلك السبيل ويتبعون تلك السّنن، فإذا كان الأمر بالمدينة ظاهراً معمولاً به لم أر لأحد خلافه للذي في أيديهم من تلك الوراثة التي لا يجوز لأحد انتحالها ولا ادعاؤها.

ولو ذهب أهل الأمصار يقولون: هذا العمل ببلدنا وهذا الذي مضى عليه من مضى منا، لم يكونوا من ذلك على ثقة، ولم يكن لهم من ذلك الذي جاز لهم.

فانظر رحمك الله فيما كتبت إليك فيه لنفسك واعلم أني أرجو أن لا يكون دعائي إلى ما كتبت به إليك إلا النصيحة لله تعالى وحده، والنظر لك والظن بك، فأنزل كتابي منك منزلته، فإنك إن فعلت تعلم أني لم آلك نُصْحًا.

وفقنا الله وإياك لطاعته وطاعة رسوله في كل أمر وعلى كل حال. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكتب يوم الأحد لتسع مضين من صفر. أتينا بها على وجهها بسرد فوائدها وهي صحيحة مروية.

وكان من جواب الليث عن هذه الرسالة: وأنه بلغك عني أني أفتي بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندكم وأنه يحق علي الخوف على نفسي لاعتماد من قِبَلي على ما أفتيهم به، وأن الناس تَبَعٌ لأهل المدينة التي إليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن.

وقد أصبت بالذي كتبت من ذلك إن شاء الله، ووقع مني بالموقع الذي لا أكره ولا أحد أشد تفضيلاً مني لعلم أهل المدينة الذين مضوا ولا آخذ بفتواهم مني والحمد لله.

وأما ما ذكـرتَ من مُقام رسول الله ﷺ بالمدينة ونزول القـرآن عليه بين ظهـراني أصحـابه وما علـمهم الله منه، وإن الناس صـاروا تبـعًا لهم فكمـا ذكرت.

أنا اختصرت هذا وأتيت منها بموضع الحاجة وبالله التوفيق.

* * *

obeikandl.com

باب

ما جاء عن السلف والعلماء

في وجوب الرجوع إلى عمل أهل المدينة وكونه حجة عندهم وإن خالف الأثر

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال على المنبر: أحرّج بالله عز وجل على رجل روى حديثًا العملُ على خلافه.

قال ابن القاسم وابن وهب: رأيت العمل عند مالك أقوى من الحديث.

قال مالك: وقد كان رجال من أهل العلم من التابعين يحدثون بالأحاديث وتبلغهم عن غيرهم فيقولون: ما نجهل هذا، ولكن مضى العمل [على][1] غيره.

قال مالك: رأيت محمد بن أبي بكر بن عَمْرو بن حزم وكان قاضيًا، وكان أخوه عبد الله كثير الحديث رجل صدق، فسمعت عبد الله إذا قضى محمد بالقضية قد جاء فيها الحديث مخالفًا للقضاء يعاتبه، يقول له: ألم يأت في هذا حديث كذا؟ فيقول: بلى.

فيقول له أخوه: فما لك لا تقضي به؟ فيقول فأين الناس عنه؟ يعني ما أجمع عليه من العمل بالمدينة، يريد أن العمل بها أقوى من الحديث.

قال ابن المعذّل: سمعت إنسانًا سأل ابن الماجشون: لمَ رويتم الحديث ثم تركتموه؟ قال: ليُعلَم أنا على علم تركناه.

قال ابن مهدي: السنة المتقدمة من سنة أهل المدينة خَيْرٌ من الحديث.

---

(١) ساقطة من طبعة المغرب.

وقال أيضًا: إنه ليكون عندي في الباب الأحاديث الكثيرة فأجد أهل العرصة على خلافه فيضعف عندي، أو نحوه.

وقال ربيعة ألف عن ألف أحبّ إليّ من واحد عن واحد لأن واحدًا عن واحد ينتزع السنة من أيديكم، قال ابن أبي حازم كان أبو الدرداء يسأل فيجيب فيقال: إنه بلغنا كذا وكذا بخلاف ما قال، فيقول: وأنا قد سمعته ولكني أدركت العمل على غير ذلك.

قال ابن أبي الزناد: كان عمر بن عبد العزيز يجمع الفقهاء ويسألهم عن السنن والأقضية التي يُعمل بها فيثبتها، وما كان منها لا يَعمل به الناس ألغاه، وإن كان مخرجه من ثقة.

وقال مالك: انصرف رسول الله ﷺ من غزوة كذا في نحو كذا، وكذا ألفًا من الصحابة، مات بالمدينة منهم نحو عشرة آلاف وباقيهم تفرق بالبلدان فأيهما أحرى أن يتبع ويؤخذ بقولهم؟ من مات عندهم النبي ﷺ وأصحابه الذين ذكرت؟ أو مات عندهم واحد أو اثنان من اصحاب النبي ﷺ؟ قال عبيد الله بن عبد الكريم: قبض رسول الله ﷺ عن عشرين ألفَ عينٍ تطرِف.

* * *

باب

بيان الحجة

بإجماع أهل المدينة فيما هو وتحقيق مذهب مالك في ذلك

اعلموا أكرمكم الله أن جميع أرباب المذاهب من الفقهاء والمتكلمين وأصحاب الأثر والنظر إِلْبٌ واحد على أصحابنا فى هذه المسألة مخطّئون لما فيها بزعمهم، محتجون علينا بما سَنَح لهم حتى تجاوز بعضهم حد التعصب والتشنيع إلى الطعن في المدينة وعد مثالبها، وهم يتكلمون في غير موضع خلاف، فمنهم لم يتصور المسألة ولا تحقق مذهبنا فتكلموا فيها على تخمين وحدس، ومنهم من أخذ الكلام فيها ممن لم يحققه عنا، ومنهم من أطالها وأضاف إلينا ما لا نقوله فيها، كما فعل الصيرفي والمحاملي والغزالي، فأوردوا عنا في المسألة ما لا نقوله واحتجوا علينا بما يحتج به على الطاعنين على الإجماع.

وهأنا أفصل الكلام فيها تفصيلاً لا يجد المنصف إلى جحده بعد تحقيقه سبيلاً وأبين موضع الاتفاق فيه والخلاف إن شاء الله تعالى.

فاعلموا أن إجماع أهل المدينة على ضربين: ضرب من طريق النقل والحكاية الذي تأثره الكافة عن الكافة وعملت به عملاً لا يخفى، ونقله الجمهور عن الجمهور عن زمن النبي ﷺ، وهذا الضرب منقسم على أربعة أنواع:

أولها: إما نقل شرع من جهة النبي ﷺ من قول كالصاع والمد، وأنه عليه الصلاة والسلام كان يأخذ منهم بذلك صدقاتهم وفطرتهم، وكالأذان والإقامة وترك الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة وكالوقوف والأحباس.

فتقلهم لهذه الأمور من قوله وفعله كنقلهم موضع قبره ومسجده ومنبره ومدينته وغير ذلك مما علم ضرورة من أحواله وسيره وصفة صلاته من عدد ركعاتها وسجداتها وأشباه هذا.

أو نقل إقراره عليه الصلاة والسلام لما شاهده منهم ولم ينقل عنه إنكاره، كنقل عهده الرقيق وشبه ذلك، أو نقل تركِه لأمور وأحكام لم يلزمهم إياها مع شهرتها لديهم وظهورها فيهم، كتركه أخذ الزكاة من الخضراوات مع علمه عليه السلام بكونها عندهم كثيرة.

فهذا النوع من إجماعهم في هذه الوجوه حجة يلزم المصير إليه ويترك ما خالفه من خبر واحد أو قياس، فإن هذا النقل محقق معلومه موجب للعلم القطعي، فلا يُترك لما توجبه غلبة الظنون، وإلى هذا رجع أبو يوسف وغيره من المخالفين ممن ناظر مالكًا وغيره من أهل المدينة في مسألة الأوقاف والمد والصاع حين شاهد هذا النقل وتحققه.

ولا يجب لمنصف أن ينكر الحجة بهذا، وهذا الذي تكلم عليه مالك عند أكثر شيوخنا ولا خلاف في صحة هذا الطريق، وكونه حجة عند العقلاء وتبليغه العلم يدرك ضرورة، وإنما خالف في تلك المسائل من غير أهل المدينة من لم يبلغه النقل الذي بها.

قال القاضي أبو محمد عبد الوهاب ولا خلاف بين أصحابنا في هذا ووافق عليه الصيرفي وغيره من أصحاب الشافعي حكاه عنده الأبهري.

وقد خالف بعض الشافعية عناداً، ولا راحة للمخالف في قوله: إن ما هذا سبيله فهم وغيرهم من اهل الآفاق من البصرة والكوفة ومكة سواء، إذ قد نزل هذه البلاد وكان بها جماعة من الصحابة ونقلت السنن عنهم والخبر

المتواتر من أي وجه ورد لزم المصير إليه، ووقع العلم به، فصارت الحجة في النقل فلم تختص المدينة بذلك، وسقطت المسألة، وهذه من أقوى عمدهم، فنقول لهم: كذلك نقول لو تصورت المسألة في حق غيرهم لكن لا يوجد مثل هذا النقل كذلك عند غيرهم، فإنّ شرط نقل التواتر تساوي طرفيه ووسطه، وهذا موجود في أهل المدينة ونقلهم، الجماعة عن الجماعة، عن النبي ﷺ أو العمل في عصره وإنما ينقل أهل البلاد غيرها عن جماعتهم حتى يرجعوا إلى الواحد أو الاثنين من الصحابة فرجعت المسألة إلى خبر الآحاد.

وبالحَرِيّ أن تُفرض المسألة في عمل أهل مكة في الأذان، ونقلهم المتواتر عن الأذان بين يدي النبي عليه السلام بها، لكن يعارض هذا آخر الفعلين من رسول الله ﷺ والذي مات عليه بالمدينة.

ولهذا قال مالك لمن ناظره في المسألة: ما أدري ما أذان يوم ولا ليلة، هذا مسجد رسول الله ﷺ يؤذن فيه من عهده ولم يحفظ عن أحد إنكاره على مؤذن فيه.

النوع الثاني:

إجماعهم على عمل من طريق الاجتهاد والاستدلال.

فهذا النوع اختلف فيه أصحابنا فذهب معظمهم إلى أنه ليس بحجة ولا فيه ترجيح، وهو قول كبراء البغداديين، منهم: ابن بكير، وأبو يعقوب الرازي، وأبو الحسن بن المنتاب، وأبو العباس الطيالسي، وأبو الفرج القاضي، وأبو بكر الأبهري، وأبو التمام، وأبو الحسن بن القصار. قالوا: لأنهم بعض الأمة، والحجة إنما هي بمجموعها، وهو قول المخالفين أجمع.

ولهذا ذهب القاضي أبو بكر ابن الطيّب وغيره، وأنكر هؤلاء أن يكون مالك يقول هذا أو أن يكون مذهبه ولا أئمة أصحابه.

وذهب بعضهم إلى أنه ليس بحجة، ولكن يرجح به على اجتهاد غيرهم، وهو قول جماعة من متفقيهم، وبه قال بعض الشافعية، ولم يرتضه القاضي أبو بكر ولا محققو أئمتنا وغيرهم.

وذهب بعض المالكية إلى إن هذا النوع حجة كالنوع الأول وحكوه عن مالك.

قال القاضي أبو نصر: وعليه يدل كلام أحمد بن المعذَّل وأبي معصب وإليه ذهب القاضي أبو الحسين بن أبي عمر من البغداديين، وجماعة من المغاربة من أصحابنا، ورآه مقدمًا على خبر الواحد والقياس، وأطبق المخالفون أنه مذهب مالك ولا يصح عنه كذا مطلقًا.

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى: ولا يخلو عمل أهل المدينة مع أخبار الآحاد من ثلاثة أوجه:

إما أن يكون مطابقًا لها، فهذا آكد في صحتها إن كان من طريق النقل، أو ترجيحها إن كان من طريق الاجتهاد بلا خلاف في هذا، إذ لا يعارضه هنا إلا اجتهاد آخرين وقياسهم، عند من يقدم القياس على خبر الواحد.

وإن كان مطابقًا لخبر يعارضه خبر آخر، كان عملهم مرجحًا لخبرهم، وهو أقوى ما تُرَجّح به الأخبار إذا تعارضت، وإليه ذهب الأستاذ أبو إسحاق الإسْفَراييني ومن تابعه من المحققين من الأصوليين والفقهاء من المالكية وغيرهم.

وإن كان مخالفًا للأخبار جملة فإن كان إجماعهم من طريق النقل ترك له الخبر بغير خلاف عندنا في ذلك، وعند المحققين من غيرنا على ما تقدم، ولا يجب عند التحقيق تصور خلاف في هذا، ولا التفات إليه، إذ لا يترك

القطع واليقين لغلبات الظنون، وما عليه الاتفاق لما فيه الخلاف، كما ظهر هذا للمخالف المنصف فرجع. وهذه نكتة مسألة الصاع والمد والوقوف وزكاة الخضراوات وغيرها.

وإن كان إجماعهم اجتهادًا قُدّم خبر الواحد عليه عند الجمهور، وفيه خلاف كما تقدم بين أصحابنا.

فأما إن لم يكن ثم عمل بخلافٍ ولا وفاق، فقد سقطت المسألة ووجب الرجوع إلى خبر الواحد، كان من نقلهم أو من نقل غيرهم، إذا صح ولم يُعَارَض، فإن عارض هذا الخبرَ الذي نقلوه خبرٌ آخر نقله غيرهم من أهل الآفاق، كان ما نقلوه مرجحًا عند الأستاذ أبي إسحاق وغيره من المحققين لزيادة مزية مشاهدتهم قرائن الأحوال، وتقعُّدهم لنقل آثار الرسول عليه السلام، وأنهم الجم الغفير، عن الجم الغفير عنه.

وكثر تحريف المخالف فيما نقل عن مالك من ذلك سوى ما قدمناه، فحكى أبو بكر الصيرفي وأبو حامد الغزالي أن مالكًا يقول: لا يعتبر إلا إجماع أهل المدينة دون غيرهم. وهذا ما لا يقوله هو ولا أحد من أصحابه.

وحكى بعض الأصوليين أن مالكًا يرى إجماع الفقهاء السبعة بالمدينة إجماعًا، وَوَجَّه قولَه بأنه لعلمهم كانوا عنده أهل الاجتهاد في ذلك الوقت دون غيرهم وهذا ما لم يقله مالك ولا رُوي عنه.

وحكى بعضهم عنا إنا لا نقبل من الأخبار إلا ما صحِبَه عمل أهل المدينة، وهذا جهل أو كذب، لم يفرقوا بين قولنا برد الخبر الذي في مقابلته عملهم وبين من لا نَقبل منه إلا ما وافقه عملهم.

فإن احتجوا علينا في هذا الفصل برد مالك حديث البَيِّعَين بالخيار الذي رواه هو وأهل المدينة بأصح أسانيدهم، وقول مالك في هذا الحديث بعد ذكره

له في موطئه: «وليس لهذا عندنا حد محـدود ولا أمر معمول به فيه»، وهذه المعارضة أعظم تهاويلهم وأشنع تشانيعهم، قالوا: وهذا ردٌّ للخبر الصحيح إذ لم يَجْرِ عليه عمل أهل المدينة، حتى قد أنكره عليه أهل المدينة. وقال ابن أبي ذئب فيه كلاماً شديداً معروفًا.

فالجواب أنه إنما ابتليتم بسوء التأويل. فإن قول مالك هذا ليس مراده به ردّ البَيِّعين بالخيار، وإنما أراد بقوله مـا قال في بقية الحديث، وهو قوله: «إلا بيع الخيار»، فأخـبر أن بيع الخيار ليس له حد عندهم لا يتـعدى، إلا قدرَ ما تختبر فيه السلعة، وذلك يختلف باختلاف المبـيعات، فَيُرْجَع فيه إلى الاجتهاد والعوائد في البلاد وأحوال المبيع وما يراد به.

بهذا فَسَّـر قولَه محققـو أئمتنا رحمهم الله، وإنما ترك الـعمل بالحديث لغير تأول التفرق فيه بالقول وعقـد البيع، وإن الخيار لهما ما داما متراوضين، ومتـساومين. وهذا هو المعنى المفـهوم من المتفـاعلين وهما المتكلفـان للأمر، الساعيـان فيه. وهذا يدل أنه قبل تمامه، ويعضـده قوله: «لا يَبعْ أحدكم على بيع أخيه»، وهذا أيضًا في المتساومين. فقد سماه بيعًا قبل تمامه وانعقاده.

وقال بعض أصحـابنا: الحديث منسوخ بقولـه في الحديث الآخر: «إذا اختلف المتـبايعان، فالقـول ما قال البائع، ويتـرادّان» ولو كان لهما الخـيار لما احتـاجا إلى تخالـف وتخاصم، وقد يكون قـول مالك على طريق التـرجيح لأحد الخبرين بمسـاعدة عمل أهل المدينة لما خالفه كما تقـدم وقد قال بحديث البيعان بالخيار والعمل به كثير، من أصحابنا: ابن حبيب وغيره.

ومما ذكـره المخالفـون عن مالك أنه يـقول: إن المؤمنين الذين أمـر الله تعالى باتّباعهم هم أهل المدينة، ومـالك لا يقول هذا، وكيف يقول هذا وهو يرى أن الإجماع حجة.

ومما عارض به المخالفون أن قالوا إذا سلمنا باب النقل الذي ذكرتم فما فائدة ذكر الإجماع والعمل؟ ومتى حصل النقل عن جماعة يحصل العلم بخبرهم، وجب الرجوع إليه وإن خالفهم غيرهم.

فما فائدة ذكركم الإجماع مع الاتفاق على هذا؟

فالجواب أنا نقول: إذا نقل البعض فلا يخلو الباقون إما أن يؤثر عنهم خلاف أو لا يؤثر، فإن لم يؤثر فهو ما أردناه، وإن علم الخلاف، فإن كان من القليل لم يلتفت إليه ولم تَقْدَح مخالفة القليل في الإجماع النقلي.

وقد اختلف في مخالفة القليل فى الإجماع الاجتهادي على ما قرره أرباب الأصول الذي شرطه في التحقيق إطباق المجتهدين.

وأما النقليّ فيحتاج فيه إلى عدد يوجب لنا العلم، فإذا خالف فيه القليل نسب إليه الغلط والوهم، إذ القطع بنقل التواتر وصحته يبطل خلافه.

وأما إن كان الخلاف من جماعة آخرين وجمهور ثان متواتر أيضًا فقد قال القاضي أبو محمد عبد الوهاب: هذا نقل متعارض لا يكون حجة وليست مسألتنا.

قال القاضي أبو الفضل رضي الله تعالى عنه: وعندي أن تصور هذه النازلة يستحيل، إذ نقل المتواتر موجب للعلم الضروري إذا جاء على شروطه، ولا يصح أن يعارضه تواتر آخر لأنه كان يقضي أن أحدهما باطل محال، وهذا مما لا يُصحِّحه العقل.

ولا يصح كونهما جميعًا حقًا، ولا كونهما جميعًا باطلا، فسقط السؤال كَرَّةً، إلا أن يكون النقل المتواتر المتعارض في نازلتين متعينتين، أو حالين مختلفين، أو وقتين متغايرين، فيحكم فيهما بحكم الدليلين الصحيحين

المتعارضين، وينظر إلى الجمع بينهما إن أمكن، ويقصر كل واحد على نازلته وبابه، أو يُرجَعُ إلى التاريخ والحكم بالنسخ، وغير ذلك من وجوه الحكم في التعارض والترجيح، وموضع بسطه أصول الفقه.

قالوا فإذا تقرر ما بسطتموه رجع إلى نقلهم وتواتر خبرهم وعملهم، وبه الحجة، فما معنى تسميته إجماعًا؟

قلنا: معناه إضافة النقل والعمل إلى الجميع من حيث لم ينقل أحد منهم، ولا عَمِل بما يخالفه.

فإن قيل: فقد أَحَلْتم المسألة، وصرتم من إجماع إلى اجتماع على نقل بقول أو عمل؟

فالجواب: أن موجب الكلام لنا في هذه المسألة مخالفة العراقيين وغيرهم لنا في مسائل طريقُها النقل والعملُ المستفيض، اعتمدوا فيها على أخبار آحاد، واحتج أصحابنا بنقل أهل المدينة وعملهم المجتمع عليه المتواتر على تلك الأخبار لما قدمناه.

فإن قالوا فقد قال الله تعالى: ﴿...فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ...﴿٥٩﴾﴾ [النساء] وهذا ردٌّ إلى غير الرسول، بل إلى عَمِل قوم من أمته.

قلنا: بل ما رَددْناه إلا إلى الرسول، إذ تقرر عندنا بالنقل المتواتر أن ذلك العمل هو سنة رسول الله ﷺ وعملُه وإقرارُه.

قال القاضي أبو الفضل رضي الله تعالى عنه: فأما قول من قال من أصحابنا: إن إجماعهم من طريق الاجتهاد حجة، فحجته ما لهم من فضل الصحبة والمخالطة والملابسة والمساءلة ومشاهدة الأسباب والقرائن، ولكل هذا

فضل ومزية في قوة الاجتهاد، وقد قال أصحابنا ومخالفونا: إن تفسير الصحابي الراوي لأحد مُحْتَمَلَي الخبر أولى من تفسير غيره، وحجة يترك لها تفسير من خالفه، لمشاهدة الرسول وسماعه ذلك الحديث منه، وفهمه من حاله، ومخرج ألفاظه، وأسباب قضيته، ما يكون له به من العلم بمراده مما ليس عند غيره، فرجح تفسيره لذلك، فكذلك إجماع أهل المدينة بهذا السبيل، واجتهادهم مقدم على غيره ممن نأت داره ولم يبلغه إلا مجرد خبر معرًّى من قرائنه، سليب من أسباب مخارجه.

ولهذا ما رجح الشافعي أحاديث شيوخ الصحابة على حديث أسامة في الدماء، قال: لأن ابن عمر وَعُبادة والمشيخة أعلم برسول الله ﷺ من أسامة، ولهذا رجح الأصوليين والفقهاء قياس الصحابي على قياس غيره.

ولذلك رجح كثير منهم عَمَلَ الصحابي بالحديث إذا رواه على غيره من حديث لم يعمل به راويه، وقد قال الشافعي مرة: إجماع أهل المدينة أحب إليَّ من القياس، وهذا قول بأن إجماعهم حجة في وجه، بخلاف إجماع غيرهم الذي لا خلاف من أحد أنه لا تأثير له في الأحكام، إلا ما حكي عن بعض الأصوليين من أن إجماع أهل الحرمين والمِصْرَيْن حجة كما قدمناه، وما رجح به أهل الأصول في تعارض الأخبار بعمل أهل مكة والمدينة.

وهذا - أكرمكم الله تعالى - منتهى الكلام في هذا الباب، ولُبَاب العقول والألباب، ومَنْزَعٌ في المسألة من التحقيق والتدقيق يشهد له كل منصف بالصواب.

* * *

باب

ترجيح مذهب مالك

والحجة في وجوب تقليده وتقديمه على غيره من الأئمة

قال القاضي أبو الفضل رضي الله تعالى عنه: رأينا البداية به قبل الخوض في هذا مَاسَّةً إلى تقديم مقدمة وتمهيد قاعدة لموجب التقليد عليها ينبني الكلام فيما قصدناه.

فأقول: اعلموا وفقنا الله تعالى وإياكم أن حكم المتعبّد بأوامر الله تعالى ونواهيه المتشرع بشريعة نبيه عليه السلام، طلب معرفة ذلك وما يتعبد به، وما يأتيه ويذره، ويجب عليه ويحرم، ويباح له، ويُرَغَّب فيه من كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام، فهما الأصلان اللذان لا تعرف الشريعة إلا من قبلهما، ولا يُتَعَبَّدُ الله تعالى إلا بعلمهما، ثم إجماع المسلمين مرتب عليهما، ومسند إليهما، فلا يصح أن يوجد وينعقد إلا عنهما، إما من نص عرفوه ثم تركوا نقله، أو من اجتهاد مبني عليهما على القول بصحة الإجماع من طريق الاجتهاد[1].

وهذا كله لا يتم إلا بعد تحقيق العلم بذلك، والطُّرق والآلات الموصلة إليه، من نقل ونظر، وطلب قبله، وجَمْعٍ، وحفظٍ، وعلم وما صح من السنن واشتهر، ومعرفة كيف يَتَفَهَّم، وما به يتفهم من علم ظواهر الألفاظ، وهو علم العربية واللغة، وعلم معانيها وعلم موارد الشرع ومقاصده، ونص الكلام وظاهره وفحواه، وسائر مناحيه وهو المعبر عنه بعلم أصول الفقه[2].

---

(١) الديباج المذهب لابن فرحون ١/ ٥٢ وهو ينقل عن المصنف.

(٢) الديباج المذهب ١/ ٥٢ نقلا عن المصنف.

وأكثره يتعلق بعلم العربية ومقاصد الكلام والخطاب، ثم مأخذ قياس ما لم ينص عليه على ما نص بالتنبيه على علته أو بتشبيهما له.

وهذا كله يحتاج إلى مهلة والتعبد لازم لحينه.

ثم الواصل إلى هذا الطريق، وهو طريق الاجتهاد والحكم به في الشرع، قليل وأقل من القليل بعد الصدر الأول والسلف الصالح والقرون المحمودة الثلاثة.

وإذا كان هذا، فلا بد لمن لم يبلغ هذه المنزلة من المكلَّفين أن يتَلقَّى ما تعبِّد به وكُلّفَه من وظائف شريعته ممن ينقله له، ويعرّفه به ويستند إليه في نقله وعلمه وحكمه، وهذا هو التقليد، ودرجةُ عوام الناس بل أكثرهم.

وإذا كان هذا فالواجب تقليد العالم الموثوق به في ذلك، فإذا كثر العلماء فالأعلم.

وهذا حَظُّ المقلِّد من الاجتهاد لدينه، ولا يترك المقلد الأعلم ويَعْدِل إلى غيره، وإن كان مشتغلا بالعلم، فيسأل حينئذ عما لا يعلم حتى يعلمه. قال الله تعالى: ﴿... فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل] وأمر النبي ﷺ بالاقتداء بالخلفاء بعده وأصحابه، وقد بعث النبي ﷺ أصحابه في الناس ليفقهوهم في الدين، ويعلموهم ما كتب عليهم، وحَضَّ الله تعالى كافتهم لتنفر ﴿... مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة]، وإذا كان هذا الأمر لازمًا لا بد منه وكان أولى من قلده العامي الجاهل والمبتدىء المتعبد والطالب المسترشد والمتفقه في دين الله تعالى.

وأحق بذلك فقهاء أصحاب رسول الله ﷺ الذين أخذوا عنه العلم وعلموا أسباب نزول الأوامر والنواهي ووظائف الشرائع ومخارج كلامه عليه السلام، وشاهدوا قرائن ذلك وشافهوا في أكثرها النبي عليه السلام واستفسروه عنها، مع ما كانوا عليه من سعة العلم ومعرفة معاني الكلام، وتنوير القلوب، وانشراح الصدور، فكانوا أعلم الأمة بلا مِرْيَة وأولاهم بالتقليد، لكنهم لم يتكلموا من النوازل إلا في اليسير مما وقع، ولا تفرعت عنهم المسائل ولا تكلموا من الشرع إلا في قواعد ووقائع(١).

وكان أكثر اشتغالهم بالعَمَل بما علموا والذبّ عن حوزة الدين، وتوكيد شريعة المسلمين، ثم بَيْنَهم من الاختلاف في بعض ما تكلموا فيه ما يُبْقي المقلّدَ في حيرة، ويُحوجه إلى نظر وتوقف، وإنما جاء التفريع والتنتيج وبسط الكلام فيما يُتَوَقَّع وقوعه بعدهم، فجاء التابعون فنظروا في اختلافهم، وبنوا على أصولهم، ثم جاء من بعدهم العلماء من أتباع التابعين، والوقائع قد كثرت والنوازل قد حدثت، والفتاوى في ذلك قد تشعَّبت فجمعوا أقاويل الجميع وحفظوا فقههم، وبحثوا عن اختلافهم واتفاقهم، وحَذِرُوا انتشار الأمر، وخروج الخلاف عن الضبط، فاجتهدوا في جمع السنن وضبط الأصول، وسُئلوا فأجابوا، وبنوا القواعد، ومهدوا الأصول، وفرعوا عليها النوازل، ووضعوا في ذلك التصانيف وبوبّوها، وعمل كل واحد منهم بحسب ما فُتح عليه، ووفق له، فانتهى إليهم علم الأصول والفروع والاختلاف والاتفاق، وقاسوا على ما بلغهم ما يدل عليه أو يشبهه، رضي الله عن جميعهم ووفاهم أجر اجتهادهم(٢).

---

(١) الديباج نقلا عن المصنف.

(٢) الديباج ١/ ٥٤ نقلا عن المصنف.

فالمتعين على المقلد العامي وطالب العلم المبتدىء، أن يرجع في التقليد لهؤلاء لنصوص نوازله، والرجوع فيما أشكل من ذلك إليهم لاستغراق علم الشريعة ودورها عليهم، وإحكامهم النظر في مذاهب من تقدمهم، وكفايتهم ذلك لمن جاء بعدهم(١).

لكن تقليد جميعهم لا يتفق في أكثر النوازل وجمهور المسائل، لاختلافهم باختلاف الأصول التي بنوا عليها، ولا يصلح أن يُقَلِّد المُقَلِّد من شاء منهم على الشهوة والبَخْت، أو على ما وجد عليه أهل قطره وآله(٢).

فحظه هنا من الاجتهاد النظر في أعلمهم، وتعرف الأولى بالتقليد من جملتهم حتى يركن العامي في أعماله إلى فتواه، ويعتمد في تعبداته على ما رآه، وينصب العامي الأعلم من ملتزمي مذاهب هؤلاء منصبه، ولا يحل له أن يعدو في استفتائه مَن لا يرى مذهبه(٣).

فقد قال بعض المشايخ: إن الإمام لمن التزم تقليدَ مذهبه كالنبي عليه السلام مع أُمّته، ولا يحل له مخالفته، وهذا صحيح في الاعتبار مما بسطناه وشرطناه يظهر صوابه لأولي البصائر والأبصار.

وكذلك يلزم هذا طالب العلم في بدايته في درس ما أصَّله الأعلَم من هؤلاء وفرَّعه، وحفظه ما أَلّفه وجمعه، والاهتداء بنظره في ذلك والميل حيث مال معه، إذ لو ابتدأ الطالب في كل مسألة يطلب الوقوف على الحق منها بطريق الاجتهاد عسر عليه ذلك، إذ لا يتفق له إلا بعد جمع خصاله وتناهي كماله، وإذا كان بهذا السبيل استغنى عن تقليد أرباب المذاهب، وكان من

---

(١) الديباج ١/ ٥٤.

(٢) الديباج ١/ ٥٤ نقلا عن المصنف.

(٣) الديباج ١/ ٥٤ نقلا عن المصنف.

المجتهدين بنفسه فسبيله أن يقلد من يُعَرّفه أن، هذا هو الحق، حتى إذا أدرك من العلم ما قُيِّض له وحصل منه ما قسم الله تعالى له، وأفلح وكان فيه محل للنظر والاجتهاد انتقل إلى ذلك وأَدْرَكَه[١].

فإذا تقررت هذه المقدمة فنقول: قد وقع إجماع المسلمين في أقطار الأرض على تقليد هذا النمط واتّباعهم، ودرس مذاهبهم دون مَنْ قَبْلَهم، ومع الاعتراف بفضل من قبلهم وسبقه ومزيد علمه، لكن للعلل التي ذكرنا، وكفاية ما نخلوه وانتقوه من ذلك كما قدمنا[٢].

ثم اختلفت الآراء والهمم في تعيين المقلَّد منهم بحسب ما اعتقدوا فيه أنه هو الأعلم والأولى بالاتّباع، إما من اعتقاد اعتقدوه، أو انتشار ذِكْرٍ وَثَناءٍ سمعوه، أو من أتباع له اعتمدوه واتبعوه، أو من تقليد لآبائهم أو أهل بلادهم نشأوا عليه وأَلِفُوه.

فكان المقلدَّون المقتدى بمذاهبهم، أصحاب الأتباع في سائر الأقطار البقاع كثرة قبل كثرة:

مالك بن أنس بالمدينة، وأبو حنيفة والثوري بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة على ما تقدم منه، والأوزاعي بالشام، والشافعي بمصر، وأحمد بن حنبل بعده ببغداد، وكان لأبي ثور هناك أيضًا أتباع[٣].

ثم نشأ ببغداد أبو جعفر الطبري، وداود الأصبهاني فألفا الكتب واختارا في المذاهب على رأى أهل الحديث، واطَّرح داود منها القياس وكان لكل واحد منهما أتباع[٤].

(١) الديباج ١/ ٥٤ نقلا عن المصنف.
(٢) الديباج ١/ ٥٥ نقلا عن المصنف.
(٣) الديباج ١/ ٥٥ نقلا عن المصنف.
(٤) الديباج ١/ ٥٥ نقلا عن المصنف.

وسرت جميع هذه المذاهب في الآفاق، فغلب مذهب مالك على الحجاز والبصرة ومصر، وما والاها من بلاد إفريقية والأندلس وصِقِلِّيَة والمغرب الأقصى إلى بلاد من أسلم من السودان إلى وقتنا هذا، وظهر ببغداد ظهوراً كثيراً وضعف بها بعد أربعمائة سنة، وضعف بالبصرة بعد خمسمائة سنة، وغلب من بلاد خراسان على قَزْوين وأَبْهَر، وظهر بنيسابور أولا، وكان بها وبغيرها أئمة ومدرسون سنذكر منهم بعد في طبقاتهم من ألهم الله تعالى إليه، وكان ببلاد فارس وانتشر باليمن وكثير من بلاد الشام[1].

وغلب مذهب أبي حنيفة على الكوفة والعراق وما وراء النهر وكثير من بلاد خراسان إلى وقتنا هذا، وظهر بإفريقية ظهوراً كثيراً إلى قريب من أربعمائة عام، فانقطع منها، ودخل منه شيء ما وراءها من المغرب قديمًا بجزيرة الأندلس وبمدينة فاس[2].

وغلب مذهب الأوزاعي على الشام وعلى جزيرة الأندلس أولاً، إلى أن غلب عليها مذهب مالك بعد المائتين فانقطع منها، وأما مذهب الحسن والثوري فلم يكثر أتباعهما ولم يطل تقليدهما وانقطع مذهبهما عن قريب[3].

وأما الشافعي فكثر أتباعه وظهر مذهبه ظُهُورَ مَذْهَبَيْ مالك وأبي حنيفة قبله، وكان أول ظهوره بمصر، وكثر أصحابه بها مع المالكية، ثم بالعراق وبغداد، وغلب عليها وعلى كثير من بلاد خراسان والشام واليمن إلى وقتنا هذا، ودخل ما وراء النهر وبلاد فارس، ودخل شيء منه بلاد إفريقية والأندلس بأَخَرَةٍ بعد الثلاثمائة[4].

---

(١) نقله ابن فرحون فى الديباج ١/ ٥٥ عن المصنف.

(٢) نقله ابن فرحون فى الديباج ١/ ٥٦ عن المصنف.

(٣) الديباج ١/ ٥٦ نقلا عن المصنف.

(٤) نقله ابن فرحون عن المصنف ١/ ٥٦.

وأما مذهب أحمد بن حنبل فظهر ببغداد، ثم انتشر بكثير من بلاد الشام وغيرها، وضعف الآن[١].

وأما أصحاب الطبرى وأبى ثور، فلم يكثُروا ولا طالت مدتهم، وانقطع أتباع أبى ثور بعد ثلاثمائة، وأتباع الطبرى بعد أربعمائة[٢].

وأما داود فكثر أتباعه، وانتشر ببغداد وبلاد فارس مذهبه، وقال به قوم قليل بإفريقية والأندلس، وضعف الآن[٣].

فهؤلاء هم الذين وقع إجماع الناس على تقليدهم مع الاختلاف فى أعيانهم، واتفاق العلماء على اتّباعهم والاقتداء بمذاهبهم، ودرس كُتُبهم والتفقه على مآخذهم، والبناء على قواعدهم، والتفريع على أصولهم، دون غيرهم ممن تقدمهم أو عاصرهم، للعِلَل التي ذكرناها[٤].

وصار الناس اليوم في أقطار الدنيا إلى خمسة مذاهب: مالكية، وحنفية، وشافعية، وحنفية، وحنبلية، وداودية، وهم المعرفون بالظاهرية[٥].

فَحَقٌّ على طالب العلم ومُريد تَعرُّف الصواب والحق، أن يعرف أولاهم بالتقليد، ليعتمد على مذهبه، ويسلك في التَّفَقُّه سبيله[٦].

و ها نحن نبين أن مالكًا رحمه الله تعالى هو ذاك لجمعه أدوات الإمامة، وتحصيله درجة الاجتهاد وكونه أعلم القوم بأهل زمانه وإصفاق أهل

---

(١) الديباج المذهب لابن فرحون ١/ ٥٦ نقلا عن المصنف.

(٢) الديباج ١/ ٥٦ نقلا عن المصنف.

(٣) الديباج ١/ ٥٦ نقلا عن المصنف.

(٤) الديباج ١/ ٥٧ نقلا عن المصنف.

(٥) الديباج ١/ ٥٧ نقلا عن المصنف.

(٦) الديباج ١/ ٥٧ نقلا عن المصنف.

وقته على شهادتهم له بذلك وتقديمه، وهو القدوة والناس إذ ذاك ناس والزمان زمان، ثم للأثر الوارد في عالم المدينة التي هي داره، وانطلاق هذا الوصف والإضافة على ألسنة الجماهير له، وموافقة أحواله الحال التي أُخْبِر في الحديث عنه، وتأويل السلف الصالح له أنه المراد به[1].

ونفصّل الكلام في ذلك ونبسطه في فصلين:

أولهما ما مُعتمده النقل والأثر وفي ذلك ترجيحان[2].

والثاني مسلكه الاعتبار والنظر، وفيه ثلاث ترجيحات، فانتهينا في ترجيح مذهبه وعظيم قدره في العلم وعلو منصبه إلى خمس حجج كلها أتينا فيها بمبلغ الوسع، بما يقطع العذر ويكاد ينتهي بعضها إلى مدارك القطع.

* * *

(١) الديباج ١/ ٥٧ نقلا عن المصنف.

(٢) الديباج ١/ ٥٨.

الفصل الأول

اعلموا - وفقكم الله تعالى - أن ترجيح مذهب مالك على غيره وإنافة منزلته في العلم، وسُمُوّ قدره من طريق النقل والأثر، لا ينكره إلا معاند أو قاصر لم يبلغه ذلك مع اشتهاره في كتب المخالف والمساعد.

وها نحن نقرر الكلام في ذلك في محلين: أولهما بالتقديم، وهو الأثر المشهور الصحيح المروي في ذلك عن رسول الله عليه السلام من حديث الثقات، منهم سفيان بن عُيَيْنة، عن أبي جُرَيج، عن أبي الزُّبير، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم».

وفي رواية: «يلتمسون العلم فلا يجدون عالمًا أعلم»، وفي رواية: «أفقه من عالم المدينة» وفي رواية «من عالم بالمدينة» وفى بعضها: «آباط الإبل» مكان «أكباد الإبل»(١).

وقد رواه غير سفيان عن ابن جريج بمثل حديث سفيان، منهم المحاربي موقوفًا على أبي هريرة ومحمد بن عبد الله الأنصاري مسندا، وهو ثقة مأمون(٢).

وهذا الطريق أشهر طرقه، ورجال هذا الطريق رجال مشاهير ثقات، خرّج عن جميعهم البخاري ومسلم وأهل الصحيح(٣).

---

(١) الديباج ١/ ٥٨ نقلا عن المصنف.

(٢) الديباج ١/ ٥٨ نقلا عن المصنف.

(٣) الديباج ١/ ٥٨ نقلا عن المصنف.

ورواه أيضًا المقبُري عن أبي هريرة بلفظ آخر، حَدّث به القاضي أبو البَخْتري وهب بن وهب، عن عبد الأعلى بن عبد الله، عن القبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا تنقضي الساعة حتى يضرب الناس أكباد الإبل من كل ناحية إلى عالم المدينة يطلبون علمه»(١).

إلا أن أبا البختري ضعيف عندهم، وقد رواه النسائي أيضًا، وخرّجه في مصنفه عن علي بن محمد بن كثير عن سفيان، عن أبي الزناد، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: «تضربون أكباد الإبل وتطلبون العلم فلا تجدون عالمًا أعلم من عالم المدينة»(٢).

قال النسائي: هذا خطأ، والصواب: أبو الزبير عن أبي صالح.

ورواه أيضًا أبو موسى الأشعري عن النبي عليه السلام بلفظ آخر حدّث به مَعْن بن عيسى عن أبي المنذر التميمي زهير: قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج ناس من المشرق والمغرب في طلب العلم فلا يجدون عالمًا أعلم من عالم المدينة». أو «عالم أهل المدينة»(٣).

وذكر ابن حبيب حديثًا يسنده عن أبي صالح عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تنقطع الدنيا حتى يكون عالمٌ بالمدينة تُضْرَب إليه أكباد الإبل ليس على ظهر الدنيا أعلم منه»(٤).

قال سفيان بن عُيَيْنة من غير طريق واحد: نُرَى أنّ المراد بهذا الحديث مالك بن أنس، وفي رواية هو مالك بن أنس(٥).

(١) الديباج ١/ ٥٨ نقلا عن المصنف.
(٢) الديباج ١/ ٥٨ نقلا عن المصنف.
(٣) الديباج ١/ ٥٩ نقلا عن المصنف.
(٤) الديباج ١/ ٥٩ نقلا عن المصنف.
(٥) الديباج ١/ ٥٩ نقلا عن المصنف.

ومثله عن ابن جُرَيْج، وعبد الرزّاق عن سفيان أنه قال: كنت أقول: هو ابن المسيَّب حتى قلت: كان في زمن ابن المسيب سليمان وسالم وغيرهما، ثم أصبحت اليوم أقول: إنه مالك. وذلك أنه عاش حتى لم يبق له نظير بالمدينة.

وهذا هو الصحيح عن سفيان، رواه عنه الثقات والأئمة: ابن مهدي، ويحيى بن مَعِين، وعلي بن المديني، والزبير بن بكار، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وذُؤَيب بن عمامة السهمي وغيرهم، كلهم سمع سفيان يقول في تفسير الحديث إذا حدثهم به: «هو مالك» أو أظنه، أو أحسبه، أو أراه، وكانوا يرونه»[1].

قال ابن مهدي: يعني سفيان بقوله: «كانوا يُرَوْنَه» التابعين[2].

قال القاضي أبو عبد الله التُّسْتَري: هو إخبار عن غيره من نظرائه، أو ممن هو فوقه، وأن منزلته كانت في نفوسهم هذه المنزلة، لما شاهدوه من حاله التي تشبه ما أخبر به في الحديث، قال: وقد جاءت هذه الأحاديث بلفظين أحدهما: «لا يجدون عالمًا أعلم من عالم المدينة»، والآخر: «من عالم بالمدينة»، ولكل واحد منهما معنى صحيح[3].

فأما قوله: من عالم بالمدينة، فإشارة إلى رجل بعينه يكون بها لا بغيرها، ولا نعلم أحدًا انتهى إليه علم أهل المدينة وأقام بها، ولم يخرج عنها ولا استوطن سواها في زمن مالك مُجْمَعًا عليه إلا مالكًا، ولا أفتى بالمدينة وحدّث نيفًا وستين سنة أحد من علمائها، يأخذ عنه أهل المشرق والمغرب ويضربون إليه أكباد الإبل غيره[4].

---

(١) الديباج ١/ ٥٩ نقلا عن المصنف.

(٢) الديباج ١/ ٥٩ نقلا عن المصنف.

(٣) الديباج ١/ ٥٩ - ٦٠ نقلا عن المصنف.

(٤) الديباج ١/ ٦٠ نقلا عن المصنف.

وأما رواية «عـالم المدينة» أو «أهل المدينة» فقد ذكـر محمد بن إسـحاق المخزومي أبو المغيرة أن تأويل ذلك: ما دام المسلمون يطلبون العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة كان بها أو بغيرها.

فيكون على هذا سعيد بن المسيّب، لأنه النهـاية في وقته، ثم بعده غيره ممن هو مثله من شيوخ مالك، ثم بعدهم مالك، ثم بعده من قام بعلمه وصار أعلم أصـحابه بمذهبـه، ثم هكذا، ما دام للعـلم طالب، ولمذهب أهل المدينة إمام[1].

ويجوز عَلَى هذا أن يقال: هو ابن شهـاب في وقته وفنه، والعُمَري في وقتـه وفنه، ومالك في وقتـه وفنّه، ثم إذا اجتمـعت اللفظتان اخـتص مالك بقوله: «من عالم بالمدينة» ودخل في جملة علماء المدينة باللفظة الأخرى»[2].

وقال بعض المالكية إذا اعتبـرت كثرة من رَوَى عن مالك من العلماء ممن تقدمـه وعاصره أو تأخر عنه على اخـتلاف طبقاتهم وأقطارهم وكـثرة الرحلة إليه، والاعتمـاد في وقته عليه، دل بغير مـرية أنه المراد بالحديث. إذ لم نجد لغيره من علماء المدينة ممن تقـدمه أو جاء بعده من الرواة والآخذين إلا بعض من وجدناه له[3].

وقد جمع الرواة عنه غير واحد، وبلغ بهـم بعضهم في تسمية من علم بالرواية عنه، سـوى من لم يُعلم، ألفُ راو، واجتمع مـن مجمـوعهم زائدًا على الألف وثلاثمائة راو[4].

---

(١) الديباج ١/ ٦٠ نقلا عن المصنف.

(٢) الديباج ١/ ٦٠ نقلا عن المصنف.

(٣) الديباج ١/ ٦١ نقلا عن المصنف.

(٤) الديباج ١/ ٦١ نقلا عن المصنف.

وتدل كثرة قصدهم له على كونه أعلم أهل وقته، وهو الحال والصفة التي أنذر بها عليه السلام وكذلك لم يسترب السلف أنه هو المراد بالحديث وعد هذا الحديث من معجزاته وآياته عليه السلام مما أخبر به من الكائنات فوقعت كما أخبر به عليه الصلاة والسلام[1].

وقال القاضي أبو محمد عبد الوهاب ما معناه: إنه لا ينازعنا في هذا الحديث أحد من أرباب المذاهب. إذ ليس منهم من له إمام من أهل المدينة. فيقول: المراد به إمامي. ونحن ندّعي أنه صاحبنا بشهادة السلف وبأنه إذا أطلق بين أهل العلم عالم المدينة وإمام دار الهجرة فالمراد به مالك عندهم، دون غيره من علمائها، كما إذا قيل: الكوفي، فالمراد به أبو حنيفة دون سائر فقهاء الكوفة[2].

قال القاضي أبو الفضل عياض رضي الله تعالى عنه: فوجه احتجاجنا بهذا الحديث من أنه مالك من ثلاثة أوجه:

أحدها تقييد السلف بأن المراد بالحديث هو حسبما نقلنا عنهم وما كانوا ليقولوا ذلك إلا عن تحقيق، ولا ليذيعوه بهوى وهم المُبَرَّءُون من ذلك مع تنافس الأقران وما جُبِلت عليه القلوب من قلة الإنصاف للأمثال فكيف يفيد هذا.

الوجه الثاني: أنك إذا اعتبرت ما أوردناه من شهادة السلف الصالح بأنه أعلم مَنْ على ظهر الأرض، وأعلم من بقي، وأعلم الناس، وإمام الناس، وعالم المدينة، وإمام دار الهجرة، وأمير المؤمنين في الحديث، وأعلم علماء المدينة، وتعويلهم عليه، واقتداؤهم به وإجماعهم على تقديمه، وطالعتَ مثل

(١) الديباج ١/ ٦١ نقلا عن المصنف.

(٢) الديباج ١/ ٦١ نقلا عن المصنف.

ذلك فيما نورده من أخباره، ظَهَرَ وبَانَ أنه المراد بالحديث إذ لم تحصل هذه الأوصاف لغيره، ولا أطبقوا على هذه الشهادة لسواه.

الوجه الثالث: هو ما نبه عليه بعض الشيوخ من أن طلبة العلم لم يضربوا أكباد الإبل من شرق الأرض وغيرها ولا رحلوا إليه من الآفاق رحلتهم إلى مالك، لما اعتقدوا فيه من تقديمه على سائر علماء وقته، ولو اعتقدوا ذلك في غيره لَمَالُوا إليه[1]:

فالناس أكيس من أن يحمدوا رجلاً من غير أن يجدوا آثار إحسان[2]

الترجيح الثاني في هذا الفصل من طريق النقل.

والمعتمد فيه مجرد تقليد السلف وأئمة المسلمين وعلمائهم في المسألة بالاعتراف لمالك رحمه الله تعالى بأنه أعلم وقته وإمامه وأعلم الناس وأعلم علماء المدينة، وأشباه هذا من شهادتهم له بذلك واعترافهم به وتقليدهم إياه واقتدائهم به على رسوخ كثير منهم في العلم وترجيحهم مذهبه على مذهب غيره مما سنورد في بابي ثنائهم عليه، واقتدائهم به بعد هذا عند ذكرنا شمائله ومناقبه وهما بابان متسعان[3].

وسنورد هنا لمعًا من ذلك تومئ إلى ما وراءها إن شاء الله تعالى.

من ذلك: قال ابن هرمز شيخه فيه: إنه عالم الناس.

وقال سفيان بن عُيَيْنة لما بلغه وفاته: ما ترك على الأرض مثله[4].

---

(١) الديباج ١/ ٦٢ نقلا عن المصنف.

(٢) البيت لدى ابن فرحون ١/ ٦٢ نقلا عن المصنف.

(٣) الديباج ١/ ٦٢ نقلا عن المصنف.

(٤) الديباج ١/ ٦٢ نقلا عن المصنف.

وقال: مالك إمام، ومالك عالم أهل الحجاز، ومالك حجة في زمانه، ومالك سراج الأمة، وما نحن ومالك؟ إنما كنا نتبع آثار مالك[1].

وقال الشافعي: مالك أستاذي، وعنه أخذت العلم، وما أَحَدٌ أَمَنُّ عَلَيَّ من مالك وجعلت مالكًا حجة بيني وبين الله تعالى، وإذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب، ولم يبلغ أحد مبلغ مالك في العلم لحفظه وإتقانه وصيانته، وقال: العلم يدور على ثلاثة: مالك، والليث، وسفيان بن عيينة[2].

وحكي عن الأوزاعي أنه كان إذا ذكره قال: عالم العلماء، وعالم أهل المدينة، ومفتي الحرمين.

وقال بَقِيَّة بن الوليد: ما بقي على وجه الأرض أعلم بسنة ماضية ولا باقية منك يا مالك.

وقال أبو يوسف: ما رأيت أعلم من ثلاثة، فذكر مالكًا وأبا حنيفة وابن أبي لَيلْى.

وقال ابن مهدي - وسئل عن مالك وأبي حنيفة: مالك أعلم من أستاذ[3] أبي حنيفة.

وقَدَّمَه ابن حنبل على الأوزاعي، والثوري، والليث، وحماد، والحكم في العلم. وقال: هو إمام في الحديث والفقه، وسئل عمن يريد أن يكتب الحديث وينظُرَ في الفقه، حديث من يكتب؟ وفي رأي من ينظر؟ فقال حديث مالك ورأي مالك[4].

(١) الديباج ١/ ٦٣ نقلا عن المصنف.

(٢) الديباج ١/ ٦٣ نقلا عن المصنف.

(٣) الخبر لدى ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ١/ ١١ ويعنى بأستاذ أبى حنيفة - حمادا.

(٤) الديباج ١/ ٦٣ نقلا عن المصنف.

وقال يحيى بن سعيد القطان: مالك إمام يقتدى به.

وقال ابن مَعِين: مالك مِنْ حُجَج الله على خلقه، إمام من أئمة المسلمين، مُجْمَعٌ على فضله[1].

وقال أيوب بن سويد: مالك إمام دار الهجرة.

وقال أبو جعفر المنصور: إنه أعلم أهل الأرض.

وقال سعيد بن الحداد: كان مالك من الراسخين في الإسلام أرسخ في العلم من الجبال الراسيات.

وقال حميد بن الأسود: كان إمامُ الناس عندنا بعد عُمر، زيدَ بن ثابت، وبعده عبد الله بن عمر[2].

قال علي بن المَدِيني: وأخذ عن زيد ممّن كان يتّبع رأيه واحد وعشرون رجلاً. ثم صار علم هؤلاء إلى ثلاثة: ابن شهاب، وبُكَيرْ بن عبد الله، وأبي الزِّناد، وصار علم هؤلاء كلهم إلى مالك بن أنس[3].

وقال أسد بن الفرات: إن أردت الله والدار الآخرة فعليك بمالك بن أنس.

وقال حماد بن زيد: دخلت المدينة ومناديًا ينادي لا يفتي الناسَ في مسجد رسول الله ﷺ ولا يحدث إلا مالكُ بن أنس.

وقد استوعبنا هذه الشهادات والاعتراف بعد هذا.

---

(١) الديباج ١/ ٦٣ نقلا عن المصنف.

(٢) الديباج ١/ ٦٤ نقلا عن المصنف.

(٣) الديباج ١/ ٦٤ نقلا عن المصنف.

وقد اعترف له بالعلم والإمامة يحيى بن سعيد شيخه، والأوزاعي، والليث، وابن المبارك، وجماعة من هذا النمط ومن بعدهم كالبخاري، ومحمد بن عبد الحكم، وأبي زرعة الرازي ومن لا ينعَدّ كثرة[1].

وكذلك ذكرنا في الباب الآخر اقتداء السلف وأهل العصر من العلماء، وسائر الناس به، ونحن نذكر هنا شيئًا من ذلك.

قال سعيد بن منصور: رأيت مالكًا يطوف وخلفه سفيانُ الثوري، كُلَّما فعل مالك شيئًا فَعَلَه يَقْتَدِي به.

قال ابن أبي أويس: كان الناس كلهم يُصدِرون عن رأي مالك، وكان للأمير عنده رجل يسأله، وكذلك القاضي والمحتسب.

وسأل رجل ابن عُيَيْنة عن الضحية بالليل، فقال له سفيان: لا بأس بذلك. فقال له ابن وهب: فإن مالكًا قال: لا يُضَحَّى بِلَيْلٍ وقرأ: ﴿... فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ... ﴿٢٨﴾﴾ [الحج]، فنادى سفيان بالرجل وقال: إن هذا أخبرني عن مالك أنه قال: لا يُضَحَّى بليل.

وقال حميد بن الأسود: ما تقلَّد أهلُ المدينة بعد زيد بن ثابت كما تقلدوا قول مالك.

وقال عتيق بن يعقوب: ما أجمع أحد بالمدينة بعد موت النبي ﷺ إلا على أبي بكر وعمر، ومات مالك وما نعلم أحدًا من أهل المدينة إلا أجمع عليه، وستُطالع بعد هذا بقية ما يشابه ما ذكرناه إن شاء الله[2].

***

(١) الديباج ١/ ٦٤ نقلا عن المصنف.

(٢) الديباج ١/ ٦٤ نقلا عن المصنف.

الفصل الثاني

في ترجيحه من طريق الاعتبار والنظر

وفيه ثلاث اعتبارات

الاعتبار الأول: أن نبين جمعَ مالك لدرجات الاجتهاد في الدين، وحوزَه خصالَ الكمال في العلم، وبلوغَه في ذلك المنزلة التي لم يبلغها أحد من هؤلاء المقلَّدين، قاصدًا بذلك مقصد الحق، غير راكن إلى التعصب، بائحًا بالصدق، ومقتصدًا فيما أذكره من ذلك، غير مستبيح عِرْض أحد من الأئمة، وقادة الخلق. وها هنا معارك النزاع والاعتلاج، ومثار العناد واللجاج.

فأقول والمستعان الله: لا خفاء على منصف بمنصب مالك من الإمامة في علوم الشريعة وعلم الكتاب والسنة، وأنه إمام المسلمين وأعلمهم في وقته بسنة ماضية وباقية وأمير المؤمنين في الحديث، ثم العِلم بالاختلاف والاتفاق، وهذا كله مما لا ينكره مخالف ولا مؤالف، إلا من طبع على قلبه التعصب، وأنه القدوة في السنن، وهو أول من ألف فأجاد التأليف، ورَتَّب الكتب والأبواب، وضم الأشكال، وصنع من ذلك ما اتخذه المؤلفون بعده قدوة وإمامًا إلى وقتنا هذا في أقطار الأرض، هذا مع صعوبة الابتداء وحيرة الاختراع، وهو أول من تكلم في غريب الحديث وشرح فى موطئه الكثير منه، وقد قال الأصمعي: أخبرني مالك أن الاستجمار هو الاستطابة، ولم أسمعه إلا من مالك[1].

وله في تفسير القرآن كلام كثير وقد جُمع، وتفسير يرويه عنه بعض

---

(١) الديباج ١/ ٦٥ نقلا عن المصنف.

أصحابه، وقد جمع أبو محمد مكي مصنفًا فيما روي عنه من التفسير والكلام في معاني القرآن وأحكامه مع تجويده له، وإحسانه ضبطَ حروفه، وقد ذكره أبو عَمرو المقرئ في كتابه في طبقات القراء المتصدرين وذكر روايته عن نافع(١).

قال البهلول بن راشد وغيره ما رأيت أنزع بآية من مالك بن أنس، مع معرفته بالصحيح والسقيم، والمعمول به من الحديث المتروك، وميزه للرجال وصحة حفظه وكثرة نقده، إلى ما يؤثر عنه من الكلام في غير ذلك من العلوم كرسالته إلى ابن وهب في الرد على أهل القَدَر، وكقوله: جالست ابن هُرْمُز ثلاث عشرة سنة، ويُرْوَى ست عشرة سنة في علم لم أَبُثّه لأحد من الناس(٢).

قال: وكان من أعلم الناس بالرد على أهل الأهواء، وبما اختلف فيه الناس.

وقال المهدي: أخبرني بعض نقاد المعتزلة من القرويين قال: أتيت مالك ابن أنس فسألته عن مسألة من القَدَر بحضرة الناس، فأومأ إلي أن اسكُت، فلما خلا المجلس قال لي: سل الآن، وكره أن يُجيبني بحضرة الناس. قال: فزعم المعتزلي أنه لم تبق مسألة من مسائلهم إلا سأله عنها وأجابه فيها، وأقام الحجة على بطالة مذهبهم حتى نفذ ما عند المعتزلي وقام عنه.

وتأليفه في الأوقات والنجوم، وإشاراته إلى مآخذ الفقه وأصوله التي اتخذها أهل الأصول من أصحابه معالم اهْتَدَوْا بها، وقواعد بَنَوا عليها،

---

(١) الديباج ١/ ٦٥ نقلا عن المصنف.

(٢) الديباج ١/ ٦٥ نقلا عن المصنف.

وغيره ممن ذكرنا، لم يَجْمعَ هذا الجمع، ولا وصل هذا الحد مع استقلالهم بالفقه، ووصفهم بالعلم ولكن فوق كل ذي علم عليم، مع الثقة التامة والتقوى، وشِدّة التَّحَرِّي في الحديث والفتيا[1].

وبهذا الوجه احتج الشافعي على محمد بن الحسن في ترجيح علم مالك على علم أبي حنيفة، حين تناظرا في ذلك فقال له الشافعي: الإنصافَ تريد أم المكابرة؟ قال الإنصاف.

قال الشافعي: ناشدتُك الله! من أعلم بكتاب الله وناسخه ومنسوخه؟ قال محمد بن الحسن: اللهم صاحبكم.

قال الشافعي: ناشدتك الله! فمن أعلم بسنة رسول الله ﷺ؟ قال: اللهم صاحبكم.

قال الشافعي: فمن أعلم بأقوال أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: اللهم صاحبكم.

قال الشافعي: فلم يبق إلا القياس، قال محمد: صاحبنا أقيس. قال الشافعي: القياس لا يكون إلا بهذه الأشياء، فعلى أي شيء تقيس؟ ثم قال الشافعي: ونحنُ نَدَّعي لصاحبنا ما لا تدّعونه لصاحبكم. وفي رواية: وصاحبنا لم يذهب عليه القياس، ولكنه كان يَتَوَقَّى وَيَتَحرّى، ويريد التأسّي بمن تقدمه.

فرحم الله تعالى الشافعي ومحمد بن الحسن فلقد أنصفا، والذي قاله الشافعي هو حق اليقين، فإن الاجتهاد واليقين والقياس والاستنباط إنما يكون على الأصول، فمن كان أعلمَ بها كان استنباطُه أَصَحّ وقياسه

(١) الديباج ١/ ٦٦ نقلا عن المصنف.

أحَقّ، وإلا فمتى اختلَّت معرفتـه بالأصول قاس على اغترار، وبَنَى على شَفَا جُرُف هَار.

وقد احتج بهذه الحكاية الإمام أبو إسحاق الشيرازي على الخراسانيين في اقتصارهم في النظر على المسائل القياسيات المسماة عندهم بالطُّبُوليات، لتنتيج الكلام فيها، ومدّ أنفاس الجدال بين أهلها، وإذا كان بإتفاق ما قاله الشافعي، وهو قول جماهير العلماء: إن الاجتهاد لا يصح ولاالقياس إلا لمن جمع آلات من علم الكتاب والسنة، وأحكم ذلك على مـا يجب، ثم جمع إلى ذلك من آلات الاجتهاد، وفهم الألفاظ والمعاني وتصريفها ما لا غنى له عنه، ثم عرف مواضعَ الإجماع والاتفاق، ومسـائل الخلاف والنزاع، فمتى اختلَّ على العالِمِ شيء من ذلك، كان حَطًّا من إمـامتـه، ونقـصًا من كـمـاله، ولم يصح له الاجتهاد، ولا ساغ له النظر في الدين، إلا باجـتماع ذلك. ومتى أخل بأحد هذه القواعـد فلا يحل له الاجتـهاد في الدين ولا الفـتوى بين المسلمين، ولا القياس على ما يبلغه.

وقد تقرر اسـتقلال مالك بهذه الأصـول على ألسنة المؤالف والمخالف، ولا يُلْتَفَتُ إلى متعصب نعق آخـر الزمان بما أراد به الغض منه في الاجتهاد، وما غَضّ إلا من نفسه، مع تصريحه عنه بأنه أعلم علماء المدينة وأمير المؤمنين في الحديث. هذا وإمامه الشافـعي يُكَذّب هجْرَ قوله، والسلف الصالح وأئمة الهـدى وأعلام العلمـاء ممن ذكرنا وممن سنذكـره إن شاء الله تعـالى يخالـفه ويشهد بتهافته فيما قال وجهله.

ثم نظرنا إلى الأئمة المقلَّديـن في عصره فلم نجد واحـدًا منهم جمع من ذلك ما جمع ولا اضطلع بهذه الأصول كما اضطلع.

أما أبو حنيـفة والشافـعي فَيُسَلَّم لـهما حـسن الاعتبـار، وتدقيق النظر

والقياس وجودة الفقه والإمامة فيه. لكن ليس لهما إمامة في الحديث ولا معرفة به ولا استقلال بعلمه، ولا يدَّعِيَانه ولا يُدَّعَى لهما، وقد ضعفهما فيه أهل الصنعة. وهؤلاء أهل الحديث أهل الصحيح لم يخرجوا عنهما منه حرفًا[1]، ولا لهما في أكثر المصنفات ذكر. وإن كان الشافعي متبعًا الحديث ومفتشًا عن السنن، لكن بتقليد غيره، والاحتمال على رأي سواه، والاعتراف بالعجز عن معرفته، فقد كان يقول لابن مهدي وابن حنبل: أنتما أعلم بالحديث مني فما صح عندكما منه تُعرِّفاني به لآخذ به، وهذه درجة تقصر عن درجة الاجتهاد العلية، وأين يجد المجتهد في كل حين إمامًا في الحديث، إذا لم يتبحَّر فيه، أو في علم القرآن إذا لم يستقل به، يسأل هل لنازلته التي ينظر فيها أصل فيهما أم لا؟ ولا سبيل إلى إنكار إمامتهما في الفقه جملة[2].

وللشافعي في تقرير الأصول وتمهيد القواعد وترتيب الأدلة والمآخذ وبسطه ذلك، ما لم يسبقه إليه من قبله، وكان الناس عليه فيه عيالا من بعده[3]، مع التفنن في علم لسان العرب، والقيام بالخبر والنسب، وكل مُيَسَّرٌ لما خُلِق[4] له.

كما أن أحمد وداود من العارفين بعلم الحديث، ولا تنكر إمامة أحد منهما فيه، لكن لا تُسَلَّم لهما الإمامة في الفقه، ولا جودة النظر في مأخذه، ولم يتكلما في نوازل كثيرة كلام غيرهما، وميلهما مع المفهوم من الحديث.

---

(١) في طبعة المغرب وسائر الأصول: «وهذا أهل الصحيح لم يخرجا عنهما منه حرفا» ولا وجه له، والمثبت لدى ابن فرحون ١/ ٦٦ وهو ينقل عن المصنف.

(٢) الديباج ١/ ٦٦ نقلا عن المصنف.

(٣) في طبعة المغرب وسائر الأصول: «وكان فيه عليه عيالا كل من جاء بعده» ولا وجه له، والمثبت لدى ابن فرحون ١/ ٦٦ وهو ينقل عن المصنف.

(٤) الديباج ١/ ٦٦ نقلا عن المصنف.

لكن داود نهج اتباع الظاهر، ونفى القياس، فخالف السلف والخلف، وما مضى عليه عمل الصحابة فمن بعدهم، حتى قال بعض العلماء: إن مذهبه بدعة ظهرت بعد المائتين[1].

وحتى أنكر عليه ذلك إسماعيل القاضي أشد إنكار، وإذا لم يقل بالقياس - وهو أحد أركان الاجتهاد فيما يجتهد فَعَلاَم فيما لم يُنَصّ عليه - يعتمد.

وليس تقصير من قصّر منهم في فن بالذي يُسقط رتبته عن الآخر، ولكل واحد منهم من الفضائل والمناقب ما حشيت به الصحف، ونقلَه السلف والخلف. لكن نقصَ ركن من أركان الاجتهاد يُخِّل به على كل حال، والله ولي الإرشاد[2].

الاعتبار الثاني: الالتفات إلى مأخذ الجميع في فقههم، ونظرهم على الجملة في علمهم، إذ تخصيصه في آحاد النوازل وشُعَب الوقائع لا يدرك صوابَه إلا المشتغل بالعلم وتبيين ذلك لغيره يطول، ولا يدرك إلا في أمد تنقضي فيه الأعمار وتمر السنون، وحسب المبتدىء أن يُلَوّح له بتلويح يفهمه اللبيب، ويقضي منه بترجيح مصيب، وهو أنا قد ذكرنا خصال الاجتهاد ثم مآخذه.

وترتيبه على ما يوجبه الفعل ويشهد له الشرع[3].

تقديم كتاب الله على ترتيب وضوح أدلته، من نصوصه، ثم ظواهره، ثم مفهوماته.

---

(١) الديباج ١/ ٦٦ نقلا عن المصنف.

(٢) الديباج ١/ ٦٦ نقلا عن المصنف.

(٣) الديباج ١/ ٦٧ نقلا عن المصنف.

ثم كذلك بسنة رسول الله ﷺ على ترتيب متواترها ومشهورها، وآحادها.

ثم ترتيب نصوصها وظواهرها ومفهومها على ما تقدم في الكتاب ثم الإجماع عند عدم الكتاب ومتواتر السنة[1].

وبعد ذلك - عند عدم هذه الأصول - القياسُ عليهما والاستنباط منهما إذ كتاب الله مقطوع به، وكذلك ما تواتر من سنة نبيه، وكذلك النص المقطوع به فوجب تقديم ذلك كله، ثم الظواهر، ثم المفهوم منها لدخول الاحتمال في معناها، ثم أخبار الآحاد يجب العمل بها والرجوع عند عدم الكتاب والتواتر لها، وهي مُقَدَّمة على القياس لإجماع الصحابة على الأصلين[2] وتركهم في نظر أنفسهم متى بلغهم خبر ثقة عن النبي وامتثالهم مقتضاه دون خلال منهم في ذلك[3].

ثم القياس آخرًا. إذ إنما يُلْجَأ إليه عند عدم هذه الأصول في النازلة، فيستنبط من دليلها، ويعتبر الأشياء منها على ما مضى عليه عمل الصحابة ومن بعدهم من السلف المرضيّين، وعُلِم من مذهبهم أجمعين[4].

وأنت إذا نظرت لأول وهلة منازع هؤلاء الأئمة وتقرير مآخذهم في الفقه والاجتهاد في الشرع، وجدت مالكًا - رحمه الله تعالى - ناهجًا في هذه الأصول مناهجها، مرتبًا لها مراتبها ومدارجها، مقدمًا كتاب الله ومرتبًا له على الآثار، ثم مقدمًا لها على القياس والاعتبار، تاركًا منها لما لم يتحمله

(١) الديباج ١/ ٦٧ نقلا عن المصنف.

(٢) فى طبعة المغرب: «الفصلين» ولا وجه له.

(٣) الديباج ١/ ٦٧ نقلا عن المصنف.

(٤) الديباج ١/ ٦٨ نقلا عن المصنف.

عنده الثقات العارفـون بما تحملوه، أو ما وجد الجمهـور والجم الغفير من أهل المدينة قد عملوا بـغيره وخالفوه. ولا يلتـفت إلى من تأول عليه بظنه في هذا الوجه سوء التأويل، وقوله ما لا يقوله بل ما يُصَرِّح أنه من الأباطيل، ثم كان من وقوفه عن المشكلات وتحريه عن الكلام في المعـوصات، ما سلك به سبيل السلف الصـالحين وكان يُرَجِّح الاتبـاع، ويكره الابتداع، والخـروج عن سنن الماضين[1].

ثم سلك الشافعي سـبيله وبسط مآخذه في الفقه وأصـوله، لكن خالفه في أشيـاء أدّاه إليها اجـتهـاده، وثقوب فطنته، ولم يخـلصه من دركهـا عدم استقلاله بعلم الحديث والأثر، وتزحزحه عن الانتهاء في معرفته، ثم ما جرى بينه وبين بعض المالكيـة بمصر، وحـملهِ عليه، حـتى تميز عنهم بعـد أن كان معدوداً فيهم، وواحداً من جملتهم، فبـان بأصحابه و تلاميذه، وصرح حينئذ بالخلاف والرد على أكبر أساتيذه، كمـا سنذكر في أخباره بعد هذا - إن شاء الله تعالى - في قـصته مع فتـيان ابن أبي السمح، وتعصـبه عليه، وامـتحان ذلك الآخر بعد، ودخول التنافر بينه وبين جماعتهم منذ ذلك بسببه.

فصل:

وأما أبو حنيـفة فإنه قال بتقـديم القياس والاعتـبار على السُّنَن والآثار، فترك نصوص الأصول، وتمسك بالمعقـول، وآثر الرأي والقياس والاستحسان، ثم قدم الاستحسان على القياس فأبعد ما شاء.

وحد بعضُهم استحسان أنه الميل إلى القول بغير حجة، وهذا هو الهوى المذموم والشهوة والحدَث في الدين والبدعة، حـتى قال الشافعي من استحسن

---

(١) الديباج ١/ ٦٨ نقلا عن المصنف.

فقد شرَّع في الدين. ولهـذا ما خالفه صاحباه: مـحمد وأبو يوسف في نحو ثلث مذهبه، إذ وجدوا السنن تخالفهم فيمـا تركه لما ذكرناه عن قصد، لتغليبه القياس وتقديمه، أو لم تبلغه ولم يعرفـها، إذ لم يكن من مُثَقَّف علومه، وبها شنَّع المشنعون عليه، وتهافت الجُـرآء على دم البرآء بالطعن إليه. ثم ما تمسّك به من السنن فغير مجمع عليه، وأحاديثُ ضعيفة ومتروكة.

وبسبب هذا تحَـزَّبت طائفة أهل الحديث على أهل الرأي وأساءوا فـيهم القول والرأي. قـال أحمد بن حنبل: ما زلنا نلعـن أهل الرأي ويلعنوننا حتى جاء الشافعي فمزج بيننا، يريد أنه تمسك بصحيح الآثار واستعملها.

ثم أراهم أنَّ من الرأي مـا يحتاج إليـه وتُبْنَى أحكام الشرع عـليه، وأنه قيـاس على أصولها ومنتـزع منها. وأراهم كيـفية انتـزاعها، والتـعلق بعللها وتنبيـهاتهـا. فعَلم أصـحاب الحـديث أن صحيح الرأي فـرع الأصل، وعَلمَ أصـحـاب الرأي أنه لا فـرع إلا بعـد أصل، وأنه لا غـنى عن تقـديم السنن وصحيح الآثار أولاً.

ونحو هذا في هذا الفصل قول ابن وهـب: الحديث مضلة إلا للعلماء. ولولا مالك والليث لضللنا.

وأما أحمد وداود فـإنهما سلكا اتباع الآثار، ونكبا عن طريـق الاعتبار، ولكن داود غلا في ذلك فترك القياس جملة. فأحدث هو وأصحابه من القول بالظاهر ما خالف فيه أئمة الأمة، فخانه التمسك بِرُبُع أدلة الشريعة، وأعرض مما مضت عليه من الاجتهاد والاعتبـار، وسَمّى ما لم يجد فيه نصًا ولا ظاهرًا عفوًا، وأطلق على بعضه الإباحـة، واضطربت أقوال أصحابه في ذلك لضيق المسلك فيـه، فتهافت مـذهبه، واختل نظره، وجاء من أتبـاع الظاهر بمقالات يَمُج الكثير منها السمعُ وينكره العقل.

وقال أحمد: الخبر الضعيف عندي خير من القياس، وبديهة العقل تنكر هذا. فلا خير في بناء على غير أساس.

وهذا أكرمكم الله - اعتبار في التفضيل نبيل، يدل المنصف على السالك منه نهج السبيل.

الاعتبار الثالث:

يحتاج إلى تأمل شديد، وقلب سليم من التعصب سديد، وهو الالتفاف إلى قواعد الشريعة ومجامعها، وفهم الحكمة المقصودة بها من شارعها.

فنقول: إن أحكام الشريعة أوامر ونواهي تقتضي حثًا على قرب ومحاسن، وزجرًا على مناكر وفواحش، وإباحة لما به مصالح هذا العالم وعمارة هذه الدار ببني آدم. وأبواب الفقه وتراجم كتبه كلها دائرة على هذه الكلمات، وسنشير إلى رموز في كليات هذه القواعد ليتبين للناظر مَن اتبع فيها معنى الشرع المراد، أو خالف فنكب عن السداد وحاد عن سبيل الرشاد، وأنّ مالكًا في ذلك كله أهدى سبيلاً وأقوم قيلاً وأصح تفريعًا وتأصيلاً. فنقول: أول مُتكَلَّم فيه من أبوابه الطهارة التي صرح صاحب الشرع بأنها شطر الإيمان، وأمر الله تعالى بالطهارة من الحدث والخبث، وخص ذلك بالماء بقوله: ﴿ ...مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ... ﴿١١﴾ ﴾ [الأنفال]، ﴿ ...وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الفرقان].

فأبو حنيفة الذي يرى أنه تجزئ الطهارة من الحدث بالنبيذ المستنبذ في السفر عند عدم الماء، مع حكم أكثر العلماء بنجاسة ما يبلغ من الأنبذة هذا الحد وتحريمه، ويجزئ عنده من النجاسة بكل نبيذ ومائع خل ومُرّي، وعسل

ولين ويجزئ منها عنده وعند الشافعي في أحد قوليه بكل ماء مضاف ومتغير بالإضافة، ولو كان بقطران وما أشبهه، ما لم يغلب على أجزائه ما أصابه.

أتراهما رأيا للفظ التطهير والتنظيف قدرًا وقد زاد العضو تلوثًا بذلك وقذرًا، أم جعلا لتخصيص الماء حكمًا أو لوصفه بالتطهير معنى؟

كذلك اشتراط الشافعي وأحمد القُلَّتين فيما تحل فيه النجاسة، وحديثهما ليس بثابت، وتقريرهما تخمين وحَدْس غير متفق ولا مستقر لهما قول عليه، وأنه إن نقص منه كوز أثرت فيه النجاسة، ومتى حلت نجاسة قليلة في كيزان كثيرة كانت كلها نجسة ما دامت متفرقة، فإذا جمعت في بركة صارت طاهرة، وأنه إن غرف من ماء قدر قلتين بإناء نجس كان ما في الإناء طاهرًا، وباقي القلتين نجسًا. وسوسة في هذا الباب، بعيد كله عن مدرك الصواب، حتى قال عظيم من أصحابه: اشتراط القلتين مثار الوسواس.

كذلك داود في اقتصاره في النهي عن البول في الماء الدائم على مجرد ظاهره فلا يفسده عنده، ولا بواقع النهي إلا من بال فيه، وأن من بال في كوز وصبه فيه، أو أحدث فيه، أو بال بقربه فسال إليه بوله، غير داخل في النهي عنده، ولا مفسد للماء شيء من ذلك إلا بتغييره.

أليس يعلم على القطع أن هذا صد عن مراد الشارع وقطع؟ كذلك فهم من تخصيص بعض الأعضاء بالوضوء ما تقدم من معنى التنظيف والتحسين الذي هو معنى الوضوء، إذ تلك الأعضاء من الوجه واليدين والرأس والرجلين هي الطهارة من ابن آدم غالبًا، والتي تحتاج إلى التنظيف والتحسين أبدًا، أما اليدان والرجلان فلما يعاني بها من الأعمال التي تُعْقِبُ الأدناس والأوساخ، وتُلاقي من الأمور التي ينتج عنها الدرن والأقذار، وانظر من لا

يهتبل بالوضوء والماء والطهارة من أهل البوادي وأجلاف الأعراب واسوداد القذر برَواجِبه وبراجمه، وتراكم الدنس الحولي جونا بكوعه ورسغه.

وكذلك الوجه سمة ابن آدم ومُحيّاه، وصورته التي كرمه الله بها وسيمَاه، وهو نَصُب لَفْح الهواجر، ومُثَار نَقعْ الأقدام والحوافر، وفيه مسام تقذف بأوساخها من قذى عين، ومُخَاط أنف، وبصاق فم، وكل يحتاج إلى تنظيف، فشرع لجميعها الغسل والتكرار. ولما كان الرأس مستوراً غالبًا شرع فيه المسح اكتفاء بدهنه بالماء لإزالة شعثه ولأن غسله عند كل حدث مما يشقُ ويهلك.

فهل وفَّى الشافعي بعبرة هذا الأصل إذ اكتفى بصب الماء عن الدلك وبالمسح على شَعرَة أو ثلاث من جميع الرأس؟ وأبو حنيفة في الاقتصار على الناصية؟ والثوري في الاقتصار على شعرة؟

ولا يعترض على ما مهدناه بكون التيمم بدلاً من الوضوء عند عدم الماء، ولا تنظيف فيه ولا تحسين، بل الضد من ذلك.

فاعلم أن هذا لسر عجيب في الشريعة لمن عَدِم الماء الطهور، وهو متكرر وشاق في السبرات وكانت الصلاة دونه مع تماديه قد تركن إليها النفس لحبها الدعة، وخُشي اتخاذها ذلك عادة، جعل الشرع التيمم تنبيهًا على أنها لا تستباح إلا بطهارة، ولتبقي النفس على استعمالها، وشرع ما لا يعدم من وجه الأرض وخفف حاله في بعض الأعضاء وفي كل حكم والله أعلم وهو الموفق.

وكذلك قال عليه الصلاة والسلام: «إنما الأعمال بالنيات».

وأبو حنيفة والثوري يريان أن الطهارة للصلاة تجزئ بغير نية، وهي

مفتتح أجل القربات، وفرقا بينها وبين التيمم بغير حجة، إلا بخيالات لا تقوم على قدم. وسوّى الأوزاعي في الجميع فلم يوجبها.

ثم نرتقي إلى أجل القربات المقرونة بكلمتي الشهادة، وهي الصلاة والزكاة، فأبو حنيفة يجزئ عنده من الصلاة أقل ما يجزئ في كل مذهب، وهي رياضة النفوس الجامحة، وصَقّالة القلوب الصدية، ومظان الخشوع والمناجاة وسر العبودية المحضة.

ويرى التحيل في إسقاط الزكاة بعد وجوبها عند رأس الحول، بنقلها عن ملكه ظاهرًا بما يواطئ عليه غيره، ليصرفها عليه بعد الحول، وهي طُهرة الأموال، ودليل صحة ألإيمان كما قال عليه السلام: «الصدقة برهان» وسد خلة الضعفاء، ونهى الشرع عن التحيل فيها بالتفريق والتجميع، ونهى عن الخداع والخلابة.

فهل وفّى القائل بها في هاتين القاعدتين بعهدها أو طابق عملُه المعنى الموضوع له في الشرع وحكمها؟.

كذلك نهى عن شرب الخمر، وعلل ذلك بإيقاع العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة.

وقد فَهِمَت الصحابةُ لأول ورود الآية في المعنى فحملوه على العموم. وقال النبي ﷺ: «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام».

فمن فرق من الكوفيين بين نَبِيّ العنب ومطبوخه وسائر المسكرات، وأباحها ما لم تبلغ بشاربها عدم التمييز خالف الأصلين، وخرم قاعدة الشرع في الفصلين.

ثم ننظر في الفروج فنتيقن أن حكمة الله في تحصينها وضع أعظم

الحـدود وأشنعهـا لمؤثر السفـاح على مـا أبيح له منهـا بالنكاح، والملِكْ على الوجوه التي قـيدها الشرع لصـلاح هذا الخلق، وبقاء التمـييز والتعـارف لهذا النسل.

فمن رأى أن الاستئـجار على الزنا مسقط للحدود الموضـوعة فيه، وأن الزاني بأجيرته للخـدمة لا حد عليه، وكذلـك اللائط بالذكران، وهو أفحش الفواحش لا حـد فيـه، بل يعزر على قـوله، وقول أهل الظاهر فـفد ناقض موضوع الشرع وحل رباط هذا الأصل.

كذلك حرم الله الدماء والأعراض أشد الـتحريم، وفرض على المُتَعَدِّين فيها الحد والعذاب الأليم، وحَمَى حِمَى الأموال على أربابها إلا بحقها، وحدّ القطع على سارقها، والقتل على المحارب بسببها.

فهل قوله أيضًا بإسقاط الحـد عن سارق كل رطب من الأطعمة حتى لو ألقيت قطرة عسل أو ماء في جُب ذهب فسرقه سارق لم يقطع لأجلها؟

وكـذلك إسقـاطه ذلك عن سـارق كل ما أصلـه الإباحة من الجـواهر الخطيرة.

ومستخرجـات المعادن الثمينة، وملتقطات البحر النفيـسة، وإسقاط الحدّ عن النباش لأكفان الموتى - فاتحٌ غَلَق الصـيانة للأموال، ومسهّل التوصل إلى التعدي على الكثير منها دون خوف كبـير نكال، لا سيما على مذهبه ومذهب داود في تخفيف التعزير، واقتصارهما من ذلك على الخفيف اليسير.

وكذلك قوله: إن من تعدى على ثياب رجل فأفسدها أو شياهه فذبحها وطبخها، فقد صارت له أموالاً وملكها، ولزمت ذمته قيمتها لربها على رغمه مع وجـود عينهـا، وإن كـان عديمًا حـتى جد، غـيـر مراع نهى الشـرع عن

العدوان، والتمادي على اغتصاب الأموال، وتسويغ إخراجها من أيدي أربابها دون أثمان.

ثم جعل الله القصاص حياة وردعًا للمعتدين.

وأبو حنيفة يقول إن من قتل الخلائق بغير محدَّد الحديد من التغريق والتحريق والتخنيق وسقي السم وغير ذلك من أنواع الاجتراء والظلم، لا يقتص منه فقد اجتثت هذا الأصل، وبسط أيدي المجرمين على أشنع ضروب القتل، آمنين من القصاص على هذا الفعل.

وكذلك الأعراض حصنت حوزتها وصينت حرمتها بحدود المفترين، فالشَّافعي الذي لا يرى الحد بالتعريض المفهوم والخفي، يرى أن جماعة من الفسّاق المجاهرين، عدد شهود الزنا فأكثر، لو جاءوا مجيء الشهادة مجالس الحُكَّام، وصرّحوا بقذف أفضل الأنام، لم يلزمهم حد لمقامهم هذا المقام.

فهل يعجز كل فاسق جريء عن هتك عرض كل مسلم بريء بأنواع التعاريض القبيحة. أو بأداء الشهادة مع أمثاله على رءوس الملأ بالفواحش الصريحة، وهم يتوصلون وإن لم تقبل شهادتهم بأمانهم من الحد إلى تمزيق الأدم الصحيحة.

ولا خفاء أن حكمة الله في نصب الحكم والقضاء، تحقيق الحق وإبطال الباطل بحكم الدلائل الظاهرة، وقطع المنازعة والمشاجرة، وحكمهم بذلك ماض وبواطن الأمور إلى الله تعالى. ومن خادع الله فإنما يخادع نفسه، ومحال تغيير حكم البشر في الباطن حكمَ الله وحكمته، لقوله عليه السلام: «إنا معشر الأنبياء إنما نحكم بالظواهر، والله يتولى السرائر» ويروى: «والله يتولى البواطن» وفي رواية: «إنما أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر». وقد قال عليه السلام: لعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من

بعض فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذ منه شيئًا، فإنما أقطع له قطعة من النار.

فأبو حنيفة الذي يرى أن قضاء القاضي بشهادة شهداء الزور في نكاح امرأة أو انتقال ملك، يحل للمشهود له الراشي لهم على الشهادة وطءَ ذلك الفرج، وأكل ذلك المال سرًا وعلنًا ظاهرًا وباطنًا. وهو يعلم تحريمه عليه وباطل نسبته إليه.

وكذلك قال - فيمن غصب جارية فادعى أنها ماتت فحكم عليه بقيمتها، ثم أظهرها - إنها قد طابت وحلت له. وكذلك لو تحيلت امرأة عنده بشاهدي زور على طلاق زوجها فقضى بذلك القاضي حل لها غيره من الأزواج. ولو كان أحد الشاهدين.

فأين هذا وفقكم الله من المفهوم من مراد الشارع ومقصده بتغليظ الزجر لاستحلال الفروج بغير حقها والمنع، هل يتعذر على الفساق بهذا، الوصول إلى شهواتهم فيمن امتنع عليهم من المُحْصَنَات أو حُظر عليهم من الشهوات؟ نسأل الله توفيقًا يعصم ولا يصم، برحمته.

وهذا وفقكم الله خمس ترجيحات كلها توجب اليقين وتوضح الحق المبين، وترغم آثاف المتعصبين، وحسب الناظر في هذا الاعتبار الأخير حسن التأمل أولاً، وإجمال التأويل آخرًا. فلم نرم به التسبب لنقص أحد من الأئمة ولا التسلق على عرض سلف الأمة، لكنا عرفنا الحق وأهله، ولم ننكر لكل مع ذلك تقدمه وفضله. والسعيد من عدت عثراته

«ومن ذا الذي يعطي الكمال فيكمل».

ونحن، بعد هذا، نسرد أخبار مالك؛ رحمه الله، وسيره، وجملة

تاريخه وخبـره بابًا بابًا حسبما سـبق الوعد به؛ ونبدأ بالترتيب بذكـر نسبه ثم نأتي بطبقـات أصحابه تترى، وبأعلام أهل مـذهبه عصبـة بعد أخرى، والله المستعان على تحقيق ما أطلق على ألسنتنا من ذلك وأجرى، لا إله غيره.

* * *

obeikandl.com

باب
في نسب مالك بن أنس الأصبحي
رحمه الله تعالى ونفع به

قال القاضي: قال إسماعيل بن أبي أويس فيما حكاه عن الزبير بن بكار القاضي وغيره[1]: إنه مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث وهو ذو أصبح. كذا هو غيمان بالغين المعجمة المفتوحة، والياء الساكنة باثنتين من أسفل؛ وذكر ذلك غير واحد وكذا قيده الأمير أبو نصر بن ماكولا، وحكاه عن إسماعيل بن أبي أويس؛ وخثيل بخاء معجمة مضمومة، وثاء مثلثة مفتوحة وياء باثنتين من أسفل ساكنة. هذا هو الصحيح. وكذا قيده الأمير أبو نصر بن ماكولا وأتقنه وضبطه، وحكاه عن محمد بن سعد عن أبي بكر ابن أبي أويس[2].

وقال أبو الحسن الدار قطني وغيره جُثيل بالجيم، وحكاه عن الزبير.

وأما من قال عثمان بن حِسل أو ابن حنبل فقد صحف[3].

وأما ذو أصبح فقد اختلف في نسبه اختلافًا كثيرًا؛ فقال الزبير: ذو أصبح بن سويد بن عمرو بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن حِمْيَر الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب بن كهف الظلم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن بن أنس بن زهير بن الغوث بن أيمن بن الهميسع بن حمير

---

(١) ابن سعد في كتاب الطبقات الكبير ٧/ ٥٧٠.

(٢) الديباج المذهب ١/ ٦٩ نقلا عن المصنف.

(٣) الديباج ١/ ٦٩ نقلا عن المصنف.

ابن سبأ الأكبر، وهو عبد شمس. وإنما سمي سبأ لأنه أول من سبى وغزا القبائل، ابن يعرب بن يشجب بن قحطان.

وقال غيره: ذو أصبح الحرث بن عوف بن مالك بن يزيد بن شداد بن زرعة، وهو حمير الأصغر ابن سبأ الأصغر بن حمير الأكبر بن سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرب ابن قحطان.

وقيل ذو أصبح بن مالك بن زيد بن عوف بن سعيد بن عُفَيْر بن مالك بن زيد بن سهل.

وقيل: هو ابن مالك بن الغوث بن سعد بن عوف بن نبت بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس.

وقيل: هو ابن عوف بن مالك بن زيد بن عامر بن ربيعة بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن يشجب.

وقيل: ذو أصبح ويحصب ابنا مالك بن زيد بن حمير.

هذا ما ذكر في نسب ذي أصبح من الخلاف، ولا خلاف أنه من ولد قحطان.

وقد اختلف في نسب قحطان ورفعه، وهل هو من ولد إسماعيل أم لا؟ اختلافًا لا ينحصر، وليس من غرضنا فَلْنَعْدُه.

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه:

لم يختلف العلماء بالسير والخبر والنسب في نسب مالك هذا، واتصاله بذي أصبح إلا ما ذكر عن ابن إسحاق وبعضهم، من أنه مولى لبني تيم[1] وسنبين وهم من قال ذلك، والعلة التي من أجلها تطرق الوهم إليهم.

(١) الديباج المذهب ١/ ٦٩ نقلا عن المصنف.

وأما أبو عبد الله محمد بن حمدويه الحاكم المعروف بابن البيّع، فقد غلط غلطًا شنيعًا لا خفاء به، ولا قاله أحد قبله ولا بعده، وخلط في هذا تخليطًا كثيرًا، فقال:

مالك بن أنس الإمام هو:

مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر وهو الحارث بن غيمان بن خُثيل ابن عمرو بن الحارث بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله من ولد تيم بن مرة. يلقى رسول الله ﷺ عند مرة بن كعب. فعجبت له كيف اتفق هذا الغلط ومن أين تطرق له؟ ثم قال في باب آخر: إنه من خولان فأين هذا من ذلك؟ وكلاهما خطأ.

وأما من زعم أنه مولى تيم فدخل الوهم عليه إذ وجده ينتمي إليهم ويحسب في عدادهم، بسبب حلفه معهم، وإلا فنسبه في ذي أصبح صحيح، ذكر ذلك غير واحد من زعماء قريش ونسابها، وغيرهم من أهل العلم؛ كمحمد بن عمران الطلحي، وعبد الملك بن صالح، ومصعب بن ثابت الزبيري، وعامر بن عبد الله الزبيري، وأبي بكر العمري، وابنه طلحة، وأبي مصعب الزهري، وابني أبي أويس، وخليفة بن خياط العصفري، والواقدي، والبخاري، وابن أبي خيثمة، وأحمد بن صالح، والزبير بن بكار القاضي، ومن بعدهم من الحفاظ؛ كالدار قطني، وأبي عبد الله التستري القاضي، وأبي محمد الضراب، وأبي القاسم الجوهري، وأبي القاسم اللالكائي، وأبي نصر بن ماكولا، ومن لا ينعد كثرة، بل كل من ذكر نسبه.

ولم يتابع أحد منهم ابن إسحاق على قوله ممن جاء بعده، بل بينوا وجه وهمه.

قال عامر بن عبد الله الزبيري، وذكر نسب مالك بن أنس: أما إنهم من العرب من اليمن، ذوو قرابة بالنضر بن يريم.

وقال الدراوردي: قال لي أبو سهيل بن مالك: نحن قوم من ذي أصبح ليس لأحد علينا ولاء ولا عهد.

وقال أبو مصعب: مالك من العرب صَلِيبَةً، وحِلْفُه في قريش في بني تيم بن مرة.

قال محمد بن عمران لمن سأله عنه: هو رجل من العرب من حمير، من أنفُسهم، ما بيننا وبينه نسب، إلا أن أمه مولاة لعمي عثمان بن عبيد الله.

وقال أبو بكر العمري السالمي: مالك من العرب، صحيح النسب، من أنفسهم، لا مواليهم.

وقال مصعب بن عبيد الله الزبيري: بنو الصبَّاح الذين كان الملك فيهم، بنو عم مالك.

قال الفريابي: سألت مُصعبًا عن مالك فقال: عربيٌّ شريف، كريم في موضعه من ذي أصبح، بطن من اليمن من ملوك اليمن بني أبرهة بن الصباح.

وقال أحمد بن صالح: مالك من ذي أصبح، صحيح النسب.

وقالت ابنة طلحة: ما لنا عليه عهد ولا ولاء، تعني جد مالك.

ولما قدم زياد بن عبيد الله المدينة قال: ما ها هنا أحد من أهل العلم؟ فنسبوا له مالكًا، فقال: هذا بيت اليمن، فكان أول من استفتاه.

وقال عبد الملك بن صالح الهاشمي: مالك بن أنس من ذي أصبح.

وجاء أبو المهاجر إلى عثمان بن عبد الله التيمي، أو غيره، يشتكي بأبي عامر جد مـالك بن أنس، وكان أبو المهاجر على الصدقة، فـقال للتيمي: ألا تعـذرني من مـولاك؟ قال: لـيس لي بمولى، هو رجل من العـرب من أهل اليمن.

* * *

obeikandl.com

باب
العلة في انتماء مالك وآله إلى تيم بن مرة من قريش وذكر نسب أمه

قال أبو عمر بن عبد البر الحافظ: لا أعلم أن أحدًا أنكر أن مالكًا ومَن ولَده كانوا حلفاء لبني تيم بن مرة من قريش، ولا خلاف فيه إلا ما ذكر عن ابن إسحاق فإنه زعم أنه من مواليهم(١).

قال: وروى عن ابن شهاب أنه قال: حدثني نافع بن مالك مولى التيميين.

قال: وهذا عندنا لا يصح عن ابن شهاب(٢).

قال الإمام القاضي أبو الفضل - رضي الله عنه، قول ابن شهاب هذا في صحيح البخاري أول كتاب الصيام. وتصرف المولى في لسان العرب بمعنى الحليف والناصر وغيرهما معروف، فلعله ما أراد ابن شهاب، ولذلك قال عبد الملك بن صالح الهاشمي: مالك من ذي أصبح مولى لقريش(٣).

وقال الزبير بن بكار عداده في بني تيم بن مرة(٤).

وقد روى عن مالك أنه لما بلغه قول ابن شهاب هذا ليته لم يرو عنا شيئًا(٥).

---

(١) الديباج المذهب ١/ ٧٠ نقلا عن المصنف.
(٢) الديباج المذهب ١/ ٧٠ نقلا عن المصنف.
(٣) الديباج المذهب ١/ ٧٠ نقلا عن المصنف.
(٤) الديباج المذهب ١/ ٧٠ نقلا عن المصنف.
(٥) الديباج المذهب ١/ ٧٠ نقلا عن المصنف.

قال أبو سهيل عم مالك: نحن قوم من ذي أصبح قدم جدنا المدينة فتزوج في التيميين، فكان معهم فنُسب إليهم، ومثله قول ابن عمران التيمي القاضي الذي تقدم ما بيننا وبينه نسب، إلا أن أمه مولاة لعمي عثمان بن عبيد الله.

وقال الربيع بن مالك أخو أبي سهيل عن أبيه: قال لي عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله التيمي ابن أخي طلحة، ونحن بطريق مكة: يا مالك! هل لك إلى ما دعانا إليه غيرك فأبيناه، أن يكون دمنا دمك، وهدمنا هدمك ما بل بحر صوفة. فأجبته إلى ذلك.

وقال عبد الله بن مصعب: قدم مالك بن أبي عامر متظلمًا من بعض الولاة باليمن، فمال إلى بعض بني تيم بن مرة فعاقده وصار معهم.

وقد روي أن مالك بن أبي عامر لم يجب عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله إلى الحلف الذي دعاه إليه، وقال له: لا حاجة لي به، والأول أصح وأشهر.

وذكر أن أبا عامر تحالف مع عثمان بن عبيد الله في الجاهلية وقدما معًا المدينة، وقيل: إن أبا عامر إنما حالف في الجاهلية عبد الله بن جدعان.

وقال ابن أبي أويس: نحن أصبحيون حلفاء لبني تيم، فننتمي إلى قريش أحب إلينا من اليمن.

فالسبب الذي تقدم لهم من الالتفاف بتيم، إما بالحلف على الأشهر والصحيح، أو بالصهر، انتسبوا للتيميين، فظن ابن إسحاق ومن لم يحقق الأمر أنهم مواليهم؛ إذ لم يكن لهم نسب معروف فيهم.

وأما أمه، فقال الزبير هي العاليـة بنت شريك بن عبد الرحمن ابن عبد الرحمن بن شريك الأزدية.

وقال ابن عائشة: أمه طـليحية مولاة عبد الله بن معـمر وقد تقدم قول ابن عمران.

***

obeikandl.com

باب
ذكر آل مالك وبيته وبنيه

ذكر القاضي بكر بن علاء القشيري أن أبا عامر بن عَمْرو، جَدّ أبي مالك رحمه الله، من أصحاب رسول الله ﷺ، قال: وشهد المغازي؛ كلها مع النبي ﷺ خلا بدرًا.

وابنه مالك جد مالك، كنيته أبو أنس، من كبار التابعين، ذكر ذلك غير واحد؛ يروي عن عمر، وطلحة، وعائشة، وأبي هريرة، وحسان بن ثابت؛ وكان من أفاضل الناس وعلمائهم، وهو أحد الأربعة الذين حملوا عثمان ليلاً إلى قبره وغسلوه ودفنوه؛ وكان خِدنا لطلحة، يروي عنه بنوه: أنس وأبو سُهيل نافع، والربيع.

مات سنة ثنتي عشرة ومائة.

وذكر أبو محمد الضراب: أن عثمان، رضي الله عنه، أغزاه إفريقية ففتحها.

وروى التستري محمد بن أحمد القاضي: أنه كان ممن يكتب المصاحف حين جمع عثمان المصاحف، وكان عمر بن عبد العزيز يستشيره، وقد ذكر ذلك مالك في جامع موطئه.

قال أبو القاسم اللالكائي الحافظ: كان لأبي أنس بن مالك ابن أبي عامر أربعة بنين، أحدهم أنس أبو مالك الفقيه؛ قال غيره: وبه كان يُكنى، روى عنه ابنه مالك.

قال الضراب: وقد روى ابن شهاب عنه وقاله ابن أبي حاتم يرويه عن أبيه.

قال أبو إسحاق بن شعبان: روى مالك عن أبيه عن جده عن عمر حديث الغسل واللباس.

قال ابن وهب: سئل مالك عن أبيه فقال: كان عمي أبو سهيل ثقة.

قال أبو مصعب: كان أبو مالك بن أنس مقعدًا، وكان له قصر بالجرف يعرف بقصر المقعد.

قال غيره: وكان يعيش من صنعة النبل.

قال اللالكائي: والثاني: نافع أبو سهيل، روى عنه مالك أيضًا، وإسماعيل، ومحمد ابنا جعفر بن أبي كثير، والدراوردي، وغيرهم.

قال الإمام أبو الفضل رضي الله عنه: وقد روى عنه ابن شهاب أيضًا.

والثالث: أويس، وجد جده أبي أويس إسماعيل، وأبي بكر، وسيأتي ذكرهما، وسماه غيره أوسا مكبرًا، ووهم؛ روى عن أبيه أيضًا.

وزعم الضراب أنه روى عن ابن شهاب أيضًا.

والرابع: الربيع، قال إسماعيل: جالسته، قال أبو حاتم: لم يرو عنه العلم. قال أبو القاسم الجوهري: لم يرو عنه إلا سليمان بن بلال، وذكر التستري لأبي بكر الأويسي عنه رواية، وذكر أيضًا ابنه مالك بن الربيع، وفيه نظر.

وقد روى أربعتهم عن أبيهم مالك بن أبي عامر.

وقد خرج أهل الصحيح: البخاري ومسلم، ومن بعدهم، عن مالك بن أبي عامر، وأبي سهيل ابنه كثيرا.

قال أبو إسحاق بن شعبان: عمومة مالك ثلاثة: نافع، والنضر،

ويسار. قال الضراب: كان لمالك عم يقال له النضر، وبه كان يعرف مالك أولاً، وكان يقال مالك ابن أخي النضر، فما لبث إلا يسيراً حتى قال الناس: النضر عم مالك، وقاله محمد بن طلحة. والأشهر أن النضر الذي كان به يعرف مالك أولاً، ثم صار يعرف به، أخ لمالك، كذا ذكر أحمد بن صالح، والأصح والأعرف في أعمام مالك الأول.

قال مالك كان لي أخ في سن ابن شهاب، فألقى أبي يومًا علينا مسألة، فأصاب أخي وأخطأت، فقال لي أبي: ألهتك الحمام.

وكان لمالك ابنان يحيى ومحمد، وابنة اسمها فاطمة، زوج ابن أخته وابن عمه إسماعيل بن أبي أويس.

قال ابن شعبان: يحيى بن مالك يروى عن أبيه نسخة، وذكر أنه روى الموطأ عنه باليمن، وروى عنهما محمد بن مسلمة.

وابنه محمد قدم مصر، وكتب عنه، وحدث عنه الحارث بن مسكين؛ وزيد بن بشر.

قال أبو عمر بن عبد البر: كان لمالك أربعة من البنين: يحيى، ومحمد، وحمادة، وأم البهاء؛ فأما يحيى وأم البهاء فلم يوص بهما إلى أحد، وأوصى بالآخرين إلى إبراهيم بن حبيب، رجل من أهل المدينة.

وقال ابن شعبان: حبيب، وهو اللآل ويعرف ببابين، وكان وصيه مع داود بن أبي زَنْبَر ولعل إبراهيم ولد حبيب هذا والله أعلم.

وقد ذكره في الرواة عنه بأبي إسحاق. وذكر أيضًا إسحاق بن إبراهيم ابن حبيب يعرف ببابين وذكرهم الثلاثة في المدنيين، فالله أعلم. وأرى قوله إسحاق وهم، وأنه: أبو إسحاق.

وقال قاسم بن أصبغ: إبراهيم بن حبيب ثقة من أصحاب مالك، وهو وصيه.

قال الزبيري: كان لمالك ابنة تحفظ علمه، يعني الموطأ، وكانت تقف خلف الباب، فإذا غلط القارىء نقرت الباب، فيفطن مالك فيرد عليه. وكان ابنه محمد يجيء، وهو يحدث، وعلى يده بَاشَق ونعل كيسانية، وقد أرخى سراويله عليه، فيلتفت مالك إلى أصحابه ويقول: إنما الأدب أدب الله، هذا ابني، وهذه ابنتي.

قال الفروي: كنا نجلس عنده وابنه يدخل ويخرج ولا يجلس،

فيقبل علينا ويقول: إن مما يهون علي أن هذا الشأن لا يورث، وأن أحدًا لم يخلف أباه في مجلسه إلا عبد الرحمن بن القاسم.

وكان لابنه محمد ابن اسمه أحمد، سمع من جده مالك، ذكر ذلك أبو عبد الله بن مفرج القرطبي في رواة مالك، وأبو بكر الخوارزمي البرقاني الحافظ في كتابه في الضعفاء الذين اتفق رأيه ورأي أبي منصور بن حكمان مع أبي الحسن الدار قطني على تركهم.

وتوفى أحمد هذا سنة ست وخمسين ومائتين.

* * *

باب في مولد مالك رحمه الله تعالى والحمل به ومدة حياته ووقت وفاته

قال الإمام القرطبي أبو الفضل، رضي الله عنه:

اختلف في مولده رحمه الله تعالى اختلافًا كثيرًا؛ فالأشهر فيما روي من ذلك قول يحيى بن بُكَير إن مولده سنة ثلاث وتسعين من الهجرة في خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان.

وقال محمد بن عبد الحكم: بل سنة أربع وتسعين، وقاله إسماعيل بن أبي أويس، قال: في خلافة الوليد، وقال غيرهما: في ربيع الأول منها.

وروي عن محمد بن عبد الحكم أن مولده سنة ثلاث أو أربع وتسعين.

وقال أبو مسهر: سنة تسعين، وقيل: سنة ست وتسعين، وقيل: سنة سبع وتسعين.

وقال أبو داود السِّجِسْتاني: سنة ثلاث وتسعين.

وقال أبو إسحاق الشيرازي: سنة خمس وتسعين.

قال محمد بن سعيد مولى سفينة: قال مالك أتى بى عمى أبو سهيل إلى عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة، ليفرض لي، فقال: احتلم؟ فقال: سل أباه، فهو أعلم به مني.

قال مصعب بن عبد الله: هذا خطأ، عزل عمر عن المدينة سنة ثلاث وتسعين.

وأما وفاته فالصحيح منه ما عليه الجمهور من أصحابه، ومن بعدهم من الحفاظ وأهل علم الأثر، ومن لا يعد كثرة: أنه توفى سنة تسع وسبعين ومائة.

واختلفوا في أي وقت منها، فالأكثر على أنه في ربيع الأول، قاله إسماعيل بن أبي أويس وابن أبي زنبر، وابن بكير وأبو مصعب الزهري وغيرهم.

واختلفوا بعد ذلك؛ فقال ابن أبي أويس، والواقدي، وابن سعد: في صبيحة أربع عشرة من الشهر المذكور، وقال أبو مصعب: لعشر مضت منه، وحكى أبو علي البصري في الكتاب المقرب: أن وفاته يوم الأحد لثلاث خلون من هذا الشهر.

وقال ابن وهب في تاريخ ابن سحنون: يوم الأحد لثلاث عشرة خلت منه. وحكى أبو عُمر بن عبد البر: لعشر خلون منه، وقال ابن سحنون: ويقال في إحدى عشرة، ويقال في اثنتي عشرة من رجب من السنة.

وقال مصعب الزبيري، ومعن بن عيسى: في صفر من السنة.

وخالف هذا كله حبيب كاتبه، ومطرف فيما ذكر عنه، قالا: سنة ثمانين.

وخالف أيضًا الفروي فحكى عنه ابن سحنون وأبو العرب التميمي أن، وفاة مالك سنة ثمان وتسعين، وهذا وهم، والأول هو الصحيح.

واختلف على هذا في سنه؛ فقال ابن نافع الصائغ، وابن أبي أويس ومحمد بن سعد، وحبيب: إنه توفى سنة خمس وثمانون، وقاله سحنون.

وقال الواقدي: تسعون. وقال الفريابي وأبو مصعب: ست وثمانون، وذكر عن ابن القاسم: سبع وثمانون وقاله ابن سحنون وأبو العَرَب، وعن القَعْنَبِي: تسع وثمانون، وقال أيوب بن صالح: اثنتان وتسعون.

قال أبو محمد الضّراب: وهذا خطأ، والصواب ست وثمانون، وهو الأشبه مع قول ابن القاسم على الأصح فى مولده ووفاته.

واختلف في حمل أمه به، فقال ابن نافع الصائغ، والواقدى، ومعن، ومحمد بن الضحاك: حملت به أمه ثلاث سنين، وقال نحوه بكار بن عبد الله الزبيرى، وقال: أنضجته والله الرحم، وأنشد للطرماح:

تضن بحملنا الأرحام حتى تنضجنا بطون الحاملات

قال ابن المنذز: وهو المعروف؛ وروي عن الواقدى أيضًا أن حمل أمه به سنتان، قاله عطاف بن خالد، ولا خلاف أن وفاته بالمدينة.

* * *

obeikandl.com

باب في صفته وخَلْقه

قال أبو عاصم: ما رأيت محدثًا أحسن وجهًا من مالك، وقال عيسى ابن عمر المدني: ما رأيت قط بياضًا ولا حمرة أحسن من وجه مالك، ولا أشد بياض ثوب منه. ووصفه غير واحد من أصحابه، منهم: مطرف، وإسماعيل، والشافعي، وبعضهم يزيد على بعض، قالوا: كان طوالاً جسيمًا عظيم الهامة، أبيض الرأس واللحية، شديد البياض إلى الصفرة، أعين حسن الصورة، أصلع، أشم، عظيم اللحية، تامها تبلغ صدره، ذات سعة وطول؛ وكان يأخذ إطار شاربه ولا يحلقُه ولا يُحفيه، ويرى حلقه من المثل، وكان يترك له سبلتين طويلتين، ويحتج بفتل عمر لشاربه، إذا همه الأمر.

ووصفه أبو حنيفة بأنه أزرق أشقر.

قال أبو العباس بن سريج القاضي، وذكرت له صفته: هذه صفة عاقل، أو قال: الفراسة تدل على أن من هذه صفته يكون عاقلاً.

وقال مصعب الزبيري: كان مالك من أحسن الناس وجهًا، وأحلاهم عينًا، وأنقاهم بياضًا، وأتمهم طولاً، في جودة بدن.

قال بعضهم: كان مالك ربعة من الرجال. والأول أشهر.

قال غيره: دخلت على مالك فرأيته في إزار، وكان في أذنيه كبر كأنهما كفا إنسان أو دون ذلك.

قال الحكم بن عبدة: دخلت مسجد المدينة وإذ بمالك وله شعرة قد فرقها. قال أحمد بن إبراهيم الموصلي: رأيت مالكًا مضموم الشعر، قالوا: ولم يكن يخضب ويحتج بعلي رضي الله تعالى عنه، وهذا هو المشهور عنه.

وقد روى أن بعض ولاة المدينة قـال له: لم لا تخضب يا أبا عبد اللـه؟ فقال له: هذا بقي عليك من العدل؟

وقد روى ابن وهب أنه رأى مالكًا يخضب بالحناء.

وروى نحوه عبد الرحمن بن واقد، ولم يقل بالحناء.

قال الواقـدي: عاش مـالك تسعين سنـة لم يخضب شـيبتـه ولا دخل الحمام، وفي رواية: ولا حلق قفاه.

* * *

obeikandl.com

باب في ملبسه وطيبه
وحليته ومسكنه ومطعمه ومشربه

قال محمد بن الضحاك:

كان مالك جميل الوجه، نقي الثوب رقيقه، يكره اختلاف اللبوس.

قال خالد بن خداش: رأيت على مالك طيلسانًا طرزايا، وقلنسوة متركة، وثيابًا مروية جيادًا، وفي بيته وسائد، وأصحابه عليها قعودًا، فقلت له: يا أبا عبد الله: الذي أرى، شيء أحدثته أم وجدت الناس عليه؟ قال: رأيت الناس عليه.

قال الوليد بن مسلم: كان مالك لا يلبس الخز ولا يرى لبسه، ويلبس البياض، ورأيته والأوزاعي يلبسان السيجان ولا يريان بلبسها بأسًا.

قال بشر بن الحارث: دخلت على مالك فرأيت عليه طليسانًا يساوي خمسمائة قد وقع جناحاه على عينيه أشبه شيء بالملوك.

قال أشهب: كان مالك إذا اعتم جعل منها تحت ذقنه وأسدل طرفها بين كتفيه.

قال ابن وهب: رأيت على مالك ريطة عدنية مصبوغة بمشق خفيف وقال لنا: هو صبغ أحبه، ولكن أهلي أكثروا زعفرانها، فتركته، وقال لنا: ما أدركت أحدًا يلبس هذه الثياب الرقاق إنما كانوا يلبسون الصفاق إلا ربيعة، فإنه كان يلبس مثل هذا وأشار إلى قميص عليه عدني رقيق.

قال الزبيري: كان مالك يلبس الثياب العدنية الجياد، والخراسانية والمصرية المرتفعة العالية البيض، ويتطيب بطيب جيد، ويقول: ما أحب لأحد

أنعم الله عليه ولا يرى أثـر نعمته عليـه، وبخاصة أهل العلم؛ وكـان يقول: أحب للقارىء أن يكون أبيض الثياب.

قال ابن أبي أويس: ما رأيت في ثوب مالك حبرًا قط.

قال أشـهب: كان مـالك يستـعمل الطـيب الجيـد المسك وغيـره. قال الواقدي: كان مالك يجلس في منزله على ضجاع ونمارق مطروحة يمنة ويسرة في سائر البيت[1] لمن يأتيه من قريش والأنصار ووجوه الناس.

قال أشهب: كان مالك إذا اكتـحل لضرورة جلس في بيته وكان يكرهه إلا لعلة.

قال ابن نافع الأكبر، ومطرف، وإسماعيل: كان خاتم مالك الذي مات وهو في يده فـصه حجـر أسود، نقـشه سطران فـيهـما: «حسـبي الله ونعم الوكيل»[2]، بكتاب جليل، وكـان يحبسه في يسـاره، وربما خرج علينا وهو في يمنيه، لا نشك أنه إذا توضأ حوله في يمينه.

وسأله مطـرف عن اختيـاره لما نقش فيـه، فقـال: سمعت الـله يقول: ﴿...وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران] إلى آخـر الآية الأخرى. قال مُطرف: فحولت خاتمي وصيرته كذلك. والله أعلم.

قال أحمد بن صالح: كان مالك قليل المشي يظهر التجمل ضيق الأمر، لم يكن له منزل، كان يسكن بكراء إلى أن مات.

وسـأله المهدي: ألك دار؟ فـقال: لا، وحـدثني ربيعـة: أن نسب المرء داره.

---

(١) تحرف فى طبعة المغرب إلى: «البيب».

(٢) كتاب الطبقات الكبير ٧/ ٥٧٠.

قال عتيق بن يعقوب: كان على باب مالك مكتوب: ما شاء الله، فقيل له في ذلك، فقال: قال الله: ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ... ﴿٣٩﴾﴾ [الكهف]، والجنة: الدار.

قال ابن المنذر: كانت دار مالك بن أنس التي كان ينزل فيها بالمدينة دار عبد الله بن مسعود، وكان مكانه من المسجد مكان عمر بن الخطاب، وهو المكان الذي يوضع فيه فراش رسول الله ﷺ في المسجد إذا اعتكف، كذا قال الأوسي. وقال مصعب: كان مالك يجلس عند نافع مولى ابن عمر في الروضة حياة نافع وبعد موته.

قال ابن بُكير مولد مالك بذي المروة وكان أخوه النضر يبيع البز، فكان مالك معه بزازًا، ثم طلب العلم، وكان ينزل أولاً بالعقيق، ثم نزل إلى المدينة.

وقيل لمالك: لم تنزل العقيق؟ فإنه يشق عليك إلى المسجد.

فقال: بلغني أن النبي ﷺ كان يحبه وكان يأتيه، وأن بعض الأنصار أراد النقلة منه إلى قرب المسجد، فقال له النبي ﷺ: أما تحتسبون خطاكم؟.

قال إسماعيل بن أبي أويس: كان لمالك في كل يوم في لحمه درهمان، وكان يأمر خبازه سلمة في كل جمعة أن يعمل له ولعياله طعامًا كثيرًا.

قال مطرف: لو لم يجد مالك كل يوم درهمان يبتاع بهما لحمًا إلا أن، يبيع في ذلك متاعه لفعل، وكانت وظيفته في لحمه.

وقال ابن أبي حازم: قلت لمالك: ما شرابك يا أبا عبد الله؟ قال: في الصيف السكر وفي الشتاء العسل.

وكان مالك يعجبه الموز ويقول: لم يمسه ذباب ولا يد أسود، وليس

شيء أشبه بثمر الجنة منه، لا تطلبه في شتاء ولا صيف إلا وجدته. قال الله تعالى: «أكلها دائم وظلها».

قال أبو السمح طلق بن أبي السمح: رأيت مالكًا على بغلة سرية بسرج سري عليها، وعليه ثياب سرية، وغلام يمشي خلفه حتى أتى إلى باب داره فدخل راكبًا إلى موضع معرسه فنزل وقعد، فأخذ غلام منديلاً فمسح خفه ونزعه.

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه:

الأخبار المشهورة عنه بخلاف هذا مما سنذكره، وأنه كان لا يركب بالمدينة إكرامًا لتُربة فيها رسول الله ﷺ مدفون.

قال محمد بن مالك: كانت عمتي مع مالك في منزله فتهيء له فطره خبزًا وزيتًا.

ووعظ مالك مرة أبا جعفر المنصور في افتقاد الرعية، فقال له: أليس إذا بكت بنتك من الجوع تأمر بحجر الرحا فيحرك لئلاّ يسمع الجيران بكاءها؟

فقال مالك: والله ما علم بهذا إلا الله.

فقال له: فعلمتُ هذا، ولا أعلم أحوال رعيتي؟

وهذا، والله أعلم، كان في ابتداء حاله وضيق أمره، وأكثر هذه الحكايات المختلفة التي أوردنا منها، ونورد في اختلاف أحواله في دنياه، إنما كانت لاختلاف الأوقات وتنقُّل الأحوال؛ إذ حال المرء في بدايته بخلاف حاله في نهايته؛ فقد عاش - رحمه الله - نحو التسعين سنة على ما تقدم، فكان يها إمامًا يروي ويفتي ويسمع قوله نحو سبعين سنة، تنتقل أحواله في كل حين زيادة في الجلالة، ويتقدم في كل يوم علوه في الفضل والزعامة، حتى

مـات، وقد انفـرد منذ سنين، وحـاز رئاسة الدنـيا والدين دون منازع، فـلا تعارض بين ما يرد عليك من الأخبار في اختلاف أحواله، والله والموفق.

❊ ❊ ❊

obeikandl.com

باب في عقله وسمته وأدبه وحسن معاشرته وذكر شيء من شمائله

قالوا: كان ربيعة إذا جاء مالك يقول: قد جاء العاقل.

وقال ابن مهدي: لقيت أربعة: مالكًا وسفيان وشعبة وابن المبارك، فكان مالك أشدهم عقلاً. وقال: ما رأت عيناي أحدًا أهيب من هيبة مالك، ولا أتم عقلاً، ولا أشد تقوى، ولا أوفر دماغًا من مالك.

وقال هارون الرشيد عنه: ما رأيت أعقل منه.

وقال ابن وهب: الذي تعلمنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه.

قال أحمد بن حنبل: قال مالك: ما جالست سفيهًا قط، وهذا أمر لم يسلم منه غيره. قال أحمد بن حنبل: ليس في فضائل العلماء أجلُّ من هذا.

قال أبو نوح، ومصعب الزبيري: ذكر مالك يومًا شيئًا، فقلنا له: من حدثك بهذا؟ قال: إنا لم نجالس السفهاء.

وقال زياد بن يونس: كان والله مالك أعظم الخلق مروءة، وأكثرهم صمتًا، وكان إذا جلس جلسة لا ينحل منها حتى يقوم، ورأيته كثير الصمت قليل الكلام، متحفظًا للسانه.

قال ابن المبارك: كان مالك أشد الناس مداراة للناس وترك ما لا يعنيه.

قال ابن أبي أويس، كان مالك يستعمل الإنصاف ويقول: ليس في الناس أقل منه فأردت المداومة عليه.

قال الزهراني: كان مالك إذا أصبح لبس ثيابه وتعمم، ولا يراه أحد من

أهله ولا أصدقائه إلا متعممًا لابسًا ثيابه، وما رآه أحد قط أكل أو شرب حيث يراه الناس، ولا يضحك ولا يتكلم فيما لا يعنيه.

وحكى أبو فهر المصري قال: قال أبو بكر بن إسحاق إذا ذكر عقل أبي علي الثقفي يقول: ذلك عقل مأخوذ من الصحابة والتابعين، وذلك أن أبي علي أقام بسمرقند أربع سنين يأخذ تلك الشمائل من محمد بن نصر المروزي، وأخذها ابن نصر عن يحيى بن يحيى، فلم يكن بخراسان أعقل منه، وأخذها يحيى عن مالك، أقام عليه لأخذها سنة بعد أن فرغ من سماعه، فقيل له في ذلك فقال: إنما أقمت مستفيدًا لشمائله فإنها شمائل الصحابة والتابعين.

وكان مالك لذلك يسمى العاقل واتفقوا على أنه أعقل أهل زمانه.

قال زهير بن عباد: ما كنت أقول لمالك رحمك الله إلا قال: وأنت رحمك الله، وإذا قلت له: عافاك الله قال: وأنت عافاك الله، حسن أدب.

قالوا: وكان من أحسن الناس خلقًا مع أهله وولده، ويقول: في ذلك مرضاة لربك، ومثراة في مالك، ومنسأة في أجلك، وقد بلغني ذلك عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

قال عبد الله بن عبد الحكم: هيأ مالك بن أنس دعوة للطلبة وكنت فيهم، فمضينا معه إلى داره، فلما دخلنا الدار قال: هذا المستراح وهذا الماء، ثم دخلنا البيت فلم يدخل معنا، ودخل بعد ذلك، فأتانا بالطعام ولم يؤت بالماء قبله لغسل أيدينا. ثم أتى به بعده.

فلما خرج الناس سألته عما رأيت.

فقال:

أما إعلامي لكم بالمستراح والماء، فإنما دعوتكم لأبرِّكم، ولعل أحدكم يصيبه بول أو غيره فلا يدري أين يذهب فيصل إليه الضرر.

وأما تركي الدخول معكم في البيت، فلعلي أقول: ها هنا أبا فلان فاجلس، وهاهنا أبا فلان اجلس، وقد أنسى بعضكم فيظن ذلك بُغضًا فيه، فتركتكم حتى أخذتم مجالسكم ودخلت عليكم.

وأما تركي الماء قبل الطعام، فإن الوضوء قبله من سنة الأعاجم، وأما بعده فقد جاء في ذلك حديث.

قال الشافعي: سئل مالك عن الصورة في البيت فقال: لا تنبغي.

فقال له رجل عراقي: يا أبا عبد الله هو ذا في بيتك صورة.

قال: أنا ساكن فيه منذ كذا ما رأيته قط، قم فحكها، فأخذ قناة فلف عليها خرقة ثم حكها.

قال مطرف: كان مالك إذا دخل بيته قال: ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، فسئل عن ذلك فقال: قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ** ... ﴿٣٩﴾﴾ [الكهف]، وجنته بيته.

وقيل: إن ذلك كان على باب مالك مكتوبا، يريد ليتذكر برؤيته قول ذلك متى دخل.

* * *

باب في ابتداء طلبه، وسيرته في ذلك، وصبره عليه وتحريه فيمن يأخذ عنه

قال مطرف: قال مالك: قلت لأمي: أذهب فأكتب العلم، فقالت: تعال فالبس ثياب العلم، فألبستني ثيابًا مشمرة ووضعت الطويلة على رأسي، وعممتني فوقها؛ ثم قالت: اذهب فاكتب الآن.

وقال رحمه الله: كانت أمي تعممني وتقول لي: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه.

قال ابن القاسم: أفضى بمالك طلب العلم إلى أن نقض سقف بيته فباع خشبه، ثم مالت عليه الدنيا بعد.

وروي مثل هذا عن ربيعة.

قال أنس ين عياض: جالست ربيعة، ومالك يومئذ يجلس معنا، وما يعرف إلا بمالك أخو النضر، ثم ما زال حرصه في طلب العلم حتى صرنا نقول: النضر أخو مالك، وكان لمالك حين طلبه يتبع ظلال الشجر ليتفرغ لما يريد، فقالت أخته لأبيه: هذا أخي لا يأوي مع الناس، قال يا بنية: إنه يحفظ حديث رسول الله ﷺ.

قال مالك كان لي أخ في سن ابن شهاب، فألقى أبي علينا يومًا مسألة فأصاب أخي وأخطأت، فقال لي أبي: ألهتك الحمام عن طلب العلم، فغضبت وانقطعت إلى ابن هرمز سبع سنين، وفي رواية ثمان سنين، لم أخلطه بغيره. وكنت أجعل في كمي تمرًا وأناوله صبيانه وأقول لهم: إن سألكم أحد عن الشيخ فقولوا: مشغول.

وقال ابن هرمز يومًا لجاريته: من بالباب؟ فلم ترَ إلا مالكًا فرجعت فقالت له: مَا ثَمَّ إلا ذاك الأشقر، فقال له: دعيه فذلك عالم الناس.

وكان مالك قد اتخذ تبانًا محشوًا للجلوس على باب ابن هرمز يتقي به برد حجر هناك، وقيل: بل من برد صحن المسجد، وفيه كان مجلس ابن هرمز.

قال مالك إن كان الرجل ليختلف للرجل ثلاثين سنة يتعلم منه، فظننا أنه يريد نفسه مع ابن هرمز، وكان ابن هرمز استحلفه أن لا يذكر اسمه في حديث.

قال ابن عيينة: شهدت مالكًا يسأل زيد بن أسلم عن حديث عمر، أنه حمل على فرس في سبيل الله، يجعل يرفق به ويسأله عن الكلمة بعد الأخرى، والشيء بعد الشيء وكان في خلق زيد شيء.

قال ابن عبد الحكم: قال لي مالك: كنا نأتي ابن شهاب في داره في بني الدِّيل، وكانت له عتبة حسنة كنا نجلس عليها نتدافع إذا دخلنا عليه.

وقال مالك: كنا نجلس إلى الزهري وإلى محمد بن المنكدر، فيقول الزهري: قال ابن عمر كذا وكذا، فإذا كان بعد ذلك جلسنا إليه وقلنا له: الذي ذكرت عن ابن عمر من حدثك به؟ فيقول: ابن سالم.

قال مُصعب: كان مالك يقود نافعا من منزله إلى المسجد، وكان قد كف بصره، فيسأله فيحدثه، وكان منزل نافع بناحية البقيع.

قال مالك: كنت آتي نافعا مولى ابن عمر، وأنا يومئذ غلام ومعي غلام، لي وينزل إلي من درجة له فيقعد معي، فيحدثني.

وقال: كنت آتي نافعا نصف النهار، وما تظلني الشجر من الشمس أتحين خروجه، فإذا خرج أدعه ساعة كأني لم أرده، ثم أتعرض له فأسلم عليه وأدعه، حتى إذا دخل البلاط أقول له: كيف قال ابن عمر في كذا وكذا؟ فيجيبني، ثم أحبس عنه وكان فيه حدة، وكنت آتي ابن هرمز بكرة، فما أخرج من بيته حتى الليل.

قال الزبيري رأيت مالكًا في حلقة ربيعة، وفي أذنه شنف، وهذا يدل على ملازمته الطلبة من صغره كما قال في خبر نافع.

قال ابن أبي زنبر سمعت مالكًا يقول كتبت بيدي مائة ألف حديث.

وروى عنه ابن إسحاق: ما كتبت عن أحد كتابًا على وجهه إلا عن العلاء.

وروى عن ابن وهب عنه أنه قال: ما كتبت في هذه الألواح قط.

قال أحمد بن صالح: نظرت في أصول كتب مالك فإذا شبيه باثني عشر ألف حديث.

قال عبيد الله بن عمر: عامة ما سمعت من ابن شهاب أنا ومالك عرضًا، كان مالك يقرأ لنا، وكان حسن القراءة.

وقال ابن مهدي: سئل مالك عن سماعه من الزهري فقال: أقل ذلك العرض.

وقال له ابن وهب أكنت تقرأ العلم على أحد؟ قال لا.

وروى عنه أنه قال قدم علينا الزهري فأتيناه ومعنا ربيعة، فحدثنا نيفا وأربعين حديثًا، ثم أتيناه الغد. فقال: انظروا كتابًا حتى أحدثكم منه، أرأيتم

ما حدثتكم به أمس أي شيء في أيديكم منه؟ فقال له ربيعة: ها هنا من يرد عليك ما حدثت به أمس، فقال: ومن هو؟ قال: ابن أبي عامر، قال: هات! فحدثته بأربعين حديثًا، منها. فقال الزهري: ما كنت أرى أنه بقي من يحفظ هذا غيري.

وقال مالك في رواية أخرى: شهدت العيد فقلت: هذا اليوم يخلو فيه ابن شهاب، فانصرفت من المصلى حتى جلست على بابه، فسمعته يقول لجاريته: انظري من على الباب، فنظرت، فسمعتها تقول: مولاك الأشقر مالك.

فقال: ادخليه، فدخلت فقال: ما أراك انصرفت بعد إلى منزلك، قلت: لا حاجة لي فيه. قال فما تريد؟ قلت تحدثني، فحدثني سبعة عشر حديثًا ثم قال: وما ينفعك أن أحدثك ولا تحفظها؟ قلت: إن شئت رددتها عليك، فرددتها عليه.

وفي رواية: قال لي: هات، فأخرجت ألواحي، فحدثني بأربعين حديثًا. فقلت: زدني. فقال لي: حسبك، إن كنت رويت هذه الأحاديث فأنت من الحفاظ، قلت: قد رويتها، فجبذ الألواح من يدي ثم قال: حدث، فحدثته بها، فردها إلي وقال: قم فأنت من أوعية العلم، أو قال: إنك لنعم المستودع للعلم.

وروى عنه: حدثني ابن شهاب بأربعين حديثًا ونيف، منها حديث السقيفة فحفظتها، ثم قلت: أعدها علي، فإني أنسيت النيف على الأربعين فأبى، فقلت أما كنت تحب أن يعاد عليك؟ قال: بلى! فأعاد، فإذا هو كما حفظت.

وفي رواية: أن ابن شهاب قال له: ما استفهمت عالمًا قط، ثم استرجع وقال: ساء حفظ الناس، لقد كنت آتي سعيد بن المسيب وعروة والقاسم، وأبا سلمة وحميدًا وسالمًا، وعد جماعة فأدور فأسمع من كل واحد من الخمسين حديثًا إلى المائة ثم أنصرف، وقد حفظته كله من غير أن أخلط حديث هذا، في حديث هذا.

وقال مالك وفي رواية ابن وهب: كنت أجلس إلى ابن شهاب، ومعي خيط فإذا حدث عقدت الخيط، ثم رجعت إلى البيت، يعني فكتبتها.

قال: وفي رواية ابن زيد: كان ابن شهاب إذا جلس يحدث ثلاثين حديثًا، فحدث يومًا وعقدت حديثه فأنسيت منها حديثًا، فلقيته فسألته عنه، فقال: ألم تكن في المجلس؟ قلت: بلى. قال: فمالك لم تحفظه؟ قلت: ثلاثون، إنما ذهب عني منها واحد، فقال: لقد ذهب حفظ الناس، ما استودعت قلبي شيئًا قط فنسيته، هات ما عندك! فسألته فأنبأني وانصرفت.

وقال عبد العزيز بن عبد الله: سئل مالك أسمع من عمرو بن دينار؟ فقال: رأيته يحدث، والناس قيام يكتبون، فكرهت أن أكتب حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم.

وقال أحمد بن صالح: جاء مالك إلى عمرو بن دينار فلم يفهم كلامه لأنه كان أهتم فذهب إلى بيت الزبير فكتب عنده.

قال الزبيري: مر مالك بأبي الزناد، وهو يحدث، فلم يجلس إليه، فلقيه بعد ذلك فقال له: ما منعك أن تجلس إلي؟ قال: كان الموضع ضيقًا فلم أرد أن آخذ حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم.

وروى أن القصة جرت له مع أبي حازم.

قال ابن وهب سئل مالك هل كنتم تتقايسون في مجلس ربيعة، ويكسر بعضكم على بعض؟ قال: لا والله.

وقال مالك: كان أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن يسار يقول لنا إذا أخذتم في الساذج تكلمنا معكم، وإذا أخذتم في المنقوش قمنا عنكم.

وقال ابن أبي أويس:

سمعت مالكًا يقول: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه؛ لقد أدركت سبعين ممن يقول: قال رسول الله ﷺ عنده هذه الأساطين، وأشار إلى المسجد، فما أخذت عنهم شيئًا، وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان أمينًا، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن.

وفي رواية ابن وهب، وحبيب، وابن عبد الحكم: نحوه.

وعن مطرف عنه: أدركت جماعة من أهل المدينة ما أخذت عنهم شيئًا من العلم، وإنهم ليؤخذ عنهم العلم، وكانوا أصنافًا؛ فمنهم من كان يكذب في حديثه الناس ولا يكذب في علمه، ومنهم من كان جاهلاً بما عنده، ومنهم من كان يُزَنُّ برأي سوء. فتركتهم لذلك.

وفي رواية ابن وهب عنه: أدركت بهذه البلدة أقوامًا لو استسقى بهم المطر لسقوا، قد سمعوا العلم والحديث كثيرًا، ما حدثت عن أحد منهم شيئًا؛ لأنهم كانوا ألزموا أنفسهم خوف الله والزهد، وهذا الشأن، يعني الحديث والفُتيا، يحتاج إلى رجل معه تقى وورع وصيانة وإتقان وعلم وفهم، فيعلم ما يخرج من رأسه وما يصل إليه غدًا، فأما رجل بلا إتقان ولا معرفة فلا ينتفع به، ولا هو حجة ولا يؤخذ عنه.

وروى عنه ابن كنانة: ربما جلس إلينا الشيخ جل نهاره ما نأخذ عنه، ما بنا أن نتهمه، ولكن لم يكن من أهل الحديث.

قال مالك: وكنا نزدحم على درج ابن شهاب حتى يسقط بعضنا على بعض، قال: وكانت عندي صناديق من كتب ذهبت، لو بقيت لكان أحب إلي من أهلي ومالي.

وروى بعضهم عنه أنه قال: كتبت بيدي مائة ألف حديث.

قال مالك: أتيت زيد بن أسلم فسمعت حديث عمر: أنه حمل على فرس في سبيل الله، فاختلفت إليه أيامًا أسأله فيحدثني، لعله يدخله فيه شك أو معنى فأتركه، لأنه كان ممن شغله الزهد عن الحديث.

وقيل له: لِمَ لَم تكتب عن عطاء؟

قال: أردت أن آخذ عنه، وأردت أن أنظر إلى سمته وأمره، فاتَّبَعْته حتى أتى منبر النبي ﷺ، فمسح الغاشية والدرجة السفلى يعني في المنبر، فلم أكتب عنه إذ ذاك؛ لأنه من فعل العامة، والدرجة السفلى والغاشية شيء أصلحه بنو أمية؛ فلما رأيته لا يفرق بين منبر النبي ﷺ وغيره، ويفعل فعل العامة تركته.

وقد روى مالك عن رجل عنه، فلعله تركه لما رأى منه ولم يعرف حقيقة ما كان عليه من الفضل والعلم، ولهذا ما أراد النظر إليه واختباره، فلما استبان له بعد ذلك حاله وعلمه، وقد فاته، أخذ علمه عن غيره.

قال ابن عينية: ما رأيت أحدًا أجود أخذًا للعلم من مالك، وقال: رحم الله مالكًا، ما كان أشد انتقاده للرجال والعلماء.

وقال ابن المديني:

لا أعلم أحدًا يقوم مقام مالك، في ذلك.

وقال أحمد بن صالح: ما أعلم أحدًا أشد تنقيًا للرجال والعلماء من مالك، ما أعلمه روى عن أحد فيه شيء، روى عن قوم ليس يترك منهم أحد.

وروى عنه ابن وهب أنه قال: دخلت على عائشة بنت طلحة فاستضعفتها فلم آخذ عنها إلا: «كان لأبي مركن يتوضأ هو وجميع أهله منه».

وقال:

إن كنت لأرى الرجل من أهل المدينة، وعنده الحديث أحب أن آخذ عنه، فلا أراه موضعًا للأخذ عنه، فأتركه حتى يموت فيفوتني.

وقال: رأيت أيوب السختياني بمكة حجتين، فما كتبت عنه، ورأيته في الثالثة قاعدًا في فناء زمزم، فكان إذا ذكر النبي ﷺ عنده يبكي حتى أرحمه، فلما رأيت ذلك كتبت عنه.

قال ابن وهب:

نظر مالك إلى العطاف بن خالد فقال: بلغني أنكم تأخذون من هذا، فقلت: بلى، فقال: ما كنا نأخذ الحديث إلا من الفقهاء.

***

باب في ابتداء ظهوره في العلم، وقعوده للفتوى والتعليم، وحاجة الناس إليه

قال الليث:

قدمنا المدينة، فإذا عبد العزيز بن أبي سلمة ومالك قد اكتنفا ربيعة، وعلاه عبد العزيز، ثم قدمت مرة أخرى، فإذا مالك علا عبد العزيز.

قال محمد بن فُليح: كنت عند ربيعة ومالك يجلس إليه، ثم نبل واحتيج إليه، فانتقل من مجلس ربيعة وطلب منه العلم، فكنت فيمن انتقل إليه من مجلس ربيعة، وكنا جماعة، أمرني بذلك أبي.

قال سفيان بن عيينة: دارت مسألة في مجلس ربيعة، فتكلم فيها ربيعة فقال مالك: ما تقول فيها يا أبا عثمان؟ قال ربيعة: أقول فلا تقول، وأقول إذ لا تقول، وأقول فلا تفقه ما أقول، ومالك ساكت، فلم يجب بشيء وانصرف، فلما راح إلى الظهر جلس وحده وجلس إليه القوم، فلما صلى المغرب اجتمع إلى مالك خمسون أو أكثر، فلما كان من الغد اجتمع عليه خلق كثير، قال: فجلس للناس وهو ابن سبع عشرة سنة، وعرفت له الإمامة وبالناس حياة إذ ذاك.

قال ابن المنذر: أفتى مالك في حياة نافع وزيد بن أسلم.

قال ابن عبد الحكم: أفتى مالك مع يحيى بن سعيد.

قال أيوب: وربيعة ونافع.

قال عاصم بن عمر: كنا نأخذ عن مالك في حياة يحيى بن سعيد.

قال أيوب السختياني: قدمت المدينة في حياة نافع ولمالك حلقة.

قال مصعب: كان لمالك حلقة في حياة نافع أكبر من حلقة نافع، وفي رواية: «ربيعة» مكان نافع.

قال شعبة: قدمت المدينة بعد موت نافع بسنة، ولمالك يومئذ حلقة، وكان موت نافع سنة سبع عشرة.

قال الإمام أبو الفضل رضي الله عنه:

هذا كله صحيح، لما تقدم أن مالكًا جلس للناس ابن سبع عشرة سنة، ومولده سنة ثلاث وتسعين على خلاف فيما قبلها وبعدها، فأتى موت نافع. وسنه نيف وعشرون سنة بعد أن جلس للناس بسنين.

قال ابن وهب: قال لنا مالك يومًا: دعاني الأمير في الحداثة أن أحضر المجلس، فتأخرت حتى راح ربيعة، فأعلمته وقلت: لم أحضر حتى جئت أستشيرك، فقال لي ربيعة: نعم.

قال ابن وهب: فقلت له: فلو لم يقل لك احضر لم تحضر؟ قال: لم أحضر، ثم قال: يا أبا محمد! لا خير فيمن يرى نفسه بحالة لا يراه الناس له أهلاً.

وفي رواية أخرى: لما حضرت مع ربيعة عند السلطان، رأيت الكراهية في وجهه.

فقلت له لما خرجنا: إن كنت تكره أن أحضر لم أحضر، إنما تعلمنا منك.

فقال: فلا أكره، إن ليحضر معنا من أنت أفقه منه.

قال مالك: ليس كل من أحب أن يجلس في المسجد للحديث والفتيا جلس، حتى يشاور فيه أهل الصلاح والفضل، وأهل الجهة من المسجد؛ فإن

رأوه لذلك أهلاً جلس، وما جلست حتى شهد لي سبعون شيخًا من أهل العلم أنى موضع لذلك.

قال ابن وهب: وجاء رجل يسأل مالكًا عن مسألة، فبادر ابن القاسم فأفتاه، فأقفل عليه مالك كالمغضب وقال له: جسرت على أن تفتي يا عبد الرحمن؟! يكررها عليه، ما أفتيت حتى سألت: هل أنا للفتيا موضع؟.

فلما سكن غضبه قيل له: من سألت؟

قال: الزهري وربيعة الرأي.

قال مالك: كان ربيعة إذا سأل الرجل فلم يفهم عنه يقول له: سل هذا! فأقول للسائل: إنه ينهاك عن كذا.

قال ابن بكير وغيره: أول ما بان من فقه مالك أن رجلاً أوصى عند وفاته أنه قد زوج ابنتيه من ابني أخيه، وقد أخذ مهورهما، ومات الرجل، فأحضر الوالي، وكان الحسن بن يزيد، الناس، وفيهم ابن أبي ذئب، وابن عمران، وابن أبي سبرة، ومالك وهو حدث وذكر المسألة لهم، فقال جميعهم: ذلك جائز، ومالك ساكت.

فقال: ما ترى يا مالك؟

قال: لا يجوز ذلك، فغضب الجميع، وقال ابن أبي ذئب: لا يشاء أن يرد علينا إلا رد.

فقال الوالي: أصاب وأخطأتم. ثم قال: من أين قلت يا أبا عبد الله هذا؟

قال: أرأيتم إن أهديتا جميعًا إلى زوجيهما، فتعلق كلا واحد منهما بهودج واحدة. كل واحد يقول: هي زوجتي دون الأخرى، لمن تقضون بها؟

فسكت القوم، وقالوا: أصاب.

قال الوالي: فما ترى يا أبا عبد الله.

قال: النكاح مفسوخ حتى تسمى كل امرأة لرجل معين.

وقال ابن الماجشون: مما علم به فضل مالك أن سارقًا أخذ، ومعه قمح وقد سرقه من تلاليس لهذا ولهذا، حتى اجتمع قمح كثير، فاعترف بذلك، فأحضر الوالي من بالمدينة وفيهم ربيعة، ويحيى بن سعيد، ومعهم مالك على حداثة سنه، لمعرفتهم بعلمه؛ فلما أخذوا مجالسهم سألهم الوالي عن المسألة، وأخرج القمح، فإذا شبيه بأربعة أرادب، فكلهم رأى أن عليه القطع، ومالك ساكت.

فقال له: تكلم!

قال: لا قطع عليه، فاستعظم ذلك من هناك، وسألوه من أين قاله؟ فقال لهم: هل يجب القطع إلا في ربع دينار فصاعدًا؟ فأما أن يسرق من هذا التليس ما يساوي درهمًا، ومن هذا ما يساوي درهمًا هكذا فهذا لا قطع عليه، فانصرف الناس وقد بان فضل علمه.

قال أبو الحسن الطالبي: سأل مالكًا صفوان بن سليم، وهو أحد شيوخ مالك الجلة الفضلاء النقاد، عن رؤيا رآها في النوم، ومالك إذ ذاك غلام صغير، فقال له مالك: ومثلك يسأل مثلي؟!

فقال له: وما عليك يا ابن أخي؟، رأيت كأني أنظر في مرآة.

فقال له مالك: أنت تنظر في أمر آخرتك وما يقربك إلى ربك.

فقال له صفوان: أنت اليوم مويلك، ولئن بقيت لتكونن مالكًا، اتق الله يا مالك، إذا كنت مالكًا، وإلا فأنت هالك.

قال مالك: وكان قبل يدعوني مويلكا، فلما سألني قال يا أبا عبد الله، وهو أول يوم كناني فيه.

قال الطالبي: وفي قوله: «وما عليك» إشارة إلى أنه كان عنده مستأهلاً لجواب ما سأل عنه.

قال القاضي أبو الفضل، رضي الله عنه: ولو لم يكن عنده كذلك لما سأله، ولا استحل لنفسه ولا له الغوص في علم الغيب، والتلاعب بالنبوءة.

قال الحارث:

أوصى ابن هرمز مالكًا وعبد العزيز ابن أبي سلمة: إذا دخلتما على السلطان فكونا من آخر من يتكلم، فلزم مالك وصيته؛ فبلغني أنه حضر عند الأمير مع ابن أبي ذئب ونظرائه، فاستفتاهم في رجل أقر على نفسه بالقتل عمدًا، فأفتى كلهم بالقتل، إلا أن يعفو الأولياء، ومالك ساكت، فسأله، فقال: أنظر، وهو مطرق. ثم سأله فقال: هو القتل، حتى أنظر، فقالوا: ما تنظر؟ رجل أقرّ أنه قتل عمدًا، أي شيء هذا؟ فقال: أين القاتل المقر؟ فإذا فتى حدث السن، فقال: منذ كم حبس؟ قيل: منذ كذا، فإذا حبسه وإقراره قبل أن يحتلم، فسرح. وهذا، والله أعلم، إن أنكر إقراره ورجع عنه.

قال أحمد بن صالح:

كان مالك في ثلاث طبقات: طبقة دونه، وأخرى معه، وأخرى فوقه. ولم يكن في الثلاث طبقات من يجيد الطلب مثله، فاق الثلاث طبقات فالتي فوقه من ولد في الثمانين: ابن عجلان، وابن أبي ذئب، ونمطهم، والتي معه: عبد العزيز بن الماجشون، وابن أبي الزناد، وسليمان بن بلال وغيرهم، والذين دونه: ابن الدراوردي، وابن أبي حازم، وأنس بن عياض، ونمطهم.

قال ابن القاسم: قال لي مالك: كنا نجلس إلى ربيعة أربعين معتمًا سوى من لا يعتم، ما ندري منهم إلا أربعة.

أما أحدهم فغلبت عليه الملوك، يعني ابن الماجشون، وفي رواية: شغل بالأغاليط أو نحو هذا.

وأما الآخر فمات، يعني كثير بن فرقد.

وأما الثالث فغرب نفسه، يعني عبد الرحمن بن عطاء.

وسكت عن الرابع، فعلمنا أنه يعني نفسه.

وقيل لأبي حنيفة: كيف رأيت غلمان المدينة؟

قال: إن نجب منهم، فالأشقر الأزرق، يعني مالكًا؛ وفي رواية: رأيت بها علمًا مبثوثًا؛ فإن يجمعه أحد فالغلام الأبيض الأحمر.

قال ابن غانم:

فذكرت ذلك لمالك، فقال: صدق، لقيته فرأيت رجلاً له علم وفهم لو بني على أصل، يعني أثر أهل المدينة.

قال ابن أبي أويس:

قال مالك: أقبل علي ذات يوم ربيعة فقال لي: من السفلة يا مالك؟

قلت: الذي يأكل بدينه.

قال لي: فمن سفلة السفلة؟

قلت: الذي يأكل غيره بدينه.

فقال: زه، وصدرني. رضي الله عنهم أجمعين.

باب شهادة السلف الصالح وأهل العلم له بالإمامة في العلم بالكتاب والسنة والتقدم في الفقه والصدق في الرواية، وتفضيلهم له وثنائهم عليه

قد قدمنا في باب ترجيح مالك الأثر الوارد فيه، وتكلمنا عليه بالمنقول والمعقول، بما لا مزيد فوقه. وذكرنا من كلام السلف والأئمة بالشهادة له بالإمامة والتقدم على غيره بما لا نطيل بإعادته، ونذكر هنا جملة صالحة من ذلك الشرح، والله المعين.

قال ابن هرمز يومًا لجاريته: من بالباب؟ فلم تر إلا مالكًا، فذكرت ذلك له، فقال: ادْعِيهِ؛ فإنه عالم الناس.

وقال له ابن شهاب: أنت من أوعية العلم، أو إنك لنعم مستودع العلم.

وقيل لأبي الأسود، شيخ مالك بمصر، سنة إحدى وثلاثين من للرأي بعد ربيعة بالمدينة؟ فإن يحيى بن سعيد بالعراق، فقال: الغلام الأصبحي.

وقال سفيان بن عيينة: ما نحن عند مالك؟ إنما كنا نتبع آثار مالك، وقال: إن المدينة، أو: ما رأى المدينة إلا ستخرب بعد مالك، قال: ومالك سيد أهل المدينة، وقال: مالك سيد المسلمين، وقال: مالك إمام، وقال: مالك عالم أهل الحجاز، وقال: كان مالك سراجًا، ومالك حجة في زمانه، وقال، وقد بلغه وفاة مالك: ما ترك مثله، أو ما ترك على الأرض مثله.

وقال لبعضهم: أَتَقْرِنُنِي بمالك؟ ما أنا وهو إلا كما قال جرير:

وابن اللبون إذا ما لز في قرن لم يستطيع صولة البزل القناعيس

ثم قال: ومن مثل مالك متبع لآثار من مضى، مع عقل وأدب، وقال: مالك إمام في الحديث، وقال: حدثني مالك الصدوق.

وجاء نعي مالك إلى حماد بن زيد، فبكى حتى جعل يمسح عينيه بخرقة، وقال: يرحم الله مالكًا، لقد كان من الدين بمكان، لقد رأيت رأيه يُتذاكر في مجلس أيوب.

وفي رواية: ثم قال حماد: اللهم أحسن علينا الخلافة بعده.

وقال الشافعي: إذا جاءك الأثر عن مالك فشد به يدك.

وقال: إذا جاءك الخبر، فمالك النجم.

وقال: إذا ذكر العلماء فمالك النجم، ولم يبلغ أحد في العلم مبلغ مالك، لحفظه وإتقانه وصيانته، ومن أراد الحديث الصحيح فعليه بمالك.

وقال: مالك بن أنس معلمي؛ وفي رواية: أستاذي، وما أحد أمن علي من مالك، وعنه أخذنا العلم، وإنما أنا غلام من غلمان مالك.

وقال: جعلت مالكًا حجة فيما بيني وبين الله.

وقال محمد بن الحكم:

كان الشافعي دهره إذا سئل عن الشيء يقول: هذا قول الأستاذ، يريد مالكًا، وذكر الأحكام والسنن فقال: العلم يدور على ثلاثة: مالك والليث وابن عيينة.

وقال: مالك وسفيان قرينان، ومالك النجم الثاقب الذي لا يلحق، وقال: لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز، ويروى: لما عرف العلم بالحجاز.

وقال الشافعي: ذاكرت محمد بن الحسين يومًا فقال لي صاحبنا أعلم، يعني أبا حنيفة، من صاحبكم، يعني مالكًا.

فقلت له: الإنصاف تريد أم المكابرة؟

قال: الإنصاف.

قلت له: ناشدتك بالله الذي لا إله إلا هو، من أعلم بكتاب الله، وناسخه ومنسوخه؟

قال: اللهم صاحبكم.

قلت له: فمن أعلم بسنة رسول الله ﷺ؟

قال: اللهم صاحبكم.

قلت له: فمن أعلم بأقوال أصحاب رسول الله ﷺ؟

قال: اللهم صاحبكم.

قلت: فلم يبق إلا القياس.

قال: صاحبنا أقيس.

قلت: القياس لا يكون إلا على هذه الأشياء، فعلى أي شيء يقيس؟ ونحن ندعي منه لصاحبنا ما لا تدعونه لصاحبكم.

وفي بعض الروايات عنه.

فقلت له: وصاحبنا لم يذهب عليه القياس، ولكنه يتوقى ويتحرى، يريد يتأسى بمن تقدمه.

وقال بعضهم: سمعت بقية بن الوليد في جماعة ممن يطلب الحديث، ومشيخة من أهل المدينة يقول: ما بقي على ظهرها - يعني الأرض - أعلم بسنة ماضية ولا باقية منك يا مالك.

قال عبد الله والد مصعب الزبيري: لِمَالِكِ بن أنس سيد المسلمين.

وذكره الليث فقال: مالك يرفع من قدره.

وذكره الأوزاعي فقيل له: كيف رأيت مالكًا؟

قال: رأيت رجلاً عالمًا.

قال عبيد الله بن عمر: نعم الخلف للناس مالك.

وقال عبد العزيز: مالك سيدنا وعالمنا.

قال الليث: لقيت مالكًا بالمدينة، فقلت له: إني أراك تمسح العرق عن جبينك.

قال عرقت مع أبي حنيفة، إنه لفقيه يا مصري؛ ثم لقيت أبا حنيفة فقلت: ما أحسن قول ذلك الرجل فيك!.

فقال: والله ما رأيت أسرع منه بجواب صادق وزهد تام.

قال أبو يوسف: ما رأيت أعلم من ثلاثة؛ مالك، وابن أبي ليلى، وأبي حنيفة.

قال البهلول بن راشد: ما رأيت أنزع من مالك بن أنس بآية من كتاب الله.

قال مطرف: كان مالك إذا سئل عن مسألة نزلت فكأنما نبي نطق على لسانه. قال محمد ابن عبد الحكم: إذا انفرد مالك بقول لم يقله من قبله.

فقوله حجة توجب الاختلاف؛ لأنه إمام.

فقيل له: فالشافعي؟ قال: لا.

قال الحكم: دخلت المسجد فسألت جماعة ممن في المسجد: من أعلم من في المسجد وأفضل؟ فقالوا: هذا القائم يركع، يريدون مالكًا.

وقال وهيب بن خالد وكان من أبصر الناس بالحديث: قدمت المدينة فلم أجد أحدًا إلا يُعرف وينُكرَ إلا مالكًا ويحيى بن سعيد، وكان وهيب لا يعدل بمالك أحدًا.

وعن الليث أنه قال: علم مالك علم تقى، علم مالك نقي، مالك أمان لمن أخذ عنه من الأنام.

وقال ابن المبارك: لو قيل لي اختر للأمة إمامًا اخترت لها مالكًا. قال أبو إسحاق الفزاري: مالك حجة رِضًا كثير الاتباع للآثار.

وقال ابن مهدي: مالك أفقه من الحكم وحماد، وقال: أئمة الحديث الذين يُقتدى بهم أربعة، سفيان بالكوفة ومالك بالحجاز والأوزاعي بالشام وحماد بن زيد بالبصرة.

وسئل من أعلم مالك أو أبو حنيفة؟ فقال: مالك أعلم من أستاذي أبي حنيفة. وقال: الثوري إمام في الحديث وليس بإمام في السنة، والأوزاعي إمام في السنة وليس بإمام في الحديث. ومالك إمام فيهما.

وقال مرة لأصحابه: أحدثكم عمن لم تر عيناي مثله. ثم قال حدثنا مالك، وقال: مالك أحفظ أهل زمانه، ومالك لا يخطىء في الحديث.

وقال: ما بقي على وجه الأرض آمن على حديث رسول الله ﷺ من مالك.

وقال: ما أقدم على مالك في صحة الحديث أحدًا، وقال: لم أر أحدًا مثل مالك وحماد بن زيد، كانا يحتسبان في الحديث.

وقال يعقوب بن سـفيان: إلى مالك والثوري وابن عيـينة تنتهي الإمامة في العلم والفقه والإتقان.

وقال ابن حنبل: مالك أتبع من سفيان.

وسئل عن الثوري ومالك إذا اختلفا في الرواية وفي طريق أيهما أفقه؟

فقال: مالك أكبر في قلبي.

قيل له: فمالك والأوزاعي إذا اختلفا في الرواية؟ قال: مالك أحب إلي وإن كان الأوزاعي من الأئمة.

قيل: فمالك والليث؟

قال: مالك.

قيل: مالك والحكم وحماد؟.

قال: مالك.

قيل: فمالك والنخعي؟

قال: ضعـه مع أهل زمانه، وقال: مالك سيـد من سادات أهل العلم، وهو إمام في الحديث والفـقه، ومن مثل مالك متـبع لآثار من مضى مع عقل وأدب؟.

وقيل له: الرجل يجب أن يحفظ حـديث رجل بعينه، حديث من ترى يحفظ؟

قال: حديث مالك، فإنه حجة بينك وبين الله تعالى. وقاله أيضًا لرجل سأله أي شيء أكتب من الحديث؟

قيل له: فيريد ينظر في الرأي، رأي من ترى ينظر؟

قال: رأي مالك، وقال: يرحم الله مالكًا، كان من الإسلام بمكان وقال: لا يترك عن مالك حديث ولا كلام إلا كتب، وقال: مالك حافظ متثبت، من أثبت الناس في الحديث.

وقال أبو قدامة: مالك أحفظ أهل زمانه.

وقال يحيى بن سعيد القطان: ما في القوم أصح حديثًا من مالك، يعني الأوزاعي والسفيانيين، ومالك أحب إلي من معمر، ومالك إمام الناس في الحديث، وقال أيضًا: مالك أمير المؤمنين في الحديث، وقاله أيضًا: علي بن المديني ويحيى بن سعيد.

وقال يحيى أيضًا: كان مالك حافظًا، وقال: كان مالك إمامًا يُقتدى به.

وقال يحيى بن معين: مالك نبيل الرأي، نبيل العلم، أخذ المتقدمون عن مالك ووثقوه، وكان صحيح الحديث، قال: وكان من حُجج الله على خلقه، قال: وكان إمامًا في الحديث، قال: وكان يقدمه على أصحاب الزهري. وقال: ما رأيت أحدًا أحفظ لحديث نفسه منه ومن سفيان.

وقيل له: الليث أرفع عندك أم مالك؟

قال: مالك، وهو أعلى أصحاب الزهري وأوثقهم، وأثبت الناس في كل شيء.

وقال: مالك إمام من أئمة المسلمين، مُجمع على فضله وتثبته في الحديث.

وقال: مالك نجم أهل الحديث المتوقف عن الضعفاء، الناقل عن أولاد المهاجرين والأنصار.

وقال علي بن المديني: ما أقدم على مالك أحدًا في صحة الحديث، ومالك أمير المؤمنين في الحديث.

وقال: إني أحدثك عمن لم تر عيناك، وفي رواية «عيناي» مثله، فحدثني عن مالك.

وقال: لولا أن الله تعالى يبعث في الإسلام في كل زمان مثل مالك وشعبة والأوزاعي لكانوا قد أدخلوا في حديث رسول الله ﷺ ما ليس فيه.

وقال: حسبك مالك وابن عينية حفظًا وإتقانًا إذا اتفقا.

وقال بكر بن أحمد بن مقبل: مالك بن أنس الحجة القائمة.

وقال البخاري، وأبو زرعة الرزاي، ومحمد بن عبد الحكم، وأبو عبد الله بن الربيع وغير واحد: مالك بن أنس إمام.

وقال أيوب بن سويد: مالك إمام دار الهجرة والسنة، الثقة الصدوق. وقال: ما رأيت أحدًا قط أجود حديثًا من مالك.

وقال النسائي: أمناء الله على وحيه: شُعبة، ومالك، ويحيى بن سعيد القطان، ما أحد عندي بعد التابعين أفضل من مالك، ولا أجَلَّ منه ولا أوثق، ولا أحد آمن على الحديث منه.

قال أبو حاتم الرازي: الحُجة على المسلمين الذين ليس فيهم لَبْس: الثوري، وشعبة، ومالك، وابن عيينة، وحماد بن زيد.

وقال أبو زرعة الرازي: وسُئل عنه وعن أيوب وغيره في نافع، فقال: مالك وإمامته.

وقال: مَثَل مالك في الفقه كمثل الكريابوكة التي تُدبر أمر البيت،

وتعمل في كل شيء بما يصلحه.

قال سحنون: قرأ لنا ابن غانم كتابًا من الموطأ، فقال له رجل: يعجبك هذا من قولة مالك؟ فألقى الكتاب من يده وقال: أليس وصمة في عقلي وديني أن أرد على مالك قوله؟ ولقد أدركت العباد وأهل الورع والدين الذين يتورعون عن الذر فما فوقه: سفيان وذوي سفيان، فما رأيت بعيني أورع من مالك.

وقال له أبو جعفر المنصور: أنت أعلم أهل الأرض، أو أعلم الناس!

فقال: لا، والله.

قال: بلى! ولكنك تكتم ذلك، وفي خبر آخر عنه: لم يبق على وجه الأرض أعلم مني ومنك، وقال أيضًا، وأشار إليه: لا يزال الناس بخير ما بقى هذا فيهم.

وسئل المغيرة عن مالك وعبد العزيز، فقال: ما تعادلا قط في العلم، ورفع مالكًا عليه.

قال زياد بن يونس: مَثَل مالك في العلماء، مَثَل الثريد بين الألوان، يجزئ عنها ولا تجزئ عنه.

قال التستري: قال أبو عبد الله الزبير بن أحمد الزبيري، ونحن نتذاكر المذاهب: يستغنى بمذهب مالك عن مذهبهم، ولا يُستغنى بمذهب أحد منهم عن مذهبه.

قال حميد بن الأسود: قال مالك: كان إمام الناس عندنا بعد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، زيد بن ثابت، وإمام الناس بعد زيد بن ثابت عبد الله بن عمر.

قال علي بن المديني: أخذ عن زيد أحد وعشرون رجلاً ممن كان يتبع رأيه ويقوم به: قبيصة، وخارجة بن زيد، وعبيد بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود، وعروة بن الزبير، وأبو سلمة، والقاسم بن محمد، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وسالم، وسعيد بن المسيب، وأبان بن عثمان، وسليمان بن يسار.

ثم صار علم هؤلاء كلهم إلى ثلاثة: ابن شهاب، وبكير بن عبد الله ابن الأشج، وأبي الزناد.

وصار علم هؤلاء كلهم إلى مالك بن أنس. وكان ابن مهدي يعجبه هذا الإسناد ويميل إليه.

قال محمد بن عيسى: تذاكر أصحاب الحديث يومًا الفقهاء، فذكروا من لا يُطعن عليه حفظًا وورعًا فذكروا حماد بن زيد، ومالك بن أنس، ويزيد بن زريع.

قال عبد الرحيم، أراه ابن عبد ربه: لما خرج أسد إلى الغزاة سألته عما أعتمد عليه، فقال لي: إن أردت الله والدار الآخرة، فعليك بعلم مالك.

وقال أبو إسحاق الجبنياني: إنما المذهب مذهب أهل المدينة، مذهب مالك.

قال ابن وضاح: قال لي يحيى بن معين: على علم مالك تعتمد؟ قلت: على علم مالك. قال: حسبك به.

قال سعيد بن الحداد: كان مالك من الراسخين في الإسلام، فقال له أبو طالب يومًا: ففي العلم يا أبا عثمان؟

قال: كان والله أرسخ في العلم من الجبال الراسيات.

قال حماد بن زيد: دخلت المدينة، ومناد ينادي: لا يُفتى في مسجد رسول الله ﷺ، ويحدث إلا مالك.

قال ابن وهب: حججت سنة ثمان وأربعين، ومناد ينادي بالمدينة: لا يُفتي الناس إلا مالك وابن أبي ذئب، وفي رواية عنه: وعبد العزيز مكان ابن أبي ذئب.

وقال عبد الله بن الماجشون: كان يخرج رسول الله الوالي أيام الحج وينادي: لا يفتي الناس إلا عبيد الله بن عُمر، ويحيى بن سعيد، ومالك بن أنس. وذكر نحوه ابن كاسب.

وقال حسين بن عروة: سمعت المنادي ينادي أيام الموسم: لا يفتي الناس إلا مالك، وابن أبي الزناد، والدراوردي.

قال المسيبي: بلغني أن ولاة المدينة كانوا لا يأذنون لأحد أن يفتي إلا مالكًا، وابن أبي الزناد.

قال القاضي أبو عبد الله التستري: يشبه أن تكون هذه الأخبار في زمن بعد آخر، والله أعلم؛ لاختلاف طبقات من قُرن فيها مع مالك، رضي الله عنه.

وفي حديث بداية الشافعي لما أراد طلب العلم بمكة. قلت: من يذكر لهذا الشأن؟

قيل لي: مالك بالمدينة.

قال ابن أبي حازم: قال لي عبد العزيز بن الماجشون: اغتنم مالكًا، فلم يبق ممن أدرك الناس غيره وغيري.

وقال سعيد بن داود: لم يذكر في عصر مالك أحد أرفع عند أهل المدينة من مالك.

وقال غيره: ما رأيت أحسن على الكشف من مالك، كلما كشفته ازددت فيه رغبة.

وقيل لابن هرمز: نسألك فلا تجيبنا ويسألك مالك وعبد العزيز فتجيبهما؟

فقال: دخل علي في بدني ضعف ولا آمن أن يكون قد دخل علي في عقلي مثل ذلك، وأنتم إذا سألتموني عن الشيء فأجبتكم قبلتموه، ومالك وعبد العزيز ينظران فيه، فإن كان صوابًا قبلاه، وإن كان غيره تركاه.

وقال محمد بن سعد: كان مالك ثقة مأمونًا، ثبتًا، فقيهًا، ورعًا حجة، عالمًا.

وقال أبو علي بن أبي هلال: سُئل النسائي عن معاوية فقال: الإسلام دار، والصحابة - رضي الله عنهم - بابها، فمن تكلم في أحد منهم بسوء فإنما دخل الدار. قال أبو علي بن أبي هلال: وأنا أقول: ومالك حلقة الباب فمن مس الحلقة فإنما أراد الدار. رضي الله عنهم أجمعين.

بقية شهادتهم له بالصدق والثبات في الأثر والقول في مراسيله وتوثيقه من روى عنه، رضي الله عنه

قال ابن مهدي: مالك أثبت في نافع من عبد الله، وموسى بن عقبة، ومن إسماعيل بن أمية، ومن سائر الناس. وقال مثله يحيى بن سعيد، ويحيى بن معين. قال سليمان بن حرب: إن مالكًا لأهل لذلك.

قال ابن مـهدي: ومـالك عن ابن المسيب أحب إلي من قـتادة عن ابن المسيب إلا أن يقول قتادة: سمعت.

قال ابن وهب: ما أحدًا آمن ولا أوثق من مالك.

وقال يحيى بن سعيد القطان، وذكرت له مـرسلات السفيانيين والشعبي والأعمش وغيرهم، فـقال في بعضها: شبه الـريح، وشبه لا شيء، قيل له: فمـرسلات مـالك؟ قال: هي أحب إلي، ليس في الـقوم أصح حديثًـا منه، وقدمه في أصحاب الزهري، قال: ومالك عن سعيد أحب إلي من سفيان عن إبراهيم.

وقال أحـمد بن حنبل: مالك أحـسن حديثًا عن الزهري من ابن عـيينة ومالك أثبت الناس عن الزهري.

قال أحـمد بن صـالح: ثلث حـديث مالك مـسند. وليس هذه المنزلة لأحد من نظرائه. وحديث مالك ألفا حديث وشبيه بمائتي حديث، يعني التي رويت عنه، وحدث بها.

وقال أبو القـاسم اللالكائي عن علي بن المديني: عند مـالك نحو ألف حديث.

قال أحمد بن صـالح، وذكر الليث وسفيان، فجعل يعظمـهما، وقال: كل واحد منهما إمام. قيل له: فإذا اخـتلف سفيان ومالك في الزهري، أيهما أحب إليك؟ قال: مالك.

قال سفيـان بن عيينة: أخذ مالك ومعمـر عن الزهري عَرْضًا، وأخذت سماعًا.

قال ابن معين: لو أخذا كتابًا كانا أثبت منه.

قال البخاري: مالك اثبت الناس في الزهري.

وقال يحيى بن عبد الله لأبي زرعة: ليس هذا زعزعة عن زوبعة، إنما ترفع الستر، وتنظر إلى النبي ﷺ وأصحابه بين يديه: مالك عن نافع عن ابن عمر.

وقال وكيع حدثني الثقة: مالك بن أنس.

وروى مثله عن القاسم بن علي، وعن أحمد بن علي.

وقال الحسن بن علي: كنا عند وهيب بن خالد، فحدث بحديث عن مالك وابن جريج، فقلت لرجل: اكتب ابن جريج ودع مالكًا؛ لأنه كان حيا يومئذ، فسمعها وهيب فقال: تقول دع مالكًا! ما نعلم بين شرقها وغربها أحدًا آمن عندنا من مالك على حديث.

قال ابن المديني: مالك، عن رجل، عن سعيد بن المسيب، أحب إلي من سفيان، عن رجل، عن إبراهيم؛ فإن مالكًا لم يكن يحدث إلا عن ثقة.

وقال أبو داود: أصح حديث رسول الله ﷺ: مالك، عن نافع، عن ابن عمر، ثم مالك، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، ثم: مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة.

لم يذكر شيئًا عن غير مالك.

وقال: مالك مراسيل مالك أصح من مراسيل سعيد بن المسيب، ومن مراسيل الحسن، ومالك أصح الناس مرسلاً.

وقال سفيان: إذا قال مالك بلغني فهو إسناد قوي.

وقال يحيى بن سعيد: مرسلات مالك صحاح، قال يحيى: كان أصحابنا يقول: مرسلات مالك إسناد.

قال ابن وهب: مالك والليث إسناد وإن لم يسندا.

وقال إبراهيم الحربي: مالك لا يرسل إلا عن ثقة.

وسئل أحمد بن حنبل عن حديث جعفر بن محمد، فقال: ما أقول فيه وقد روى عنه مالك؟

وسئل ابن معين عن طلحة الأَيلْي وجماعة، فقال: قد حدث عنهم مالك.

قال الأثرم: سألت أحمد بن حنبل، عن عمر بن أبي عمرو مولى المطلب فقال: يؤيد أمره مالك بن أنس، قد روى عنه، وقد ذكره البخاري في الصحيح وقال: قد روى عنه مالك.

* * *

obeikandl.com

باب في إجماع الناس عليه
واقتداء الأكابر به وحاجتهم إليه

قال مالك رحمه الله تعالى، فيما روى عنه ابن وهب وابن القاسم: ما أحد ممن نقلت عنه العلم إلا اضطر إلي حتى سألني عن أمر دينه.

قال ابن أبي حازم: رأيت زيد بن اسلم واقفًا يستفتيه.

وقال مالك: قال لي يحيى بن سعيد، حين خرج إلى العراق: التقط لي مائة حديث من أحاديث ابن شهاب أروها عنك، فكتبتها ثم دفعتها إليه، فقال لي: أرويها عنك؟ قلت: نعم! قيل له: فسمعها منك؟ قال: كان أفقه من ذلك.

قال يحيى بن سعيد: التقى مالك والثوري، فكان الثوري يسأل مالكًا.

قال معن: رأيت الثوري يزاحمنا على باب مالك.

قال مطروح بن شاكر: جلس ابن شهاب، وربيعة، ومالك، فألقى ابن شهاب مسألة فأجاب فيها ربيعة، وصمت مالك، فقال له ابن شهاب: لم لا تجيب قال: قد أجاب الأستاذ، أو نحوه، فقال ابن شهاب: ما نفترق حتى تجيب، فأجاب بخلاف جواب ربيعة، فقال ابن شهاب: ارجعوا بنا إلى قول مالك.

قال الدراوردي: بينما أنا جالس مع يحيى بن سعيد الأنصاري، وهشام ابن عروة، إذ سمعت أحدهما يقول للآخر: كم ذا يكون هذا الرجل بين أظهرنا فلا تأتيه نسمع منه، أو نأخذ عنه، فقلت في نفسي: إن رجلاً ذهب هذان للأخذ عنه لأهل أن لا أجهله، فقاما، وقمت معهما، فأتيا باب مالك،

فأستأذنا عليه، فلم نلبث أن سمعنا وقع الوسائد وأذن لهما في الدخول، فدخلا ودخلت معهما، فقالا: يا أبا عبد الله! حدثنا عن ابن شهاب.

وكان سفيان الثوري إذا سئل عن شاذ الحديث يقول: دعوه، فإن الحجازي نهاني عنه، يعني مالكًا.

قال يحيى بن معين: سمع يحيى بن سعيد القطان من مالك في شباب مالك.

قال شعبة: دخلت لمدينة سنة سبع عشرة بعد موت نافع بسنة، وفي بعضها: سنة ثمان عشرة، وهو أصح، فرأيت مالكًا له حلقة، فإذا اختلف الناس في شيء نظروا إليه ما يقول.

قال القاضي محمد بن أحمد البصري: وفي هذه السنة سمع شعبة من مالك، وسن مالك إذ ذاك نيف وعشرون سنة.

قال ابن أبي أويس: كان الناس كلهم يصدرون عن رأي مالك بن أنس، وكان للأمير عنده رجل يسأله، وهكذا للقاضي والمحتسب.

قال سعيد بن منصور: رأيت مالكًا يطوف وخلفه سفيان الثوري يتعلم منه كما يتعلم الصبي من معلمه، كلما فعل مالك شيئًا يفعله سفيان يقتدي به.

وقال ابن عيينة: ما نحن ومالك؟ إنما كنا نتبع آثار مالك، فإذا أخذ عن الشيخ أخذنا عنه.

وقال بعضهم: كنت عند ابن عيينة فسأله رجل عن الضحية بالليل، فقال سفيان: لا بأس بها، فقلت له ابن وهب يروى عن مالك أنه لا يضحي بالليل، وقرأ ﴿...فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ...﴿٢٨﴾﴾ [الحج].

فصاح ابـن عيينة على الرجل وقال له: إن هذا أخـبرني عن ابن وهب عن مالك أنه لا يضحي بالليل.

وقد ذكر أن ابن وهب هو الذي حكى لابن عيينة قول مالك هذا.

وقال ابن عيينة: حج مالك فضاق الطواف بالناس يأتمون به.

قال يحيى: قـال الشافعي أفطرت بالمدينة عند مالك، فخـرج إلى العيد وصلى ثـم انصـرف ونظر إلى الـناس عند بيـت النبي ﷺ وهو عـلى باب المسجـد، فقال: ما لهم؟ قـالوا: انصرفوا يسلمـون على النبي ﷺ فرجع في الحظيرة التي يطعم فيها المساكين في رمضان، وترك أن يدخل المسجد، فرأيت الناس قد خرجوا من المسجد يتبعون أين سلك؟

وقال عتـيق بن يعقوب: ما أجمع أهل المدينة عـلى أحد بعد النبي ﷺ إلا على أبي بكر وعمـر، ومات مالك وما نعلم أن أحـدًا من أهل المدينة قبل موته إلا وقد أجمع عليه.

وقال حمـيد بن الأسود: ما تقلد أحد من أهل المـدينة بعد قول زيد بن ثابت كما تقلدوا قول مالك.

قال ابن أبي أويس: حـضرت الاسـتسقـاء بالمصلى، فلما حـول الإمام أرداءه، قام مـالك فحول سـاجا عـيله، فقام الناس فـحولوا أرديتـهم؛ فلما انصرف مالك قيل له: أمن سنة الاستـسقاء، إذا حول الإمام، أن يقوم الناس يحولوا أرديتهم؟ قـال: ليس عليهم قيام، ويحولون قـعودًا، وإنما وقفت لأن ساجي كان تحتي فلم أقدر على تحويله حتى قمت.

قال مروان بن محمد: ما ترك مالك الرواية عن أحد إلا ضعف.

قال ابن كنانة: قال العمري لمالك: بايعني أهل الحرمين وأنت ترى ظلم

أبي جعفر، فقال له مالك: أتدري مـا الذي منع عمر بن عبد العزيز أن يولى رجلاً صالحًا بعـده؟ قال: لا، قال: كانت البيعة ليزيد، فـخاف عمر إن بايع لغيره أن يقيم يزيد الهيج، ويقاتل الناس، فيفسد ما لا يصلح فاحتمل العمري على رأي مالك.

وقال سفيان: كان مالك سراجًا؛ حج الثوري فطفت معه فلم يكن معه كبير أحد، وقدم مالك فطاف فضاق الطواف بالناس، يعني لكثرتهم.

ولما روى مالك عن يزيد بن عبـد الله بن الهادي، رحل إلى يزيد قريب من ألف راحلة، فلما أصبح يزيد ونظر إلى كثـرة ما غشي بابه قال: ما هذا؟ قيل له: إن مالكًا قد روى عنك.

وقـال داود بن مهـران: لما أتيت المدينة حـضرت جنازة، فلم يبق أحـد منهم، من بني هاشم وقريش والناس إلا حضرها، فلما خرجت الجنازة، قام مالك وقام الناس لقيـامه، فمضى ماشيًا بين يديها، وتبـعه الناس؛ فما رأيت أحدًا خلف الجنازة، ومالك أمامهم.

وقال الليث: إني لأدعو لمالك في صلاتي، وذكـر من حاجة الناس إليه في الفتيا.

قال الشافعي: رأيت المغيرة وابن أبي حازم، والدراوردي يذهبون مذهب مالك.

قال ابن وهب: سـألت عبد العزيز بن الماجـشون عن مسألة فـقال: ما يحضرني فيها جواب، ولكن سل مالكًا وأخـبرني بما يقول. فسألته وأخبرته، فقال: مالك سيدنا وعالمنا.

وذكر عبد العزيز بن الماجشون مسألة، اختلف فيها قول أبيه وقول مالك فقال: وبقول مالك أقول، وأميل مع مالك حيثما مال؛ فإنه كان موفقًا.

قال خالد بن نزار: زار مسلم بن خالد الزنجي مالكًا، فقال له مالك: يا مسلم! ما هذه الأشياء التي تبلغني عنكم، تخالفون فيها أهل المدينة؟ قال: يا أبا عبد الله، أصلحك الله! إني قد جمعت أشياء أريد أن أسألك عنها. قال مالك: هات! أما إني أحب أن يرشدكم الله، ولكني أكره أن تخالفوا أهل المدينة إلى غيرهم.

قال محمد بن الحسن الشيباني: أقمت على باب مالك سنتين أو ثلاثًا أسمع منه، وكان يقول: إنه سمع منه لفظًا أكثر من سبعمائة حديث.

وقال يحيى بن يحيى التميمي: أقمت عند مالك بن أنس بعد كمال سماعي منه سنة، أتعلم هيئته وشمائله، فإنها شمائل الصحابة والتابعين، أو نحو هذا.

وقال محمد بن عبد الحكم: كان الشافعي إذا سئل عن شيء يقول: هذا قول الأستاذ، يعني مالكًا. وقال فيه: مالك أستاذي، ومالك معلمي، وعنه أخذنا العلم، وما أحد أمن علي من مالك، وإنما أنا غلام من غلمان مالك، وجعلت مالكًا حجة بيني وبين الله تعالى.

وقال ابن وهب: لولا أن الله استنقذنا بمالك والليث لضللنا.

وسئل مالك عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري الذي يحدث عنه ابن سمعان، فقال: ما أعرفه، فقال الناس: رجل من أهل المدينة من الأنصار، ويروى عنه، لا يعرفه مالك؟ فاتهمه الناس.

فقال علي بن المديني: إذا حدث مالك عن رجل من أهل المدينة، ولا نعرفه، فهو حجة؛ لأنه كان ينتقي. وقال علي: مالك أستاذي في أهل المدينة، ويحيى في أهل العراق.

وحكى بعض من ألف في مناقبه أن ابن هرمز مر بدار بعض أهل الأقدار، وهو واقف مع مولاة له، فقال ابن هرمز: يا هذا! إنك على الطريق، وليس يحل هذا لك. فقال: هذه داري، ومولاتي وحشمي، فما ينكر على مثلي؟ وقال لعبيده: طئوا بطنه، فوطئوه حتى حمل إلى منزله.

فعاده الناس وفيهم مالك، فجعل يشكو، والناس يدعون له، ومالك ساكت، ثم تكلم فقال: إن هذا لم يكن لك، تأتي إلى رجل من أهل القدر على باب داره، ومعه حشمه ومواليه.

فقال له ابن هرمز: فترى أني أخطأت؟ قال: أي والله. وذكر باقي الحكاية.

ولما قدم حماد بن زيد المدينة لم يأته أحد من أصحاب مالك، فراح حماد فشكا ذلك إليه، فقال له: أنا أمرتهم بذلك، قال: ولم يا أبا عبد الله؟ قال: لأنكم يا أهل العراق تكتبون بالمدينة عمن لا شهادة له عندنا، فنتوهم عليكم أنكم تفعلون هكذا في بلادكم، فرجع حماد فأسقط عامة علمه.

قال سحنون: جاء وافد من أهل مصر بسؤالاتهم لربيعة، فوجده قد مات، قال: فلم أرد أن أرجع بغير جواب، فرأيت في المسجد حلقة يخوضون في العلم، فجلست إليهم وأخبرتهم أمري، وقلت لهم: إن كان عندكم علم فأجيبوني أو فأرشدوني.

فأشار جميعهم إلى مالك بن أنس، وهو يومئذ شاب جالس إلى عمود وحده، ولم أدع حلقة إلا جلست إليها، وسألتهم، فكلهم يدلني عليه، فأتيته فأخبرته بخبري وبما دلني القوم عليه؛ وذكر أنه سأله، فكلما قرأ عليه مسألة بكى. ثم أجابه.

قال سحنون: بكى حين عرفها وعرف أنه احتيج إليه فيها.

قال المغامي عن عبد الملك: سمعت مُطرفًا وابن الماجشون يقولان عن مالك في أمهات الأولاد، إذا استحققن: إنهن يؤخذن وقيمة أولادهن، حتى استحقت أم ولده محمد، وتخاصم فيها وكيل المستحق مع وكيل مالك عند المطلب والي المدينة، فقال المطلب: ما أرى أحدًا أستشيره في أمره غيره، فقال وكيل الطالب: تستشيره في أمر نزل به؟ فقال المطلب: ليس مثله يُتهم، ولو كان صاحبه حاضرًا استشرناه، يعني ابن أبي سلمة.

فاستشار مالكًا في ذلك، فقال: قد كان من رأيي في ذلك ما قد علمت، وجرى في الناس، حتى رأيت أمرًا شديدًا؛ يُعمد إلى أم ولدي، فتُستخرج من تحتي، وإنما اشتريت من سوق المسلمين فتحمل علي زربون أنا أفديها بجميع مالي، وما ظُلِم من دُفِعَتْ إليه القيمة.

فحكم بذلك، فما سر أهل المدينة بشيء سرورهم بهذه الفتيا. وفي الثمانية و«الواضحة» مثله، وأنه قول ابن كنانة وابن الماجشون.

قال أبو محمد الضراب وغيره: وروى عن مالك جماعة من الشيوخ الذين روى عنهم، منهم: يحيى بن سعيد الأنصاري، وأبو الأسود بن نوفل، وزياد بن سعد، وابن شهاب، وهشام بن عروة، وربيعة، إلى آخرين سواهم.

وأما من روى عنه من أقرانه ممن مات قبله أو بعده فكثير كابن جريج، وابن عجلان، والدراوردي، وعبد الله بن جعفر المديني، والليث، ونافع القارىء، وعبد العزيز بن الماجشون، والسفيانين، والحمادين، والزنجي، وأبي حنيفة، وصاحبيه، ووكيع، وشعبة، والأوزاعي، وسواهم ممن سنذكرهم بعد هذا.

قال غيره:

ففي رواية هؤلاء المشيخة وأمثالهم عن مالك دليل على عظم شأنه.

قال جعفر الفريابي: لا أعلم أحدًا روى عنه الأئمة والجلة ممن مات قبله بدهر طويل إلا مالكًا، فإن يحيى بن سعيد مات قبله بخمس وثلاثين سنة، وابن جريج بثلاثين سنة، والأوزاعي بعشرين، والثوري بثمان عشرة، وشعبة بسبع عشرة.

قال القاضي الإمام أبو الفضل رضي الله عنه:

وأبو حنيفة بثلاثين سنة، وهمام بأكثر من ذلك، وأغرب من هذا الزهري، توفى قبل مالك بخمس وخمسين سنة.

قال أبو الحسن الدار قطني: لا نعلم أحدًا تقدم أو تأخر اجتمع له ما اجتمع لمالك، وذلك أنه روى عنه رجلان حديثًا واحدًا بين وفاتيهما نحو من مائة وثلاثين سنة: محمد بن شهاب الزهري شيخه، توفى سنة خمس وعشرين ومائة، وأبو حذافة السهمي، توفى بعد الخمسين ومائتين، رويا عنه جميعًا حديث الفُرَيْعَة بنت مالك في سكنى المعتدة.

* * *

باب تحريه في العلم والفتيا والحديث وورعه فيه وإنصافه

قال عبد الرحمن العمري: قال لي مالك: ربما وردت علي المسألة تمنعني من الطعام والشراب والنوم، فقلت له: يا أبا عبد الله! والله ما كلامك عند الناس إلا نقش في حجر، ما تقول شيئًا إلا تلقوه منك. قال فمن أحق أن يكون كذا إلا من كان هكذا؟ فرأيت في النوم قائلاً يقول: مالك معصوم.

قال ابن القاسم: سمعت مالكًا يقول: إني لأفكر في مسألة منذ بضع عشرة سنة، فما اتفق لي فيها رأي إلى الآن.

قال ابن مهدي: سمعت مالكًا يقول: ربما وردت علي المسألة فأسهر فيها عامة ليلتي.

قال ابن عبد الحكم: كان مالك إذا سئل عن المسألة قال للسائل: انصرف حتى أنظر فيها، فينصرف ويتردد فيها، فقلنا له في ذلك، فبكى وقال: إني أخاف أن يكون لي من المسائل يوم وأي يوم.

قال قراد: كان مالك إذا جلس يُنكس رأسه، ويحرك شفتيه بذكر الله، ولم يلتفت يمينًا ولا شمالاً، فإذا سئل عن مسألة تغير لونه، وكان أحمر بصفرة، فيصفر وينكس رأسه ويحرك شفتيه، ثم يقول: ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله، فربما يسأل عن خمسين مسألة فلا يجيب منها في واحدة.

وقال بعضهم: لكأنما مالك، والله، إذا سئل عن مسألة واقف بين الجنة والنار.

وكان يقول: من أحب أن يجيب عن مسألة فليعرض نفسه قبل أن يجيب على الجنة والنار، وكيف يكون خلاصه في الآخرة، ثم يجيب.

وقال:

ما شيء أشد علي من أن أسأل عن مسألة من الحلال والحرام؛ كأن هذا هو القطع في حكم الله، ولقد أدركت أهل العلم والفقه ببلدنا وإن أحدهم إذا سئل عن مسألة كأن الموت أشرف عليه، ورأيت أهل زماننا هذا يشتهون الكلام فيه، والفتيا، ولو وقفوا على ما يصيرون إليه غدًا لقللوا من هذا، وإن عمر بن الخطاب، وعليًا، وعلقمة: خيار الصحابة، كانت ترد عليهم المسائل، وهم خير القرون الذي بعث فيهم النبي ﷺ، وكانوا يجمعون أصحاب النبي ﷺ، ويسألون، ثم حينئذ يفتون فيها، وأهل زماننا هذا قد صار فخرهم الفتيا، فبقدر ذلك يُفتح لهم من العلم، قال: ولم يكن من أمر الناس، ولا من مضى ولا من سلفنا الذين يُقتدى بهم، ومُعول الإسلام عليهم، أن يقولوا هذا حلال وهذا حرام، ولكن يقولون: أنا أكره كذا، وأرى كذا، وأما حلال وحرام فهذا الافتراء على الله، أما سمعتهم قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ ... ﴿٥٩﴾﴾ [يونس]؛ لأن الحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرماه.

قال موسى بن داود: ما رأيت أحدًا من العلماء أكثر أن يقول: لا أحسن، من مالك، وربما سمعته يقول: ليس هذا ببلدنا.

قال مروان بن محمد: كنت أرى مالكًا يقول للرجل يسأله: اذهب حتى أنظر في أمرك.

فقلت: إن الفقه من باله، وما رفعه الله إلا بالتقوى.

قال سحنون: قال مالك يومًا: اليوم لي عشرون سنة أتفكر في هذه المسألة.

قال ابن مهدي: سأل رجل مالكًا عن مسألة، وذكر أنه أرسل فيها من مسير ستة أشهر من المغرب، فقال له: أخبر الذي أرسلك أنه لا علم لي بها، قال: ومن يعلمها؟ قال: من عَلَّمه الله.

وسأله رجل عن مسألة استودعه إياها أهل المغرب، فقال: ما أدري، ما ابتلينا بهذه المسألة في بلدنا، ولا سمعنا أحدًا من أشياخنا تكلم فيها، ولكن تعود.

فلما كان من الغد جاءه، وقد حمل ثقله على بغلة يقودها، فقال: مسألتي؟

فقال: ما أدري ما هي؟

فقال الرجل: يا أبا عبد الله! تركت خلفي من يقول: ليس على وجه الأرض أعلم منك. فقال مالك غير مستوحش: إذا رجعت فأخبرهم أني لا أحسن.

وسأله آخر فلم يجبه، فقال له: يا أبا عبد الله أجبني!

فقال: ويحك! أتريد أن تجعلني حجة بينك وبين الله؟ فأحتاج أنا أولاً أن أنظر كيف خلاصي، ثم أخلصك.

قال ابن أبي حازم: قال مالك: إذا سألك إنسان عن مسألة، فابدأ بنفسك فأحرزها.

قال الهيثم بن جميل: شهدت مالكًا سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فقال في اثنين وثلاثين منها: لا أدري.

وقال خالد بن خداش: قدمت من العراق على مالك بأربعين مسألة، فما أجابني منها إلا في خمس.

وقال مالك: كان ابن عجلان يقول: إذا أخطأ العالم لا أدري أصيبت مقاتلُه، وقد روى هذا الكلام عن أبي عباس رضي الله عنهما.

وقال مالك: سمعت ابن هرمز يقول: ينبغي أن يورث العالم جلساءه قول لا أدري، حتى يكون ذلك أصلاً في أيديهم يفزعون إليه؛ فإذا سئل أحدهم عما لا يدري، قال: لا أدري.

قال ابن وهب: كان مالك يقول في أكثر ما يسأل عنه: لا أدي. قال عمر بن يزيد: فقلت لمالك في ذلك، فقال: يرجع أهل الشام إلى شامهم، وأهل العراق إلى عراقهم، وأهل مصر إلى مصرهم، ثم لعلي أرجع عما أفتيتهم به، قال: فأخبرت بذلك الليث، فبكى وقال: مالك والله أقوى من الليث، أو نحو هذا.

وقال معن بن عيسى: سمعت مالكًا يقول: إنما أنا بشر أخطىء وأصيب، فانظروا في رأيي؛ فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه.

قال ابن أبي أويس: سئل مالك مرة عن نيف وعشرين مسألة، فما أجاب منها إلا في واحدة. وربما سئل عن مائة مسألة، فيجيب منها في خمس أو عشر، ويقول في الباقي: لا أدري.

قال أبو مصعب: قال لنا المغيرة: تعالوا نجتمع ونستذكر كل ما بقي علينا مما نريد أن نسأل عنه مالكًا. فمكثنا نجمع ذلك، وكتبناه في قُنْدَاق، ووجه به المغيرة إليه، وسأله الجواب، فأجابني في بعض، وكتب في الكثير منه: لا أدري.

فقال المغيرة: يا قوم! لا والله، ما رفع هذا الرجل إلا بالتقوى، من كان منكم يسأل عن هذا فيرضى أن يقول: لا أدري.

قال ابن وهب: سألت مالكًا في ثلاثين ألف مسألة، نوازل في عمره، فقال في ثلثها، أو شطرها، أو ما شاء الله منها: لا أحسن ولا أدري.

وقال: لو ملأ رجل صحيفته من قول مالك: لا أدري لفعل قبل أن يجيب في مسألة.

قال مصعب: وجهني أبي بمسألة، ومعي صاحبها، إلى مالك، فقصها عليه فقال: ما أحسن فيها جوابًا، اسألوا أهل العلم.

قال ابن أبي حسان: سئل مالك عن اثنين وعشرين مسألة يحضرني فما أجاب إلا في اثنتين، بعد أن أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكان الرجل يسأله عن المسألة فيقول: العلم أوسع من هذا.

وقال بعضهم له: إذا قلت أنت يا أبا عبد الله: لا أدري، فمن يدري؟ قال: ويحك ما عرفتني! ومن أنا؟ وأي شيء منزلتي حتى أدري ما لا تدرون؟ ثم أخذ يحتج بحديث ابن عمر، وقال: هذا ابن عمر يقول: لا أدري، فمن أنا؟ وإنما أهلك الناس العجب وطلب الرياسة، وهذا يضمحل عن قليل.

وقال مرة أخرى: قد ابتلى عمر بن الخطاب بهذه الأشياء فلم يجب فيها. وقال ابن الزبير لا أدري، وابن عمر: لا أدري.

وقال مصعب: سئل مالك عن مسألة فقال: لا أدري، فقال له السائل إنها مسألة خفيفة سهلة، وإنما أردت أن أعلم بها الأمير، وكان السائل ذا قدر، فغضب مالك وقال: مسألة خفيفة سهلة؟! ليس في العلم شيء خفيف؛ أما سمعت قول الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۝٥﴾ [المزمل] فالعلم كله ثقيل وبخاصة ما يسأل عنه يوم القيامة.

قال بعضهم: ما سمعت قط أكثر قولاً من مالك «لا حول ولا قوة إلا بالله»، ولو شاء أن ننصرف بألواحنا مملوءة بقوله: لا أدري ﴿... إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الجاثية] لفعلنا.

وقال له ابن القاسم: ليس بعد أهل المدينة أعلم بالبيوع من أهل مصر، فقال مالك: ومن أين علموها؟ قال: منك، قال مالك: ما أعلمها أنا، فكيف يعلمونها بي؟

قال مفضل بن فضالة: ما يُعد مالكًا إلا مثل نقاد بيت المال.

وقال ابن حاتم: قلت لابن معين: مالك قل حديثه، فقال: بكثرة تمييزه.

وسئل مالك عن الأحاديث يقدم فيها ويؤخر، والمعنى واحد، فقال أما ما كان من لفظ النبي ﷺ فلا ينبغي للمرء أن يقوله إلا كما جاء، وأما لفظ غيره، فإذا كان المعنى واحدًا فلا بأس به، قيل له: فحديث النبي ﷺ تُزاد فيه الواو والألف، والمعنى واحد؟

قال: أرجو أن يكون خفيفًا. وروى عنه ابن عُفير نحوه.

قال القطان: لما مات مالك رحمه الله تعالى، خرجت كتبه، فأصيب فيها قُنداق عن ابن عمر، ليس في «الموطأ» منه شيء إلا حديثين.

قال ابن وهب: قال مالك: سمعت من ابن شهاب أحاديث كثيرة ما حدثت بها قط، ولا أحدث بها. قال الفروي: فقلت له: لم؟ قال: ليس عليها العمل.

قال عتيق بن يعقوب: قال لي مالك: أخذت من ابن شهاب تسعة قَناديق، في بطونها وظهورها، إن منها أشياءً ما حدثت بها منذ أخذتها بالمدينة.

قال رجل لمالك: إن الثوري حدثنا عنك في كذا، فقال: إني لأحدث في كذا وكذا حديثًا ما أظهرتها بالمدينة.

قال ابن مالك: لما دفنا مالكًا دخلنا منزله، فأخرجنا كتبه، فإذا فيها سبع قناديق من حديث ابن شهاب، ظهورها وبطونها ملأى، وعنده قناديق، أو صناديق من حديث أهل المدينة، فجعل الناس يقرأون، ويدعون، ويقولون: رحمك الله يا أبا عبد الله! لقد جالسناك الدهر الطويل، فما رأيناك ذاكرت بشيء مما قرأناه.

وفي رواية عن ابنه: وإنا ما وجدنا له إلا كتابًا واحدًا فيه لابن شهاب أحاديث قد خط على بعضها.

وعن إسحاق بن بابين: وجدنا في تركة مالك صندوقين مقفولين فيهما كتب، فجعل أبي يقرأها ويبكي، ويقول: رحمك الله إن كنت تريد بعملك إلا وجه الله، لقد جالسته الدهر الطويل، فما سمعته يحدث بشيء مما قرأت.

وذكر عتيق بن يعقوب: أنه دخل منزل مالك بعد موته مع ابنه، ففتح صناديق مملوءة كتبًا، فقرأها، فذكر نحوه، ثم فتح صندوقًا آخر فأخرج منه اثني عشر ألف حديث للزهري، وفتح آخر فأخرج منه سبع قنادق ظهورها وبطونها من حديث أهل المدينة، فما رأيت فيها شيئًا مما ذاكر به أصحابه في حياته.

قال أحمد بن صالح: نظرت في أصول مالك، فوجدتها شبيهًا باثني عشر ألف حديث. قال بعضهم: وهو حديث أهل المدينة في ذلك الوقت، فلم يحدث مالك إلا بثلثها أو ربعها. قال: وأخرج إلي ابن أويس سماع

مالك من الزهري، فإذا نحو ثلاثمائة وخمسين حديثًا، وأخرج إلي كتب مالك في قراطيس غير كتاب ابن شهاب، فقدرت ذلك بنحو من عشرة آلاف حديث.

قال الشافعي: قيل لمالك: عند ابن عيينة أحاديث ليس عندك؟ فقال: إذا أحدّث الناس بكل ما سمعت إني إذًا أحمق. وفي رواية: إني أريد أن أضلهم إذن، ولقد خرجت مني أحاديث لوددت أني ضربت بكل حديث منها سوطًا، ولم أحدث بها، وإن كنت أفزع الناس من السياط، وفي رواية أخرى قال: وددت أني ضربت بكل مسألة تكلمت فيها سوطًا.

قال الدراوردي: قلت له حدثني بحديث الملطاء، قال: لا، قلت له: إن سفيان يرويه عنك. قال: صدق ولو كنت حدثت أحدًا لحدثتك به، إن العمل ببلدنا ليس عليه، وليس صاحبه بذلك.

وكان إذا قيل له:

ليس هذا الحديث عند غيرك تركه، وإن قيل له: هذا مما يحتج به أهل البدع تركه.

وقيل له: إن فلانًا يحدثنا بغرائب، فقال: من الغريب نفر.

قال أبو مصعب:

قيل لمالك: لم لا تحدث عن أهل العراق؟ قال: لأنني رأيتهم إذا جاءونا يأخذون الحديث عن غير ثقة. فقلت: إنهم كذلك في بلادهم.

وقال: عندي أحاديث لو ضرب رأسي بالسوط ما أخرجتها أبدًا.

وقال ابن عيينة: كان مالك لا يُبلغ الحديث إلا صحيحًا. ولا يحدث إلا عن ثقة.

قال الشافعي: كان مالك إذا شك في الحديث طرحه كله.

قال معن: سمعت مالكًا يقول: إنما إنا بشر أخطىء وأصيب، فانظروا رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه.

وقال في سماع ابن القاسم وابن وهب وأشهب، والمعنى مُتقارب: ليس كل ما قال الرجل، وإن كان فاضلا، يتبع ويُجعل سنته، ويُذهب به إلى الأمصار؛ قال الله تعالى: ﴿... فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ... ﴿١٨﴾﴾ [الزمر].

وقال أشهب: سُئل مالك عن مسألة فأجاب فيها، ثم قال مكانه: لا أدري، إن نظن إلا ظنًا، إنما هو الرأي، وأنا أخطيء وأرجع، وكل ما أقول يُكتب.

قال أشهب: ورآني أكتب جوابه في مسألة فقال: لا تكتبها؛ فإني لا أدري أأثبت عليها أم لا؟

قال ابن وهب: وسمعته يقول فيما يسأل عنه من أمر القضاء: هذا من متاع السلطان، وسمعته يعيب كثرة الجواب من العالم حتى يسأل، يعني الرجل الذي يجلس لهذا، وإنما يصنعه معلم الكتاب، وكان الرجل يجلس، فإذا سئل العالم عن شيء سمعه.

وسمعته عندما يكثر عليه بالسؤال يكف ويقول: حسبكم! من أكثر أخطأ، وكان يعيب كثرة ذلك ويقول: يتكلم كأنه جمل مغتلم يقول: هو كذا، هو كذا، يهدر في كل شيء.

وسأله رجل عراقي عن رجل وطىء دجاجة ميتة فخرجت منها بيضة فأفقست البيضة عنده عن فرخ، أيأكله؟ فقال مالك: سل عما يكون، ودع ما لا يكون.

وسأله آخر عن نحو هذا، فلم يجبه، فقال له: لم لا تجبني يا أبا عبد الله؟ فقال له: لو سألت عما تنتفع به لأجبتك.

قال ابن المعذَّل: قيل لمالك: إن قريشًا تقول إنك لا تذكر في مجلسك آباءها وفضائلها. فقال مالك: إنما نتكلم فيما نرجو بركته.

قال ابن القاسم: كان مالك لا يكاد يُجيب، وكان أصحابه يحتالون أن يجيء رجلٌ بالمسألة التي يحبون أن يعلموها كأنها مسألة بلوى، فيجيب فيها.

وقال مالك لابن وهب: اتق هذا الإكثار، وهذا السماع الذي لا يستقيم أن يحدث به، فقال له: إنما أسمعه لأعرفه، لأحدث به، فقال له: ما سمع إنسان شيئًا إلا تحدث به، وعلى ذكر القدر وسمعت من ابن شهاب أشياء ما تحدثت بها، وأرجو أن لا أفعل ما عشت.

وروى البياضي عنه أنه قال: لقد ندمت ألا أكون طرحت أكثر مما طرحت من الحديث.

وقال له القاسم بن مَبْرُور: أرأيت يا أبا عبد الله أحاديث تُحدث بها عنك، ليس عليها رأيك، لأي شيء أقررتها؟ فقال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما فعلت، ولكنها انتشرت عند الناس، فإن سألني عنها أحد ولم أحدثه بها، وهي عند غيره اتخذني غرضًا.

قال بشر بن عمر: سألت مالكًا مرة عن رجل فقال: لو كان ثقة لرأيته في كتبي.

وسأله رجل عن مسألة أعيا أهلَ المدينة الجوابُ فيها، فرده ثم عاد، فرده ثلاثًا، فكأنه تهاون بعلم مالك. فأتاه آت في نومه يقول له: أنت المتهاون بعلم مالك؟ ائته فأسأله، فلو كانت مسألتك أدق من الشعر وأصلب من الصخر، لوفق فيها باستعانته «بما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

قال أشهب: رأيت في النوم قائلاً يقول: لقد لزم مالك كلمة عند فتواه لو وردت عليه الجبال لقلعتها. وذلك قوله: «ما شاء الله لا قوة إلا بالله».

قال القعنبي: دخلت على مالك فوجدته باكيًا، فسألته عن ذلك فقال: ومن أحق بالبكاء مني، لا أتكلم بكلمة إلا كُتِبت بالأقلام، وحملت إلى الآفاق.

وقال: وما تكلمت برأيي إلا في ثلاث مسائل.

***

باب صفة مجلس مالك للعلم، ونشره له، وصيانته إياه وتوقيره لحديث النبي ﷺ

قال الفقيه القاضي أبو الفضل عياض رحمة الله عليه قال الواقدي وغيره:

كان مالك يجلس على ضجاع ونمارق مطروحة في منزله يمنة ويسرة لمن يأتي من قريش والأنصار والناس، وكان مجلسه مجلس وقار وحلم، وكان رجلاً مهيبًا نبيلاً ليس في مجلسه شيء من المراء واللغط، ولا رفع صوت، إذا سئل عن شيء فأجاب سائله، لم يقل له: من أين رأيت هذا.

وكان الغرباء يسألونه عن الحديث والحديثين، فيجيبهم الفينة بعد الفينة، وربما أذن لبعضهم فقرأ عليه. وكان له كاتب قد نسخ له كتبه، يقال له حبيب، يقرأ للجماعة، فليس أحد ممن حضر يدنو منه، ولا ينظر في كتابه، ولا يستفهمه، هيبة له وإجلالاً.

وكان حبيب إذا أخطأ فتح عليه مالك، وكان ذلك قليلاً، ولم يكن يقرأ كتبه على أحد.

وكان كالسلطان له حاجب يأذن عليه، فإذا اجتمع الناس ببابه، أمر آذنه فدعاهم، يخص أولاً أصحابه، فإذا فرغ من يخص، أذن للعامة، وهذا هو المشهور من سماع أصحابه أنهم يقرأون عليه، وسيأتي من أخباره ما يعضد هذا كثيرا، إلا أن يحيى بن بكير ذكر أنه سمع الموطأ من مالك أربع عشرة، وزعم أن أكثرها بقراءة مالك، وبعضها بالقراءة عليه.

وعوتب مالك في تقديمه الإذن لأصحابه، فقال أصحابي وجيران رسول الله ﷺ.

قال إسماعيل بن حماد: أتيت مالكًا فرأيته جالسًا في صدر بيته، وأصحابه بجنبتي البيت.

وقال أبو مصعب وابن الضحاك ومطرف والهديري وعبد الملك وابن سلمة وغير واحد من أصحابه: كان جلساء مالك كأن على رءوسهم الطير سمتًا وأدبًا.

وقال ابن حبيب: كان مالك إذا جلس جلسة لم يتحول عنها حتى يقوم.

قال مطرف: وكان مالك إذا أتاه الناس خرجت إليهم الجارية فتقول لهم: يقول لكم الشيخ: تريدون الحديث أو المسائل؟ فإن قالوا: المسائل، خرج إليهم فأفتاهم، وإن قالوا: الحديث: قال لهم: اجلسوا، ودخل مغتسله فاغتسل وتطيب، ولبس ثيابًا جددًا، ولبس ساجة، وتعمم، ووضع على رأسه طويلة، وتلقى إليه المنصة، فيخرج إليهم وقد لبس وتطيب وعليه الخشوع، ويوضع عود، فلا يزال يبخر حتى يفرغ من حديث رسول الله ﷺ.

قال يحيى: كنا نجتمع على بابه فإذا توافينا صرخ الآذن: ليدخل أهل المدينة! ثم ليؤذن لغيرهم، فيدخل عليه، فيسلم، ويسكت، ونسكت ساعة، فإذا رأى منا ازدحاما قال: توقروا، فإنه عون لكم، وليعرف صغيركم حق كبيركم.

ومن رواية أخرى: كان إذنه لنا رفع سطر في أسطوانة، فندخل عليه، وهو قاعد قد ميل رأسه، حتى إذا أخذ الناس مجالسهم رفع رأسه فقال: السلام عليكم. فحسب أنما كان يفعل ذلك، لئلا يقرب بعض الناس على بعض من العلوية أو العثمانية أو غيرهم، فيعتقد عليه ذلك، كان يدعهم حتى

يأخذوا مجالسهم، وكان بعضهم يعرف حق بعض، فإذا قدم الحاج جعل بوابًا على بابه، فيأذن أولاً لأهل المدينة، فإذا دخلوا قال للبواب: تنح.

قال ابن قعنب: ما رأيت قط أشد وقارًا من مجلس مالك، لكأن الطير على رءوسهم.

قال ابن أبي أويس: كان مالك إذا جلس للحديث توضأ، وجلس على صدر فراشه، وسرح لحيته، وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة، ثم حدث. فقيل له في ذلك، فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ، ولا أحدث به إلا على طهارة، متمكنًا.

وكان يكره أن يحدث في طريق قائمًا أو مستعجلاً، وقال: أحب أن أفهم حديث رسول الله ﷺ.

قال ابن المنذر: كان مالك لا يوسع لأحد في حلقته، ولا يرفعه، يدع أحدهم يجلس حيث انتهى به المجلس.

قال مطرف وإسماعيل: قال ابن أبي أويس: كان مالك إذا جلس للحديث قال: ليليني منكم ذوو الأحلام والنهى.

قال إسماعيل: فربما قعد القعنبي عن يمينه.

قال: ولم يكن يجلس على المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله ﷺ.

قال أبو مصعب: كان مالك لا يحدث إلا على وضوء إجلالاً منه لحديث رسول الله ﷺ.

قال مصعب بن عبد الله: كان مالك إذا سئل الحديث تهيأ وتوضأ، ولبس ثيابه، فقيل له في ذلك، فقال: إنه حديث رسول الله ﷺ.

قال عبد الله بن المبارك: كنت عند مالك وهو يحدثنا، فلدغته عقرب ستة عشر مرة، ومالك يتغير لونه، ويصبر، ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ.

فلما فرغ من المجلس، وتفرق الناس، قلت يا أبا عبد الله! لقد رأيت منك اليوم عجبًا. قال: إنما صبرت إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ.

وقال يحيى بن يحيى الأندلسي: كنت جالسًا عند مالك، فوقعت على رأسه وزغتان فمرتا على قلنسوته، ثم دنتا إلى عنقه حتى دخلتا من تحت طوقه، حتى خرجتا من تحت ثيابه، وما نفضهما، وما حل حبوته.

قال مصعب الزبيري: كان حبيب يقرأ على مالك، وأنا على يمينه وأخي عن شماله، وهو أقرب إلى مالك، وكان أسن مني.

وكان حبيب يقرأ لنا في كل عشية من ورقتين، إلى ورقتين ونصف، لا يبلغ ثلاثًا، والناس ناحية، لا يدنون ولا ينظرون، فإذا خرجنا جاءنا الناس، فعارضوا كتبهم بكتبنا.

قال: وجئنا يومًا إلى أبينا بالعرصة لنقيم عنده ونصير بالعشي إلى مالك، فأصابنا سماء يومًا، فلم نأته تلك العشية، فلم ينتظرنا، وعرض عليه الناس، فأتيناه من الغد، فقلنا يا أبا عبد الله! أصابتنا أمس سماء شغلتنا عن حضور العرض، فاردد علينا. قال:

- لا. من طلب هذا الأمر صبر عليه.

قال جعفر بن إبراهيم: كلم صديق لأبي مالكًا أن أسمع منه، فأذن، فكنت اختلف إليه وأنا مدل بنسبي من الرسول عليه الصلاة والسلام، وموضعي، فأتخطى الناس إلى وساد مالك، فلا يتزحزح عنها، ويريني أنه

لم يرني احتقارًا لي، فشكوت ذلك إلى أبي وغيره، فبعثوا إليه ليسألوه إكرامي وأثرتي، فقال للرسول:

- ما هو عندنا وغيره إلا سواء، إنما هي - عافاك الله - مجالس العلم، السابق إليها أحق بها، فكنت آتي وقد أحدق المجلس، فما يوسع لي، فأستدني حيث وجدت.

قال ابن وهب: كنا إذا جلسنا إلى مالك، فإنما يتساءل الناس بينهم، فإذا اختلفوا وأرادوا أن يرفعوه إلى مالك، فإنما يضم إليه رجل واحد بخفض الصوت مع الإجلال والهيبة، فيقول:

- ما تقول أصلحك الله في كذا وكذا؟

فإن كان الرافع المصيب، قال له: وفقك الله، وإن كان الآخر، قالها له، فأيهم ناداه بالتوفيق علم أنه المصيب.

قال عبد الرزاق: بينا نحن في المسجد الحرام، فقيل لنا: هذا مالك، فلقيناه داخلاً من باب بني هاشم، وعليه رداء وقميص صنعاني، فطاف بالبيت وخرج ناحية الصفا، فصلى ركعتين ثم احتبى، فلما فرغ احتوشناه كما يصنع أصحاب الحديث. فلما جلسنا قام من بيننا كالمغضب، فجئنا مشايخنا، فقالوا: أي شيء كتبتم عن مالك؟ فأخبرناهم بالذي فعل، فقالوا: الذي فعلتم لا يحتمله مالك، فلما كان من الغد، جئنا واحدًا واحدًا، وعلينا السكينة، فحدثنا، وقال: الذي فعلتم أمس فعل السفهاء.

قال خالد بن نزار: سألت مالكًا عن شيء - وكان متكئًا - فقال: «حدثني يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب».

ثم استوى جالسًا وتخلل بكساء وقال: استغفر الله! فقلت له في ذلك، فقال: إن العلم أجل من ذلك، ما حدثت عن رسول الله ﷺ وأنا متكىء.

قال ابن بكير: قام رجل إلى مالك فقال له: أعرض؟ قال: نعم، فقال: أحدثكم ابن شهاب عن سالم؟ فقال له مالك: أنت ثقيل، يقوم غير هذا. فقام آخر فقال: حدثكم ابن شهاب، بلا استفهام، فقال مالك: أحسنت، مثل هذا فليعرض.

ودخل بقية بن الوليد على مالك، فقال الناس: اليوم ننتفع بأبي محمد، يسأل مالكًا مسائل نكتبها عنه، فسأله عن ست مسائل، فأجابه فيها كلها، وسأله بعد ذلك عن مسألة، فقال له مالك: أكثرت، خذوا بيد الشيخ، فجاء نفسان، فأخذا بضبعه فأخرجاه.

قال ابن المنذر: كانت لمالك حلقة يجالسه فيها فقهاء المدينة، ولم يكن يوسع لأحد ولا يرفعه، يدع أحدهم يجلس حيث انتهى به المجلس.

حكى الزبير عن عمه مصعب وغير واحد: أن هارون لما حج أتى مالكًا فأستأذن عليه، فحجبه، ثم أذن له، وفي رواية بعضهم: ثم خرج إليه، فلما دخل عليه قال: يا أبا عبد الله! ما حملك على أن أبطأت، وقد علمت مكاني؟ وفي رواية: حبستنا ببابك. قال: والله يا أمير المؤمنين ما زدت على أن توضأت، وعلمت أنك لا تأتي إلا لحديث رسول الله ﷺ، فأحببت أن أتأهب له. فقال: قد علمت أن الله ما رفعك باطلاً، وأخذ بيده ومضى إلى قبر النبي ﷺ فقال: أخبرني عن مكان أبي بكر وعمر من النبي ﷺ؟ فقال: كان محلهما منه في حياته كمحلهما منه بعد وفاته.

قال هشام بن عيسى: لما قدم هارون المدينة دعا مالكًا، فقال له مالك:

منكم خـرج هذا العـلم، وأنتم أولى الناس بإعظامـه، ومـن إعظامكم له ألا تدعوا حملته إلى أبوابكم. قال: قد فعلت يا أبا عبد الله.

قال بعضـهم: حج المهدي فدخل المدينة، فسار إليه مـالك، فأظهر من بره وإعظامه، وأمر ابنيه مـوسى وهارون أن يسمعا منه كتبه، فبـعثوا إليه فلم يصل إليهم، فأعلموا المهدي فبعث إليه:

- لم لم تأتهم؟

فقال: يا أمير المؤمنين! العلم أهل أن يوقر ويؤتى.

قال: صدق، سيروا إليه.

فلما حضروه قالوا: اقرأ علينا.

قال: إن هذا البلد إنما يقرأ فيه على العالم كما يقرأ الغلام على المعلم، فإذا أخطأ أفتاه.

فانصرفوا عنه وأعلموا المهدي، فبعث إليه فقال:

- امتنعت أن تسير إليهم فساروا إليك، فامتنعت أن تقرأ عليهم.

قال: يا أمير المؤمنين! سمعت ابن شـهاب يقول: جمعنا هذا العلم من رجال في الروضة، وهم سـعيد بن المسيب، وأبو سلمـة، وعروة، والقاسم، وسالم، وخارجـة، وسليمان، ونافع، ثم نقل عـهم ابن هرمز، وأبو الزناد، وربيعـة، والأنصار، وبحـر العلم ابن شهـاب، وكان هؤلاء يقرأ عـليهم ولا يقرأون.

قال المهدي: اذهبوا فاقرأوا، ففي هؤلاء قدوة.

فكان مؤدبهم يقرأ لهم.

وفي رواية ابن نافع في هذا الحديث: لما دخل مالك على هارون رفع مجلسه، وقال لابنيه: قوما فاجلسا بين يدي عمكما.

فقاما فجلسا بين يدي مالك، فقال: حدثهما.

فتغير وجه مالك، ثم التفت إلى هارون فقال:

- إن الله رفعك وجعلك في موضعك الذي أنت فيه للعلم، فلا تكن أول من يضع عز العلم فيضع الله عزك.

والتفت هارون إلى ابنيه وقال لهما: قوما، فإذا مضى عمكما فأتيا منزله فاسمعا منه.

فلما انصرف مالك ركبا إليه، ونزلا، ودقا الباب، فلم يفتح لهما، فجلسا على الباب والريح تضرب وجوههما بتراب العقيق، فلما أيسا انصرفا.

قال بعضهم: قدم الرشيد المدينة ومالك عليل، فبعث إليه أن يأتيه ليسأله عن مسألة، فقال: أنا عليل. فقال: لا بد من لقائك.

ووجه إليه محفة وحمله على أيدي الخدم، فلما دخل قام إليه الفضل ابن الربيع فسأله عن مسألة، فقال مالك:

يا وغد! إليك حملت؟ لأخبرن أمير المؤمنين.

فأكب عليه الفضل يقبله ويستعطفه، فلما دخل إلى هارون سأله عما أراد.

وقال مطرف وابن نافع وغيرهما - وبعضهم يزيد على بعض -: لما قدم هارون المدينة وجه إلى مالك، البرمكي، وقال له: قل له:

- احمل لي الكتاب الذي صنفته حتى أسمعه منك، فوجد من ذلك مالك، واغتم، وقال للبرمكي:

أقرئه السلام، وقل له: العلم يزار ولا يزور، وإن العلم يؤتى ولا يأتي. فرجع البرمكي إلى هارون فأخبره بذلك فغضب، وأشار عامة أصحاب مالك أن يأتي هارون.

وقال البرمكي للرشيد: يبلغ أهل العراق أنك وجهت إلى مالك فخالفك! اعزم عليه حتى يأتيك.

فإذا بمالك قد دخل عليه، فسلم، وليس معه كتاب، فقال له هارون في ذلك، فقال مالك:

يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى بعث إلينا محمدًا ﷺ، وأمر بطاعته واتباع سنته، وأن نرعاه حيًا وميتًا، وقد جعلك في هذا الموضع لعلمك، فلا تكن أنت من وضع العلم فيضعك الله. الله الله! لقد رأيت من ليس هو في حسبك ولا نسبك من الموالي وغيرهم يعز هذا العلم ويجله ويوقر حملته، فأنت أحرى أن تجل علم ابن عمك.

ولم يزل يعدد عليه حتى بكى، ثم قال له:

حدثني الزهري، وذكر حديث زيد بن ثابت: «كنت أكتب بين يدي رسول الله ﷺ: «لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله» وابن أم مكتوم عند النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! قد أنزل الله تعالى في فضل الجهاد ما أنزل، وأنا رجل ضرير، فهل لي من رخصة؟ فقال رسول الله ﷺ: ما أدري. قال زيد: وقلمي رطب لم يجف حتى غشي النبي ﷺ الوحي، ووقع فخذه على فخذي فكادت تندق من ثقل الوحي، ثم خلى عنه فقال: اكتب يا زيد: «غير أولى الضرر».

فيا أمير المؤمنين! هذا حرف واحد بعث فيه جبريل والملائكة من مسيرة خمسين ألف عام حتى أنزل على نبيه، أفلا ينبغي لي أن أجله وأعزه؟

قال: فقال هارون: قم بنا إلى منزلك.

فأتى هارون منزل مالك، فدخل مالك واغتسل ولبس ثيابًا جددًا وتطيب ووضع مجامير فيها عود وجلس، فقال هات.

فقال هارون: تقرأ علي.

فقال: ما قرأت على أحد منذ زمان.

قال: فأخرج عني الناس حتى أقرأه عليك.

فقال مالك: إن العلم إذا منع من العامة لأجل الخاصة لم تنتفع به الخاصة.

قال: فأمر بعض أصحابه يقرأه، فأمر المغيرة فقرأه له على مالك.

وفي رواية أن الذي قرأه له: معن.

قال: فكان هارون قد استند إلى جنب مالك، فلما بدأ يقرأ له قال: يا أمير المؤمنين، من تواضع لله رفعه الله.

وفي رواية أبي مصعب: من إجلال الله إجلال ذوي الشيبة المسلم، فقام فقعد بين يديه، فلما فرغ عاد إلى مكانه.

قال مالك: لما كان بعد مدة قال لي الرشيد: تواضعنا لعلمك فانتفعنا به، وتواضع لنا علم سفيان بن عيينة فلم ننتفع به، وكان يأتيهم فيحدثهم.

قالوا وكان رجل قرشي ينتقص مالكًا ويقول: بأي شيء هو أكبر منا؟ فلما قدم هارون وجلس الناس، قالوا له:

هذا هارون، ومالك يدخل، وأنت تدخل فافعل ما يفعل، وأرسلوا معه من ينظر، ثم فتقدم مالك وسلم فقال:

السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، عمك مالك بن أنس أين يجلس؟

قال: ها هنا يجلس.

وأقبل الرجل خلفه فقبل يدي هارون.

فقال هارون لمالك: إن رأيت أن تأتي ولدك فتحدثهم، يعني أبناء هارون.

قال: فما رد عليه مالك شيئًا حتى خلا من عنده، فتحول إليه فقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تكون أول من أجرى على يديك ذل العلم.

قال: وما ذاك؟

قال: أدركت أهل العلم يؤتون ولا يأتون.

فقال له: أصبت بل يأتوك.

وخرج مالك فقال هارون: هذا الذي تلومونني فيه، ما رأيت رجلاً أعقل منه، قلت له آنفًا، فلم يرد على شيئًا كراهية أن يخرج منه شيء في ذلك الجمع، فلما خلوت خرج لي عما في نفسه، مُرُوا له بكذا وكذا جائزة.

فكانوا بعد يقولون للقرشي: كيف ترى؟ فيقول: ذلك رجل معصوم.

قال مطرف: دخل مالك على هارون في بعض حاجته، فقال له هارون: أريد أن تأتيني تقرأ على كتبك.

فقال مالك: العلم يؤتى ولا يأتي.

قال: فأرسل إلي من ينسخها[1].

قلت: نعم.

(١) في طبعة المغرب «من نسخها، قال: نعم».

قال ابن مهدي: مشيت مع مالك يومًا إلى العقيق من المسجد، فسألته عن حديث، فانتهرني، وفي رواية فالتفت إلي وقال لي:

كنت في عيني أجل من هذا، تسألني عن حديث رسول الله ﷺ ونحن نمشي؟

فقلت إنا لله، ما أراني إلا وقد سقطت من عينه، فلما قعد في مجلسه بعدت منه، فقال: ادن ها هنا فدنوت، فقال:

قد ظننت أنا أدبناك، تسألني عن حديث رسول الله ﷺ وأنا أمشي! سل عما تريد هاهنا.

قال ابن مهدي: وسألوا مالكًا بالموسم وهو قائم فلم يحدثهم.

قال أبو مصعب: وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فأمر بحبسه، فقيل له: إنه قاض، فقال: القاضي أحق أن يؤدب، احبسوه. فحبس إلى الغد.

قال عبد الله بن صالح: كان مالك والليث لا يمسان الحديث إلا وهما طاهران.

وقال الفَرْوِي[1]: كان مالك إذا جلس معنا كأنه واحد منا، ينبسط معنا في الحديث، وهو أشد تواضعًا منا له، فإذا أخذ في الحديث تهيبنا كلامه كأنه ما عرفنا ولا عرفناه.

ولما حج هاشم بن جريج، وهو حدث، أتى مالك بن أنس، وقد رحل الناس، بورقتين من حديث، فقال له: اقرأ هذه الأحاديث فقد مضى الناس. فقال مالك: ينتظر أحدكم حتى إذا رحل الناس، جاء فقال: اقرأ لي فقد رحل الناس.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «القروي» بالقاف، ولدى السمعاني في ترجمة أنه من ثقات أهل المدينة، يروى عن مالك بن أنس.

فالتفت هاشم إلى مالك فقال: أصلحك الله! إن تكن حاجة أو أمر تأمر به انتهيت إلى طاعتك، ووقفت عند أمرك، وفرحت بذلك في نادي قومي، وسدت به على عشيرتي. أستودعك الله، فإن طاعتك فرض، وقولك حكم، أستودعك الله.

فلما ولى قال مالك: مثل هذا طلب العلم، ردوه. فبعث في طلبه فأتى به فقرأ له ثم انصرف.

قال الفَرْوِي: لما كثر الناس على مالك قيل له:

لو جعلت مستمليًا يسمع الناس؟

قال: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ ... ﴿٢﴾﴾ [الحجرات] وحرمته حيًا وميتًا سواء.

قال ابن مهدي: ما أدركت أحدًا إلا يخاف هذا الحديث إلا مالكًا وحماد بن زيد، فإنهما كانا يجعلانه من أعمال البر. وكان مالك يقول: لا ينبغي لأحد عنده علم أن يترك التعليم.

قال مطرف: حضرت مالكًا يأتيه الرجل بالدفتر فيسأله أن يجيز له فيفعل.

وروى ابن وهب عنه، أنه رآه مرة فعله، ومرة كرهه، وأجاز المناولة.

وقد كتب ليحيى بن سعيد الأنصاري مائة حديث لابن شهاب، فقيل له: أقرأها عليك؟ قال: كان أفقه من ذلك.

قال مصعب: وسأله المهدي أن يسمع منه كتبه، فقال له: هذا شيء يطول عليك، ولكن أكتبها لك، وأصححها، وأبعث بها إليك.

وكان أكثر أمله أن يقرأ عليه ولا يقرأ.

قال مطرف: صحبت مالكا تسع عشرة سنة، فما رأيته قرأ على أحد كتاب الموطأ، وسمعته يأبى أشد الإباء على من يقول: لا يجزيء العرض.

وزعم ابن بكير أنه سمع الموطأ من مالك بقراءة نفسه غير مرة.

وقال لمالك غير واحد: أرأيت ما قرأته عليك، أنقول فيه: حدثنا وأخبرنا؟

قال نعم. ألست فرغت لكم نفسي وأقمت سقطه وزلله؟

قيل له: فيجوز لمن حضر أن يقول ذلك؟

قال: نعم؟

وفي سماع ابن وهب: سأل رجل مالكًا عن الكتاب يعرض عليك، ثم ينقلب به صاحبه فيبيت عنده، أيجوز أن أحدثه؟

قال: نعم.

وقال مالك، في سماع ابن القاسم وابن وهب وغيرهما: العرض أعجب إلي من السماع وأثبت، إذا كان الذي يقرأ يتثبت.

واستعدى عليه رجل خراساني، قاضي المدينة، فقال:

جئت من خراسان، ونحن لا نرى العرض، وأبى مالك أن يقرأ علينا.

فحكم القاضي على مالك أن يقرأ له.

فقيل له: أصاب الحق؟

قال: نعم.

قال الحارث بن مسكين، كلم بعض الهاشميين مالكًا في أيام الموسم أن يعرض عليه، فأبى، وقال:

هي أيام الحج، فإذا انقضت، فإن شئت عرضت بعد.

فغضب وقال: قد أرادك هارون أمير المؤمنين على هذا فأجبته.

قال له مالك: قد أرادني فما فعلت.

قال القطان: قراءة ابن مهدي على مالك كالحديث، لأنه كان يقول: سمعت فلانًا يقول: سمعت فلانًا يقول.

قال ابن المديني: قلت ليحيى: كان مالك يملي عليك؟

قال: كنت أكتب بين يديه.

قال مصعب: كان مالك يرى الرجل يكتب عنده فلا ينهاه، ولكن لا يرد عليه ولا يراجعه.

وقال أشهب: عاب مالك الكتاب للعلم، وقال: لم أدرك أحدًا يفعله، إنما كانوا يحفظون.

قال القطان: دخلت المدينة سنة أربع وأربعين، ومالك أسود الرأس واللحية، والناس حوله سكوت لا يتكلم أحد هيبة له، ولا يفتي أحد في مجلس الرسول ﷺ غيره، فجلست بين يديه فسألته فحدثني، فراددته فراددني، ثم غمزني بعض أصحابه فسكتُّ[1].

قال معن: كان مالك يتقي في حديث رسول الله ﷺ الياء والتاء ونحوهما.

وروى عنه ابن عمير مثله.

ذكر ابن وهب قال: لما أتيت عبد العزيز بن الماجشون لأسمع منه قال لي:

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «فسكتت».

إياك أن تعلم مالكًا أنك تأتيني فلا يحدثك.

كأنه يعلم أنه يغمزه.

قال إسماعيل قال حماد بن أبي حنيفة: أتيت مالكًا فرأيته جالسًا في صدر بيته، وأصحابه بجنبتي الباب، كل واحد منهم له مجلس، فقمت على باب البيت. قال: من أنت؟ قلت: فلان، أسأله عن مسألة. قال: ادن، حتى أقعدني بين يدي فراشه، فلما رأى ذلك أصحابه قاموا جميعًا من مجالسهم فخرجوا من البيت، فقال لي: ما كان أبوك يقول في كذا؟ فأخبرته، فقال: وما كانت حجته؟ فأعلمته.

وجعل يسألني عن أشياء من مذهب أبي حنيفة وعن حجته، ثم قال: سل، فسألته، فأجابني، فلما خرجت عاد أصحابه إلى مجالسهم.

قال الحسن بن الربيع البُورَانِيّ[1]: كنت على باب مالك، فنادى مناديه: ليدخل أهل الحجاز، فما دخل إلا هم، ثم نادى في أهل الشام، ثم في أهل العراق، فكنت آخر من دخل وفينا حماد بن أبي حنيفة فقال: السلام عليكم ورحمة الله.

قال: فأوما الناس إليه بأيديهم أن اسكت، فقال: أفي الصلاة نحن فلا نتكلم؟

فسمعت مالكًا يقول: أستخير الله، مرتين، ثم قال: أخبرنا نافع، فحدث بعشرين حديثًا، ثم قال: أخرجوهم فأخذتنا المقارع.

قال الشافعي: قرأت الموطأ على مالك، ولم يكن يقرأ عليه إلا من فهم العلم، وجالس أهله، وكنت قد سمعت من ابن عيينة والزنجي وغيرهما من المكيين، ولم يبلغ أحد في العلم مبلغ مالك، لحفظه وإتقانه وصيانته.

(١) بضم الموحدة، قيده صاحب التقريب، وتحرف في طبعة المغرب إلى: «البواري».

قال عبد الله بن مطيع: أتينا مالكًا فحدثنا بأحاديث، فاستزدناه، فقال: حسب، فأخذتنا المقارع.

وسأله رجل مالكًا عن مسألة فلم يجبه، فقال له: لم لا تجبني؟ فقال: لو سألت عما تنتفع به أجبتك.

قال الشافعي: استأذنت على مالك، وكنت أريد أن أسمع منه حديث السقيفة، فقلت: إن جعلته أولاً خشيت أن يستطيله ولم يحدثني، وإن جعلته في آخر، خشيت ألا أبلغه، فجعلته بعد عشرة أحاديث، فأخذت أسأله، فلما مرت عشرة قال: حسبك. فلم أسمعه.

قال بشر بن آدم: سأل الأغضف مالكًا عن مسألة، ثم عن أخرى فلم يجبه، فقال له: ولم؟ فقال مالك: يا غلام! خذ بيده فاذهب به إلى السجن، قال: إني قاضي أمير المؤمنين، قال: ذلك أهون لك، قال: لا أعود، قال: خل سبيله.

قال إسماعيل بن بنت السدي: سألت مالكًا عن حديث رسول الله ﷺ أنه رمل من الحجر إلى الحجر، فقلت: إسناده؟ فقال: جروا برجله.

قال إسماعيل القواريري: دخلت على مالك فسألته الحديث فحدثني أظنه باثني عشر حديثًا، فاستزدته، وكان سودان قيام على رأسه، فإذا هم حملوني وأخرجوني من داره، فرموا بي في الطريق، أو نحو هذا.

قال ابن حارث: دخل ابن المبارك وأصحابه على مالك فقالوا يا أبا عبد الله! حدثنا، ولا تحدثنا إلا بحديث الزهري، فقال مالك: يؤخذ بأيديهم ويقاموا عني. فقام القوم، فلما كان من الغد قال ابن المبارك لأصحابه: إن مالك بن أنس لا يضره أن لا تسمعوا منه شيئًا، فعودوا إلى الرجل، فدخلوا عليه فلما أخذوا مجالسهم أعتبهم، وحدثهم من حديث الزهري كما أرادوا.

قال أبو مسهـر: كان مالك يسأله عن مسألة وثانيـة، فإذا سئل عن ثالثة قال: خذوا بيده فأخرجوه.

قال ابن مـهدي: لما أراد يحـيى بن أبي زائدة الحج، كلم عبـد الله بن إدريس أن يكتب له كتابًا إلى المدينة يسمع منه، وكانـت بينهما مودة، ففعل، وكان يسمع منه إذ جاءه يومًا رجل فقال:

يا أبا عبد الله! ما تقول في رجل أوصى لعبده بمائة درهم؟

فقال مالك: الوصية جائزة.

فقال له يحيى: يا أبا عبد الله! يوصي بماله لماله؟

فنظر مالك إلى من عنده فقال: ﴿ ... وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ... ﴿٣٠﴾ ﴾ [محمد] لا تعد إلي.

***

باب ذكر ما كان رزقه مالك في العلم من نباهة القدر والهيبة والمجد

قال القاضي رضي الله عنه: قال زياد بن يونس: ما رأيت قط عالمًا ولا عابدًا ولا شاطرًا ولا واليًا أهيب من مالك رحمه الله تعالى.

وقال ابن الماجشون، دخلت على أمير المؤمنين المهدي فما كان بيني وبينه إلا خادمه، فما هبته هيبتي مالكًا.

وقال مثله الدراوردي:

قال سعيد بن أبي مريم: ما رأيت أشد هيبة من مالك، لقد كانت هيبته أشد من هيبة السلطان.

وقال مصعب الزبيري ما رأيت قط أهيب من مالك إلا الخليفة.

وقال سعيد بن أبي هند: ما هبت أحدًا هيبتي عبد الرحمن بن معاوية يريد ملك الأندلس، حتى حججت فدخلت على مالك فهبته هيبة شديدة صغرت هيبة ابن معاوية.

قال ابن أبي أويس وأبو مصعب: ما كان يتهيأ لأحد بالمدينة أن يقول: قال رسول الله ﷺ، إلا حبسه مالك، فإذا سئل فيه قال: يصحح ما قال ثم يخرج.

قال إسماعيل: ولقد كان ابن كنانة وابن أبي حازم والدراوردي وغيرهم سمعوا مع مالك من مشايخ، وتركوا الحديث عنهم هيبة له حتى مات، ففشى ذلك فيهم.

قال الأصمعي ما هبت عالمًا قط ما هبت مالكًا، حتى لحن فذهبت هيبته

من قلبي، فقلت له في ذلك، فقال: كيف لو رأيت ربيعة؟ كنا نقول له: كيف أصبحت؟ فيقول: بخيرا بخيرا.

قال ابن وهب: قدمت المدينة فسألني الناس أن أسأل لهم مالكًا عن الخنثى وقد اجتمعوا إليه، وكنت أنا الذي أسأل لهم، فهبت أن أسأله، وهابه كل من في المجلس أن يسأله.

قال هشام بن عمار: دخلت المدينة فأتيت مالك بن أنس، فلما وقع بصري عليه هبته حتى ضربت على خاصرتي.

قال الشافعي: ما هبت أحدًا قط هيبتي مالك بن أنس حين نظرت إليه.

وقيل كان الثوري في مجلسه، فلما رأى إجلال الناس له، وإجلاله للعلم أنشد:

يأبي لجواب فلا يراجع هيبة ... فالسائلون نواكس الأذقان

أدب الوقار وعز سلطان التقى ... فهو المهيب وليس ذا سلطان

قال ابن حنبل: كان مالك مهيبًا في مجلسه، لا يرد عليه إعظامًا له.

قال الشافعي: كان محمد بن الحسن إذا حدث بالعراق عن مالك امتلأ منزله حتى يضيق بهم الموضع، وإذا حدثهم عن غيره من شيوخ الكوفة لم يحبه[1] إلا اليسير، فكان يقول: ما أعلم أحدًا أسوأ ثناءًا منكم على أصحابكم.

قال بكر بن الشرود وغيره، والمعنى متقارب: أتينا مالك بن أنس فجعل يحدثنا عن ربيعة، ونحن نستزيده من حديثه، فقال لنا ذات يوم: ما تصنعون بربيعة وهو قائم في ذلك الطاق، فأتينا ربيعة فأنبهناه، وقلنا له: أنت ربيعة

(١) في طبعة المغرب: «لم يمتلئ».

الذي يحدث عنك مـالك؟ قال: نعم. قلنا له: كـيف حظي بك مالك، ولم تحظ أنت بنفسك؟ فقال: أما علمتم أن مثقالاً من دولة خير من حمل علم.

قال ابـن حارث: كـان مالك يجل العلم الذي عنده إجـلالاً عظيـمًا، ويصون نفسه عن جميع الوجوه التي تنقص وإن قلت، وكان مهيبًا شديدًا.

قال يحيى بن حسـان: كتبت عن مالك يومًا ثمانيـة أحاديث، فسررت بها سرورًا كثيرًا.

وقال بشر الحـافي: حدثنا مالك، وأستغـفر الله، إن من زينة الدنيا أن يقول الرجل: حدثنا مالك.

قال حبـيب: رأيت مالكًا منصرفًا من عند المهدي، مـا يمر بأحد إلا قام إليه وذكر الله، قال: فذكرت الحديث الذي جاء: إذا رؤوا ذكر الله.

قال غـيره: كـان مالك يسأل عن المـغازي الضحـاك بن عثـمان، وابن كنانة، ثم يتحدث عنهمـا في مجلسه، فيبتدىء الناس يكتبونـها عنه، ويكتبها معهم الضحاك وابن كنانة، وأكثرها إنما سمعه منهما.

قال القـعنبي: ما أحسب بلغ مـالك ما بلغ إلا بسـريرة كانت بينه وبين الله تعالى، رأيته يقام بين يديه الرجل، كما يقام بين يدي الأمير.

قال إسماعيل بن يعقوب السـهمي: كنت مع مالك بن أنس يومًا جالسًا عند بروز أهل الموسم، فجلس إليـه رجل عراقي فسأله عن مسـألة، فأجاب، ثم سأله مرة أخرى فأجاب، ثم سأله فـأبى أن يجيب، فقال له: قد أنفقت، وجئت هذا الوجه وأنا مسترشـد، فأرشدوني فقال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: لا إيمان لمن لا حياء له. فقال العراقي: وأنا قد بلغني أن النبي ﷺ قال:

إذا كثف وجه الرجل رق دينه، فوثب إليه جماعة من جلساء مالك فنزعوا عمامته وطرحوها في رقبته وخنقوه بها.

قال أشهب: عاد مالك محمد بن علي من علة، فصارت له بعيادة مالك وجهة في الناس.

قال عبد الله بن نافع الزبيري: كنت أقرأ على نافع بن أبي نعيم بعد الصبح، فرفعت صوتي فزجرني وقال: أما ترى مالكًا؟ وهو أول ما عرفت به مالكًا.

وروي هذا أيضًا عن ابن وهب.

قال يونس بن تميم: قدمت المدينة سنة ستين ومائة، فأتيت مالكًا، فلما نظرت إليه هبته، فلم أتقدم إليه، ورأيت الناس يهابونه، فأقمت أتردد عشرة أيام، فشكوت ذلك لبعض أهل المدينة فقال لي: أعط كاتبه يسأل لك عما أحببت، وأما أنت فلا أحسب تتهيأ لك مسائلته، لأنه أهيب من ذلك في صدور الناس.

قال عبد الله العباسي: كان أهل المدينة إذا مات لهم ميت يقولون: امضوا بنا إلى مالك يعزينا.

قال مصعب: رأيت مالكًا على ضجاع لا يقعد معه أحد، وقريش قعود فإذا جاءه رجل من بني هاشم، ثنى رجله وأجلسه على ضجاعه، فيقبل عليه ولا يلتفت إلى أحد حتى يفرغ.

قال التستري: وهذا في غير مجلس العلم.

وقد قيل إن المخزومي كان ممن يجلس معه على فراشه.

قال بعضهم: سعى ابن أبي الزناد بمالك إلى بعض أمراء المدينة، فأتاه

مالك ليلا يسأله أن يكف عنه، فأدخله حجلته، فعجب الناس منه كيف ائتمنه على حرمه لما بينهما، ومضى إلى الوالي ورجع فقال: قد كفيته، ثم لم يعد مالك إلى كلامه حتى مات.

قال بعض الحسينيين: كنت مقيمًا عند أهلي أيام ابتنائي بها، فأتاني مالك وأنا مع أهلي في الحجلة، فأستأذن، فكرهت أن أحبسه في الباب إلى أن أباعد أهلي، فخرجت من الحجلة وأرخيت الستر على وجه زوجتي، وقعدت بين يدي الحجلة، وأذنت له فدخل وجلس ثم قال:

- إن هذا - يعني الأمير - قد حبس غلامي، أخذه العسس فامض إليه حتى يطلقه. فهبت أن أخبره بموضع زوجتي، أو أراجعه، فتركته جالسًا وخرجت إلى الأمير، فأطلق غلامه وجئت به، فلما رآني مالك آخذًا بيد الغلام، تلقاني وانتزع الغلام وخرج متوكئا عليه، والله ما قال لي: أحسن الله جزاءك.

***

باب اتباعه السنن وكراهيته المحدثات، وبعض ما روي عنه في عقائد أهل السنة والكلام في أهل الأهواء

قال الفقيه القاضي رضي الله تعالى عنه: كان مالك كثيرًا ما يتمثل:

وخير أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع

قال ابن حنبل: مالك أتبع من سفيان.

وقال ابن حنبل: إذا رأيت الرجل يبغض مالكًا فاعلم أنه مبتدع.

قال أبو داود: أخشى عليه البدعة.

وقال ابن المهدي: إذا رأيت الحجازي يحب مالك بن أنس فاعلم أنه صاحب سنة، وإذا رأيت أحدًا يتناوله، فاعلم أنه على خلاف.

قال إبراهيم ابن يحيى بن بسام: ما سمعت أبا داود لعن أحدًا قط إلا رجلين، أحدهما رجل ذكر له أنه لعن مالكًا، والآخر بشر المريسي.

قال معن: انصرف مالك يومًا إلى المسجد وهو متكىء على يدي، فلحقه رجل يقال له أبو طريدة يتهم بالأرجاء، فقال: يا أبا عبد الله! اسمع مني شيئًا أعلمك به وأحاجك وأخبرك برأي.

فقال: احذر أن اشهد عليك.

قال: والله ما أريد إلا الحق، اسمع فإن كان صوابًا فقل: إيه، أو فتكلم.

قال: فإن غلبتني؟ قال: اتبعني. قال: فإن غلبتك؟ قال: أتبعك.

قال: فإن جاء رجل فكلمناه فغلبنا؟ قال: اتبعناه.

فقال له مالك: يا أبا عبد الله! بعث الله محمدًا بدين واحد، وأراك

تنتقل، وقال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه عرضًا للخصومات أكثر التنقل.

وقال مالك: ليس الجدال في الدين بشيء.

وقال مالك: المراء والجدال في العلم يذهب بنور العلم من قلب العبد.

وقال: إنه يقسي القلب ويورث الضغن.

قال الزهري: رأيت مالكًا، وقومًا يتجادلون عنده، فقام ونفض رداءه وقال: إنما أنتم حرب.

قال الهيثم بن جميل: قيل لمالك: الرجل له علم بالسنة يجادل عنها؟

قال: لا، ولكن يخبر بالسنة فإن قبل منه وإلا سكت.

قال أبو طالب المكي: كان مالك أبعد الناس من مذاهب المتكلمين، وأشدهم بغضًا للعراقيين، وألزمهم لسنة السالفين من الصحابة والتابعين.

قال سفيان بن عيينة: سأل رجل مالكًا فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، كيف استوى يا أبا عبد الله؟ فسكت مالك مليًا حتى علاه الرحضاء، وما رأينا مالكًا وجد من شيء وجده من مقالته، وجعل الناس ينتظرون ما يأمر به، ثم سري عنه فقال:

- الاستواء منه معلوم، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإني لأظنك ضالاً، أخرجوه!

فناداه الرجل يا أبا عبد الله، والله الذي لا إله إلا هو، لقد سألت عن هذه المسألة أهل البصرة والكوفة والعراق فلم أجد أحدًا وفق لما وفقت له.

قال أبو مصعب: قدم علينا ابن مهدي، فصلى ووضع رداءه بين يدي

الصف، فلما سلم الإمام رفعه الناس بأبصارهم، ورمقوا مالكًا، وكان قد صلى خلف الإمام، فلما سلم قال: من ها هنا من الحرس؟ فجاء نفسان، فقال: خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه، فحبس، فقيل: له ابن مهدي. فوجه إليه وقال له:

- أما خفت الله واتقيته أن وضعت ثوبك بين يديك في الصف وأشغلت المصلين بالنظر إليه، وأحدثت في مسجدنا شيئًا ما كنا نعرفه، وقد قال النبي ﷺ: «من أحدث في مسجدنا حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»؟.

فبكى ابن مهدي، وآلى على نفسه أن لا يفعل ذلك أبدًا في مسجد النبي ﷺ ولا في غيره.

وفي رواية ابن مهدي، قال: فقلت للحرس: اذهبا بي إلى أبي عبد الله. قالا: إن شئت، فذهبا بي إليه، فقال: يا أبا عبد الرحمن، تصلي مستلبًا؟

فقلت: يا أبا عبد الله إنه كان يومًا حارًا كما رأيت، فثقل ردائي علي، فقال: الله ما أردت بذلك الطعن على من مضى والخلاف عليهم؟

قلت: الله. فقال: خلياه.

قال سفيان بن عيينة: سألت مالكًا عمن أحرم من المدينة وراء الميقات؟

فقال: هذا مخالف لله ولرسوله، أخشى عليه الفتنة في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة، أما سمعت قوله تعالى: ﴿...**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴿٦٣﴾﴾ [النور]. وقد أمر النبي ﷺ أن يهل من المواقيت.

وسأل رجل مالكًا عن شيء من علم الباطن، فغضب وقال:

- إن علم الباطن لا يعرفه إلا من عـرف علم الظاهر، فمتى عرف علم الظاهر وعمل به فتح الله عليه عـلم الباطن، ولا يكون ذلك إلا مع فتح قلبه وتنويره.

ثم قال للرجل: عليك بالبين المحض، وإياك وبنيات الطرق، وعليك بما تعرف واترك ما لا تعرف.

قال ابن وهب: سمعت مالكًا يقول إذا جاءه بعض أهل الأهواء:

أما أنا فـعلى بينة من ربي، وأما أنت فـشاك، فاذهب إلى شـاك مثلك فخاصمه.

ثم قرأ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ... ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف].

قال مطرف: سـمعت مالكًا إذا ذكـر عنده فلان من أهل الزيغ والأهواء يقول:

قال عمـر بن عبد العزيز رحمـه الله تعالى: سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعـده سننًا، الأخذ بهـا اتباع لكتـاب الله، واستكمال لـطاعة الله، وقـوة على دين الله، ليـس لأحد بـعد هؤلاء تـبديـلهـا ولا النظر في شيء يخالفها، من اهتدى بها بهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً.

وكان مالك إذا حدث بهذا ارتج سروراً.

وسأل رجل مالكًا فقال: من أهل السنة يا أبا عبد الله؟

قـال: الذين ليس لهم لقب يعـرفـون به، لا جهـمي ولا رافـضي ولا قدري.

قال ابن نافع وأشهب - وأحدها يزيد على الآخر -: قلت يا أبا عبد الله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة] ينظرون إلى الله؟

قال: نعم، بأعينهم هاتين. فقلت له: فإن قومًا يقولون: لا ينظر إلى الله، إن «ناظرة» بمعنى منتظرة إلى الثواب. قال: كذبوا، بل ينظر إلى الله، أما سمعت قول موسى عليه السلام: ﴿...رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ... ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف]؟ أفترى موسى سأل ربه محالاً؟ فقال الله: «لن تراني» في الدنيا، لأنها دار فناء، ولا ينظر ما يبقي بما يفنى، فإذا صاروا إلى دار البقاء نظروا بما يبقي إلى ما يبقي. وقال الله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين].

قال زهير بن عباد: قلت لمالك: ما قولك في صنفين عندنا، بالشام اختلفوا في الإيمان؟ فقالوا: يزيد وينقص؟

قال: بئس ما قالوا.

قلت: قالوا إنا نخاف على أنفسنا النفاق.

قال: بئس ما قالوا.

قلت: فإن قالوا نحن مؤمنون إن شاء الله، قالت الأخرى: الإيمان واحد، وإيمان أهل الأرض كإيمان أهل السماء؟

قال: لا تقولوا.

قلت: فإن قالوا: نحن مؤمنون حقًا؟

قال: لا تقولوا.

قلت: فما ينبغي للطائفتين أن يقولوا؟

قال: يقولون: نحن مؤمنون ثم يكفون عما سوى ذلك من الكلام، فإن النبي ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله». قال تعالى: ﴿... وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ... ﴿٩٤﴾﴾ [النساء].

قال زهير: فقلت له: فإن الطائفتين عادت بعضها بعضًا.

فاسترجع وتعجب، قال لي: وقد أقام الناس يصلون إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا، ثم أمروا بالصلاة إلى البيت الحرام، فقال الله: ﴿... وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ... ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة]. يعني صلاتكم إلى بيت المقدس، وإني لأذكر بهذه الآية قول المرجئة: إن الصلاة ليست من الإيمان.

قال زهير: وقد كان دخل على مالك من سأله عن نحو هذا، فأمر به فأخرج، وكأنه يسخر بي.

قال غير واحد: سمعت مالكًا يقول: الإيمان قول وعمل وينقص، وبعضه أفضل من بعض. قال: والله في السماء وعلمه في كل مكان.

قال ابن القاسم: كان مالك يقول: الإيمان يزيد، وتوقف عن النقصان، وقال: ذكر الله زيادته في غير موضع، فدع الكلام في نقصانه وكف عنه.

وقال مالك: أنا مؤمن والحمد لله.

وقال ابن أبي أويس: قال مالك: القرآن كلام الله، وكلام الله من الله، وليس في الله شيء مخلوق.

زاد غيره عنه: ومن قال: القرآن مخلوق، فهو كافر، والذي يقف أشد منه يستتاب، وإلا ضربت عنقه.

وفي رواية ابن نافع عنه: يجلد ويحبس من قال ذلك.

وفي رواية بشر بن بكير التنيسي: يقتل ولا تقبل توبته.

قال البركاني والتستري من شيوخنا العراقيين: معنى الجوابين مختلف، يقتل المستبصر الداعية، ويضرب غيره.

وسئل عن حديث التنزيل، فقال: ينزل أمره كل سحر، وأما هو دائم فلا يزول.

وقال الوليد بن مسلم: سألت مالكًا عن هذه الأحاديث، فقال: اقرأوها كما جاءت. فقيل له: إن ابن عجلان يحدث بها فقال: لم يكن من الفقهاء.

قال في رواية ابن القاسم وابن وهب: إنه كان لا يعرف هذه الأشياء، وكره مالك أن يحدث بها عوام الناس الذين لا يعرفون وجهه، ولا تبلغه عقولهم، فينكروه أو يضعوه في غير موضعه.

وجاء إلى مالك رجل قال له: ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟ قال: زنديق فاقتلوه. فقال: يا أبا عبد الله! ليس هو كلامي، إنما هو كلام سمعته. قال: لم أسمعه أنا إلا منك.

قال أشهب: كنا عند مالك إذ وقف عليه رجل من العلويين، وكانوا يقبلون على مجلسه، فناداه: يا أبا عبد الله! فأشرف له مالك، ولم يكن إذا ناداه أحد يجيبه أكثر من أن يشرف برأسه.

فقال له الطالبي: إني أريد أن أجعلك حجة فيما بيني وبين الله، إذا قدمت عليه فسألني، قلت له: مالك قال لي. فقال له: قل، فقال: من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قال العلوي: ثم من؟ قال مالك: ثم عمر. قال العلوي: ثم من؟ قال: الخليفة المقتول ظلمًا عثمان. قال العلوي: والله لا أجالسك أبدًا. قال له مالك: فالخيار لك.

قال عبد الرحمن بن القاسم عنه ما أدركت أحدًا إلا وهو يرى الكف بين عثمان وعلي، ولا شك في أبي بكر وعمر أنهما أفضل من غيرهما.

زاد ابن وهب عنه: وعلى هذا مضى الناس.

وفي رواية أبي مصعب: سئل مالك من أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال مالك: أبو بكر. قال: ثم من؟ قال: ثم عمر. قيل: ثم من؟ قال: عثمان. قيل: ثم من؟

قال: هنا وقف الناس، هؤلاء خيرة أصحاب رسول الله ﷺ، أمر أبا بكر على الصلاة، واختار أبو بكر عمر، وجعلها عمر إلى ستة، فاختاروا عثمان، فوقف الناس هنا.

زاد في رواية: وليس من طلب الأمر كمن لم يطلبه.

وفي رواية ابن وهب: أفضل الناس أبو بكر وعمر، قلت: ثم من؟ فأمسك. قلت: إني امرؤ أقتدي بك في ديني. فقال: وعثمان.

زاد في رواية أبي مصعب: ثم استوى الناس.

وقال البزاز: سألت أبا عاصم النبيل عن التقدمة في السلف، فقال: حمزة وجعفر. قلت: إنما نحن في العشرة. فسكت، ثم قال: كان مالك يقدم حمزة.

قال مصعب الزبيري وابن نافع: دخل هارون المسجد فركع، ثم أتى قبر النبي ﷺ، فسلم عليه، ثم أتى مجلس مالك فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. قال له مالك: وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

ثم قال لمالك: هل لمن سب أصحاب رسول الله ﷺ في الفيء حق؟

قال: لا ولا كرامة ولا مسرة. قال: من أين قلت ذلك؟ قال: قال الله: ﴿...لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ... ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح]. فمن عابهم فهو كافر، ولا حق للكافر في الفيء.

واحتج مرة أخرى في ذلك بقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ الثلاث آيات [الآيات ٨، ٩، ١٠ من سورة الحشر]. قال: فهم أصحاب رسول الله ﷺ الذين هاجروا معه، وأنصاره، ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ ... ﴿١٠﴾﴾ [الحشر]. فمن عادى هؤلاء فلا حق له فيه.

قال إسحاق بن عيسى: رأيت رجلاً من أهل المغرب جاء مالك بن أنس فقال: إن الأهواء كثرت قبلنا، فجعلت على نفسي إن أنا رأيتك آخذ بما تأمرني به، فوصف له مالك شرائع الإسلام: الصلاة والزكاة والصوم والحج، ثم قال: خذ بها ولا تخاصم أحدًا.

قال ابن وهب وغير واحد: سئل مال عن أهل القدر: أنكف عن كلامهم؟

قال: نعم، إذا كان عارفًا بما هو عليه. قال: ونأمره بالمعروف وننهاه عن المنكر ونخبرهم بخلافهم ولا نواصل القول، ولا يصلي عليهم ولا نشهد جنائزهم، ولا أرى أن يناكحوا.

زاد في رواية غيره: قال الله: ﴿...وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ ... ﴿٢٢١﴾﴾ [البقرة].

قال في رواية أشهب: ولا يصلى خلفهم ولا يحمل عنهم الحديث، وإن وافيتموهم في ثغر فأخرجوهم منه.

قال ابن القاسم عنه: ولا يسلم عليهم ولا يعاد مرضاهم.

قال الواقدي عنه: ولا تجوز شهادة القدري الذي يدعو، ولا الخارجي والرافضي. وقد روى عن مالك منع شهادته مجملاً، وروي عنه: إذا كان داعية.

قال مصعب: سأل رجل مالكًا فقال: الفواحش كتبها الله علينا؟

قال نعم: قبل أن يخلقنا، ولا بد لمن كتب الله عليه ذلك أن يعملها، ويصير إلى ما قدر عليه وكتب.

قال الكرابيسي: سمعت مالكًا، وسئل عن القدرية من هم؟ قال: من قال: ما خلق المعاصي.

وقال القاسم بن محمد: سألت مالكًا عن القدرية من هم؟ فقال: سألت أبا سهيل كما سألتني فقال: هم الذين يقولون إن الاستطاعة إليهم، إن شاءوا أطاعوا وإن شاءوا عصوا.

قال الفروي: سمعت ابن أبي حنيفة يقول لمالك: إن لنا رأيًا نعرضه عليك، فإن رأيته حسنًا مضينا عليه وإن رأيته سيئًا نكبنا عنه، قال: لا نكفر أحدًا بذنب، المذنبون كلهم مسلمون.

قال: ما أرى بهذا بأسًا.

فقال له داود ابن أبي زنبر وإبراهيم بن حبيب وابن نافع الصائغ: يا أبا عبد الله، إن هذا يسوق الكلام إلى أن يقول: ديني دين الملائكة وجبريل وميكائيل.

فقال: لا والله: الدين يزيد، قال الله: ﴿...لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ...

﴿ ﴾ [الفتح]. وقال إبراهيم: ﴿ ...رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ... ﴿٢٦٠﴾ [البقرة]. قد أثبت زيادة في دينه.

قال ابن وهب: سمعت مالكًا يقول: إن المرجئة أخطأوا وقالوا قولاً عظيمًا، قالوا: إن من أحرق الكعبة أو صنع كل شيء فهو مسلم.

فقيل لمالك: ما ترى فيهم؟

قال: قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ... ﴿١١﴾ [التوبة].

قال ابن وهب: سمعت مالكًا، وقيل له إن أهل الأهواء يحتجون علينا بحديث: «كل مولود يولد على الفطرة»، فقال: احتجوا عليهم بآخره: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

قال ابن نافع: سمعت مالكًا يقول: لو أن العبد ارتكب الكبائر كلها بعد أن لا يشرك بالله شيئًا ثم نجا من هذه الأهواء، لرجوت أن يكون في أعلى الفردوس، لأن كل كبيرة بين العبد وبين ربه هو منها على رجاء، وكل هوى ليس هو منه على رجاء إنما يهوي بصاحبه في نار جهنم.

قال مالك: أهل الأهواء كلهم كفار، وأسوأهم الروافض.

قيل: فالنواصب؟

قال: هم الروافض، رفضوا الحق ونصبوا له العدواة والبغضاء.

معناه أن الأربعة أهل الحق، فمن رفض واحدًا منهم فقد ناصب الحق.

قال مطرف: رأيت مالكًا يحتجم يوم الأربعاء ويوم السبت منكرًا لما روي في ذلك.

باب في ذكر عبادة مالك وورعه وعزلته وإجابة دعائه

قال القاضي رضي الله عنه: قال الزبير بن حبيب: كنت أرى مالكًا إذا دخل الشهر أحيا أول ليلة منه، وكنت أظنه إنما يفعل هذا ليفتتح به الشهر.

وقالت فاطمة بنت مالك: كان مالك يصلي كل ليلة حزبه، فإذا كانت ليلة الجمعة أحياها كلها.

قال المغيرة: خرجت ليلة بعد أن هجع الناس هجعة، فمررت بمالك بن أنس، فإذا أنا به قائم يصلي، فلما فرغ من «الحمد لله» ابتدأ «بألهاكم التكاثر» حتى بلغ «ثم لتسألن يومئذ عن النعيم» فبكى بكاءًا طويلاً، وجعل يرددها ويبكي، وشغلني ما سمعت ورأيت منه عن حاجتي التي خرجت إليها، فلم أزل قائمًا وهو يرددها ويبكي حتى طلع الفجر، فلما تبين له ركع، فصرت إلى منزلي، فتوضأت ثم أتيت المسجد، فإذا به في مجلسه والناس حوله، فلما أصبح نظرت فإذا أنا بوجهه قد علاه نور حسن.

قال محمد بن خالد بن عُثْمة: كنت إذا رأيت وجه مالك، رأيت أعلام الآخرة في وجهه، فإذا تكلم علمت أن الحق يخرج من فيه.

قال أبو مصعب: كان مالك يطيل الركوع والسجود في ورده، وإذا وقف في الصلاة كأنه خشبة يابسة لا يتحرك منه شيء، فلما ضرب قيل له: لو خففت في هذا قليلاً. فقال: ماينبغي لأحد أن يعمل لله عملاً إلا حسنه، والله تعالى يقول: ﴿ ...لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ... ﴿٢﴾ ﴾ [الملك].

قال ابن وهب: ما رأت عيني قط أورع من مالك بن أنس.

وذكر ابن القاسم، أن خادم مالك قالت له: إن لمالك اليوم بضع وأربعين سنة قلما يصلي الصبح إلا بوضوء العتمة.

قال ابن المبارك: رأيت مالكًا فرأيته من الخاشعين لله، وإنما رفعه الله بسريرة بينه وبينه، وذلك أني كثيرًا ما كنت أسمعه يقول: من أحب أن تفتح له فرجة في قلبه، وينجو من غمرات الموت وأهوال يوم القيامة، فليكن في عمله في السر أكثر منه في العلانية.

وروى نحوه عن مطرف.

قال ابن مهدي: ما رأيت أحدًا الله في قلبه أهيب منه في قلب مالك ابن أنس.

وفي رواية «أجل» مكان «أهيب».

قال ابن أبي أويس: كان مالك يأمر بالمعروف ويحث عليه.

وقال مصعب بن عبد الله: كان مالك إذا ذكر النبي ﷺ عنده تغير لونه وانحنى، حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقيل له يومًا في ذلك، فقال: لو رأيتم، لما أنكرتم علي ما ترون، كنت آتي محمد بن المنكدر، وكان سيد القراء، لا نكاد نسأله على حديث إلا بكى حتى نرحمه، ولقد كنت أتى جعفر بن محمد وكان كثير المزاح والتبسم، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ اخضر واصفر.

قال مالك: ولقد اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال، إما مصليًا، وإما صائمًا، وإما يقرأ القرآن، وما رأيته قط يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على الطهارة، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء العباد الزهاد الذين يخشون الله، وما أتيته قط إلا ويخرج الوسادة من تحته

ويجعلها تحتي، وأخـذ يعدد فضائله وما رآه من فضائل غيـره من أشياخه في باب طويل.

قال بعضهم: رأيت مالكًا صامتًا لا يتكلم ولا يلتفت يمينًا ولا شمالاً إلا أن يكلمه إنسان فيـسمع منه ثم يجيبه بشيء يسير، فـقيل له في ذلك، فقال: وهل يكب الناس في جـهنم إلا هذا - وأشـار إلى لسـانه - ولقـد بلغني أن رجلاً دخل على أبي بكر الصديق وهو يجبذ لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد، فإذا قالها هو فكيف بنا إلا أن يتغمدنا الله برحمته.

وقال مـالك: كنت كلما أجد في قلبي قـسوة آتي محـمد بن المنكدر، فأنظر إليه نظرة فأتعظ بنفسي أيامًا.

قال بشر بن عمر: كان مالك لا يضحك، فقيل له في ذلك، فقال: الضحك يدعو إلى السفه، وقد بلغني أن ضحك النبي ﷺ كان تبسما.

قال ابن وهب: كان في كم مالك منديل مطوي على أربع طاقات، فإذا سجـد سجـد عليه، فقـيل له في ذلك، فقـال: أفعله لئلا يـؤثر الحصى فى جبهتي فيظن الناس أني أقوم الليل.

قال ابن وهب: وكان أكثر عبـادة مالك في السر بالليل والنهار حيث لا يراه أحد.

قال أبو بكر الأويسي: كان مالك قـد أدام النظر في المصحف قبل موته بسنين، وكان كثير القراءة طويل البكاء.

وقال ابن مهدي: سمـعت مالكًا يقول: لو علمت أن قلبي يصلح على كناسة لذهبت حتى أجلس عليها.

وقال مطرف: كان مالك يستعمل في نفسه ما لا يلتزمه الناس، ويقول:

لا يكون العالم عالمًا حتى يكون كذلك، وحتى يحتاط لنفسه بما لو تركه لا يكون عليه فيه إثم.

قال الشافعي: رأيت بباب مالك كراعًا من أفراس خراسان، ويقال: مصر، فقلت له: ما أحسنها! فقال: هي هبة مني إليك، فقلت: دع لنفسك منها دابة تركبها، فقال: إني أستحيي من الله أن أطأ تربة نبي الله بحافر دابة.

قال أبو عمران الصدفي: دخلت على مالك وعليه ثياب الصوف، فقال: أخرجوه! فقلت: لا تفعل يا أبا عبد الله إنما أتيتك لأنك من ورثة الأنبياء، فقال: دعوه، فسألته عن جوائز السلطان، فكرهها، فقلت له: فإنك تقبل. فقال: أتريد أن تبوء بإثمي وإثمك؟

فقال التنيسي: كنا عند مالك وأصحابه حوله، فقال رجل من أهل نصيبين:

عندنا قوم يقال لهم الصوفية، يأكلون كثيرًا، ثم يأخذون في القصائد، ثم يقومون فيرقصون. فقال مالك: أصبيان هم؟ قال: لا. قال: أمجانين هم؟ قال: لا، هم قوم مشايخ، وغير ذلك، عقلاء. فقال مالك: ما سمعت أن أحدًا من أهل الإسلام يفعل هذا. فقال له الرجل: بل يأكلون ثم يقومون ويرقصون دوائب، ويلطم بعضهم رأسه، وبعضهم وجهه.

فضحك مالك ثم قام فدخل منزله، فقال أصحاب مالك للرجل: لقد كنت يا هذا مشئومًا على صاحبنا، لقد جالسناه نيفًا وثلاثين سنة فما رأيناه ضحك إلا في هذا اليوم.

قال يحيى بن الزبير: قال لي مالك: اعتزلت أنت وعبد الله بن عبد العزيز؟ قلت: نعم، قال: عجلتم، ليس هذا أوانه.

قال: ثم لقيت مالكًا بعد عشرين سنة، فقال: هذا أوانه، ثم اعتزل ولزم بيته.

قال بعضهم: لم يشهد مالك الجماعة والجمعة سبع سنين.

قال محمد بن عمر: لما خرج محمد بن الحسن لزم مالك بيته فلم يخرج منه حتى قتل محمد.

قال الواقدي ومصعب بن عبد الله: كان مالك يحضر المسجد، ويشهد الجمعة والجنائز، ويعود المرضى، ويجيب الدعوة، ويقضي الحقوق، زمانًا، ثم ترك الجلوس في المسجد، وكان يصلي وينصرف، ثم ترك عيادة المرضى وشهود الجنائز، فكان يأتي أصحابها فيعزيهم، ثم ترك مجالسة الناس ومخالطتهم، والصلاة في مسجد النبي ﷺ حتى الجمعة، ولا يعزي أحدًا، ولا يقضي له حقًا، فكان يقال له في ذلك، فيقول: ما يتهيأ لكل أحد أن يذكر ما فيه. وفي بعض الروايات: من الأعذار أعذار لا تذكر.

فاحتمل الناس له كل ذلك، وكانوا أرغب ما كانوا فيه وأشده تعظيما له، حتى مات على ذلك.

قال عتيق بن يعقوب ومصعب: فلما حضرته الوفاة سئل عن تخلفه عن المسجد، قال عتيق بن يعقوب: وكان تخلفه عنه قبل موته بسنين، فقال: لولا أني في آخر يوم من الدنيا، وأوله من الآخرة ما أخبرتكم، سلس بولي. فكرهت أن آتي مسجد النبي ﷺ على غير طهارة استخفافًا برسول الله ﷺ، وكرهت أن أذكر علتي فأشكو ربي. وفي طريق آخر له قال: خيفة أن آتي منكرًا. وفي رواية خلف بن محمد عنه: أني ضعفت عن ذلك.

وقيل: بل كان عراه فتق من الضرب الذي ضرب، فكانت الريح تخرج منه، فقال: كرهت أن أوذي مسجد رسول الله ﷺ.

وقال يعقوب بن عبد الـرحمن: كان مالك لا يتكلم عند طلوع الشمس ولا عند غروبها.

وقال ابن وهب: كان مالك لا يفتي ولا يتكلم حتى تطلع الشمس.

زاد مروان بن محمـد وسعيد بن الجهم: وكان يسـبح ويذكر الله، فإذا طلعت الشمس، قـال مروان: قام إلى حلقتـه وذاكر أصحابه، وقـال الآخر: انفتل إلى حلقته وقال: السلام عليكم.

قال مطرف: لقد رأيته يومًا وهو جالـس في المسجد بعد الصبح يدعو، ووجهه يخضر ويصفر حتى طال الدعـاء، فأتاه سائل عن مسألة فقطع عليه، فالتفت مغضبًا فقـال: يأت أحدكم الرجل وهو في دعائه، وقد فتح الله عليه منه ما شاء أن يفـتحه، مما يستيـقن به الإجابة، فيقطع ذلك عليـه، فلا يعود أبدًا.

قال ابن أبـي حازم: كان بين رجـل من قريش ومـالك كلام، فقـال له مـالك: إن كنت تريد عيـبي فـسلط الله عليك من يخـرجك من بيتك شـر مخرج. فلما صلى بنا إمامنا الصبح، جلس في مـحرابه فنام فيه، فرأى كأن عمر بن الخطاب معه حرسي يقول له: اخرج الحمار الضال من المسجد، ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكـر فيها حلاله وحرامه وسنن نبـيه وما يقرب إليه.

فانتبه الإمام لجلبة الناس عـلى الرجل، وقد أخرج من المسجد، وأخذ، ووضع في عنقـه حـبل، وجيء به إلى دار السلطان، فـأخـبر الناس الإمـام برؤياه، وأخبر الرجل بالقصة، فجـعل يضرع لمالك ويقول: خلني يا خير من يقول «حدثنا» فاستغفر له مالك.

قال أبو مصعب: سمعت مالكًا يقول: إني لأذكر وما في وجهي طاقة شعر، وما منا أحد يدخل المسجد إلا معتمًا إجلالاً لرسول الله ﷺ.

قال بشر بن عمر: جئت مع مالك من منزله حتى دخل المسجد، فانتهى إلى حلقة فوسع له في صدرها، فأبى وجلس حيث انتهى به المجلس، فقلت في نفسي هذا رجل منصف، كما لا يوسع لأحد في مجلسه، لا يقعد في صدور مجالس الناس.

قال الحارث بن مسكين: رحم الله مالكًا، ما كان أصونه للعلم، وأصبره على الفقر ولزوم المدينة، أمر له بجوائز، ثلاثة آلاف دينار، فما استبدل منزلاً غير المنزل الذي كان فيه، ولا استفاد منه غلة ولا ضيعة ولا تجارة.

قال ابن القاسم: كان لمالك رحمه الله تعالى أربعمائة دينار يتجر له بها، فمنها كان قوام عيشه ومصلحته.

قال ابن أبي أويس: كان مالك قد أكثر النظر في المصحف قبل موته بسنين، وكان كثير القراءة طويل البكاء.

* * *

باب شدة مالك في إقامة حدود الله تعالى

قال القاضي رضي الله عنه: قال البهلول بن عبيدة: كنت عند مالك، فأتى برجل ملبب، فقالوا له: الأمير يقرئك السلام ويقول لك: هذا رجل خنق رجلاً فقتله، فقال مالك: اخنقوه حتى يموت كما فعل به.

فذهبوا به، وركبت مالك صفرة، وتشوف، حتى مر به رجل فأخبره أنهم خنقوه، فرجع إلى وجهه، فقال له ابن كنانة في ذلك، فقال: أظننتم أني ندمت؟ لكني خفت أن يبطل حكم من أحكام الله تعالى.

قال عبد الجبار بن عمر: حضرت مالكًا، وقد أحضره الوالي في جماعة من أهل العلم، فسألهم عن رجل عدا على أخيه حتى إذا أدركه دفعه في بئر وأخذ رداءه، وأبوا الغلامين حاضران، فقال جماعة من العلماء: الخيار للأبوين في العفو أو القصاص، فقال مالك: أرى أن تضرب عنقه الساعة، فقال الأبوان: أيقتل ابننا بالأمس ونفجع بالآخر اليوم؟ ونحن أولياء الدم، وقد عفونا.

فقال الوالي: يا أبا عبد الله! ليس ثم طالب غيرهما[1]، وقد عفوا.

فقال مالك: والله الذي لا إله إلا هو، لا تكلمت في العلم أبدًا أو تضرب عنقه.

وسكت، وكلم فلم يتكلم، فارتجت المدينة وصاح الناس: إذا سكت مالك فمن نسأل ومن يجيب؟ وكثر اللغط، وقالوا: لا أحد بمصر من الأمصار مثله، ولا يقوم مقامه في العلم والفضل.

فلما رأى الوالي عزمه على السكوت، قدم الغلام فضربت عنقه، فلما سقط رأسه التفت مالك إلى من حضر وقال: إنما قتلته بالحرابة حين أخذ ثوب أخيه، ولم أقتله قودًا إذ عفا أبواه.

(١) في طبعة المغرب: «وغيرهم».

فانصرف الناس وقد طابت نفوسهم حين رأوه بر في يمينه، إذ كان يعلم أنه لا يحنث.

قال حفص بن غياث: كان مالك يجلس عند الوالي، فيعرض عليه أهل السجن، فيقول: اقطع هذا، واضرب هذا مائة، وهذا مائتين، واصلب هذا، كأنه أنزل عليه كتاب.

قال أشهب: دعا بعض الأمراء مالكًا يستشيره في شيء فدخل عليه، وأشار بقطع قوم وقتل قوم، وخرج علينا وهو يتبسم ويقرأ: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ** ... ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة].

* * *

باب في حكمه ووصاياه وآدابه

قال الفقيه القاضي رضي الله تعالى عنه: قال مالك رحمه الله: إنما التواضع في التقى والدين، لا في اللباس.

وقال: التواضع ترك الرياء والسمعة.

وقال: شر العلم الغريب، وخير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس.

وقال زيد بن الحسن: سمعته يقول: الزهد في الدنيا طيب المكسب وقصر الأمل.

وقال: الدنيا صحة البدن وطيب النفس من النعيم.

وقال: التواضع في التقى والدين وليس في اللباس.

وروى ابن المبارك عنه أنه قال: من أحب أن تفتح له فرجة في قلبه، فليكن عمله في السر أفضل منه في العلانية.

وقال: ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما العلم نور يضعه الله في القلوب.

وقد روي هذا الكلام عن ابن مسعود.

وقال ابن وهب عنه: طلب العلم حسن لمن رزق خيره، وهو قسم من الله، ولكن انظر ما يلزمك حين تصبح إلى حين تمسي فالزمه.

وقال: العلم نفور لا يأنس إلا بقلب تقي خاشع.

وروى ابن عبد الحكم: سئل مالك عن طلب العلم، أفريضة هو؟ قال: لا، ولا يطلب ما لا ينتفع به، ولا يطلب الأغاليط والألغاز والإكثار.

وفي رواية أشهب: سئل مالك عن طلب العلم، أفريضة هو؟ قال:

والله ما كل الناس عالم، وإن منهم من لا آمـره بطلبه، ثم قال: أما على كل الناس، فلا.

قال ابن وهب: قال مالك: خير الأمور مـا كان منها واضحا بينًا أمره، وإن كنت في أمرين أنت منهما في شك، فخذ بالذي هو أوثق.

وقـال لابن وهب: أد مـا سمـعت وحـسبك، ولا تحـمل لأحـد على ظهرك، فإنه كان يقال: أخسر الناس من باع آخرته بدنياه، وأخسر منه من باع آخرته بدنيا غيره.

وقال: ينبغي للرجل إذا خول علمًا وصار رأسًا يشار إليه بالأصابع، أن يضع التراب على رأسه، ويمتهن نفسه إذا خلا بها، ولا يفرح بالرياسة فإنه إذا اضطجع في قبره وتوسد التراب رأسه ساءه ذلك كله.

وقال لأبي مـسهر: لا تـسأل عمـا لا تريد، فتنسى ما تـريد، فإنه من اشترى ما لا يحتاج إليه، باع ما يحتاج إليه.

وقـال: من إدالة العلم أن تجـيب كل من سألـك، ولا يكون إمامًـا من حدث بكل ما سمع، ومن إدالة العلم أن ينطق به قبل أن يسأل عنه.

وقال: إن المسـألة إذا سئل فيـها الرجل فلم يجب واندفـعت عنه، فإنما هي بلية صرفها الله عنه.

وقال: لا يصلح طلب العلم لمفلس ولا لغني متكبر.

وقيل له: ما أفضل ما يصنع العبد؟ قال: طلب العلم.

وقال: لولا النسيان لكان أكثر الناس علماء.

وقال: إنما أهلك الناس تأويل ما لا يعلمون.

وقيل له: العالم يخطىء؟ قال: الذي دل عليه من الخير أكثر، ومن ذا الذي ليس فيه شيء؟ ولو لم يأمر بالمعروف إلا لمن ليس فيه شيء، ما أمر أحد بمعروف.

وقال: من شأن ابن آدم أن لا يعلم، ثم يعلم، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿ ... إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ... ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنفال].

وقال: إنما الحكمة مسحة ملك على قلب العبد.

وقال أيضًا: الحكمة نور يقذفه الله في قلب العبد.

وقال أيضًا: يقع في قلبي أن الحكمة الفقه في دين الله، وأمر يدخله الله القلوب من رحمته وفضله.

وقال أيضًا: الحكمة التفكر في أمر الله والاتباع له.

وقال في سماع ابن وهب وابن القاسم: الحكمة طاعة الله، والاتباع لها، والفقه في الدين، والعمل به.

وقال الفروي: سمعته يقول: إذا لم يكن للإنسان في نفسه خير، لم يكن للناس فيه خير.

وقال ابن وهب: سمعته يقول: لا خير في شيء من الدنيا وإن كثر، بفساد دين الرجل أو مروءته.

وقال: تعلموا العلم قبل العمل.

وقال: نقاء الثوب وحسن اللِّمَّة[1] وإظهار المروءة جزء من بضع وأربعين جزءا من النبوة.

(١) فى طبعة المغرب: «وحسن الهمة» واللِّمَّة: شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن.

وقال لبعض بني أخيه: إذا تعلمتم علمًا من طاعة الله، فليرَ عليك أثره، وليرَ فيك سمته، وتعلم لذلك العلم الذي علمته السكينة والحلم والوقار.

وقال: حق[1] على من طلب العلم أن يكون فيه وقار وسكينة وخشية، وأن يكون متبعًا لآثار من مضى، وينبغي لأهل العلم أن يجلوا أنفسهم عن المزاح، وخاصة إذا ذكروا الله.

وقال: أدب الله القرآن، وأدب رسوله السنة، وأدب الصالحين الفقه.

وقال: لا يستكمل الرجل الإيمان حتى يخزن لسانه.

وقال لبعض أصحابه: لا تكثر الشخوص من بيتك إلا لأمر لا بد لك منه، ولا تجلس في مجلس لا تستفيد فيه علمًا.

وقال سفيان: دخلت على مالك فقلت له: إن العلم كثير، فقال: العلم شجرة أصلها بمكة، وأغصانها بالمدينة وأوراقها بالعراق، وثمرتها بخراسان، فقال: اكتب يا غلام! فهذا من طرائف مالك.

قال الزبيري: قلت لمالك: إن من الناس من آمرهم فيطيعونني، ومنهم من إن أمرتهم أتأذى منهم، الشعراء يهجونني والمسلطون يضربونني ويحبسونني، فكيف أصنع؟

قال: إن خفت وظننت أنهم لا يطيعونك، فدع، وأنكر بقلبك، ولك في ذلك سعة، ومن لم تخش منه فأمره وانهه، وخاصة إذا أردت به الله تبارك وتعالى، فإنك إذا كنت كذلك، لم تر إلا خيرًا، وبخاصة إذا كان فيك شيء من لين، ألا ترى قول الله تعالى لموسى وهارون: ﴿**فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا**...

---

(١) في طبعة المغرب: «حقا».

﴿٤٤﴾ [طه] فإذا قسوت في أمرك، لم يقبل منك، وتعرضت لما تكره، وخرجت من جملة أهل القرآن والعلم.

وقال في سماع أشهب وابن وهب وابن القاسم: من صدق في حديثه متع بعقله، ولم يصبه ما يصيب الناس من الهرم والخرف.

وقال له رجل: خرفت. فقال: إنما يخرف الكذابون.

وقال ابن المبارك: سمعته يقول: لا يصلح الرجل حتى يترك ما لا يعنيه، ويشتغل بما يعنيه، فإذا كان كذلك، يوشك أن يفتح الله له قلبه.

وروى ابن أبي أويس عنه أنه قال: إن كان بغيتك منها ما يكفيك، فأقل عيشها يغنيك، وما قل وكفي خير مما أكثر وألهى.

قال ابن وهب: سمعته يقول: ما زهد أحد في الدنيا إلا أنطقه الله بالحكمة.

وقال خالد بن حميد: سمعته يقول: عليك بمجالسة من يزيد في علمك قوله، ويدعوك لحال الآخرة فعله وإياك ومجالسة من يعللك قوله، ويعيبك دينه، ويدعوك إلى الدنيا فعله.

وقال ابن القاسم: ذكر مالك القصد وفضله ثم قال: إياك من القصد ما تحب أن ترتفع به، قيل: لم؟ قال: تعجب به.

قال مطرف: قال رجل لمالك: أوصني!

قال: إذا هممت بأمر من طاعة الله، فلا تحبسه إن استطعت، فَواقًا، حتى تمضيه، فإنك لا تأمن الأحداث، فإذا هممت بغير ذلك، فإن استطعت أن لا تمضيه فواقًا فافعل، لعل الله يحدث لك تركه، ولا تستحي إذا دعيت لأمر ليس بحق أن تقول: قال الله تعالى في كتابه: ﴿...وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ

الْحَقِّ ... ﴿٥٣﴾ [الأحزاب]. وطهر ثيابك وأنقها من معاصي الله، وعليك بمعالي الأمور وكرائمها، واتق رذائلها وما يسفسف منها، فإن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفافها، وأكثر تلاوة القرآن، واجتهد أن تأتي عليك ساعة من ليل أو نهار إلا ولسانك رطب في ذكر الله، ولا تمكن الناس من نفسك، واذهب حيث شئت.

وقال: ما أسر عبد سريرة بخير إلا ألبسه الله رداءها، ولا أسر سريرة بشر إلا ألبسه الله رداءها.

وقال مالك للقعنبي: مهما تلاعبت بشيء فلا تلعب بدينك.

وقال لابني أخته: إن أحببتما أن ينفعكما الله بهذا الأمر فأقلا منه وتفقها فيه.

وقال: ما أكثر أحد قط فأفلح.

وقال ابن وهب: قال لي مالك: إنه لم يكن يسلم رجل حدث بكل ما سمع، ولا يكون إمامًا أبدًا، ومن الذل إهانة العلم عند من لا يطيعك.

قال ابن نافع: قال مالك: كل شيء ينفع فضله إلا الكلام.

قال مطرف: وكان مالك إذا ودعه أحد من طلبة العلم عنده، يقول لهم: اتقوا الله في هذا العلم، ولا تنزلوا به دار مضيعة، وبثوه ولا تكتموه.

وقال مصعب: كان مالك إذا أتاه موت أحد قال: الحمد لله رب العالمين، الذي أبقانا بعده، اللهم لا تجعله لنا فتنة.

قال ابن عبد الحكم وابن وهب سمعت مالكًا يقول: أول المعاصي الكبر والحسد والشح، حسد إبليس وتكبر فقال: ﴿...خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ

﴿١٢﴾ [الأعراف]، وقال الله تعالى: ﴿...فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ... ﴿١٩﴾﴾ [الأعراف]. فشح آدم حتى أكل منها.

وقال أبو قرة: سمعت مالكًا يقول: من علم أن قوله من عمله، قل كلامه، والقول من العمل.

قال أبو قرة: هو أشد من العمل، به يكون الإيمان والكفر.

وقال ابن وهب: سمعته يقول: من رضي بشيء كفاه، يعني: القناعة منفعة لأهل الورع.

وقال مالك: خرق المرء أشد من عدمه، لأنه يستفيد المال بعد العدم، والخرق لا يبقي له شيئًا.

وقال ابن وهب: قال لمالك رجل: أوصني! فقال: أوصيك أن تعمل صالحًا وتأكل طيبًا.

قال: سمعته يقول: من أراد الله به خيرًا جمع عليه شمله، ومن نعم الله تعالى على العبد أن يجمع عليه أمره، ومن بلواه عليه أن يشتت عليه أمره.

وسمعته يقول: التقرب من أهل الباطل هلكة، والقول الباطل، يصد عن الحق، ومن سعادة المرء أن يوفق للخير، ومن شقاوة المرء أن لا يزال يخطىء.

قال: وسمعته يقول: إذا ظهر الباطل على الحق كان الفساد في الأرض، وقليل الباطل وكثيره هلكة، وإن لزوم الحق نجاة.

قال: وسمعته يقول: حق على طالب العلم[1]، أن يكون فيه وقار وسكينة وخشية، وأن يكون متبعًا لآثار من مضى قبله.

وقال: من آداب العالم أن لا يضحك إلا تبسمًا.

وقال: لكل شيء دعامة، ودعامة المؤمن عقله، فبقدر ما يعقل يعبد ربه.

وقال: الإسلام واسع، إذا لم ترد إلا الحق فالإسلام أوسع من ذلك، ولا ينبغي أن يضيق، زاد في موضع آخر: إذا أقيمت حدوده.

قال: وسمعته يقول: يقال إن المؤمن حسن المعونة، يسير المئونة، والفاجر بضده.

وفي سماعته منه قال: كنت أسمع عنه أن الرجل يخطىء الخطيئة فيكون من يأس عمله في الخير، زاد في سماع أشهب: ينيب إلى الله تعالى.

وقال القعنبي: سمعته يقول: إذا مدح الرجل نفسه ذهب بهاؤه.

قال ابن وهب: وسمعته يقول: الكلام في هذه المسائل المعضلة، يزيد العمى، ويفسدها.

وسمعته يقول: كثرة الكلام تمج العالم، وتذله، وتنقصه.

قال: وذكر الكلام ومراجعة الناس، فقال: من صنع هذا ذهب بهاؤه.

وكان يكره كثرة الكلام ويعيبه، ويقول: لا يوجد إلا في النساء والضعفاء.

قال: وكان يقال: نعم الرجل فلان، إلا أنه يتكلم كلام شهر في يوم.

---

(١) في طبعة المغرب: «حقا على طلب العلم».

قال خالد بن خداش: قلت لمالك أوصني! قال: عليك بتقوى الله وطلب العلم عند أهله.

قال ابن القاسم: كنا إذا ودعنا مالكًا يقول: اتقوا الله وانشروا هذا العلم وعلموه ولا تكتموه.

وقال: لن ينال هذا الأمر حتى يذاق فيه طعم الفقر.

قال أبو قرة: سمعت مالكًا يقول: تعلموا من العالم حتى لبس نعله.

وقال أشهب: سمعته يقول: لا خير في رفع الصوت في المسجد لا في العلم ولا في غيره، أدركت الناس قديمًا يعيبون ذلك.

وقال ابن وهب عنه: إذا كثر الكلام كان فيه الخطأ، وإذا أصيب الجواب قل الخطأ[1].

وكان يقول حين يسأل ويستفتى: الكلام بالباطل يصد عن الحق.

وقال لابن وهب: اتق الله واقتصر على علمك، فإنه لم يقتصر أحد على علمه إلا نفع وانتفع، فإن كنت تريد لما طلبت ما عند الله فقد أصبت ما تنتفع به، وإن كنت تريد بما تعلمت الدنيا فليس في يدك شيء.

وفي رسالة مالك إلى أبي قرة: إني أرى الصواب في ترك تعلم المسائل التي قد ينتفع ببعضها، إذا كان فيه من المضرة ما يخاف على صاحبها الخطأ والفتنة، فكيف بغيرها من المسائل التي لا منفعة فيها؟

قال ابن وهب: قال مالك: إنما قبحت الأشياء حين تعدى بها منازلها.

وقال: طلب الرزق في شبهة أحسن من الحاجة إلى الناس.

---

(١) في طبعة المغرب: «وإذا أصيب الجواب قل الخطاب».

وقال: الزهد في الدنيا طيب المكسب وقصر الأمل.

وقال: الناس في العلم أربعة: رجل علم فعمل به وعلمه، فمثله في كتاب الله قوله: ﴿ ...إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ... ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر]، ورجل علم فعمل به ولم يعلمه، فمثله في كتاب الله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا ... ﴿١٥٩﴾ ﴾ [البقرة]، ورجل لم يعلم ولم يعمل به، فمثله قوله: ﴿ ... إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ ... ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان].

وقال: من عيب القاضي أنه إذا عزل لم يرجع لمجلسه الذي كان يتكلم[1] فيه.

وأفتى مالك على بعض الشعراء بما لا يوافقه فقال له:

يا أبا عبد الله! أتظن الأمير لم يكن يعرف هذا القضاء الذي قضيته؟ بلى[2]، وإنما أرسلنا إليك لتصلح بيننا فلم تفعل، بالله لأقطعن جلدك هجاء.

فقال له مالك: يا هذا أتدري ما وصفت به نفسك؟ وصفتها بالسفه والدناءة، وهما اللذان لا يعجز عنهما أحد، فإن استطعت فأت غيرهما مما تنقطع دونه الرقاب من الكرم والمروءة.

وقال ابن وهب: قال مالك: كفى بك ظالمًا ألا تزال مخاصمًا.

وقال: من روى عن ضعيف فقد بدأ بنفسه.

وقال: الإعراب حلي اللسان.

وقال: أهوال الدنيا ثلاثة، ركوب البحر، وركوب فرس عربي، وتزويج حرة.

---

(١) فى طبعة المغرب: «كان يتعلم فيه».

(٢) فى طبعة المغرب: «على».

باب ذكر الموطأ وتأليف مالك إياه

قال الإمام القاضي رضي الله عنه:

قال ابن مهدي: ما كتاب بعد كتاب الله أنفع للناس من الموطأ.

وقال: لا أعلم من علم الإسلام[1] بعد القرآن أصح من موطأ مالك.

قال ابن وهب: من كتب موطأ مالك فلا عليه أن يكتب من الحلال والحرام شيئًا.

وقال الشافعي: ما في الأرض كتاب في العلم أكثر صوابًا من كتاب مالك.

وقال: ما على الأرض كتاب أصح من كتاب مالك، وفي رواية «أفضل». وما كتب الناس بعد القرآن شيئًا هو أنفع من موطأ مالك، وإذا جاء الأثر من كتاب مالك فهو الثريا[2].

قال سعيد بن أبي مريم: وكان ابنا أخيه بالعراق، ولو جمعا بالعراق، عمرهما، ما أتيا بعلم يشبه موطأ مالك.

وقال في رواية أخرى: ما جاءا بسنة مجمع عليها خلاف ما في الموطأ.

وقال ابن حنبل: ما أحسن الموطأ لمن تدين به.

قال الدراوردي: كنت نائمًا في الروضة بين القبر والمنبر، فرأيت النبي ﷺ قد خرج من القبر متكئًا على أبي بكر وعمر، فمضى ثم رجع، فقمت إليه فقلت له: يا رسول الله من أين جئت؟

---

(١) فى طبعة المغرب: «من علم الناس».

(٢) فى طبعة المغرب: «فهو فى الثريا».

قال: مضيت إلى مالك بن أنس فأقمت له الصراط المستقيم، فأتيت مالكًا فوجدته يدون الموطأ، فأخبرته بالخبر فبكى.

وروى أبو مصعب أن أبا جعفر قال لمالك: ضع للناس كتابًا أحملهم[1] عليه، فكلمه مالك في ذلك، فقال: ضعه، فما أحد أعلم منك، فوضع الموطأ، فلم يفرغ منه حتى مات أبو جعفر.

وقال أبو مصعب: سمعت مالكًا يقول: دخلت على أبي جعفر بالغداة حين وقفت[2] الشمس بالأرض، وقد نزل عن شماله[3] إلى بساطه، وعلى البساط برذونان قائمان من حين دخلت إلى حين خرجت، لا يبولان ولا يروثان أدبًا، وإذا بصبي يخرج ثم يرجع، فقال: أتدري من هذا؟ قلت: لا؟ قال: هذا ابني، وإنما يفزع من شيبتك.

وفي رواية: استنكر قرب مجلسك مني ولم يَرَ بِهِ أحدا غيرك قط، وحقيق أنت بكل خير، وخليق بكل إكرام - وقد كان أدناه إليه وألصق ركبته بركبته - فلم يزل يسألني حتى أتاه المؤذن بالظهر، فقال لي:

أنت أعلم الناس، وفي رواية: «أهل الأرض».

فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين.

قال: بلى، ولكنك تكتم ذلك، وفي رواية: فما أحد أعلم منك اليوم بعد أمير المؤمنين، وإن بقيت لأكتبن كتابك[4] بماء الذهب، وفي رواية: كما تكتب المصاحف، ثم أغلقه في الكعبة، فأحمل الناس عليه[4].

---

(١) فى طبعة المغرب: «أدلهم».

(٢) فى طبعة المغرب: «وقعت».

(٣) فى طبعة المغرب: «وقد نزل عن ماله».

(٤) اضطربت هذه العبارة في طبعة المغرب اضطرابا يخالف السياق، والمثبت ما يقتضيه السياق.

فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن في كتابي حديث رسول الله ﷺ، وقول الصحابة، وقول التابعين، ورأي هو إجماع أهل المدينة لم أخرج عنهم، غير أني لا أرى أن يعلق في الكعبة.

قال: وقال له أبو جعفر وهو بمكة: اجعل العلم يا أبا عبد الله علمًا واحدًا.

قال: فقلت له: يا أمير المؤمنين إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في البلاد، فأفتى كل في مصره بما رأى، وفي رواية: إن لأهل البلاد قولاً، وإن لأهل المدينة قولاً، ولأهل العراق قولاً تعدوا فيه طورهم.

فقال: أما أهل العراق فلست أقبل منهم صرفًا ولا عدلاً، وإنما العلم علم أهل المدينة، فضع للناس العلم.

وفي رواية: فقلت له: إن أهل العراق لا يرضون علمنا.

فقال أبو جعفر: تضرب عليه عامتهم بالسيف، وتقطع عليه ظهورهم بالسياط.

وفي بعضه: إن أبا جعفر قال له: إني عزمت أن أكتب كتبك هذه نسخًا، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين نسخة وآمرهم بأن يعملوا بما فيها، ولا يتعدوها إلى غيرها من هذا العلم المحدث، فإنني رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعلمهم.

فقلت له: يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن الناس قد سبقت لهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم وعملوا به ودانوا له من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم، وإن ردهم عما اعتقدوه شديد، فدع الناس وما هم عليه، وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم.

فقال: لعمري لو طاوعتني على ذلك لأمرت به.

وفي رواية إن المنصور قال له: يا أبا عبد الله ضم هذا العلم، ودون كتبًا، وجنب فيها شدائد عبد الله بن عمر، ورخص ابن عباس، وشواذ ابن مسعود، واقصد أوسط الأمور، وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة.

وروي ابن مهدي: قال له ضع كتابًا أحمل الأمة عليه.

فقال له مالك: أما هذا الصقع - يعني المغرب - فقد كفيتكه، وأما الشام ففيه الأوزاعي، وأما أهل العراق فهم أهل العراق.

قال عتيق الزبيري: وضع مالك الموطأ على نحو من عشرة آلاف حديث، فلم يزل ينظر فيه كل سنة، ويسقط منه، حتى بقي هذا، ولو بقي قليلاً لأسقطه كله.

قال القطان: كان علم الناس في زيادة، وعلم مالك في نقصان، ولو عاش مالك لأسقط علمه كله، يعني: تحريًا.

قال سليمان بن بلال: لقد وضع مالك الموطأ وفيه أربعة آلاف حديث أو قال «أكثر» فمات وهي ألف حديث ونيف، يلخصها عامًا عامًا بقدر ما يرى أنه أصلح للمسلمين وأمثل في الدين.

وقال مالك - ذكر له الموطأ - فقال: فيه حديث رسول الله ﷺ، وقول الصحابة والتابعين، ورأيي، وقد تكلمت برأيي، وعلى الاجتهاد، وعلى ما أدركت عليه أهل العلم ببلدنا، ولم أخرج عن جملتهم إلى غيره.

وقال أبو موسى الأنصاري: وقعت نار في منزل رجل، فاحترق كل شيء في البيت إلا المصحف والموطأ.

قال ابن أبي أويس: قيل لمالك: ما قولك في الكتب: «الأمر المجتمع عليه» و«الأمر عندنا» أو «ببلدنا» و«أدركت أهل العلم» و«سمعت بعض أهل العلم»؟

فقال: أما أكثر ما في الكتب «فرأي» فلعمري ما هو برأيي، ولكن سماع من غير واحد من أهل العلم والفضل والأئمة المقتدى بهم الذين أخذت عنهم، وهم الذين كانوا يتقون الله، فكثر علي فقلت: «رأيي» وذلك رأيي إذ كان رأيهم مثل رأي الصحابة، أدركوهم عليه، وأدركتهم أنا على ذلك، فهذا وراثة توارثوها قرنًا عن قرن إلى زماننا.

وما كان «أرى» فهو رأي جماعة ممن تقدم من الأئمة.

وما كان فيه «الأمر المجتمع عليه» فهو ما اجتمع عليه من قول أهل الفقه والعلم لم يختلفوا فيه.

وما قلت: «الأمر عندنا» فهو ما عمل الناس به عندنا، وجرت به الأحكام، وعرفه الجاهل والعالم.

كذلك ما قلت فيه «ببلدنا» وما قلت فيه: «بعض أهل العلم» فهو شيء استحسنه في قول العلماء.

وأما ما لم أسمعه منه، فاجتهدت ونظرت على مذهب من لقيته، حتى وقع ذلك موقع الحق أو قريب منه، حتى لا يخرج عن مذهب أهل المدينة وآرائهم، وإن لم أسمع ذلك بعينه، فنسبت الرأي إلي بعد الاجتهاد مع السنة، وما مضى عليه أهل العلم المقتدى بهم، والأمر المعمول به عندنا من لدن رسول الله ﷺ والأئمة الراشدين، مع من لقيت، فذلك رأيهم ما خرجت إلى غيرهم.

وذكر أحمد بن عبد الله الكوفي في تاريخه، أن كل ما قال فيها مالك في موطئه: «الأمر المجتمع عليه عندنا» فهو من قضاء سليمان بن بلال، وهذا لا يصح.

قال: وما أرسله فيه عن ابن مسعود، فرواه عبد الله بن إدريس الأودي.

وما أرسله عن غيره فعن ابن مهدي.

قال الدراوردي: إذ قال مالك: «على هذا أدركت أهل العلم ببلدنا» و«الأمر عندنا» فإنه يريد ربيعة، وابن هرمز.

قال عمر بن أبي سلمة: ما من مرة أقرأ الجامع من الموطأ، إلا رأيت في منامي رجلاً يقول لي: هذا حديث رسول الله ﷺ.

قال: فلما قدمنا المدينة بوسيلة إلى مالك، قال لي: احضر غداً بكتاب المدبر والمكاتب فإنهم اجتمعوا على أن يقرأوه. فبت ليلت، فرأيت قائلاً يقول وأنا نائم: غداً يقرأ على مالك حديث رسول الله ﷺ، فعدوت إلى مالك ومعي الكتابان، فلما رآني قال لي: أي شيء معك؟ قلت: المكاتب والمدبر، فقال: إنهم بدا لهم وأجمعوا على قراءة الجامع، فذكرت له الرؤيا، فقال لي مالك: صدق، وهو حديث رسول الله ﷺ.

قال صفوان بن عمر بن عبد الواحد: عرضنا على مالك الموطأ في أربعين يومًا، فقال: كتاب ألفته في أربعين سنة، أخذتموه في أربعين يومًا، ما أقل ما تفقهون فيه!

قال غيره: أول من عمل الموطأ، عبد العزيز بن الماجشون، عمله كتابًا[1] بغير حديث، فلما رآه مالك قال: ما أحسن ما عمل، ولو كنت أنا لبدأت بالآثار، ثم شددت ذلك بالكلام.

ثم عزم على تصنيف الموطأ، فعمل من كان بالمدينة يومئذ من العلماء الموطيات فقيل لمالك:

شغلت نفسك بعمل هذا الكتاب وقد شركك فيه الناس وعملوا أمثاله، فقال ايتوني بها، فنظر فيها ثم نبذه، وقال: لتعلمن ما أريد به وجه الله تعالى.

قال مطرف: قال لي مالك: ما يقول الناس في موطئي؟ فقلت: الناس رجلان: محب مطر، وحاسد مفتر. فقال: إن مد بك العمر، فسترى ما يريد[2] به الله.

قال: فكأنما ألقيت تلك الكتب في الآبار، ما سمع منها بعد ذلك شيء.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: لما وضع مالك الموطأ، جعل أحاديث زيد في آخر الأبواب، فقلت له في ذلك، فقال: إنها كالشرح لما قبلها.

قال أبو داود: قيل لمالك: ليس في كتابك حديث غريب. قال: سررتني.

---

(١) في طبعة المغرب: «عمله كلاما».

(٢) في طبعة المغرب: «ما يراد به الله».

وقال أبو زرعة: لو حلف رجل بالطلاق على أحاديث مالك التي بالموطأ أنها صحاح كلها، لم يحنث، ولو حلف على أحاديث غيره كان حانثًا.

وقال ابن أبي سوار الجرمي: سمعت مالكًا يقول: «الأمر عندنا كذا» فأخبرت به ابن أبي ذيب، فقال: ما يحل لمالك أن يقول هذا، ليس هذا مما ظن عليه.

قال: فأعلمت به مالكًا، فقال: أنا لا أعتد برأي ابن أبي ذيب، إنما أعتد بمن أدركته من أهل العلم.

obeikandl.com

ذكر ما قيل في الموطأ من الشعر

من ذلك قول سعدون الوَرْجِيني[1]:

أقـــول لمن يَروي الحـديـث وَيكتب ... ويسلك سـبل الفـقـه فـيـه ويطلب
إن أحببت أن تدعى لدى الخلق عالمًا ... فلا تعـد ما تحـوي من العلم يثرب
أتتـــرك دارًا كـــان بين بـيـــوتهـــا ... يروح ويغـــدو جـبـرئيـل المقـرب؟
ومـات رسـول الله فـيـهـا، وبعـده ... بسنتـــه أصـــحـــابه قـــد تأدبوا
وفـرق شـمـل العلم في تابعـيـهم ... وكل امـرىء منهم له فـيـه مـذهب
فـخلصـــه بالسـبك للـناس مـالك ... ومنه صـحـيح في المجس وأجـدب
فـأبرى بـتـصـحـيـح الـرواية داءه ... وتصـحـيـحـه فـيـه دواء مـجـرب
ولـو لم يـلح نـور الموطـأ لمن يـرى ... بليل عـــمـاه مـــا درى أين يذهب
فـبـادر مـــوطأ مـالك قـبـل فـوته ... فـمـا بعـده إن فات لـلحق مطلب
ودع للـمـــــوطـأ كل عـلم تـريده ... فإن الموطأ الشـمس، والغيـر كوكب
هو الأصل طاب الفـرع منه لطيـبـه ... ولم لا يطيب الفرع والأصل طيب؟
هو العـلم عند الله بـعـد كـتـابه ... وفـيه لسـان الصـدق بالحق معـرب
لقـد أعـربت آثـاره ببـيـانهـا ... فليـس لهـا في العـالمين مكذب
ومما به أهل الحـجـاز تفـاخـروا ... بأن الموطأ فـي العـراق مـحـبب
ومن لم تكن كـتـب الموطأ ببـيـتـه ... فـذاك من التـوفـيق بيت مـخـيب

(١) فى طبعـة المغرب: «الورخـسى»، والمثبت من الديباج ١/ ١٠٥ وقـد ورد كثـير من هذه الأبيات فى الديباج.

أتعجب منه إذ علا في حياته؟ تعاليه من بعد المنية أعجب!
جزى الله عنا، في موطأه، مالكًا بأفضل ما يجزى اللبيب المهذب
لقد أحسن التحصيل في كل ما روى كذا فعل من يخشى الإله ويرهب
لقد فاق أهل العلم حيًا وميتًا فأضحت به الأمثال للناس تضرب
وما فاقهم إلا بتقوى وخشية وإذ كان يرضى في الإله ويغضب
فلا زال يسقي قبره كل عارض بمندفق ظلت عزاليه تسكب
ويسقي قبورًا حوله دون سقيه فيصبح فيما بينها وهو معشب
وما بي بخل أن تسقى كسقيه ولكن حق العلم أولى وأوجب

وقال أبو الطاهر أحمد بن محمد الأصفهاني في ذلك:

أعم الكتب نفعًا للفقيه موطأ مالك لا شك فيه
فلا تبدأ بشيء من سماع سواه عن إمام ترتضيه
وصاحب من يعظمه وجانب كتاب جميع من قد يزدريه

وقال القاضي المؤلف رضي الله تعالى عنه في ذلك:

إذا ذكرت كتب العلم فخيرها كتاب الموطأ من تصانيف مالك
أصح أحاديثًا وأثبت سنة وأوضحها في الفقه نهجًا لسالك
أسانيد، أمثال الرواسي، صحيحة ورأي كأنوار النجوم الشوابك
هو الحجة الغراء والعصمة التي ينجي هداها من جميع المهالك
به يهتدى في كل أمر ويقتدى وفيه جلاء المشكلات الحوالك
عليه مضى الإجماع في كل أمة على رغم خشيوم الحسود المهالك

وأول تصنيف تهذب فاغتدى يعلم كلا نهج تلك المسالك

بتأليف أشكال وحسن عبارة وإتقان ترتيت لتلك المدارك

فَجَاءَكَمَا جاء الوشام منظمًا وخلص محض التبر تخليص سابك

فعنه فخذ علم الديانة خالصًا ومنه استفد علم النبي المبارك

وشد به كف الضنانة تحتوي فمن حاد عنه هالك في المهالك

obeikandl.com

باب في اعتناء الناس بكتاب الموطأ وتهممهم به

قال القاضي رضي الله عنه: لم يعتن بكتاب من كتب الفقه والحديث اعتناء الناس بالموطأ، فإن الموافق والمخالف أجمع على تقديمه وتفضيله وروايته وتقديم حديثه وتصحيحه.

وقد ذكرنا ذلك في الباب قبله طرفًا، ونذكر بعد هذا بابًا فيمن رواه من الجلة عن مالك إن شاء الله.

فأما من اعتنى بالكلام على رجاله وحديثه والتصنيف في ذلك، فعدد كثير من المالكيين وغيرهم، ومن أصحاب الحديث والعربية، وجمع كثير منهم حديث مالك من الموطأ وغيره.

فممن ألف في ذلك القاضي إسماعيل، صنع موطأه المسند عن رجاله إلى مالك بن أنس، من موطآت مالك وسائر حديثه. وألف مسند حديث مالك. وألف أيضًا شواهد الموطأ. وألف مسند الموطأ، قاسم بن أصبغ. وأبو القاسم الجوهري، وأبو الحسن القابسي في كتابه: الملخص.

وألف مسند الموطيات أبو ذر الهروي.

وألف حديث مالك، أبو بكر القبّاب.

وألف مسند الموطأ أيضًا، أبو الحسن علي بن خلف السجلماسي، رواه عنه عبدوس بن محمد.

ومثله للمطرز.

ولأبي عبيد الله الجيزي.

ولأحمد بن فهزاد الفارسي.

وللقاضي ابن مفرّج.

ولابن الأعرابي.

ومسند حديث مالك ورأيه: محمد بن شروس الصنعاني.

وحديث مالك، رواية ابن نافع الزبيري.

وألف مسند حديث مالك، أبو عبد الرحمان النسائي.

وأبو أحمد بن عدي الجرجاني.

وأحمد بن إبراهيم بن جامع البسكري[1].

وقبدار بن الأعرابي.

وابن عفير.

وأبو عبد الله السراج النيسابوري.

وأبو بكر بن زياد النيسابوري.

وأبو العرب التميمي.

وأبو حفص بن شاهين.

وعبد العزيز بن سلمة.

وأبو القاسم الحافظ الأندلسي.

وأبو عمر بن عبد البر.

والقاضي ابن مفرج.

ومحمد بن عيشون الطليطلي.

---

(١) فى طبعة المغرب: «السكوى».

obeikandl.com

وألف أبو القاسم الجوهري أيضًا مسند حديث مالك خارج الموطأ.

وأبو بكر محمد بن عيسى الحضرمي.

وعبد الغني بن سعيد.

وأبو الفضل بن أبي عمران الهروي.

وألفه أبو الحسن الدار قطني أيضًا.

وله كتاب في اختلاف الموطآت.

وألف غريب حديث مالك أفلح بن أحمد.

وابن الجارود.

وقاسم بن أصبغ.

ولأبي الحسن الدار قطني تأليف في الأحاديث التي خولف فيها مالك.

وللبزاز تأليف في نحو هذا.

ولمحمد بن أبي المظفر الحافظ، كتاب فيما وصله مالك مما ليس في الموطأ.

وألف مسند الموطأ، رواية القعنبي، أبو عمر بن خضر الطليطلي.

وإبراهيم بن نصر السرقسطي.

ولأبي بكر بن أحمد بن سعيد بن فوضخ الإخميمي مسند الموطأ.

وألف مسند حديث مالك، أبو سليمان محمد بن عبد الله بن زيد.

وأسامة بن علي بن زيد المصري.

وموسى بن هارون الحمال.

وأبو نعيم الحلبى القلانسي.

وللقاضي أبى بكر بن السليم، كتاب التوصيل مما ليس في الموطأ.

ولأبي الحسن بن أبي طالب العابر كتاب موطأ الموطأ.

ولأبي بكر بن ثابت الخطيب كتاب أطراف الموطأ.

وصنع يحيى بن مزين، عليه، كتابه في شرحه، وكتابه المسمى بالمستقصية في علله.

واختصر محمد بن أبي زمنين شرحه له في كتابه المسمى بالمغرب.

ولابن مزين أيضًا كتاب في رجاله.

ولابن وهب فيه شرح.

وكذلك لعيسى بن دينار.

ولعبد الله بن نافع الصائغ.

ولحرملة بن يحيى.

ولمحمد بن سحنون.

ولابن حبيب، ولمسلم، تأليف في شيوخ مالك.

وللبرقي كتاب في رجال الموطأ.

وكذلك لأبي عمر الطلمنكي.

وكذلك للقاضي أبي عبد الله بن الحذاء.

ولأبي عبد الله بن مفرج كتاب في ذلك.

وللبرقي أيضًا شرح لغريبه.

ولأحمد بن عمران الأخفش كتاب في غريبه.

ولأبي القاسم العثماني المصري شرح غريبه أيضًا.

ولأبي جعفر الداودي كتابه، النامي، في شرحه أيضًا.

ولأبي مروان القنازعي كتابه المشهور في شرحه أيضًا.

ولأبى عبد الملك البوني كتابه في شرحه، مشهور أيضًا.

ولابن حوط جمع الموطأ من رواية ابن وهب وابن القاسم.

ورأيت لغيره جمعًا من رواية يحيى الأندلسي وأبي مصعب.

ولأبي عمر بن عبد البر كتاباه الكبيران المشهوران في الكلام عليه وشرح معانيه، وهما كتاب التمهيد، وكتاب الاستذكار، وله كتاب التقصي في مسند حديثه ومرسله، وكتاب في حديث مالك خارج الموطأ.

وللقاضي أبي وليد الباجي كتابه المشهور أيضًا عليه: المنتقى، وكتاب الإيماء، وكتاب الاستيفاء، لكن هذا لم يتم، وهو كان أكبرها وأجمعها.

وله كتاب اختلاف الموطآت.

وللقاضي أبي الوليد الصفار كتاب الموعب، في شرحه، لم يكمله.

وللقاضي محمد بن سليمان بن خليفة كتابه الكبير، في شرحه، المسمى بالمحلي.

ولأبي بكر بن سابق الصقلي كتابه، في شرحه، المسمى بالمسالك.

ولأبي محمد بن حزم الظاهري كتاب في شرحه أيضًا.

وكان شيخنا القاضي أبو الوليد بن العواد، ألف تأليفًا جمع فيه بين الاستذكار والتمهيد، توفى رحمه الله قبل تمامه.

ولأبي محمد بن السيد البطليوسي النحوي كتاب، في شرحه أيضًا، كبير، سماه المقتبس.

وتوجيه الموطأ لأبي عبد الله بن عيشون الطليطلي.

ولأبي سعيد عمران بن عبد ربه المعافري الأندلسي المعروف بالدباغ، عمل في دلائل أبي محمد الأصيلي وتأليفه على أبواب الموطأ، ووقفت عليه.

ولأبي القاسم بن الجد الكاتب كتاب في اختصار التمهيد.

لابن عبد البر في حديث الموطأ، وبعضهم ينسبه إلى أبي عبد الله مالك ابن وهب.

وللشيخ حازم بن محمد بن حازم كتابه المسمى بالمسهر عن أثر الموطأ في أربعين جزءًا.

وفي الموطأ تفسير أيضًا لرجل قرطبي يعرف بأبي الحسن الإشبيلي.

ولرجل آخر يسمى بابن شراحيل.

ولأبي عمر الطلمنكي فيه تفسير لم يكمله.

وكذا للقاضي أبي عبد الله بن الحذاء.

وشرح مسند الموطأ للقاضي يونس بن مغيث، وهو شرح الملخص.

وشرحه أيضًا أبو القاسم المهلب ابن أبي صفرة وأخوه أبو عبد الله.

ولأبي محمد بن يربوع المحدث، ممن لقيناه، كتاب في الكلام على أسانيده، سماه تاج الحلية وسراج البغية.

وللشيخ عاصم النحوي كتاب في شرحه لم يكمله أيضًا.

وشرح الملخص أبو بكر بن موهب العنبري في أسفار كثيرة.

باب في ذكر من روى الموطأ من الجلة والأئمة المشاهير الثقات عن مالك رحمه الله، وروى عن أكثرهم في المشرق والمغرب

منهم:

عبد الرحمن بن القاسم.

وعبد الله بن وهب.

ومطرف بن عبد الله.

أبو مصعب الزهري.

محمد بن إدريس الشافعي.

عبد الله بن عبد الحكم.

يحيى بن بكير.

محمد بن الحسن، صاحب أبي حنيفة.

مصعب بن عبد الله الزبيري.

وأخوه بكار.

وابنه الزبير بن بكار.

يحيى بن يحيى النيسابوري.

يحيى بن يحيى الأندلسي.

أبو قرة السكسكي.

محمد بن المبارك الصوري.

عبد الله بن مسلمة القعنبي.

obeikandl.com

عبد الله بن يوسف التنيسي.

أبو حذافة السهمي، بغدادي.

أحمد بن منصور التامراني.

قتيبة بن سعيد الخراساني.

معمر بن عيسى، مدني.

عتيق بن يعقوب الزهري.

أسد بن الفرات القروي.

إسحاق بن عيسى الطباع، شامي.

يزيد المعنى، بغدادي.

حفص بن عبد السلام، أندلسي.

وأخوه حسان.

حبيب بن أبي حبيب، كاتبه.

خلف بن جرير بن فضالة، قروي.

خالد بن نزار الأيلي.

الغازي بن قيس، أندلسي.

قرعوس بن العباس، أندلسي.

محمد بن يحيى النسائي، أندلسي.

محرر المدني، وأراه، ابن هارون بن عبد الله الهديري.

يحيى بن مالك.

obeikandl.com

وابنته فاطمة.

يحيى بن صالح الوحاظي، شامي.

ويحيى بن مضر، أندلسي.

سعيد بن الحكم بن أبي مريم، مصري.

سعيد بن كثير بن عفير، مصري.

سعيد بن أبي هند، أندلسي.

سعيد بن عبدوس، أندلسي.

سليمان بن برد، مصري.

عبد الأعلى بن مسهر الدمشقي.

عبد الرحيم بن خالد المصري.

سويد بن سعيد الحدثاني.

إسماعيل بن أبي أويس.

وأخوه أبو بكر.

علي بن زياد التونسي.

عباس بن أصبح، أندلسي.

عيسى بن شجرة، تونسي.

أيوب بن صالح المزني، سكن الرملة.

عبد الرحمن بن هند، طليطلي، أندلسي.

وعبد الرحمن بن عبد الله، أشبوني، أندلسي.

obeikandl.com

وعبد الرحمن بن حيان الدمشقي.

سعيد بن داود بن سعيد بن أبي زنبر، مدني.

قال القاضي رضي الله عنه: فهؤلاء الذين حققنا أنهم رووا عنه الموطأ، ونص على ذلك أصحاب الأثر والمتكلمون في الرجال.

وقد ذكروا أيضًا أن محمد بن عبد الله الأنصاري البصري أخذ الموطأ عنه كتابة.

وإسماعيل بن صالح أخذه عنه مناولة.

وأما أبو يوسف القاضي فرواه عن رجل، عنه.

وذكروا أن الرشيد وبنيه الأمين والمأمون والمؤتمن أخذوا عنه الموطأ.

وقد ذكر عن المهدي والهادي أنهما سمعا منه ورويا عنه، وأنه كتب الموطأ للمهدي.

ولا مرية أن رواة الموطأ من هؤلاء من جملة أصحابه ومشاهير رواته، ولكنا إنما ذكرنا من بلغنا نصًا، سماعه له منه، وأخذه له عنه، أو من اتصل إسنادنا له فيه عنه.

والذي اشتهر من نسخ الموطأ، مما رويته، أو وقفت عليه، أو كان في رواية شيوخنا رحمهم الله، أو نقل منه أصحاب اختلاف الموطآت، نحو عشرين نسخة، وذكر بعضهم أنها ثلاثون نسخة.

وبالله عز وجل التوفيق.

* * *

باب ذكر تواليف مالك غير الموطأ

قال الإمام القاضي رضي الله عنه: اعلموا وفقكم الله أن لمالك رحمه الله أوضاعًا شريفة مروية عنه، أكثرها بأسانيد صحيحة، في غير فن من العلم، لكنه لم يشتهر عنه منها، ولا واظب على إسماعه وروايته، غير الموطأ، مع حذفه منه وتلخيصه له شيئًا بعد شيء.

وسائر تواليفه، إنما رواها عنه من كتب بها إليه، أو سأله إياها، أو آحاد من أصحابه، ولم تروها الكافة.

فمن أشهرها رسالته إلى ابن وهب في القدر والرد على القدرية، وهو من خيار الكتب في هذا الباب، الدال على سعة علمه بهذا الشأن رحمه الله.

وقد حدثنا بها غير واحد من شيوخنا بأسانيدهم المتصلة إلى مالك رحمه الله.

منهم الفقيه أبو محمد بن عتاب، حدثنا بها هو وغيره عن حاتم بن محمد، عن أبي محمد بن دنير الطليطلي، عن أبي الفرج عبد الله بن عبد الوارث، عن محمد بن أحمد بن سعدون، عن محمد بن سحنون، عن عبد العزيز بن يحيى القرشي، عن ابن وهب.

وأخبرني بها القاضي أبو علي الصدفي، عن القاضي أبي الوليد الباجي، عن أبي محمد بن الوليد، عن أبي محمد بن أبي زيد، عن سعدون ابن أحمد الخولاني، عن محمد بن عبد الحكم، عن ابن وهب.

وهذا سند صحيح، مشهور الرجال، وكلهم أئمة ثقات.

ومنها كتابه في النجوم وحساب مدار الزمان ومنازل القمر، وهو كتاب جيد مفيد جدًا، قد اعتمد الناس عليه في هذا الباب، وجعلوه أصلاً، وعليه

اعتمد أبو محمد عبد الله بن مسرور القروي في تأليفه في هذا الباب وصدر بفصوله، وقد أدخل جميعه صاحبا كتاب الاستيعاب لأقوال مالك: أبو عبد الله المعيطي، وأبو عمر بن المكوى، في جامع كتابهما الكبير.

قال سحنون: وهو مما انفرد بروايته عن مالك عبد الله بن نافع الصائغ.
قال سحنون: سمعته من ابن نافع.

وهو في روايتنا عنه من طريق غير واحد من شيوخنا، عن أبي القاسم الطرابلسي، عن ابن دنير، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عيسى، عن بعض أصحابه، عن محمد بن ميسور، عن إبراهيم بن هلال، ومطرف بن قيس، عن سحنون، عن عبد الله بن نافع الصائغ، عن مالك.

وعن غير واحد، عن أبي عبد الله بن عتاب، عن أبي القاسم خلف بن يحيى، عن أبي جعفر تميم بن محمد، عن أبيه، عن عبد الجبار بن خالد وأحمد بن أبي سليمان، عن سحنون.

قال أبو القاسم: وحدثنا به أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خالد، عن أبيه، عن إبراهيم بن هلال، عن سحنون.

وهذا أيضًا سند صحيح، رواته كلهم ثقات.

ومن ذلك رسالة مالك في الأقضية، كتب بها لبعض القضاة، عشرة أجزاء، أخبرنا بها الفقيه أبو إسحاق بن جعفر، عن ابن سهل، عن حاتم بن محمد، عن ابن دينار، عن أبي جعفر بن رحمون، عن سعيد بن شعبان، عن محمد بن يوسف بن مطروح، عن عبد الله بن عبد الجليل مؤدب مالك ابن أنس.

ومن ذلك رسالته إلى أبي غسان محمد بن مطرف في الفتوى، وهي

مشهورة، يرويها عنه خالد بن نزار، ومحمد بن مطرف، وهو ثقة من كبار أهل المدينة، قرينًا لمالك، يروي عن أبي حازم وزيد بن أسلم، وروى عنه الثقات ووثقوه.

وقد نقل إسحاق بن شعبان أقوال مالك في هذه الرسالة، منها، في كتابه.

ومن ذلك رسالته إلى هارون الرشيد المشهورة في الآداب والمواعظ.

حدث بها بالأندلس أولاً ابن حبيب، عن رجاله، عن مالك، وحدث بها آخرًا أبو جعفر بن عون الله، والقاضي أبو عبد الله بن مفرج، عن أحمد ابن زيدويه الدمشقي، ولم يرفع السند.

وحدثنا شيوخنا بذلك عن أبي عمر الطلمنكي، عنهما، ولم يرفع لنا سند هذه الرسالة من هذا الطريق، وأما من غيره فقد أخبرنا به القاضي الشهيد أبو علي، وغير واحد من شيوخنا عن أبي الحسن بن الطيوري البغدادي، عن أبي الحسن العبيدي، عن أبي عمر بن حيويه، عن أبي عمر عبيد الله بن عثمان العثماني، عن أبيه، عن عبد الله بن نافع، عن مالك.

وأخبرنا بها أيضًا أبو محمد بن عتاب، عن أبي عبد الله بن نبات، عن ابن مفرج، عن أبي جعفر، محمود بن عبد الحميد الفرغاني، عن عثمان بن عبد الله بن سعيد بن المغيرة العثماني، قال: حدثنا عبد الله بن نافع الزبيري قال: هذا كتاب وضعه مالك بن أنس أدبًا للناس.

قال أبو عبد الله بن عتاب: هذا الإسناد وهم، ولا شك في سقوط رجل محدث منه.

وقد أنكرها بعض مشايخنا: إسماعيل القاضي، والأبهري، وأبو محمد

ابن أبي زيد، وقالوا: إنها لا تصح، وإن طريقها لمالك ضعيف، وفيه أحاديث لا نعرفها.

قال الأبهري: فيها أحاديث لو سمع مالك من يحدث بها أدبه، وأحاديث منكرة تخالف أصوله.

قالوا: وأشياء فيها لا تعرف من مذهب مالك ورأيه.

وقد أنكرها أصبغ بن الفرج أيضًا، وحلف ما هي من وضع مالك.

ومن ذلك كتابه في التفسير لغريب القرآن الذي يرويه عنه خالد بن عبد الرحمن المخزومي.

أخبرنا به أبو جعفر أحمد بن سعيد عن أبي عبد الله بن محمد بن الحسن المقري، عن محمد بن علي بن النعالي المصيصي، عن أبيه، عن أبي الحسن علي بن أحمد الرزاز، عن أبي بكر الجعدي، عن أبي العباس أحمد ابن محمد بن هاني البزار عن يحيى بن عتيك القروي، عن خالد بن عبد الرحمن المخزومي، عن مالك.

وذكر الخطيب أبو بكر في تاريخه الكبير عن أبي العباس السراج النيسابوري أنه قال: هذه سبعون ألف مسألة لمالك، وأشار إلى كتب منضدة عنه، كتبها.

قال القاضي المؤلف رضي الله عنه: هي جواباته في أسمعة أصحابه التي عند العراقيين.

وقد نسب إلى مالك أيضًا كتاب يسمى كتاب السر من رواية ابن القاسم، عنه.

حدثنا به بالإجازة أبو محمد بن عتاب، عن أبي عمر بن الحذاء، عن

أبيه أبي عبد الله عن أبي القاسم الحسين بن عبيد الله بن أحمد العثماني، عن محمد بن عبد العزيز بن صافي الحراني، يعرف بالجرو، عن الحارث بن مسكين، عن ابن القاسم عن مالك.

وأما رسالته إلى الليث في إجماع أهل المدينة فقد رويناها أيضًا، وذكرناها أول الكتاب بنصها، لأنها صغيرة واحتجنا إلى ذكرها في موضعها، والله ولي التوفيق بعزته.

***

obeikandl.com

باب في أخبار مالك مع الملوك، ووعظه إياهم، وحسن مقامه عند الولاة، وزيارته لهم، وأخذه منهم جوائزهم

قال القاضي رضي الله عنه: سئل عيسى بن عمر المدني: أكان مالك يغشى الأمراء؟ قال: لا، إلا أن يبعثوا إليه فيأتيهم.

وقيل لمالك: تدخل على السلاطين وهم يظلمون ويجورون؟ فقال: يرحمك الله، وأين التكلم بالحق.

وقال مالك: حق على كل مسلم، أو رجل فعل الله في صدره شيئًا من العلم والفقه، أن يدخل إلى ذي سلطان يأمره بالخير وينهاه عن الشر، ويعظه حتى يتبين دخول العالم على غيره، لأن العالم إنما يدخل على السلطان لذلك، فإذا كان، فهو الفضل الذي لا بعده فضل.

قال عتيق بن يعقوب: كان مالك إذا دخل على الوالي وعظه وحثه على مصالح المسلمين، ولقد دخل يومًا على هارون الرشيد، فحثه على مصالح المسلمين.

قال له: لقد بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في فضله وقدمه ينفخ لهم عام الرمادة النار تحت القدور، يخرج الدخان من لحيته، وقد رضي الناس منكم بدون هذا.

ودخل عليه مرة، وبين يديه شطرنج منصوب وهو ينظر فيه، فوقف مالك ولم يجلس وقال: أحق هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: لا. قال: «فماذا بعد الحق إلا الضلال» فرماه هارون برجله وقال: لا ينصب بين يدي بعد.

وقال لبعض الولاة: افتقد أمور الرعية، فإنك مسئول عنهم، فإن عمر ابن الخطاب قال: والذي نفسي بيده لو هلك جمل بشاطىء الفرات ضياعًا لظننت أن الله يسألني عنه يوم القيامة.

وقال الحسن: سمعت مالكًا يحلف بالله ما دخلت على أحد منهم - يعني السلطان - إلا أذهب الله هيبته من قلبي، حتى أقول له الحق.

قال خلف بن عمر: قلت لمالك: الناس يكثرون أنك تأتي الأمراء، فقال: إن ذلك بالحمل من نفسي، وذلك أنه ربما استشير من لا ينبغي.

وقال لآخر: لولا أني آتيهم ما رأيت للنبي ﷺ في هذه المدينة سنة معمولاً بها.

قال ابن وهب وابن عبد الحكم: قال مالك دخلت على أبي جعفر فرأيت غير واحد من بني هاشم يقبل يده المرتين والثلاث، فرزقني الله العافية من ذلك فلم أفعل.

وروى أنه كان جالسًا مع أبي جعفر، فعطس أبو جعفر فشمته مالك، فلما خرج أنكر عليه الحاجب ذلك وتهدده إن عاد لتشميته، فلما كان بعد ذلك جلس عنده فعطس أبو جعفر، فنظر مالك إلى الحاجب، ثم قال للمنصور: أي حكم تريد يا أمير المؤمنين؟ أحكم الله أو حكم الشيطان؟ قال: لا بل حكم الله. قال: يرحمك الله.

قال يعيش بن هشام الخابوري: كنت عند مالك إذ أتاه رسول المأمون، ويقال: الرشيد، وهو الصحيح، ينهاه أن يحدث بحديث معاوية في السفرجل.

قال: تلا مالك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا... ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة]، ثم قال: والله لأخبرن بها في هذه الغرفة، واندفع فقال:

حدثنا نافع عن ابن عمر: كنت عند رسول الله ﷺ فأهدي إليه سفرجل، فأعطى أصحابه واحدة واحدة، وأعطى معاوية ثلاث سفرجلات،

وقال: القني بهن في الجنة. وقال رسول الله ﷺ: السفرجل يذهب طخاء القلب.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: لم يدرك مالك أيام المأمون، توفى قبلها، وذكر المأمون هنا وهم.

قال الزبيري عن مالك، لما دخلت على أبي جعفر - وذكر قصته معه في حمل الناس على كتبه نحو القصة التي قدمنا - قال: كلمته في الناس، وحضضته عليهم، وجعل يسألني عن بنتي وعن ابني، وعن أهلي، فأخبره، ثم قال: أترى أني أعرف منزلك ولا أعرف أمر الناس؟

ثم قال لي: إن رابك ريب من عامل المدينة أو عامل مكة، أو أحد من عمال الحجاز في ذاتك أو ذات غيرك، أو سوء سيرة في الرعية، فاكتب إلي بذلك أنزل بهم ما يستحقون، وقد كتبت إلى عمالي بهذا أن يسمعوا منك ويطيعوا في كل ما تعهد إليهم، فانههم عن المنكر وأمرهم بالمعروف تؤجر على ذلك، وأنت حقيق أن تطاع ويسمع منك.

ثم خرجت فتبعتني صلته، ذكر أنها كانت خمسة آلاف وكسوة حسنة، ولابنه محمد ألف.

قال: فلما لحقه الخصي جعلها على منكبه، وكذلك كانوا يفعلون ليخرج بها على الناس، فانحنى مالك عنها كراهية لذلك، فناداه أبو جعفر: بلغها إلى رحل أبي عبد الله.

ولما قدم المهدي إلى المدينة جاءه الناس مسلمين عليه، فلما أخذوا مجالسهم استأذن مالك، فقال الناس: اليوم يجلس مالك آخر الناس. فلما دنا ونظر إلى ازدحام الناس، قال:

يا أمير المؤمنين! أين يجلس شيخك مالك؟

فناداه: عندي يا أبا عبد الله!

فتخطى الناس حتى وصل إليه، فرفع المهدي ركبته اليمنى.

وأجلسه حتى أتى المهدي بالطست والإبريق، فغسل يده، ثم قال للغلام: قدمه إلى أبي عبد الله، فقال مالك: يا أمير المؤمنين، ليس هذا من الأمر المعمول به، ارفع يا غلام! فأكل معه غير متوضئ، وذكر قصته معه في الموطأ.

وروى أن مالكًا دخل على عبد الملك بن صالح أمير المدينة، فجلس ساعة ثم دعا بالطعام والوضوء، فقال: ابدأوا بأبي عبد الله.

فقال مالك: إن أبا عبد الله - يعني نفسه - لا يغسل يده.

فقال: لم؟

قال: ليس هذا هو الذي أدركت عليه أهل العلم ببلدنا، إنما هو من زي الأعاجم، وقد نهى عمر عن أمر الأعاجم، وكان عمر إذا أكل، مسح يده بباطن قدمه.

فقال له عبد الملك: أأترك يا أبا عبد الله؟ فقال: أي والله! فما عاد إلى ذلك ابن صالح.

قال مالك: ولا آمر الرجل أن لا يغسل يده، ولكن إذا جعل ذلك كأنه واجب عليه، فلا.

أميتوا سنة العجم، وأحيوا سنن العرب، أما سمعت قول عمر رحمه الله: تمعددوا واخشوشنوا وامشوا حفاة، وإياكم وزي الأعاجم.

قال حسين بن عروة: ولما قدم المهدي المدينة بعث إلى مالك بألفي دينار، أو بثلاثة آلاف دينار، مع الربيع، فلما خرج من عنده قال:

يا جارية! لا تمسي هذا المال، فإني تفرست حين نظرت وجه الربيع، ورأيت فيه أمرًا منكرًا، ولهذا المال سبب.

فلما حج المهدي وقدم المدينة، أتاه الربيع بعد ذلك فقال له:

أمير المؤمنين يقرئك السلام، ويحب أن تعادله إلى مدينة السلام.

فقال مالك: أقرىء أمير المؤمنين السلام وقل له: قال رسول الله ﷺ: «والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» والمال عندي على حاله، يا جارية! أخرجيه.

فأبى الربيع أن يقبله، فلم يزل به مالك حتى أخذه. فأتى الربيع المهدي، فغمه رد المال، فلما كان وقت رحلته شيعه الناس، فوصلهم، ووجه إلى مالك فودعه ولم يأمر له بشيء، فلما أتى منزله وجه له ستة آلاف دينار، فالتفت إلى من كان حاضرًا وقال:

من ترك شيئًا لله، عوضه الله خيرًا مما ترك.

وقال لمالك بعض ولاة المدينة: لم لا تخضب كما يخضب أصحابك؟ فقال له مالك: لم يبق عليك من العدل إلا أن أخضب!

وأثنى قوم على والي المدينة بحضرته عند مالك، فغضب مالك ثم التفت إليه وقال:

إياك أن يغرك هؤلاء بثنائهم عليك، فإن من أثنى عليك وقال فيك من الخير ما ليس فيك، يوشك أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك، فاتق الله في التزكية منك لنفسك، أو ترضى بها من أحد يقولها لك في وجهك،

فإنك أنت أعرف بنفسك منهم، فإنه بلغني أن رجلاً امتدح رجلاً عند النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «قطعتم ظهره، أو «عنقه» لو سمعها ما أفلح».

وقال النبي ﷺ: «احثوا التراب في وجوه المداحين[1]».

وناظر أبو جعفر المنصور مالكًا في مسجد النبي ﷺ، فرفع أبو جعفر صوته، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد! إن الله تعالى أدب قومًا فقال: ﴿...لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ... ﴿٢﴾﴾ [الحجرات]، ومدح قومًا فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ ... ﴿٣﴾﴾ [الحجرات]، وذم قومًا فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ ... ﴿٤﴾﴾ [الحجرات]، وإن حرمته ميتًا كحرمته حيًا، فاستكان لها أبو جعفر.

وقال له أبو جعفر: أدعو مستقبل القبلة أم مستقبل رسول الله ﷺ؟

فقال مالك: ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك، ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى يوم القيامة؟ بل استقبله، واستشفع به إلى ربك يشفع لك، قال الله تعالى: ﴿...وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ ... ﴿٦٤﴾﴾ [النساء].

قال أسامة بن زيد: لما قدم أبو جعفر، دخلنا مسلمين عليه، وأخذنا مجالسنا، فبينا نحن كذلك إذ دخل مالك، فقال له أبو جعفر:

إلى ها هنا يا أبا عبد الله، لما تركتم قول علي وابن عباس، وأخذتم بقول ابن عمر؟

قال له: لأنه آخر من مات من أصحاب رسول الله ﷺ.

فقال المنصور: يا أبا عبد الله، والله ما بقي على الأرض أعلم مني ومنك، خذ بقول ابن عمر، ودعني ممن سواه.

---

(١) فى طبعة المغرب: «المادحين» والمثبت من كنز العمال ج٣ برقم ٧٩٦٠.

قال مصعب: لما قدم المهدي المدينة، استقبله مالك وغيره من أشرافها على أميال، فلما بصر بمالك، انجذب[1] المهدي إليه، فعانقه وسلم عليه وسايره،

فالتفت مالك إلى المهدي فقال:

يا أمير المؤمنين! إنك تدخل الآن بالمدينة فتمر بقوم عن يمينك ويسارك، وهم أولاد المهاجرين والأنصار، فسلم عليهم، فإن ما على وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة ولا خير من المدينة.

فقال له: ومن أين قلت ذلك يا أبا عبد الله؟

قال: لأنه لا يعرف قبر نبي اليوم على وجه الأرض غير قبر محمد ﷺ، ومن كان قبر محمد عندهم، فينبغي أن يعلم فضلهم على غيرهم.

ففعل المهدي ما أمره به مالك، فلما دخل المدينة ونزل، وجه ببغلته إلى مالك ليركبها ويأتيه، فرد البغلة وقال: إني لأستحيي من الله أن أركب في مدينة، فيها جثة رسول الله ﷺ، وأتاه ماشيًا، وكانت به علة، فاتكأ على المغيرة المخزومي وعلى ابن حسن العلوي، وعلى ابن أبي علي اللهبي، وهؤلاء علماء المدينة وأشرافها، فلما بصر به المهدي قال:

يا سبحان الله! ترك ركوب البغلة إجلالاً لرسول الله ﷺ، فقيض الله له هؤلاء فاتكأ عليهم، والله لو دعوتهم أنا إلى هذا ما أجابوني.

فقال المغيرة: يا أمير المؤمنين! نحن قد افتخرنا على أهل المدينة، لما اتكأ علينا.

---

(١) في طبعة المغرب: «انحرف».

واستسقى مالك عند المهدي، فأتي بقدح زجاج في أذنه حلقة فضة، فأبى أن يشرب به، فأتي بكوز فخار فشرب، فأمر المهدي بالحلقة فقلعت.

قال معن: دخل إبراهيم بن يحيى العباسي أمير المدينة يومًا على مالك، ومالك حديث عهد بعلة، فثبت مالك في مجلسه لم يقم له ولم يوسع، فجلس إبراهيم على أقل فراش مالك، ومالك لم يتزحزح، فحادثه ساعة، ثم قال له:

ما تقول يا أبا عبد الله في محرم قتل قملة؟

قال: لا يقتلها.

قال: فإنه قتلها، فما فديتها؟

قال مالك: لا يفعل.

قال: فعل.

قال: لا يفعل.

قال: أقول لك قد فعل، فتقول لي لا يفعل.

قال: نعم.

فقام إبراهيم مغضبًا، وسكت مالك ساعة، ثم قال لنا: إنما يريدون أن يعبثوا بالدين، إنما الفدية على من قتلها غير عامد لقتلها، وهذا يريد أن لا يبقى في عسكره قملة على أحد من حشمه.

قال معن: وسأل إبراهيم هذا مالكًا أن يكتب له كتابًا، فكتبه له، ثم دخل عليه مالك يومًا فقال له إبراهيم:

أحب أن تكتب لي كتابًا مكان ذلك الكتاب، فقد ضاع.

فقال مالك: لم يضع أصلحك الله.

قال: بلى، وحقك لقد ضاع، فعجل لي كتابًا مثله.

قال: ما أنا بفاعل.

قال: لم؟

قال: لأنه لا يضيع كتاب مثلك، مر به يطلب تجده إن شاء الله.

ثم عاد إليه بعد، فقال: علمت يا أبا عبد الله أنا طلبنا الكتاب فوجدناه؟

فقال: الحمد لله، أصبته حين طلبته.

قال عتيق بن يعقوب: خرجنا مع مالك إلى المصلى يوم عيد، ومالك يمشي، وخرج عبد الملك بن صالح أمير المدينة في سلاح وتعبئة ورايات وأعلام، فنظر إليهم مالك فقال:

إنا لله وإنا إليه راجعون، ما هكذا كان النبي ﷺ والخلفاء الراشدون.

فبلغ ذلك عبد الملك، فأتاه في المصلى فقال: يا أبا عبد الله! ما الذي أنكرت؟

قال: ما رأيت معك، إنما يأتي الناس الصلاة خاضعين خاشعين يرجون المغفرة، ولقد أخبرني يحيى بن سعيد، أن النبي ﷺ، دخل عام الفتح مكة في عشرة آلاف أو اثني عشر ألفًا، وكان راكبًا وسط راحلته، وتحته قطيفة قيمتها أربعة دراهم، منكس الرأس، وهو يقول: الملك لله الواحد القهار، وكان يأتي المصلى للعيدين والاستسقاء، متوكئًا على عصا أو قوس، منكسًا رأسه، خاشعًا.

قال عتيق بن يعقوب: دخل مالك يومًا على عبد الملك بن صالح، وقد غضب على بعض أهل المدينة حتى بلغ ذلك منه، فقال له مالك: قال كعب لعمر: في التوراة أنه مكتوب: ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء، فقال له عمر: إلا من حاسب نفسه، فقال كعب: ما بينهما حرف «إلا من حاسب نفسه».

ووعظ المنصور في افتقاد أحوال الرعية، فقال له:

أليس إذا بكت ابنتك من الجوع، جعلت الخادم تحرك الرحا لئلا يسمعها الجيران؟

فقال مالك: والله ما علم بهذا إلا الله.

فقال له: فعلمت هذا ولا أعلم حال الرعية؟

قال بعضهم: لما قدم الرشيد المدينة، وقال آخر: بعض الخلفاء، أراد أن ينقض منبر النبي ﷺ ويزيد فيه، فقال لمالك: ما ترى؟ فقال: ما أرى.

فغضب وقال: قد زاد فيه معاوية.

فقال مالك: إن المنبر إذ ذاك كان صلبًا، فلست آمن إن نقضته أن تذهب البركة منه، وفي رواية: أن يتهافت فيتشاءم الناس منك، ويقولون: زال على يده أثر من آثار رسول الله ﷺ.

فقال: أحسن الله جزاءك، فترك ما كان نواه.

قال: وشاور المهدي مالكًا في ثلاثة أشياء، في الكعبة أن ينقضها ويردها على ما كانت عليه، فأشار عليه أن لا يفعل، وفي المنبر أن ينفضه ويرده على ما كان عليه، وذلك حين أراد أن يرد المنابر كلها صغاراً على منبر النبي ﷺ، فقال له مالك: إنما هو من طرفاء، وقد سمر إلى هذه العيدان، يعني التي

زادها معاوية، وأخشى إن نقضته أن يخرب وينكسر، ولولا ذلك لرأيت أن ترده إلى حالته الأولى، وشاوره في نافع بن أبي نعيم القارىء أن يقدمه للصلاة فأشار عليه ألا يفعل وقال: هو إمام أخاف أن يكون منه شيء من الغفلة فيحكى عنه.

وقال ابن عبد الحكم: استأذن المهدي على مالك، فحبسه ساعة ثم أذن له، فلما دخل قال: يا أمير المؤمنين! إن العيال سمعوا بمجيئك فأحبوا أن يصلحوا من منزلهم.

قال سعيد بن أبي زنبر: كتب مالك رحمه الله إلى بعض الخلفاء كتابًا يعظه فيه:

«أما بعد، فإني أكتب إليك كتابًا لم آل فيه رشدًا، ولم أدخر فيه نصحًا، فيه تحميد الله تعالى، وأدب رسوله ﷺ، فتدبر ذلك بعقلك، وردد فيه بصرك، وأوعه سمعك، واعقله بعقلك، وأحضره فهمك، ولا تغبين عنه ذهنك، فإن فيه الفضل في الدنيا وحسن ثواب الله تعالى في الآخرة، وذكر نفسك غمرات الموت وكربه وما هو نازل بك منه، وما أنت موقوف عليه بعد الموت من العرض على الله تعالى، ثم الحساب، ثم الخلود بعد الحساب، إما إلى الجنة وإما إلى النار، وأعد له ما تسهل به عليك أهوال تلك المشاهد وكربها، فإنك لو رأيت أهل سخط الله تعالى، وما صاروا إليه من أنواع العذاب، وشدة نقمة الله، وسمعت زفيرهم في النار وشهيقهم مع كلوح وجوههم وطول غمهم، وتقلبهم في أدراكها على وجوههم، لا يسمعون ولا يبصرون، ويدعون بالثبور، وأعظم من ذلك عليهم حسرة إعراض الله تعالى عنهم بوجهه، وانقطاع رجائهم من روحه، وإجابته إياهم بعد طول الغم، أن

«اخسأوا فيها ولا تكلمون» لم يتعاظمك شيء من الدنيا أردت به النجاة من ذلك، ولا أمنك من هوله، ولو قدمت في طلب النجاة جميع ما لأهل الدنيا كان ذلك صغيراً، ولو رأيت أهل طاعة الله وما صاروا إليه من كرامة الله، ومنزلتهم، مع قربهم من الله تعالى، ونضرة وجوههم، ونور ألوانهم، وسرورهم بالنظر إليه والمكان منه، والجاه عنده، مع قربهم منه، لتقلل في عينيك عظيم ما طلبت به الدنيا.

فاحذر على نفسك حذر غير تغرير، وبادر لنفسك قبل أن تسبق إليها وما تخاف الحسرة فيه عند نزول الموت، وخاصم نفسك لله تعالى على مهل، وأنت تقدر بإذن الله تعالى على جر المنفعة إليه، وصرف الحجة عنها، قبل أن يوليك الله حسابها، ثم لا تقدر على صرف المكروه عنها، ولا جر المنفعة إليها.

اجعل لله تعالى من نفسك نصيبا بالليل والنهار، فإن عمرك ينقص مع ساعات الليل والنهار، وأنت قائم على الأرض وهو يسير بك، فكلما مضت ساعة من أجلك، والحفظة لا يغفلون عن الدق والجل من عملك، حتى تملأ صحيفتك التي كتب الله عليك.

فعليك بخلاص نفسك إن كنت لها محبًا، فاحذر وما قد حذرك الله منه تعالى فإنه يقول: ﴿... وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ... ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران]، ولا تحقر الذنب الصغير مع ما علمت من قول الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة]. وقال: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق] وحافظ على فرائض الله تعالى، واجتنب سخط الله، واحذر دعوة المظلوم، واتق يومًا ترجع فيه إلى الله، والسلام.

وقال ابن نافع الصائغ: كتب مالك إلى بعض الخلفاء كتابًا فيه:

«اعلم أن الله تعالى قد خصك من موعظتي إياك بما نصحتك به قديمًا، وأتيت لك فيه ما أرجو أن يكون الله تعالى جعله لك سعادة وأمرًا جعل به سبيلك به إلى الجنة، فلتكن - رحمنا الله وإياك - فيما كتبت به إليك مع القيام بأمر الله، وما استرعاك الله من رعيته، فإنك المسئول عنهم، صغيرهم وكبيرهم، وقد قال النبي ﷺ:

«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»، وروي في بعض الحديث: «أنه يؤتى بالوالي ويده مغلولة إلى عنقه فلا يفك عنه إلا العدل».

وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول: «والله لو هلكت سَخْلة بشط الفرات ضياعًا لكنت أرى الله تعالى سائل عنهما عمر».

وحج عشر سنين، وبلغني أنه كان ما ينفق في حجته إلا اثني عشر دينارًا، وكان ينزل في ظل الشجر، ويحمل على عنقه الدرة، ويدور في الأسواق يسأل عن أخبار من حضره وغاب عنه.

ولقد بلغني أنه، وقت أصيب، حضر أصحاب النبي ﷺ فأثنوا عليه، فقال لهم: المغرور من غررتموه، لو أن ما على وجه الأرض ذهبا لا افتديت به من هول المطلع.

فعمر رحمه الله، كان مسددًا موفقًا مع ما قد شهد له النبي ﷺ بالجنة، ثم مع هذا خائف لما تقلد من أمور المسلمين فكيف بمن قد علمت؟ فعليك بما يقربك إلى الله، وينجيك منه غدًا، واحذر يومًا لا ينجيك فيه إلا عملك، ويكون لك أسوة بمن قد مضى من سلفك، وعليك بتقوى الله، فقدمه حيث هممت، وتطلع فيما كتبت به إليك في أوقاتك كلها، وخذ نفسك

بتعاهدها، والأخذ به، والتأديب عليه، وسل الله التوفيق والرشاد إن شاء الله تعالى».

قال عبد الله بن مسلم الخياط: لما قدم الرشيد، لبست ثيابًا وغدوت على مالك، فقلت: يتوكأ علي، فأصيب بسببه من أمير المؤمنين مالاً، فغدا مالك متكئًا على يد ابنه يحيى، فأجاز مالكًا بأربعة آلاف دينار، وأجاز ابنه بخمسمائة، وجاءته من الرشيد صلة.

وقال له رجل خراساني: ما تقول يا أبا عبد الله في رجل لقوم عليه دين، أعطى بعضًا وترك بعضًا، أله أن يأخذ منه؟

فقال مالك: إذا كان الرجل يغني عن المسلمين ما لا يغنيه المسلمون عن أنفسهم، أخذ منه، ولقد كنت البارحة أنظر في قصة «المحبسين» إلى أن طلع الفجر.

وقال الحارث عن ابن القاسم: كان مالك يقول: أما الخلفاء فلا شك، يعني أنه لا بأس به، وأما من دونه فإن فيه شيئًا؟

وقال ابن أبي زنبر: أجاز هارون مالكا بثلاثة آلاف، فقال له رجل من الزهاد: يا أبا عبد الله! ثلاثة آلاف تأخذها من أمير المؤمنين؟ كأنه يستكثرها، فقال مالك: إذا كان مقدار ما لو كان إمام عدل، فأنصف أهل المروءة، أصابه شبيه لذلك، لم أر به بأسًا، وإنما أكره الكثير الذي لا شبيه أن يستحقه صاحبه.

وسأله غير واحد عن جائزة السلطان فقال: لا تأخذها؟ فقال له: فأنت تقبلها. فقال: أتريد أن أبوأ بإثمي وإثمك.

وقال لآخر: أجئت تبكتني بذنوبي؟

قال محمد بن مسلمة: دخل مالك على المهدي فقال له: أوصني.

فقال: أوصيك بتقوى الله وحده، والعطف على أهل بلد رسول الله ﷺ وجيرانه، فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «المدينة مهاجري، وبها قبري، وبها مبعثي، وأهلها جيراني، وحقيق على أمتي حفظي في جيراني، فمن حفظهم كنت له شهيدًا، أو شفيعًا يوم القيامة، ومن لم يحفظ وصيتي في جيراني، سقاه الله من طينة الخبال.

فأخرج المهدي عطاءًا كثيرًا، وطاف بنفسه على دور المدينة، فلما أراد الخروج، دخل عليه مالك، فقال له: يا مالك، أما أني متحفظ بوصيتك التي حدثتني بها، ولئن سلمت لاغفلت عنهم.

وقال أبو مصعب: قال لي مالك: دخلت على المهدي، فذكر المدينة، فقلت له: إن النبي ﷺ قال: أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب، وهي المدينة، تنقي الناس كما ينقي الكير خبث الحديد. فأخذ المهدي «وبرة» من فراشه وقال: والله لا واسيتهم ولو بهذه.

قال مالك: ثم دخلت على هارون، فسألني عن أهل المدينة، فحدثته بأحاديث المهدي، فقال لي: ما قال المهدي؟ فأعلمته بما كان، فقال: أنا ابن أبي.

قال الزبيري: سمعت مالكًا يقول: لما قدم هارون كنت ممن لقيته، فقلت:

يا أمير المؤمنين! إن لأهل المدينة حقًا فاستوص بهم خيرًا، فقال: وما حقهم؟ فقلت: هل تعلم أنه يعرف على وجه الأرض قبر نبي غير نبيك محمد ﷺ؟ قال: لا، قلت: فلو أن أهل المدينة خرجوا عنها، وجب عليك

أن تجيء بمن يسكنها ويجاور قبره، وتجري عليه الرزق، فقال لي: لو لم أملك من الدنيا إلا ردائي هذا لواسيتهم به.

قال مصعب وابن زنبر: استفتى والي المدينة مالكًا في مسألة، فأبى أن يجيبه، وقال: كيف أجيبك وقد وليت على المسلمين خيثم بن عراك؟ فعزله وأفتاه.

قال يحيى بن بكير: حنث الرشيد في يمين فجمع العلماء فأجمعوا على أن عليه عتق رقبة، فسأل مالكًا فقال: صيام ثلاثة أيام، فقال: لم؟ أأنا معدم، وقال الله تعالى: «فمن لم يجد» فأقمتني مقام المعدم؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، كل ما في يديك ليس لك، فعليك صيام ثلاثة أيام.

قال عبد الرزاق: دخل مالك على أبي جعفر فقال له: من بالباب من أصحاب نافع؟ فقال: مالك، وعبد الله بن عمر، وابن أبي ذيب، فقال: أو ليس يدين بذلك الرأي؟ يعني القدر، قال: يا أمير المؤمنين! الحمد لله الذي أسمعناها منك، إن كنا لنزنك بها.

قال المفضل بن محمد بن حرب: دخل مالك والقاضي ابن عمران في أشراف المدينة على المنصور، فكان كل من أراد الانصراف ألقى إليه أبو جعفر كمه فقبله، فقال بعضهم: لأقتدين اليوم بهذا الشيخ، يعني مالكًا، فإن قبل الكم قبلت، وإن لم يفعل لم أفعل، فقام مالك وانصرف ولم يقبل، وأردت ذلك فلم تقلني ركبتاي حتى قبلت.

قال معن: أفتى مالك عند والي المدينة بقتل رجل، فأمر الوالي بضرب وسطه، فتهيأ مالك للقيام وقال: لا أقعد بمكان يمثل فيه بأحد، قال الله تعالى: «فضرب الرقاب» فقال الوالي: اقعد أبا عبد الله، لا يضرب وسطه، اضربوا عنقه.

باب من أخبار مالك رحمه الله
مع العلماء ومناظرته معهم

قال القاضي رضي الله تعالى عنه: قال عبد العزيز بن يحيى: لما قدم أمير المؤمنين المدينة ومعه أبو يوسف والبرمكي، وكان قاصداً لمالك يحب حطه ووقعه، فقال يحيى: يا أمير المؤمنين! إن مالكًا حمل الناس على رأيه، ورأى الاستخفاف برأي أهل العراق، فلو جمعت بينه وبين أبي يوسف، فإن كان الحق بيده عرفت ذلك، وإن كان بيد غيره عرفت ذلك.

فوجه أمير المؤمنين إليه يقرئه السلام، ويأمره بالمسير إليه.

فكتب إليه مالك: إن كان أمير المؤمنين أراد أن يسألني عما أشكل عليه، فأرى أن يكتب إلي بذلك ليأتيه فيه الجواب، فإني ضعيف البدن لا تحملني رجلاي.

فقال له يحيى: يسمع الناس أنك وجهت إلى مالك فلم يأتك! فاكتب إليه بعزيمة. ففعل.

فجاءه مالك، فدخل عليه متوكئًا على ثلاثة نفر من أصحابه: المغيرة المخزومي، وعبد الرحمن بن عبد الله العمري، وسعيد بن سليمان المساحقي العامري.

فلما جلسوا، وكان هؤلاء الثلاثة يومئذ أشراف المدينة والمنظور إليهم، فجاء أبو يوسف حتى جلس مستقبل مالك فقال: يا أمير المؤمنين! أتأذن لي في مناظرة أبي عبد الله؟ فقال: ناظره. فقال أبو يوسف: إن أبا عبد الله يقول: لو أن رجلاً أخذ لوزة فحلف بالطلاق أن فيها نواة[1] ثم كسرها كسرًا عنيفًا، لم يعرف ما فيها، لكان حانثًا. فقال المساحقي: أتأذن لي يا أمير المؤمنين في الكلام؟ قال: نعم؟

(١) فى طبعة المغرب: «توأما».

قال: إن أبا عبد الله يقول بأشد من هذا، يقول: لو أنه كسرها كسرا رفيقا فخرج منها نواة[1] لحنث، لأنه حلف على غيب لا يعرفه، والطلاق لا لعب فيه.

فقال أمير المؤمنين: نعم ما قال.

فقال أبو يوسف: إن أبا عبد الله يقول: لو أن رجلا طلق امرأته قبل أن يدخل بها وقد أصدقها مائة دينار، لم يرجع إليه نصف الصداق كما قال الله تعالى.

فقال العمري: أيأذن لي أمير المؤمنين في الكلام؟ قال: نعم، قال: إن أبا عبد الله يقول بالقول الذي لا يعرف أمير المؤمنين غيره، وهو قول آبائه ومن مضى من أسلافه، أن رجلا لو أصدق امرأته مائة دينار فقالت: أنا أضعها عند أبوي، وأدخل عليك عريانة، لم يكن ذلك لها، دون أن تنفق ذلك فيما مضت به سنة المسلمين من جهازها وما يصلحها، فإن تركها حتى أنفقت ذلك فيما لا بد لها منه من ذلك، ثم طلقها وقال لها: بيعي كل ما اشتريت وجيئيني بخمسين دينارا، لم يكن ذلك له إلا فيما استهلكت فيه الصداق.

فقال أمير المؤمنين: نعم ما قال أبو عبد الله.

فقال أبو يوسف: يا أمير المؤمنين، إن مالكا قد أكفأ الناس عن دينهم، وحملهم على رأيه، وجهلهم بأمر أولهم، وترك الأحاديث عن آباء أمير المؤمنين وأعمامه.

وذكر باقي كلامه وجواب المغيرة له، إلى خروج مالك بنحو من حديث الزبيري الذي أذكره بعد هذا.

قال: فأتبعه الرشيد بأربعة آلاف دينار جائزة.

(١) في طبعة المغرب: «نوى».

وذكر أن مالكا قال الرشيد إذ قال له ناظره: ليس هو عندي من أهل العلم فأناظره.

وفي رواية الشافعي: إنما يناظر العالم العالم ليتعلم الناس فيما بينهم، أو عالم يتعلم الناس منه، فأما أبو يوسف فقد باعده الله من ذلك.

فاشتد على هارون ذلك وغضب، فقال له:

وكيف يكون من أهل العلم، وهذه صدقات رسول الله ﷺ وصدقات أصحابه قائمة، يتوارثها المسلمون قرنا بعد قرن، فيجهلها ولا يعرفها؟

وفي رواية أنه قال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين، هل لرسول الله ﷺ وقف تأخذ منه وتجعله حيث رأيت؟

قال: نعم.

قال: فهذا يقول: إن الوقوف باطلة.

فالتقت هارون إلى أبي يوسف مغضبا فقال له: ماذا تقول؟

قال: كان صاحبنا لا يراه، وأنا أراه، زاد في رواية: من الثلث.

فأعرض عنه الرشيد.

قال الواقدي: لما حج الرشيد وسار إلى المدينة أراد أن يجمع بين مالك وأبي يوسف، فبعث إلى مالك يسأله أن يسير إليه.

فبعث إليه: إني لا أقدر لعلة بي من رجلي.

فبعث إليه: فنرسل لك دابة.

فقال: لا. الدابة أشد علي من المشي.

قال: فنرسل إليك محفة.

قال: هي شهرة لا أحبها.

فأرسل إليه: إن لم يمكنك المجيء جئناك.

فلما سمعها تلبس ومضى إليه يهادي بين اثنين، فدخل عليه والمجلس غاص، وقد أخذ الناس مجالسهم، فسلم، وكره أن يجلس حيث انتهى فيكون مؤخرا، أو يتخطى فيسيء الأدب، فقال: أين أجلس يا أمير المؤمنين؟ فقال: إِلَيَّ إِلَيَّ أبا عبد الله.

فرفعه إليه.

فلما تمكن سأله أبو يوسف عن مسألة من الرهن فلم يجبه. فقال:

يا أمير المؤمنين! قل له يجيبني.

فقال: أجبه. فأجابه.

فقال أبو يوسف: ولم؟ فسكت عنه.

فقال: قل له يجيبني.

فقال له الرشيد: أجبه.

فقام المغيرة فقال: يا أمير المؤمنين! ها هنا من يكفي أبا عبد الله الجواب إن أذن أمير المؤمنين.

قال: من هو؟

قال: أنا.

فناظره، فانفرد المغيرة بجوابه، ولم يزل يناظره حتى انقضى المجلس.

قال الواقدي: فقال لي يحيى بن برمك: تمنيت أن يعجل المؤذن بالأذان فيتفرق المجلس، لما لقى أبو يوسف منه.

وقال المغيرة لمالك حين خرجوا: كيف رأيت مناظرتي للرجل؟

قال: رأيتك مستعليا عليه، غير أنك تنزل.

قال: وما هو؟

قال: كنت إذا ظهرت عليه في المسألة فظافرته، أخرجك إلى غيرها وتخلص منك بذلك، وكان ينبغي لك ألا تفارقه فيها حتى تفرغ منها.

وروي أن أبا يوسف لما سأل الرشيد أن يناظر مالكا في مجلسه، نهاه الرشيد عن ذلك وقال له:

- إياك والمدني.

فأعاد عليه المسألة مرارا، فأذن له، ففاتحه، فجعل مالك يقول:

حدثنا نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ.

وأبو يوسف يقول: حدثنا الحسن بن عمارة عن الحكم، وأبو حنيفة عن حماد.

فلما أكثر قال له مالك: ساء ما أدبك أهلك يا يعقوب، أحدثك عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ، وتحدثني عن الحسن بن عمارة وأبي حنيفة.

فنظ إليه الرشيد نظر مغضب، وأومأ بعينه: أن قد نهيتك عن التعرض.

وفي رواية مطرف: أن أبا يوسف سأل مالكا عن رجل حلف أن لا يصلي نافلة أبدا، فقال مالك:

أرى أن يضرب ويؤدب حتى يصلي وهو كاره.

فجاء هارون ولم يكن حاضرًا، فقال له أبو يوسف: إني قد سألت مالكا عن كذا وكذا، فقال كذا وكذا.

فقال: أو ترى ذلك يا أبا عبد الله؟

قال: لا.

فقال له أبو يوسف: أليس قد قلت لي ذلك؟

قال: بلى، ولكنك رجل عراقي، إن أفتيت بترك النافلة، أفتى الناس بترك الفريضة، وأنت لا أخافك على ذلك.

فلما خرج، خرج معه أبو يوسف يتوكأ عليه، ومالك يقول له: ارجع. حتى بلغه منزله.

قال دفافة بن عبد العزيز: رأيت أبا يوسف سأل مالكًا عند الرشيد عن مسألة، فأجابه مرتين أو ثلاثا، وحضرت الصلاة، فقام الرشيد إلى المسجد وقمنا معه، فلصقت بمالك فقلت له:

إن هذا يتعنتك فلا تجبه، وأمير المؤمنين لا يكره ذلك.

فلما انصرفنا عاد أبو يوسف، فلم يجبه مالك وقال إنما حسبته مسترشدًا، وأظنه إنما يسأل معنتًا فلا أجيبه.

قال بعضهم: سأل أبو يوسف الرشيد، أن يأمر مالكًا يناظره، فقال: ناظره يا أبا عبد الله.

فقال مالك: إن العلم ليس كالتحرش بين البهائم والديكة.

فلم يفهم هارون عنه، وجعل يقول: ناظره. ومالك ساكت.

فقال عبد الملك بن الماجشون: إن شيخنا يا أمير المؤمنين قد جل عن المناظرة والكلام، ونحن تلاميذه نقوم مقامه، فنحن نناظره، ونتكلم عنه، فإن رأى خطأ لم يسكت عليه.

فقال هارون: ذلك.

فلما تناظرا، ذكر أبو يوسف صداق المرأة وقال: لها أن تصنع به ما شاءت، إن شاءت رمت به وجاءته في قميص، وإن شاءت جعلته في خيط الدوامة.

فقال مالك: لو أن أمير المؤمنين خطب امرأة من أهله، وأصدقها مائة ألف درهم، فجاءته في قميص، لم يحكم لها بذلك، ولكن يأمرها أن تتجهز وتتهيأ له بما يشبهه، مما يتجهز به النساء.

فقال هارون: أصبت.

قال: وأخذ الحديث إلى أن قال أبو يوسف:

أجرى النبي ﷺ من الغاية.

فقال مالك: لا يا أمير المؤمنين إنما هي الغابة، وهي وراءك.

قال أبو محمد الزهري: وقال أبو يوسف لمالك: ما تقول في رجل بعث مع رجل دينارًا، وبعث معه آخر دينارين، فخلطهما، ثم سقط له منها دينار؟

فقال مالك: أما واحد فلصاحب الاثنين لا شك فيه، وواحد فيه شك فيتشاطرانه.

قال عبد الملك ابن الماجشون: سأل رجل من أهل العراق مالكًا عن صدقة الحبس، فقال: إذا حيزت مضت.

فقال العراقي: إن شريحًا قال: لا حبس عن كتاب الله.

فضحك مالك، وكان قليل الضحك، وقال: يرحم الله شريحًا، لم يدر ما صنع أصحاب رسول الله ﷺ هنا.

قال سعيد بن داود بـن أبي زنبر: دخل هارون المدينة ومعه أبو يوسف، فأتى إليـه مالك، فسلم عليـه، وأبو يوسف عن يسار الرشـيد، وابناه الأمين والمأمون بجانبه، فلما دخل مالك غمز هارون ابنيه فقال:

قوما بين يدي عمكما حتى يخرج. يعني مالكًا.

قال أبو يوسف: فدخل، وكان على مالك ثيـاب عدنية سود، فوالله ما رأيت قط أحسن منه فيها. فتزحـزح هارون له حتى أجلسه معه على المنصة، فكأن أبا يوسف حسده، فقال له:

ما تقول يا أبا عبد الله في محرم كسر ثنية ظبي؟

فقال مالك: عليه الفدية.

فضحك أبو يوسف وقال: وهل للظبي ثنايا؟

فرفع مـالك رأسه إلى هارون وقال له: يـا سبحـان الله! ما علمت أن أحدًا يذكر العلم فـيضحك، فلا وقر العلم، ولا مـجلس أمير المؤمنين، وإنما أجبته: إن كان الظبي في حالة يكون له سن في مـوضع الثنية، ففعله محرم، فـعليه الفـدية، وإلا فقـد علمت منه مـا علم، وليس هذا ينبـغي للناس أن يعلموه، ولا هو بواجب عليـهم، ولكن ما تقول في إمام عـرفة إذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة، هل عليـه أن يجهر بالقراءة؟ فإن هذا واجب على المسلمين أن يعملوه.

فقال أبو يوسف: يجهر بها.

فقال مالك: أخطأت، والله ما يذهب هذا على صبيان مكة وسودانهم، دون غيرهم، إن الجمـعة إذا وافقت عرفة لا يجهر فيـها، يتوارثها الأبناء عن الآباء من لدن رسول الله ﷺ إلى زماننا هذا.

ثم التفت إلى هارون وقال: يا أمير المؤمنين! سفيه سأل عن مسائل السفهاء، توليه على أمور المسلمين؟

وقام، فلما كان وقت الرواح عاد إليه وهو متكىء على المغيرة والمساحقي فسلم عليه، فالتفت أبو يوسف إلى هارون فقال:

يا أمير المؤمنين! أبو عبد الله لا يحدث عن آباء أمير المؤمنين: العباس، وعبد الله، وعلي، وإنما يحدث عن معاوية ومروان وابنه، قد جعل أحاديثهم سننًا.

قال: ومالك ساكت.

فقال المغيرة: يأذن لي أمير المؤمنين في الكلام؟

قال: تكلم.

قال: إن عبد الله يحدث عن آباء أمير المؤمنين: العباس وابنه، وعن بني أعمامه: علي وأولاده، وعن أعطاف أمير المؤمنين: معاوية ومروان وابنه، ولا يحدث عن فلاس العلاس ولا عن فلان القتات، ولا عن فلان صاحب الشعير.

وهؤلاء معروفون لا شك فيهم، يعني الذي روى مالك عنهم.

فنكس أبو يوسف رأسه وسكت.

فقام مالك فقال: يا أمير المؤمنين! قد حضرتني العلة التي ذكرتها لك، وأبو يوسف رجل بطال، ومن علم أن الزمان يفنى، والموت يأتي، يكون عمله بخلاف عمل يعقوب.

قال سعيد بن أبي مريم ومصعب بن عيد الله: قدم هارون المدينة ومعه أبو يوسف، فدخل عليه مالك فرفعه فوق أبي يوسف.

وقال مصعب: فقال مالك: أين يجلس الشيخ؟

فقال هارون: حيث شاء.

فجلس فوق أبي يوسف.

فقال له: يا يعقوب، ناظر أبا عبد الله.

فقال أبو يوسف: ما تقول في رجل قال لامرأته: أنت طالق ملء سُكُرّجة؟

فأطرق مالك ساعة، ثم رفع رأسه، فقال له هارون: أجبه يا أبا عبد الله! فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، نظرت مسألته في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وقول الصحابة والتابعين، فلم أجد أصل مسألته فيها، ولا خير في علم لا يكون فيما ذكرته.

فالتفت هارون إلى أبي يوسف وقال له: يا يعقوب! إن أبا عبد الله اجتث مسألتك من اصلها.

قال مصعب،: فقال: يا أمير المؤمنين! ليس عنده في ذلك شيء، ولو كان لأجاب، وضحك.

فالتفت إليه مالك وقال: ساء ما أدبك أهلك، أتضحك في مجلس أمير المؤمنين؟

فخجل أبو يوسف.

ثم سأل أمير المؤمنين مالكًا عن مسائل فأجابه فيها فسر بذلك، وكان في المجلس رجل يقال له سندل، فقال:

إن أبا عبد الله، مرة يخطىء، ومرة لا يصيب.

فقال مالك: كذا الناس.

فلما فكر في قوله، غضب غضبًا شديدًا، ثم قال: يا أمير المؤمنين! قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ... ﴿١٦﴾﴾ [الحديد]، وما ظننت أن أحدًا من المسلمين يذكر الله والرسول فلا يمرض قلبه خوفًا لهما، قال الله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ... ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب]، فلا عرفتم حق عظمة الله، ولا عرفتم قدر رسوله ولا عرفتم حق مجلس أمير المؤمنين!

ثم قام مغضبًا يقول: بليتم بالإسلام، وبلي بكم أهل الإسلام، وخرج. فصعب ذلك على هارون وقال لأبي يوسف:

- قم فالحق الشيخ، وأرضه.

فخرج فوجد مالكًا قد جلس في حانوت صديق له سراج، يستريح فيه، وأبو يوسف على فرس محلي، بين يديه جماعة، فسلم عليه وقال:

- كيف تراني يا أبا عبد الله؟

فنظر إليه وقال: مثل قيصر في قومه.

فخجل ومضى.

قال أبو مصعب: قال أبو يوسف لمالك: تؤذنون بالترجيع، وليس عندكم عن النبي ﷺ فيه حديث.

فالتفت إليه مالك وقال: يا سبحان الله! ما رأيت أمرًا أعجب من هذا، ينادى على رءوس الأشهاد في كل يوم خمس مرات، يتوارثه الأبناء عن الآباء من لدن رسول الله ﷺ إلى زماننا هذا، يحتاج فيه إلى فلان عن فلان، هذا أصح عندنا من الحديث.

وسأله عن الصاع فقال: خمسة أرطال وثلث.

فقال: ومن أين قلتم ذلك؟

فقال مالك لبعض أصحابه: أحضروا ما عندكم من الصاع.

فأتى أهل المدينة، أو عامتهم، من المهاجرين والأنصار، وتحت كل واحد منهم صاع، فقال: هذا صاع ورثته عن أبي عن جدي صاحب رسول الله ﷺ.

فقال مالك: هذا الخبر الشائع عندنا أثبت من الحديث.

فرجع أبو يوسف إلى قوله.

قال معن: دخل مالك على هارون وعنده أبو يوسف، فلم يزل هارون يدنيه حتى أخذ بيده وأجلسه إلى جنبه، وجعل يسأله: يا أبا عبد الله، يا أبا عبد الله؟ فقال له أبو يوسف: كيف أنت يا أبا عبد الله؟ فأعرض عنه، فقال له هارون: هذا قاضينا. فأعرض عنه، فسأله أبو يوسف عن مسألة فلم يجبه. فقال له هارون: أجبه. فقال له مالك وهو معرض عنه: إذا رأيتنا جلسنا إلى أهل الباطل فتعال حتى أجيبك.

قال ابن حنبل: سأل أبو يوسف مالكًا عن مسألة عند هارون فلم يجبه، فقال أبو يوسف لهارون: قل له يجبني. فقال له مالك: ساء ما أدبك أهلك.

ودخل محمد بن عجلان على مالك، وكانت فيه حدة فقال له وهو قائم:

أرأيت الذي تفتي الناس فيه أن محرم رسول الله ﷺ من ذي الحليفة؟

فقال له مالك: إن جلست فاستمعت كلمتك.

فجلس، فقال له مالك: أرأيت إن كان ماقلت إن محرم رسول الله ﷺ من البيداء، أليس يأتي على ذلك ويدخل فيه ما أقول؟

قال: بلى.

فقلت: أفرأيت ما أقول إن محرمه ﷺ من المسجد، أليس يخرج من ذلك من عمل بما تقول، وقد اختلف في ذلك، فالحيطة في مسجد ذي الحليفة، والحديث فيه أقوى، وقد قال ابن عمر: بيداؤكم هذه التي تكذبون فيها على رسول الله ﷺ، ومكان ابن عمر من الإسلام مكانه، وقد صحب رسول الله ﷺ وأكثر الرواية عنه، وكان معه في صحبته يدون أفعاله ليفعلها ويستقريها، حتى إن كان ليخرج إلى الحج والعمرة فيتحرى في بعض المواضع التي قد عرف مواطىء أخفاف راحلة النبي ﷺ، وعاش بعده ثلاثًا وستين سنة، ويرى ما فعل أصحاب رسول الله ﷺ.

فلم يزل يكلمه حتى تبين لابن عجلان قوله، فقام إلى رأس مالك فقبله.

قال حامد بن يحيى وغيره، - وبعضهم يزيد على بعض، فأتيناه بالخبر كاملاً بزيادته -:

اجتمع عند أمير مكة مالك بن أنس، وعمر بن قيس المعروف بسندل، أخو حميد بن قيس، فقيل لعمر:

هذا رجل من ذي أصبح.

قال: وأنا رجل من ذي أمسى.

وأقبل على مالك، فقال له: ما تقول فيمن كسر ثنية ظبي؟

فقال: عليه ما نقصه.

فقال عمر: الأحيان يخطىء، والأحيان لا يصيب.

فقال مالك: هكذا الناس. ثم فطن.

فقال عمر: لا، لكن هذا أنت.

فأقبل مالك على الأمير وقال: ما ظننت أن الأمير يحضر مجالسه اللعابين.

ثم قال: من هذا؟

قيل له: عمر بن قيس أخو حميد.

فقال: لو علمت أن لحميد أخًا مثل هذا ما رويت عنه.

قال أبو داود السجستاني: سقط عمر بن قيس بهذا المجلس.

وقال غيره: حج مالك فجلس عند الميزاب في ظل الكعبة، وكثر الناس عليه يستفتونه، فإذا جاء أحد يسأله عن الحج، قال: أفرد، أفرد، هي سنة النبي ﷺ.

فأتاه عمر بن قيس فوقف عليه، وقال: يا مالك! أنت هالك، جلست في حرم الله تضل حجاج بيت الله، تقول: أفردوا أفردوا! أفردك الله.

فقام إليه الناس، فقال مالك: دعوا المسكين، فهو في شر من هذا، إنه يشرب الخندريس، وفي رواية: يستحل شرب الخندريس، يعني المسكر من النبيذ، زاد بعضهم: إنه باع مصحفًا فاشترى كلبًا.

فولى عمر وقد اسود وجهه، فوضعه الله إلى يوم القيامة.

وقال أبو مصعب: أرسل الوالي إلى مالك بغلام شاب شهد عليه بالسرقة، وقد كان أفتى المغيرة، أحسبه قال: وابن أبي حازم، بقطعه، ومدت

يده للقطع، ثم قال الوالي: اذهبوا إلى مالك، فأدخل عليه، وقرئت له قصة طويلة، وشهادات قوية، ثم مر به شاهد يشهد أنه نظر إليه يوم سرق فوجده قد أنبت، فقال: أرى شاهدًا واحدًا على الإنبات، ولم ينظر فيه حتى شك، لا قطع عليه. فقال له الرسول: فكم ترى يضرب؟ قال: خمسة وسبعين سوطًا، ولو احتمل لزدت.

وقدم أبو عبد الرحمن السروجي، فأتى مالكًا فجلس بين يديه، وعلى مالك رداء عدني اشتراه بخمسمائة درهم، فسأله عن رجل مات ولم يحج حجة الإسلام، ولا أوصى بها، أيحج من ماله؟ قال مالك: لا. فقال له أبو عبد الرحمن: ما هكذا يقول علماؤنا. قال: وما يقول علماؤكم؟

فقال: حدثنا هشيم، وذكر الحديث: «أن النبي ﷺ سمع رجلاً يلبي عن شبرمة، فقال له النبي ﷺ: عن نفسك، ثم عن شبرمة».

فقال مالك: علماؤنا علماؤنا! من علماؤكم؟ تحدثني عن البغالين قال الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم]، ثم قال: أقيموه. فأقاموني، فبودي لو سكت حتى أسمع منه.

قال الحارث بن مسكين: كان ابن هرمز قد أوصى مالكًا وعبد العزيز فقال: إذا أدخلتما على السلطان فكونا من آخر من يتكلم عنده.

قال أبو عمرو: فلعمري لقد لزم مالك ذلك، ولقد بلغني أن بعض الأمراء أحضره في جماعة فيهم ابن أبي ذئب، فأخرج إليهم قصة قرئت عليهم في رجل أقر على نفسه بالقتل عمدًا، فقالوا بأجمعهم: نرى عليه القتل، ويدفع إلى ولاة المقتول، فإن شاءوا قتلوا، أو عفوا. ومالك ساكت. فقال له الأمير: ما تقول يا أبا عبد الله؟ قال: أنظر. وأطرق يفكر، وجعل الأمير يحركه للقول، وهو يقول: هو القتل، حتى أنظر.

فقال القوم فيمـا بينهم: ما ينظر؟ أي شيء في هذا؟ فرفع رأسه وقال: أين القاتل المقر؟

فإذا حدث السن، فقال:

منذ كم حبس؟

فقال: منذ كذا.

فإذا إقراره كان قبل أن يحتلم.

قال بعضـهم: اجتمع مالك والأوزاعي فتناظرا، فـجعل الأوزاعي يجر مالكًا إلى المغازي والسير، فقوي علـيه، فلما رأى مالك ذلك جره إلى غيرها من الفقه، فقوى فيه مالك عليه.

***

obeikandl.com

باب ذكر محنته رحمه الله

قال القاضي رضي الله عنه: قال ابن مهدي: اختلف فيمن ضرب مالكًا، وفي السبب في ضربه، وفي خلافة من ضرب. فقيل: إن أبا جعفر نهاه عن الحديث: «ليس على مستكره طلاق» ثم دس إليه من يسأله عنه، فحدث به على رءوس الناس، فضربه بالسوط.

وقاله مصعب، إلا أنه قال: إن الذي نهاه، جعفر بن سليمان.

وقال الواقدي: لما سود مالك، وسمع منه وقبل قوله، حسده الناس وبغوه، فلما ولى جعفر بن سليمان على المدينة، سعوا به إليه وكثروا عليه عنده. وقالوا:

لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشيء، وهو يأخذ بحديث يرويه ثابت الأحنف، في طلاق المكره أنه لا يلزم.

فغضب جعفر، ودعا به، فاحتج عليه بما رفع إليه، ثم جرده ومده فضربه بالسياط، ومدت يده حتى انخلعت كتفه، وفي رواية عنه: ومدت يداه حتى انخلع كتفاه.

وكذلك اختلف على مصعب الزبيري في هذا.

وقال الجياني: بقي مالك بعد الضرب مطابق اليدين، لا يستطيع أن يرفعهما، وارتكب منه أمر عظيم، فو الله ما زال مالك بعد ذلك الضرب في رفعة من الناس وعلو وإعظام، حتى كأنما كانت تلك الأسواط حليًا حلي به. وقيل: إن هذا كان في أيام الرشيد، وإن فتيا مالك إنما رفعت للرشيد.

قال أبو الوليد الباجي: ولما حج المنصور، أقاد مالكًا من جعفر بن سليمان، وأرسله إليه ليقتص منه، قال: أعوذ بالله، والله ما ارتفع منها سوط

عن جسمي إلا وأنا أجعله في حل، ذلك الوقت، لقرابته من رسول الله ﷺ.

قال غيره: لما دخلت على أبي جعفر، وقد عهد إلي أن آتيه بالموسم، قال لي: والله الذي لا إله إلا هو، ما أردت الذي كان ولا علمته، وأنه لا يزال أهل الحرمين بخير ما كنت بين أظهرهم، وإني أخالك أمانًا لهم من عذاب الله، ولقد رفع الله بك عنهم سطوة عظيمة، فإنهم أسرع الناس للفتن، وقد أمرت بعدو الله أن يؤتى به من المدينة إلى العراق على قَتَب، وأمرت «نصيرا» بحبسه والاستبلاغ في امتهانه، ولا بد أن أنزل به من العقوبة أضعاف ما نالك منه.

فقلت: عافى الله أمير المؤمنين وأكرم مثواه.

ونزهته من أمري، وقلت له: قد عفوت عنه لقرابته من رسول الله ﷺ وقرابته منك.

فقال لي: فأنت، فعفا الله عنك ووصلك.

قال الفروي والعمري - وأحدهما يزيد على الآخر -:

لما ضرب مالك ونيل منه، حمل مغشيًا عليه، فدخل الناس عليه، فأفاق فقال: أشهدكم إني جعلت ضاربي في حل. فعدناه في اليوم الثاني فإذا به قد تماثل، فقلنا له ما سمعنا منه، وقلنا له: قد نال منك. فقال: تخوفت أن أموت أمس فألقى النبي ﷺ فأستحيى منه أن يدخل بعض أهله النار بسببي.

فما كان إلا مدة، حتى غضب المنصور على ضاربه، وضرب ونيل منه أمر شديد، فبشر مالك بذلك فقال:

سبحان الله! أترون حظنا مما نزل بنا الشماتة به؟ إنا لنرجو له من عقوبة الله أكثر من هذا، ونرجـو لنا من عفو الله أكثر من هذا، ولقد ضـربت فيما فيه محمد بن المنكدر، وربيعة، وابن المسيب، ولا خير فيمن لا يؤذى في هذا الأمر.

وقيل: إن الذي تولى ذلك منه، عامـل جعفر بن سليمان، وأن جـعفرا هو الذي صنع بعامله من النكال ما تقدم. والأول أشهر.

قال مطرف: جلد جعفر بن سليمان مالكًا ثمانين سوطًا.

وقاله ابن القاسم.

قال مطرف ومصعب: بسبب محمد بن عبد العزيز الزهري، حمله عليه في محمله الأول، أنه يفتي الناس أن ليس على من أكره على البيعة شيء.

قال مطرف: فرأيت آثار السـياط في ظهره، قد شرحتـه تشريحًا، وكان حين مدوه في الحـبل بين يديه خلعوا كتفـه، حتى ما كان يسـتطيع أن يسوي رداءه، فلما ولي جـعفر عـمله الآخر، ودخل عليه مـالك، سأله جعـفر أن يجعله في حل. قال له:

إني جهلت واستزللت، والله ما جلدك إلا القرشيون.

فقال له مالك: إنك ترى أن قد ظلمتني.

قال: نعم.

قال: فأنت في حل، فوسع الله عليك.

قـال إبراهيم بـن حـمـاد الزهري: رأيت مـالكًا يحـمل إحـدى يديه بالأخرى.

وقيل لمالك: هذا ابن عبد العزيز الزهري قد وقف في المسجد - وكان قاضي المدينة، وهو الذي بغى بمالك - فقال مالك: ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله. ثم ذكر محنة محمد بن المنكدر، وربيعة، ثم قال:

قال عمر بن عبد العزيز: ما أغبط أحدًا لم يصبه في هذا الأمر أذى.

قال الدراوردي: لما أحضر مالك لضربه في البيعة التي أفتى بها - وكنت أقرب الخلق منه - سمعته يقول كلما ضرب سوطاً: «اللهم اغفر لهم فإنهم لا يعلمون» حتى فرغ من ضربه.

وذكر أنه أفتى الناس عند قيام محمد بن عبد الله بن حسن العلوي المسمى بالمهدي، بأن بيعة أبي جعفر لا تلزم، لأنها على الإكراه.

قال الليث: إني لأرجو أن يرفع الله مالكًا بكل سوط درجة في الجنة.

وخالف هذا كله ابن بكير، فقال: ما ضرب إلا في تقديمه عثمان على علي، فسعى به الطالبيون حتى ضرب. قيل لابن بكير: خالفت أصحابك، هم يقولون: ضرب في البيعة.

قال: أنا أعلم من أصحابي.

وقال أحمد بن صالح: إنما ضرب مالك في الطلاق قبل النكاح، كان لا يراه، ثم رآه. قال أبو داود: لم يصنع أحمد شيئًا.

وقال ابن كنانة: ضرب في أيمان السلطان أنها لا تلزم، وفي دفع الصدقات إليهم.

وقال مصعب: ضرب مالكًا جعفر بن سليمان ثلاثين سوطًا، وقيل: نيفًا وثلاثين، ويقال: ستين. وقال مكي بن إبراهيم: سبعين سوطًا، وقيل نيفًا وسبعين سوطًا، وقيل مائة سوط من رواية الحارث عن ابن القاسم.

قال مـالك: ما كان علي يوم ضـربت أشد من شعر كـان في صدري، وكان في إزاري خـرق ظهر منه فخذي، فـجعلت لله علي أن استـجد الإزار ولا أترك علي شعري.

قال مـصعب: وكان ضـربه سنة ست وأربعين ومائة، وقـيل سنة سبع وأربعين.

قال محمد بن خالد، ابن عثمـة: كنا عند جعفر بن سليمان في مرضه الذي مات فيه، فدخل عليه حماد بن زيد، فقال له:

يا أبا إسمـاعيل، رأيت في منامي مـالك بن أنس، فسلمت علـيه فلم يرد، فأعـدت عليه فـرد، وقال: «إن لي ولك غدًا مـقامًا عنـد الله» فأرقت لذلك وغمني.

فقـال له حماد: إن مـالكًا من الإسلام بمكان جليـل، وما هو إلا الندم والاستغفار.

وفي رواية: وإن تعتق فأعتق عن كل سوط رقبة.

قال الأصمعي: وأنا مشيت بين جعفر بن سليمان ومالك حتى حلله.

قـال المنذر: الذي أغـرى بمالك جـعـفـر بن سليـمـان، رجل من بني مخزوم، صاحب أدب، وذكر خبر فـتياه في الإيمان، فكتب بذلك جعفر إلى الخليفة، فكتب إليه أن يجلده، فجـلده، ومد يده بين العقابين فلذلك كان لا يأتي المسـجد، لا يزال ريـح يخرج من مـوضع الكتف، ثم عـزل، ثم ولي ثانية، فأكرم مالكًا وقربه، وتباعد منه مالك حتى كف عنه.

فحج، فبينا مالك بالموقف، قال جعـفر لأصحابه: «لا تحركوا» وسار، فلم يشعر مالك إلا بإنسان ضرب بسوطه محمله، فرفع مالك رأسه، فقال:

- يا مالك! هذا يوم عظيم، ينظر الله إلى عباده ويغـفر لهم، فاجعلني في حل مما ارتكبت منك.

فقال: لا والله، حتى ألتقي أنا وأنت بين يدي الله.

فرجع.

***

obeikandl.com

باب في صدق فراسته وزَكَنه رحمه الله

قال القاضي رضي الله عنه: كان الشافعي صاحب فراسة، فقيل له في ذلك، فقال: أخذتها من مالك.

قال أسد بن الفرات: لزمت أنا وصاحب لي مالكًا، فلما أردنا الخروج إلى العراق، أتيناه مودعين له، فقلنا له: أوصنا. فالتفت إلى صاحبي فقال: أوصيك بالقرآن خيرًا، والتفت إلي وقال: أوصيك بهذه الأمة خيرًا.

قال أسد: فما مات صاحبي حتى أقبل على العبادة والقرآن، وولي أسد القضاء.

قال الشافعي: لما سرت إلى المدينة ولقيت مالكًا وسمع كلامي، نظر إلي ساعة - وكانت له فراسة - ثم قال لي: ما اسمك؟ قلت: محمد. قال: يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن من الشأن.

قال غيره: كانت لمالك فراسة لا تخطئ، نظر يومًا إلى ثلاثة من أصحابه من أهل إفريقية: ابن فروخ، وابن غانم، والبهلول بن راشد،

فقال في ابن غانم: هذا قاضي بلده، وفي البهلول: هذا عابد بلده، وفي ابن فروخ: هذا فقيه بلده.

* * *

باب نوادر وملح من أخبار مالك رحمه الله

قال القاضي رضي الله عنه: قال معن جاء ابن سرجون الشاعر إلى مالك رحمه الله فقال له قلت شعرًا أحب أن تسمعه فقال لا.

وظن أنه هجاء فقال لتسمعنه وأنشد:

سلوا مالك المفتي عن الهوى والغناء

وحب الحسان المعجبات العوارك

فيفتيكم أني مصيب، وإنما

أسلي همـوم النفس عني بذلك

فهل في محب يكتم الحب والهوى

أثام؟ وهل في ضمة المتهالك

فسري عن مالك، فضحك، وكان قليل الضحك.

وقال الزبير بن بكار: سأل محمد بن عبد الله مالكًا عن امرأة أراد تزويجها، وذكر قصة، فقال له مالك:

تربص، فإنها لا تحل لك الآن.

فقال:

سأخطبها جهدي، وإني مخالف

لما قال لي حبر المدينة مالك

يقول-وقد حلت - تربص -: فإنما

تربص مثلي لو علمت المهالك

أحـــرمت تزويج المحـــبين بـــينـهـــم

وأنت امرؤ، فيما يرى الناس، ناسك

وقال محمد بن الفضل المكي مر مالك بمغنية وهي تقول:

أنت أختي وأنت حرمة جاري وحقـيق علي حـفظ الجـوار

أنا للجـار، ما تغـيـب عـني، حافظ للمغيـب في الأسـرار

ما أبالي أكـان بالبـاب سـتـر مسبل، أم بقي بغـير سـتـار

فقال مالك: لو غني به حول الكعبة لجاز.

وفي رواية: يا أهل الدار علموا فتياتكم مثل هذا.

وقال مالك: قال أبو حازم: كان أهل الجاهلية أحسن جوارًا منكم، وإلا فبيننا وبينكم قول الشاعر:

ناري ونار الجـار واحـدة وإليه قبلي تنـزل الـقـدر

ما ضر جار لي أني أجاوره أن لا يكـون لبابـه سـتـر

أعمى، إذا ما جارتي برزت حتـى يـواري جـارتي الخدر

قال مالك: لا بأس بالغناء بمثل هذا.

قال ابن أبي أويس: كـنت أمشي مع مالك، إذا مـولاة تحمل جـرة ماء وتقول:

ليتني أرض لسلمى فتطـأني قـدمـاهـا

ليتني درع لسلمـى ترتديني من وراءها

ليتني خادم سلـمـى قـاعد حيث أراهـا

فقال لي: يا إسماعيل، رجل أو امرأة.

قلت: هي غزال، خادم بني عمارة.

قال: إنها لفصيحة اللهجة، حسنة التأدية.

قال: وسمعني مالك وأنا أنشد:

«ودع هريرة إن الركب مرتحل».

فوقف، ولا أعلم به، حتى بلغت قوله: «علقتها عرضًا» الأبيات.

فقال: هؤلاء خمسة مرحومون.

قال مطرف: جاء رجل من أهل الكوفة إلى مالك، فأقام نحو الستين أو السبعين يومًا، فسمع عددها أحاديث، فشكا ذلك إلى مالك وقال له:

- نحن بالعراق نكتب من المحدث في ساعة أكثر من هذا.

فقال له: يا ابن أخي، بالعراق عندكم دار الضرب، يضرب بالليل، ويخرج بالنهار.

ثم قال مالك: كانت العراق تجيش علينا بالدنانير والدراهم، فصارت الآن تجيش علينا بالحديث.

وقيل له: إن أهل الشام يقرأون «إبراهام».

فقال: عليهم بأكل البطيخ.

قال ابن أبي مريم: قال لي مالك: يا مصري، هل على مسجدكم بواب؟ قلت نعم. قال: هذا سجن، وليس بمسجد!

قال ابن أبي أويس: قال مالك: قدم ابن شهاب الزهري المدينة، فغلست إليه، فوجدته في طريق المسجد ومعه غلامه أنس، وكان قد زوجه

أمة له، فقال له: كيف وجدت أهلك؟ فقال: وجدتها يا مولاي جنة. فقال ابن شهاب: الحمد لله. ففطنت وضحكت، فسألني، فقلت: إنه يقول، إنها لم توافقه، إن في الجنة سعة وبردًا. فقال: كذلك يا أنس؟ فقال: إي والله يا مولاي. فما زال يضحك، ويعيدها، إلى أن فاتته الجماعة، فصلى في منزله.

قال ابن أبي أويس: جاء رجل وامرأته من موالي مالك إلى مالك، وكل واحد منهما يشكو صاحبه.

فقال مالك للرجل: ما نقمت منها؟

فقال: تضحك إذا خرجت مني ريح.

قال مالك: فتباعد عنها إذا كان منك ذلك.

فقالت المرأة: هو أصلح من ذلك، وهو رعد كرعد الخريف.

فقال لها مالك: احشي أذنيك قطنًا.

قالت: والله لو جلعت في أذني سندان حداد لنفذه.

فقال مالك: اذهبي فاضحكي كيف شئت؟ وقال للرجل: عليك بأكل السعتر. فداوم عليه، فانقطع عنه.

وسأل رجل جهني مالكًا عن يمين حلف بها، فأفتاه بطلاق زوجته ألبتة. فقال:

أفض عبرات العين مخضلة تترى

بكا جازع لا يفقه اللوم والزجرا

بكا ذي تميمات، بكى غير نازع

بكا جازع في شجوه قد بكى غمرا

فـمـا بعـد بت الحـبل عـن أم مـعـمـر

على خلة أبكي واسـتـعـتب الدهـرا

ولكن سـأبكيـهـا وأعـصـارهـا الـتـي

لهون بهـا، سقيًا لأعصـارها عصـرا

فلولا اتـقـاء اللـه، والموت مـدركـي

وشـيكا، وبعد الموت أنتظر الحـشـرا

لبـتلت دعـوى مـسـلـم متـبـهـل

فـقـد يعلم الله السـريرة والـجـهـرا

على مـالـك، أيام يفـتـيك مـالـك

ولم يبل عـهـدًا من نـبي ولا أمـرا

لبين الـتي لو كنت خـيـرت بـينـهـا

وبين يدي، لاختـرت بت يدي بـتـرا

عـشـيـة يفـتـيني ويزعـم أن بـي

عـزاءً على هجـران رامـة أو صـبـرا

فـقـد جـار في يـوم المـدينة مـالـك

وأجـرى لقتلي وهو يلتـمس الأجـرا

فـرحت، وقـد أجدت مـشـورة مـالـك

نوافـذ تحـتل الجـوانـح والـصـدرا

فـما أن أبالي بعـدمـا صرمت مـحرمًـا

بعـاقبـة، لو جـاب لي رامس قـبـرا

وأفنيت عـــبـرات الـدمـوع عـلـيكـم

وغـادرت دمـع العين منحـــدرًا يتـرا

قال عمرو بـن سليم: رأى مالك فتى يمشي مشية منكرة، فـقام مالك، فجعل يمشي إلى جنبه يحكيه، فوقف الفتى، فـقال له مالك: مشيتي حسنة؟ قال: لا، قال: فلم تمشيها أنت؟ قال: لا أعود.

قال أبو عـوف عبد الرحـمن بن مرزوق: وذكر لعبـيد الله بن محـمد قاضي طرسوس، عن بكر المزني أنه قال:

- أحق الناس بلطمة من أكل طعامًا لم يدع إليه، وأحق الناس بلطمتين من قال له صاحب المنزل: أقعـد هاهنا، فقال: لا هاهنا، وأحق الناس بثلاث لطمات من قال لصاحب المنزل: ادع صاحبة البيت تأكل معنا.

فقال لي: عندي أعجب من هذا وأطرف من هذا.

كان مالك يومًا جـالسًا، فأستأذن عليه صـديق له فأذن له، وكان لمالك بطيخة في ناحية، فرمى بمنديل عليـها، فدخل الرجل، فقال له مالك: هاهنا هاهنا.

فأبى أن يقعد إلا على المنديل، فتفسخت تحته البطيخة.

فقال مالك: يرحمك الله، كنا أبصر بعوار منزلنا منك.

وسأله رجل عمن قال لآخر: يا حمـار! قال: يجلد. قال: فإن قال له يا فرس؟ قـال: تجلد أنت. ثم قال: يا ضـعيف! وهل سـمعت أحـدًا يقول لآخر يا فرس؟

قال ابن مهدي: قلت لمالك: ارفق علي، قد طال مقامي، وما أدري ما حدث على أهلي بعدي.

فتبسم وقال: يا ابن أخي، أهلي بالقرب مني وما أدري ما حدث عليهم بعدي.

* * *

obeikandl.com

باب ذكر وفاة مالك رحمه الله، واحتضاره، ومرائي دلت على فضله عند الله

قال القاضي رضي الله عنه: قد قدمنا تاريخ وفاته، وإن الصحيح من ذلك في ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة، يوم الأحد، ولتمام اثنين وعشرين يومًا من مرضه. وغسله ابن كنانة وابن أبي زنبر، وابنه يحيى وكاتبه حبيب، يصبان عليهما الماء.

ونزل في قبره جماعة، وأوصى أن يكفن في ثياب بيض، ويصلى عليه في موضع الجنائز، فصلى عليه عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن علي بن عبد الله بن عباس، وكان خليفة لأبيه على المدينة، ومشى في جنازته، وحمل نعشه.

وبلغ كفنه خمسة دنانير.

وقد ذكرنا من المرائي الدالة على علمه وإمامته جملة، ونقتصر ها هنا على الغرض مما لم نذكره قبل.

قال بكر بن سليمان الصواف: دخلنا على مالك بن أنس في العشية التي قبض فيها، فقلنا:

يا أبا عبد الله كيف تجدك؟

فقال: ما أدري كيف أقول: إلا أنكم ستعاينون غدًا من عفو الله ما لم يكن في حساب.

ثم ما برحنا حتى غمضناه.

وقيل: إنه تشهد ثم قال: لله الأمر من قبل ومن بعد.

ورأى عمر بن يحيى بن سعيد الأنصاري في الليلة التي مات فيها مالك قائلاً يقول:

لقـــد أصـبح الإســـلام زعـزع ركـــنـه

غداة ثوى الهـادي لدى ملحد القـبر

إمـام الـهـدى مـــا زال للعلم صـــائنـًا

عليـــه سـلام الله في آخـر الـــدهـر

قال: وانتـبهت وكتـبت البيتين فـي السراج، وإذا الصارخـة على مالك رحمه الله.

قال حـبيب كـاتب مالك: كنا عـند مالك يوم مـات، في جمـاعة من إخواننا، إذ أتاه ابن أبي حازم، فقال:

يا أبا عبد الله، رأيت في هذه الليلة رؤيا أحببت أن أقصها عليك.

قال: قص.

قال: أرأيت السماء انفجرت فـهبط منها ملك بيده طومار، وهو يقول: يا معشر الناس، هذه براءة مالك من النار.

ثم إنا لجلوس مـا برحنا، حتى دخـل والي المدينة ابن أبي زينب ومعـه مؤدبه فقال:

يا أبا عبد الله، إن مـؤدبي رأى الليلة رؤيا - وذكر مثلها سـواء - فقال له مالك: سبقك إليها أبو تمام.

ثم خـرجنا من عنده، فلمـا بلغنا باب الدار أغلق، وسـمعنا صـوائح، فرجعنا، فما لبثنا أن خرج ابنه يقول: قد قبضه الله إليه.

قال الشافعي: قالت لي عمتي ونحن بمكة: رأيت في هذه الليلة عجبًا.

قلت: وما هو؟ قالت: كأن قائلاً يقول: مات الليلة أعلم أهل الأرض، فحسبنا تلك الليلة، فإذا هي ليلة مات فيها مالك.

قال الحسن بن حمزة الجعفري: كنت أشتم مالكًا، فأقمت عشيتي على ذلك، فنمت، فرأيت كأن الجنة فتحت، فقلت: ما هذا؟ قالوا: الجنة. فقلت: فما هذه الغرف؟ قالوا: الغرفة فوق الغرفة فوق الغرفة، لمالك بن أنس، بما ضبط على الناس دينهم.

فلم أنتقصه بعد، وصرت أكتب عنه.

ورأى آخر كأن قائلاً يقول: ليقم من صدق الله، فقام مالك بن أنس.

قال بعضهم: رأيت مالك بن أنس في النوم، فقلت:

قد نفع الله بك، ونفعت أهل بلدك.

فقال: وأما والله ما أردت بذلك إلا الله.

قال أسد بن موسى: رأيت مالكا بعد موته وعليه قلنسوة طويلة، وثياب خضر، وهو على ناقة تطير بين السماء والأرض، فقلت: يا أبا عبد الله، أليس قد مت؟

قال: بلى.

فقلت: إلام صرت؟

قال: قدمت على ربي فكلمني كفاحًا، فقال: سلني أعطك، وتمن علي أرضك.

وذكر أن الفضيل بن عياض رأى أنه دخل الجنة، قال:

فبينا أنا في طرقها إذا مررت يزيد بن أسلم في غرفة، وعليه قلنسوة طويلة. فقلت: زيد! قال: نعم. قلت له: سكنك الله وشرفك، فأين مالك، لا أراه؟ قال: وأين مالك؟ مالك فوق! فما زال يقول: «فوق» حتى وقعت قلنسوته.

ورآه آخر فقال له: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي. قال: بماذا؟ قال: بكلمة عثمان التي كان يقولها إذا رأى الميت: «سبحان الحي الذي لا يموت».

قال ابن أبي أويس: كان يحيى بن يزيد النوفلي من الزهاد العباد، وكان لا يكلم مالكًا ولا ابن أبي ذيب ولا ابن عمران، وكتب إلى كل واحد منهم كتابًا يعظهم في إقبالهم على الدنيا، فأما مالك فأجابه أحسن جواب، وأما الآخران فأغلظا له في القول.

فقدم بعد موته من الغابة إلى المدينة، فلم يتخلف عنه أحد، فحضرته يومًا وهو يحدث، وعنده خلق كثير، وهو يبكي ويقول:

رأيت في هذه الليلة كأني في موضع نخيل وبساتين وخضرة، وقصور وأنهار تجري، فاعتمدت إلى قصر رأيت أنه أفضلها، فلما ذهبت لأدخله، إذا على بابه إنسان يمنعني الدخول، وقال:

حتى استأذن لك.

فذهب، ثم أتى فأدخلني، فإذا بقصر لم ير الراءون مثله حسنا، وإذا فيه مالك بن أنس، جالس وسطه، وفي حجره مصحف، وعليه ثياب خضر أحسن ما يكون، فلما وقفت سلمت عليه وقلت:

أليس قد مت؟

قال: بلى.

قلت: فيم صرت إلى هاهنا؟

قال: بعفو الله وتجاوزه عني وسعة رحمته، لا بعلمي.

قلت: فما رأيت في شأن العلم؟

قال: أكثر ما نجونا بالتوقف عنه.

قلت: أين زيد بن أسلم؟ وفي رواية: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم!

فرفع رأسه إلى السماء وأشار بإصبعه وقال:

- هيهات، ذلك في عليين، مع البكائين.

فلم تزل رؤياه في رقعة بين يديه، مع أجوبتهم له، يقرأها للناس ويبكي ويترحم على مالك في كل مجلس.

وعن بشير بن بكر: رأيت، أو، رئى الأوزاعي والثوري، وهما في الجنة، فقلت: أين مالك؟ فقال لي: إن مالكًا في أعلى.

ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوته.

قال التستري: رئى أبو زرعة في النوم، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: قال لي أكثرت علي يا أبا زرعة - وكيف يكثر مخاصمة أصحاب المقالات - قال: فقلت: أي رب، إنهم جادلوا دونك.

فقال: اجعلوه مع أبي عبد الله، وأبي عبد الله مالك والثوري وابن حنبل.

***

باب في رؤيا أهل العلم الدالة على علمه وإمامته

قال الدراوردي: رأيت النبي ﷺ في المنام، جالسًا في الروضة بين القبر والمنبر، إلى الأسطوانة المخلَّقة[1]، فأتيناه، وجلست إليه، إذ أقبل مالك آخرنا، وسلم، فأجلسه رسول الله ﷺ إلى جانبه، ثم نزع خاتمه من يده ﷺ، وقلبه بين أصابعه، وجمعهن، فليس أحد منا إلا تشوف له، فأخذ بيد مالك ووضعه في إصبعه، فلو كان يصلح للخلافة قلنا خليفة، ولكنه العلم.

وقد رويت هذه الرؤيا عن الدراوردي بغير هذا اللفظ، والمعنى متقارب.

وفي خبر آخر: كنت أنتقصه، فرأيت رسول الله ﷺ في النوم، فقال لي: الزم ما أمرك به مالك بن أنس، فإنه يريد بما فيه الله تعالى.

قال الزبير بن حبيب: كنت أتناول مالكًا فرأيت النبي ﷺ عند الأسطوانة المخلقة، وأنا معه، إذ أتى رجل يسأله عن مسألة، فقال له النبي ﷺ ايت مالكًا فاسأله فما على ظهر الأرض أعلم منه.

وقال محمد بن رمح: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله، إن مالكًا والليث يختلفان، فقال رسول الله ﷺ: عليك بما يقول مالك، ورث وحيي. وفي رواية: «جدي».

قال الحسن بن علي الأشناني: معنى «جدي»: قيل: جدي إبراهيم الخليل، وقيل: جدي ديني، وقيل: سنتي.

وعن ابن رمح أيضًا: رأيت النبي ﷺ وأنا شاب والناس مجتمعون عليه يسألونه، فقال: قد أعطيت مالكًا كنزًا وأمرته أن يفرقه عليكم.

وجاء رجل إلى مجلس مالك، فقال: أيكم مالك؟ فقالوا: هذا. فسلم عليه، واعتنقه وضمه إلى صدره، وقال: والله لقد رأيت رسول الله ﷺ

---

(١) في طبعة المغرب: «الخلقة».

البارحة جالسًا هاهنا، فقال: هاتوا بمالك. فجيء بك ترعد فرائصك. فقال: ليس بك بأس يا أبا عبد الله، اجلس. فجلست. فقال لك: افتح حجرك. ففتحت. فملأه مسكًا منثورًا، وقال: ضمه إليك، وبثه في أمتي.

فبكى مالك وقال: الرؤيا تسر ولا تغر، إن صدقت رؤياك فهو العلم الذي أودعني الله.

قال أبو هشام: رأى رجل النبي ﷺ على المنبر يخطب، إذ جاء مالك، فقال: يا مالك، خذ هذه الصرة وضعها تحت منبري.

قال أبو هشام: هو العلم الذي بثه.

قال أبو بكر بن سعدون: صليت بمصر الضحى، فرأيت النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إن مالكًا والليث اختلفا في الضحى، فمالك يقول: اثنتي عشر ركعة، والليث يقول: ثمانية. فضرب بيده بين وركي وقال: رأي مالك هو الصواب.

قال خلف بن عمر: كنت عند مالك، فأتاه ابن أبي كثير قارئ المدينة، فناوله رقعة، فنظر فيها وجعلها تحت مصلاه، فلما قام من عنده، ذهبت لأقوم، فقال: اثبت.

فناولني الرقعة فإذا فيها: رأيت الليلة في منامي كأنه يقال لي: هذا رسول الله ﷺ. فأتيت المسجد، فإذا ناحية من القبر قد انفرجت، وإذا رسول الله ﷺ جالس، والناس يقولون: يا رسول الله أعطنا، يا رسول الله من لنا؟ فقال لهم: إني قد كنزت تحت المنبر كنزًا، وقد أمرت مالكًا يقسمه فيكم فاذهبوا إليه. فانصرف الناس وبعضهم يقول لبعض: ما ترون مالكًا يفعل؟ فقال بعضهم: يقصد لما أمره به رسول الله ﷺ. قال: فرق مالك وبكى، ثم خرجت وتركته على حاله.

قال يحيى بن يزيد النوفلي: رأيت بمرو النبي ﷺ، ومالك بن أنس يمشي بين يديه بشمعة يحملها.

وفي رواية أخرى عنه: رأيت كأننا في الجنة وإذا مالك بن أنس بين يديه عمود من نور.

وقال ابن أبي الكرام: رأى رجل من أصحابنا النبي ﷺ في النوم، وهو يقسم قسمًا، قال: فبسطت يدي إليه وقلت: يا رسول الله أعطني.

فقال: قد خبأت لكم خبئا تحت منبري هذا. قلت: وما هو يا رسول الله؟ قال: مالك بن أنس.

وقال زبد بن داود: رأيت في منامي كأن القبر قد فرج عن رسول الله ﷺ، والناس قد انقصفوا عليه، فصاح صائح بمالك بن أنس، فجاء مالك، فأعطاه شيئًا وقال له:

- اقسم هذا بين الناس. فرأيته يعطيهم إياه، فإذا مسك، فأولناه العلم الذي بثه.

وقال آخر: كانت في نفسي مسألة دقيقة، كنت أحب أن أرى النبي ﷺ في النوم فأسأله عنها، فرأيته، فقلت: يا رسول الله، في نفسي مسألة دقيقة أحب أن أسألك عنها. فقال ايت مالكًا فاسأله عنها، فإنه يخرجها وإن كانت أدق من شعرة.

قال حجاج بن سليمان الرعيني: رأيت النبي ﷺ في النوم فسألته عن مسألة، فقال: ألم أكنز تحت منبري كنزًا وأمرت مالكًا يفرقه عليكم؟

قال محمد بن أبي بشر: كنت في مجلس ابن حنبل، فطعن قوم على مالك، وآخرون على الثوري، فانصرفت وفي قلبي من الغم ما لا أصف،

فبت، فرأيت رجلاً من أحسن من رأيت وأطيبه رائحة وأنقاه ثوبًا، عن يمينه رجل وعن يساره آخر، وكلاهما في هيئة جميلة، غير أنه أعلاهما حالاً.

فقال: هل تعرفني؟ فقلت: لم أرك قبل فأعرفك، ولا أخالك إلا مشهورًا لما أرى من هيئتك وحسن وجهك. فقال: أنا نبيك محمد. فقلت: صلى الله عليك، بأبي أنت وأمي، فمن هذا؟

قال: إمام داري - مالك بن أنس - وأشار إلى الذي عن يمينه - وهذا إمام أهل العراق سفيان الثوري - وأشار إلى الذي عن يساره - فَاشْهَدْ بالصدق لهما وأحبهما فإني أحبهما، والله ما تكلما برأي إلا أصابا فيه سنتي، ونصحا فيما اجتهدا فيه أنفسهما لجميع أمتي، وإنهما إن تأخرا عن القرن الأول، لغير متخلفين عن منازلهما بلزوم السنة وضبط الآثار، أقد حفظت؟

قلت: نعم.

فغدوت على ابن حنبل فأخبرته، فقال:

وددت أني رأيت ما رأيت، وليس لي قوت يومي، هذا والله رأيي فيهما.

وقال بعضهم: رأى رجل كأنه يقال للنبي ﷺ: عند من نجد ميراثك يا رسول الله؟ فقال: عند مالك بن أنس.

قال ابن القاسم: رأيت بالإسكندرية، كأني صدت بازيًا ففضضته، فإذا جوفه ممتليء جوهرًا، ففسرت رؤياي على زيد بن شعيب فقال لي:

لعلك حدثت نفسك بشيء من طلب العلم؟ قلت: هو ذاك. قال: فمن ذكرت؟ قلت: مالك. قال: هو بازيك الذي صدت، والباز هو سيد الطيور، والجوهر الذي وجدت في جوفه، هو العلم الذي تسأله عنه.

وقال عمار بن يزيد بن الخشاب، رأيت كأني دخلت مدينة اختلطت علي أزقتها، فجزت بقوم، فقام إلي شيخ فأخذ بيدي حتى أخرجني إلى طريق واسعة واضحة وقال: خذ عليها. فسألت عنه، فقيل لي: هذا مالك.

قال ابن اللباد: وبلغني أيضًا أن رجلاً أعرفه كان ينتحل مذهب أبي حنيفة، رأى في نومه النبي ﷺ، فسلم عليه وصافحه، فأردت معانقته فأعرض عني، فقلت في نفسي: ما أراه إلا لاستحلال النبيذ. فقال قائل: وددنا لو سألناه ما ينتحل، فقال عليه السلام: ألا إن الحق في قول مالك ما يتعداه.

فصار الرجل إلى مذهب مالك وترك مذهبه.

وروي أن مالكًا قال لابن هرمز: رأيت كأني أنظر في مرآة. فقال ابن هرمز: من رأى هذا فهو ينظر في أمر دينه. ثم قال: يا مالك، أنت اليوم مملك، فاتق الله في هذه الأمة إن كنت لها مالكًا.

وقال العامري: بينا أنا في المسجد وهو غاص بأهله، إذ أنا برسول الله ﷺ قد خرج من قبره، وبيده قارورة مسك، فوقف ثم قال: أيكم مالك؟ فقام مالك فقال: هأنذا، بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: خذ هذا - وناوله القارورة - فاقسمه بين الناس. فجاء العامري يخبر بها مالكا، فقال له مالك: لا تخبرني، فقد رأيت مثل ما رأيت.

قال إبراهيم بن أبي يحيى: نمت فرأيت الشمس قد كسفت وقد علت الأرض ظلمة حتى إن الناس لا ينظر بعضهم إلى بعض، فقلت لرجل إلى جنبي: أقامت القيامة؟ قال: ولم لا تقوم وقد مات عالم المدينة. قلت: ومن هو؟ قال: مالك. فانتبهت وفزعت فإذا به قد مات.

وقال ابن مزاحم: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقلت:

يا رسول الله من نسأل بعدك؟

قال: مالك بن أنس.

قال ابن القاسم: بينا أنا نائم أتاني آت فقال لي:

إن أردت العلم فعليك بعالم الآفاق.

فقلت: من هو؟

فقال لي: هذا الشيخ انظر إليه.

فنظرت إليه فإذا شيخ أشقر، طويل، حسن اللحية، فاستيقظت وقد مضى أكثر شوال، فاكتريت إلى مكة وحججت، فلما أتينا المدينة، اغتسلت ودخلت مسجد النبي ﷺ، فنظرت، فإذا أنا بالصفة التي رأيت في النوم، وإذا هو مالك، فعرفت أنه الذي قيل لي فيه «عالم الآفاق» فلزمته.

ورأى بعضهم أن الناس اجتمعوا في جبانة الإسكندرية، يرمون غرضًا، كلهم تخطاه وإذا رجل يرمي ويصيب، قال: فقلت: من هذا؟ قيل مالك بن أنس.

* * *

باب في تركة مالك رحمه الله

قال ابن القاسم: مات مالك عن مائة عمامة، فضلا عن سواها.

وقال ابن أبي أويس: بيع ما في منزل مالك يوم مات رحمه الله، من منصات وبراذع وبسط ومخاد محشوة بريش وغير ذلك، بنيف على خمسمائة دينار.

قال محمد بن خلف: خلف مالك خمسمائة زوج النعل، ولقد اشتهى يومًا كساء قومسيًا فما بات إلا وعنده منها سبعة، بعثت إليه.

وأهدى له يحيى بن يحيى النيسابوري هدية، وجدت بخط بعض مشايخنا الثقات، أنه باع من فضلتها بثمانين ألفًا.

قال أبو عمر: وترك من الناض ألفي دينار، وستمائة دينار، وتسعة وعشرين دينارا، والألف دراهم، فاجتمع في تركته ثلاثة آلاف وثلاثمائة ونيف.

* * *

باب ما قيل في مالك من الشعر في حياته وبعد وفاته

قال القاضي رضي الله عنه: من مشهور ذلك قول ابن المبارك:

صـمـوت إذا مـا الصـمـت زين أهلـه

وفـتـاق أبكار الـكلام الـمـخـتـم

وعى مـا وعى القـرآن مـن كل حكمـة

ونيطت لـه الآداب بالـلـحـم والـدم

وقال ابن مناذر:

ومن يبـغي الوصـاة فـإن عـندي

وصـاة للـكهـول وللـشبـاب

خـذوا عـن مـالك وعن ابـن عـون

ولا تروووا أحـاديـث ابـن داب

وقال عبد الله بن سالم الخياط:

يأبى الجـواب فـلا يراجع هـيـبـة

والسـائلـون نواكس الأذقـان

أدب الوقـار وعـز سلطان الـتـقى

فـهـو المهـيب وليس ذا سـلطان

وأنشدوا لأبـي المعافى في مالـك - وبعضهم يـزيد فيهـا على بعض - ويذكر بعضها لأبي المعافى:

ألا إن فـقـد الـعلم في فـقـد مـالـك

فـلا زال فـينا صـالح الحـال مـالك

فلولاه مـا قـامت حـقـوق كـثـيـرة

ولولاه لانسـدت عليـنا المسـالـك

يقـيـم سـديد الحق سـرًا وجـهـرة

ويهدي كـما تهدي النجـوم الشوابك

عـشـونا إليـه نبـتـغي ضـوء نـاره

وقـد لزم الـعي اللجـوم المـمـاحك

فـجـاء بـرأي مـثله يـقـتـدى بـه

كنظم جـمـان زينتـه الـسـبـائك

وحكى التستري أن مالكًا كان جعل لأبي المعافى أن يجرح من شهد عليه، فشهد عليه المغيرة، فلما مات مالك قال: «ألا قل لقوم» الأبيات: وفي رواية:

ألا قل لأقـوام حـيـوا مـرحـبًـا بـكـم

لمن سال عن فـتوى فقد مـات مالك

وأنشد الزبير لأبي المعافي، أو ابن أبي المعافي، يرثي مالكًا:

ألا قل لقـوم سـرهم فـقـد مـالـك

ألا إن فـقـد العلـم إذ مـات مـالك

ومـا لي لا أبكي على فـقـد مـالك

إذا عـز مـفـقـود من الـناس هالك

ومـــالي لا أبكي علـى فـقـــد مـــالك

وفي فـقـــده سـدت علينا المـسـالك

وأنشد أصبغ لامرأة ترثيه:

بكـيت بدمـع واكف فـــقـــد مـالـــك

فـفي فـقده سـدت علينـا المـسـالـك

ومـــالي لا أبكي عليـــه وقـد بـــكـت

عليـه الـثـريا والنجـوم الـــشـوابـك

حلفـت بما أهدت قـــريش وجلـــلـت

صبـيحـة عشر حين تقـضى المناسك

لنعـم وعـــاء العلم والـفـــقـه مـــالـك

إذا عـد مـفـقود من الـناس هـالـك

أنشد أبو محمد الضراب لبعضهم:

إذا مـــــا عـــــدد الـعلـمـاء يومـًا

فـمـــالك في العـلوم هو الضـــيـاء

تـبـــــوأ ذروة العـلـــمـاء قـــوم

فـهـــو كـالأرض وهو لهم ســمـاء

وأنشد لآخر:

وفـــقـــيـــه الحـــرمـين مـالـك

كـــان إذ يـأمـــر بالأمـــر يـطاع

وأنشد لطالب بن عصمة الأندلسي:

إمام الورى في الهدى والسمت مالك
وفي الفقه والآثار ما أن يدارك
فأراؤه في الفقه يسطع نورها
وتسهل من إيضاحهن المسالك
وآثاره يهدي العباد مضيئها
كما تهدهم زهر النجوم الشوابك
له من ذرى العلم السنام وشلوه
وفي سائر الناس الشظا والسنابك

وأنشد الزبير أيضًا لأبي المعافى:

فدى مالك قوم تمنوا بموته
وما فيهم لو مات عوض ولا خلف
تحمل علم الدين نورًا مثقفًا
بإسناد أقوام ثقات من السلف
فلما أقام الأود من ذي قسيهم
وكان إليه غاية الرمي والهدف
رموه بنبل كان قد راشها لهم
وعلمهم شد الأساعد والأكف
فما ساعد منهم يقاوم ظفره
إذا قست منهم ساعدًا ببنان كف

وقيل إن مالكًا لما سمع هذا الشعر قال: الله المستعان.

وقال محمد بن أبي زيد لبعض من ناقض قول مالك رحمه الله:

تخطيت خفض نجوم السماء

وهذا هو الأمل الكاذب

تروم إمام الهدى مالكًا

وذاك هو الجبل الراسب

فما أثر الذر في صحوة

ومجهوده قائم راتب

بدون منالك من مالك

فدونك هذا الرجا الخائب

وأنك من دون ما رمته

بعيد كما بعد الثاقب

وقال عبد السلام بن سليمان:

عادني مالك، فلست أبالي

بعد، من عادني ومن لم يعدني

وأنشد أبو مصعب لبعضهم:

ومن لم يجالس مالكًا منذ أن نشا

ولما يجالس غيره فهو جاهل

وأنشد التستري لمحمد بن عبد الرحمن البغدادي المعروف بأبي الحسن الصالحي يرثي مالكًا بقصيدة أولها:

قـضى وطـرًا من غـمـه فـهـو جـازع

ولـج به طـرف مـن اللـيـل دامـع

وأبـصـــــــر بالإيمـان عـورة ديـنـه

فـبـات سهـيـرًا والعـيـون هـواجـع

رأى أن أيام الصـبـا لـسن رجـعـا

وإن الهـوى في حلة الشـيب ضـائع

فلا اللهـو محمـود، ولا العيش راجع،

ولا الحلم مـذموم، ولا الجـهل نافع

تذكـــــر أن العلـم ينهـي عن الهـوى

وراعـتـه أعـلام المشـيـب الـروائع

وبعد هذا أبيات كثيرة ذكر فيها المدينة فقال:

حـــرام رسـول اللـه فـيـهـا وأمـنـه

وللزجـر والدجـال فـيـهـا مـوانـع

ويـأرز إيمان الـبـلاد إلـيـــــهـم

إذا ظهـرت فـيـهـا الهنـات الفظائع

ومنـهـــا أتـى الـله الـبـلاد بـدينـه

كـــــذا كل إيمان إلـى الدار راجـع

ثم قال بعد أبيات:

سـقـى الله مـا ضـم النبـي مـحـمـدًا

من الأرض، ما يسقي الغمام الهوامع

إلى روضة التقوى، إلى القبلة التي

بها قمر التقوى مصل وراكع

إلى خيرة[1] الأصحاب والتابع الذي

به وصلتهم في الكتاب الدرائع

وجاد لقبر فيه أكفان مالك

أفاوقه والمسبلات الدوافع

فنعم إمام العلم والكوكب الذي

أتى نوره في صفحة الدين ساطع

عقيد الهدى فينا ومصباح ديننا

ومن قوله بالحق والرشد واقع

ومن عروة الإسلام في بطن كفه

هي العروة الوثقى وبالحق صادع

ومن هو خير الناس، والعلم هديه

ومن عنده أركانه والشرائع

فإن لم تكن فيما قضى الله صاحبًا

فإنك للأمي بالحق تابع

(١) فى طبعة المغرب: «إلى حفر الأصحاب» وهو غير صحيح عروضيا، والأبيات من الطويل.

أقـــمت لنا ديـن الـنـبي مـحـمـد

وجاريه، والصهـرين، مذ أنـت يافـع

وعلمك أعلى العـلم فرعًـا ومـخـرجًا

كـــذا كل عـلـم دونـــه مـتـــواضـع

إذا قـــــرع الآذان هلـت قـلوبـهـا

وأصـغت إليـــه بالرقـاب المســامـع

ومـا علم من لم يسـتـمع قـول مـالـك

ولم يعـتـــقـده قلبـه وهـــو ضـائع

ولم يهـد بـالبـرهان من علـــم مـالـك

ومـا وطئـت أخـبـاره والـجـوامـع

لعـمـري قـــد أورثتنا العلم خـــالـصًا

وقـد أوحشت منـك الديار البـلاقـع

نقـلت إلينـا عن مـصـابـيح ديـنـنـا

بتـوفـيق رب فـضـل جـدواه واسـع

فـإن لم تـكن فـينا فـــعلمـك بيـنـنـا

ندافـع عنـه من نـشـا ونـــصـــارع

بكـل بيـــان مـــن كـتـــاب وحـجـــة

لهـــا من قـلوب المؤمـنين مـواقـع

ستبكيك أرض الناس، والناس فـوقها،

وتبكيـك في الجـو النجـــوم الطوالع

وحكى التستري أن أبا المعافى سجنه والي المدينة العباس بن محمد في أمر رفع إليه، فكتب إلى مالك بشعر يقول فيه:

ألا إن عمر العلم في عمر مالك

فلا زال فيا صالح الحال مالك

الأبيات.

فما فرغ منها حتى رئي الحياء في وجه مالك، ثم أطرق، فرفع رأسه وقال:

- إن الله فرض فرائض، وجعل حد الزاني الرجم إذا أحصن، وجلد مائة إذا لم يحصن، وجلد ثمانين إذا قذف محصنة، وإذا سرق ما فيه القطع، القطع، ولم أسمع أن الله أمر بالسجن في شيء من حدوده، فرجع ذلك إلى العباس فأرسل إلى مالك ليسأله، فقال: اليوم بعد ثلاثة أشهر أرى أن تفتح عليه الباب وتستحله فيما مضى. فخلى سبيله.

وكان المعافى ينشد - يعرض بالقريشيين الذين أفتوا بحبسه -:

فدا مالكًا قوم تمنوا بموته

الأبيات.

وأنشد لابن سليمان أخو بني خضرة في مالك:

كم فقه الله من جاب بمجلسه

وزاد فقهًا به من فقه عاس

يا منتهى الناس في الفتوى إذا اجتهدوا

وقايسوك لدى النوكى بمقياس

أنت البـقـيـة إذ أودت بـقـيـتـنـا

لا الضارب الرأي أخمـاسًا لأسـداس

وقال الفقيه محمد بن عمار الكلاعي البورقي أيضًا في قصيدة منها:

وكن فـي ذي المذاهـب مـالـكيًـا

مـدينيًـا وسـنيًـا مـتينـا

مـدينـة خـيـر من ركب المطـايا

ومـهـبط وحي رب العـالمينا

بهـا كـان النبي وخـيـر صـحب

وأكـثـرهم بـهـا أضـحى دفـينا

ومـالك الـرضـا[1] لا شك فـيـه

وقـد سلك الطـريق المسـتـبـينا

نـظرنـا فـي المذاهـب مـا رأينـا

كـمـذهـب مـالك للـناظـرينـا

ومـذهبـه اتبـاع لا ابـتـداع

كـمـا اتبع الكـريم الأكـرمـينـا

وعندي، كل مـجـتـهـد مـصيب

ولكـن مـالـكًا في السـابـقـينـا

وقـد دل الدلـيل عـلى صـواب

يقـول به لـدى المتـحـقـقـينـا

(١) فى طبعة المغرب: «الرضى» والأبيات من الوافر.

وقال الفقيه أبو حفص بن عبد النور الصقلي المعروف بابن الحكار في ذلك:

تأملت علم المرتضين أولي النهى
فأفضلهم من ليس في جده لعب
ومن فقهه مستنبط من حديثه
رواه بتصحيح الرواية وانتخب
فما مالك إلا الهدى، ولذا اهتدت
به أمم من سائر العجم والعرب

وقال أيضًا:

ومالك هو نور قد أضاء لنا
بعلمه فجلونا ظلمة السدف
لا يبتدي سائلاً بالوعد يصرفه
ولا يحيل على الأوراق والصحف
ولا يجيب جواباً ثم يتبعه
نقضًا، ولكن برأي غير مختلف

وقال الفقيه أبو الفضل بن النحوي في ذلك:

إن الإمام الأصبحي
من النجوم الزاهرات

حـــــــفـظ الإلـه به الـــحـديـث

وعـــــده فـي الحـــــافـظـات

وتـــــصـــــــرفـــــــت آراؤه

فـي المبـــــدآت المبـــــدعـات

ومـــــشـى علـى الهـــــدي الـذي

يمشـي عليـــه أخـــو الـشـبـــات

أهـــل المـــدينـــة يـهـــتـــدى

بـــهـم وهـــم أعـــلـــى الـــرواة

ويحـــــيـل بـعـد قـيـــــاسـه

فـي الحـــــــادثـات المـشكـلات

طلـب المعـــالي فـــاســـتـوى

فـــوق المعـــالـي المشـــرفـــات

وتـــــشـــوفـــــت[1] أنـــواره

نحـــو البـــلاد القـــاصيـــات

فـــــأصـــــاب منـهـــــا من يـو

فـــق للـصـــواب وللـــهـــداة

والمـسـك تـرتـاح الـنـفـــــــــو

س إليـــــه في المـتطـيـــبـــات

---

(١) فى طبعة المغرب: «وتشوقت».

وقال القاضي المؤلف رضي الله عنه:

يا سـائلاً عن حـميـد الهـدى والسـنـن

اطلب-هديت - علوم الفـقه والسنـن

وعـقـد قلـبك فـاشـدده عـلـى ثـلـج

لا تطـوينـه على شـك ولا دخـن

واسلك سـبيل الألى حـازوا نهى وتقى

كـانوا فبـانوا حسـان السـر والعـلـن

هم الأئمـة والأقطاب مـا انخـدعـوا

ولا شـروا دينهم بالبـخـس والغـبـن

أصحـاب خيـر الورى، أخيـار ملـتـه،

خـير القـرون، نجـوم الدهر والزمـن

من اهتـدى بـهـداهـم مـهـتـد، وهـم

نجـاة من بعدهم من غـمـرة الـفـتـن

وتابعـوهم على الـهـدي الـقـويم هـم

أهل النهى والتـقى والعلـم والفـطـن

واخـتـر لـدينك ذا عـلـم تـقـلـده

مـشـهر الـذكر في شـام وفـي يمـن

حـوى أصـولهم ثـم اقـتـفـى أثـرًا

نهـجًـا إلى كل معنـى رائق حـسـن

ومـالك المـرتضى لا شك أفـضـلـهـم

إمـام دار الهدى والـوحي والـسـنـن

وعنه خـذ علمـهـم إن كنت مـتـبـعًا

ودع زخـارف كالأحـلام في الوسـن

فـهـو المقـلد فـي الآثـار يسـنـدهـا

خلاف من هـو فيهـا غيـر مـؤتـمـن

وهو المـقلد فـي فـقـه وفـي نـظـر

والمقـتدي بالهـدى في ذلـك الـزمـن

وعـالم الأرض طرا بـالذي حكمـت

شهـادة المصطفى ذي الفـضل والمـنـن

ومن إلـيـه بأقـطـار الـبلاد غـدت

تنـضي المطايـا وتضنـي بدن الـبـدن

من أشـرب الخـلق طرًا حـبـه فـجرى

طي القلوب كمجري الماء في الغصن

وطال كـل لـسـان فـي فـضـائلـه

قولاً، وإن قصروا في الوصف عن لسن

عليـه مـن ربـه أضـفـى عـواطفـه

ومن رضاه كـصوب العـارض الهتـن

وجـاد ملـحده وطـفـاء هـاطـلة

تسقـي برحماه مـثوى ذلك الـجفن

باب في مشاهير الرواة عن مالك من شيوخه ممن مات قبله بمدة أو تقاربت موتتاهما

قال القاضي رضي الله عنه: كنا قديمًا جمعنا الرواة عن مالك على حروف المعجم على ما أشرنا إليه أول الكتاب، فاجتمع لنا منه نيف على الألف اسم وثلاثمائة اسم، وذكرنا في كتابنا هذا منهم في الطبقات الثلاث الفقهاء منهم، إذ هو الغرض الذي بنينا عليه هذا الكتاب.

وأردنا أن نذكر في هذا الباب نبذة من مشاهير من روى عن مالك من شيوخه، وأقرانه، وكبراء الآخذين عنه، ومشاهير من سائر الناس، لتتبين عظيم منزلته في وقته، واقتداء الجماهير به، ومعرفتهم حقه، مقتصرين على الأسماء والوفاة لمتقدمهم دون الخبر والقصص.

وعند تمام هذا الباب نرجع إلى غرضنا في تطبيق أصحابه الفقهاء وذكر أخبارهم على ما شرطنا أول الكتاب إن شاء الله.

* * *

باب من روى عن مالك من شيوخه وأقرانه الذين تعلم منهم وروى عنهم

فمن التابعين:

- محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، روى عنه حديث الفريعة بنت سنان في الطلاق. ومات سنة أربع وعشرين ومائة، قبل مالك بخمس وخمسين سنة.

- أبو الأسود يتيم عروة، ومات قريبًا من وفاة الزهري.

- أيوب بن أبي تميمة السختياني، توفى سنة إحدى وثلاثين ومائة، قبل مالك بتسع وأربعين سنة.

- ربيعة بن أبي عبد الرحمن، توفى سنة ست وثلاثين، وقيل سنة ثنتين وأربعين، روى عنه حديث المتعة وغير ذلك.

- يحيى بن سعيد الأنصاري، وروى عنه كثيرًا من حديث ابن شهاب، توفى سنة ثلاثة وأربعين، وقيل سنة أربع وأربعين، قبل مالك بست وثلاثين سنة.

- موسى بن عقبة، توفى سنة إحدى وأربعين، روى عنه حديث النهي عن بيع التمر قبل بدو صلاحه.

وذكر أبو محمد الحسن بن إسماعيل الضراب وغيره أن ممن روى عن مالك من شيوخه من التابعين.

- هشام بن عروة، توفى سنة ست وأربعين.

وذكر غيره فيهم:

- زيد بن أسلم وسؤاله إياه.

- ويزيد بن عبد الله بن قسيط الليثي.

ومن غير التابعين من شيوخ مالك الذين روى عنهم في موطئه وغيره، ورووا عنه الحديث:

- عمرو بن الحارث المصري، توفى قبله بثلاثين سنة.

- زيد بن أنيسة الجزري، توفى قبله بخمس وخمسين سنة، سنة موت ابن شهاب، لكنه توفى شابًا ابن ست وثلاثين سنة، قال كله البخاري، روى عنه مالك في الموطأ، وروى هو عن مالك حديث:

«من كانت عنده لأخيه مظلمة» الحديث.

- نافع القارئ، ابن أبي نعيم، توفى قبله بعشر سنين، قرأ مالك عليه القرآن.

- محمد بن عجلان.

- زياد بن سعد.

- سالم بن أبي أمية أبو النصر مولى عمر بن عبيد الله.

- يزيد بن عبيد الله بن أسامة بن الهادي، توفى قبله بأربعين سنة، روى عنه: «لا يحلب أحدكم ماشية أخيه إلا بإذنه».

- عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، روى عنه حديث المتعة وغيره.

طبقة أخرى من الأكابر من طبقة متأخري شيوخه:

من أتباع التابعين ومن مات قبله بزمن ممن لم يرو عنه مالك، وروى هو عن مالك، وفيهم من عاصره وتوفى قبله بزمن:

محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب القرشي، توفى قبله بعشرين سنة.

عبد الملك بن جريج، توفى قبله بثلاثين سنة.

محمد بن إسحاق صاحب المغازي، توفى قبله بنحو ثلاثين سنة، ذكر أبو محمد الضراب أنه روى عنه، وفيه نظر.

ومحمد بن إسحاق المدني، رجل آخر، روى عن مالك بغير شك.

سليمان بن مهران الأعمش، توفى قبله بإحدى وثلاثين سنة.

طبقة أخرى من الرواة عنه من أقرانه:

ومن الأئمة والمشاهير الذين تقاربت موتاتهم معه، وقد ساواه في السماع معه من أشياخه كثير منهم، ومنهم من مات قبله بسنين كثيرة.

سفيان بن سعيد الثوري، كوفي، توفى قبله بنحو عشرين سنة.

الليث بن سعد، مصري، توفى قبله بأربع سنين.

شعبة بن الحجاج، توفى قبله بثلاث وعشرين سنة.

إبراهيم بن طهمان، هروي.

إبراهيم بن محمد أبو إسحاق الفزاري، توفى بعده بثمان سنين.

إبراهيم بن محمد الشافعي، مكي.

أنس بن عياض، مدني، أبو ضمرة، توفى بعده بعشرين سنة.

أسامة بن زيد الليثي.

جويرية بن أسماء، بصري، مات بعده بثلاث عشرة سنة.

جرير بن عبد الحميد الضبي القاضي، رازي.

حماد بن سلمة، بصري.

حماد بن زيد، بصري، توفى معه في عام واحد.

سفيان بن عيينة، مكي، توفى بعده بإحدى عشرة سنة.

أبو حنيفة، كوفي، توفى قبله بثلاثين سنة.

ابنه حماد.

أبو يوسف القاضي، صاحبه، توفى بعده بثلاث سنين.

جعفر بن عون المخزومي، كوفي.

حفص بن عمر بن ميسرة الصنعاني.

الحسن بن زياد اللؤلؤي، كوفي.

حميد بن عبد الرحمن الرواسي، كوفي، توفى بعده بعشرين سنة.

روح بن القاسم البصري.

عباد بن عباد المهلبي، توفى بعده بسنة.

فليح بن سليمان، مدني، توفى قبله باثني عشر عامًا.

وأخوه عبد الحميد.

القاسم بن هارون الأيلي.

محمد بن عمران الطائي القاضي.

محمد بن أبي صبرة، توفى قبله بسبع سنين.

محمد بن إسماعيل بن أبي فديك.

إسماعيل بن إبراهيم بن علية، بصري، توفى بعده بثلاث عشرة سنة.

شريك بن عبد الله القاضي، توفى قبله بسنتين.

محمد بن الحسن.

إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير القارئ، مدني.

وأخوه محمد.

موسى بن أعين الجزري، توفى قبله بسنتين.

الضحاك بن عثمان بن عبد الله الحزامي الأكبر.

وابنه عثمان.

وابن ابنه الضحاك بن عثمان بن الضحاك، وهو الأصغر، وكان من كبراء أصحابه، وتوفى هذا الأصغر بعد مالك بسنة.

عبد الله بن جعفر المدني، توفى قبل مالك بسنة.

مسلم بن خالد الزنجي، توفى سنة وفاته.

عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، توفى قبله بنحو عشرين سنة.

وكيع بن الجراح، توفى بعده بمدة.

نافع بن يزيد، مصري.

المغيرة بن عبد الرحمن الخزامي، توفى سنة وفاته.

معمر بن راشد، توفى قبله بست وعشرين سنة.

ورقاء بن عمر.

إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى.

عبد الله بن لهيعة المصري، وتوفى قبله بنحو خمس سنين.

حفص بن ميسرة الصنعاني، توفى بعد مالك بسنتين.

عبد الرحمن بن أبي الزناد.

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، توفى بعده بثلاث سنين.

وهيب بن خالد البصري، توفى قبله بخمس عشرة سنة.

يونس بن يزيد الأيلي، مات قبله بعشرين سنة.

عبد الله بن إدريس الأودي.

أبو عون عبد الله بن عون بن أَرْطَبان[1]، بصري توفى قبله بنحو عشرين سنة.

العطاف بن خالد المخزومي.

معاوية بن صالح الحمصي، قاضي الأندلس، توفى قبله بنحو عشر سنين.

طبقة أخرى بعد هؤلاء:

ممن روى عنه العلم من مشاهير الأئمة، وتفقه عنده وجالسه من جلة العلماء، دون هؤلاء، ومنهم من شاركه في شيوخه، ومنهم من ظهر في حياته وأفتى في زمانه.

---

(١) تحرف فى طبعة المغرب إلى: «أرطيان» بالياء المثناة، وصوابه لدى ابن حجر في التقريب.

فمن أهل المدينة:

المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي، توفى بعده بسبع سنين.

وسليمان بن بلال، توفى قبله بأربع سنين.

عبد العزيز بن أبي حازم توفى بعده بخمس سنين.

ومحمد بن إدريس، توفى بعده بثلاث سنين.

وعثمان بن كنانة، توفى بعده بست سنين.

وعبد العزيز الدراوردي، توفى بعده بست سنين.

ومحمد بن مطرف أبو غسان.

وزكريا بن منظور.

ويحيى بن عبد الملك الهديري.

ومحمد بن مسلمة المخزومي.

ومن أهل العراق والمشرق:

عبد الله بن المبارك، توفى بعده بسنتين.

ويحيى بن سعيد القطان، وتأخرت وفاته بعده.

وعبد الرحمن بن مهدي، كذلك.

ومحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، وتوفى بعده بثمان سنين.

والحسن بن زياد اللؤلؤي صاحبه.

وحفص بن غياث.

obeikandl.com

ومن أهل الحجاز واليمن:

أبو قرة موسى بن طارق القاضي.

ومن أهل مصر:

عبد الرحيم بن خالد، توفى قبله بثمان عشرة سنة.

عثمان بن الحكم، توفى قبله بخمس وأربعين عاما.

سعد بن عبد الله، توفى قبله بست سنين.

زيد بن شعيب، توفى بعده بسبع سنين.

طليب بن كامل الإسكندراني، واسمه عبد الله

ومن أهل القيروان:

البهلول بن راشد، توفى بعده بأربع سنين.

وعلي بن زياد، مثله.

وأبو مسعود بن أشرس.

وعبد الله بن فروخ، توفي قبله بأربع سنين.

وأبو محرز القاضي محمد بن عبد الله.

وعبد الله بن حسان اليحصبي، مدني.

وعبد الله بن غانم القاضي، توفي بعده بسنتين على ما ذكره الشيرازي، والصحيح أن وفاته بعده بعشر سنين.

ومن أهل الأندلس:

محمد بن يحيى النيسابوري.

وحفص بن عبد السلام السرقسطي.

وزياد بن عبد الرحمن بن محمد.

وجعفر بن محمد.

وسعيد بن عبدوس.

وسعيد بن أبي هند، توفي قبله بنحو ثلاثين سنة.

ومن أهل الشام:

الوليد بن مسلم، توفي قبله بأربع سنين.

* * *

obeikandl.com

ومن بعد هؤلاء من المشاهير:

طبقة أخرى

ممن حـمل عنه الفقـه والحديث، ويندرج بعـدهم من صَغُـرَت أسنانهم عنهم، وجئنا بهم على حروف المعجم تقريبًا وترتيبًا، والله سبحانه المستعان.

باب الألف

أحمد بن محمد بن مالك، حفيده.

أحمد بن أبي بكر الزهري أبو مصعب، مدني.

أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي.

أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقي، مكي.

أحمد بن منصور الحراني.

أحمد بن عبد الله بن يونس اليربوعي، كوفي.

أحمد بن إسماعيل بن نبيه السهمي أبو حذافة.

أحمد بن حاتم بن محشي العطاردي، بصري.

أحمد بن حاتم الطويل، بغدادي.

أحمد بن فرج الطائي، كوفي.

أحمد بن أبي طيبة، جرجاني.

أحمد بن موسى.

أحمد بن يحيى الكندي الأحول.

أحمد بن إبراهيم الموصلي.

obeikandi.com

أحمد بن أبي سكينة الحلبي، ويقال: محمد.

أحمد بن سليمان الجعناني.

أحمد بن يزيد الورْتَنِيسي[1]، حراني.

أحمد بن يحيى بن المنذر القرشي.

أحمد بن محمد العَبَلِيّ، برقي.

إسماعيل بن داود الخزاعي، مدني.

إسماعيل بن أبي أويس، مدني.

إسماعيل بن حرب الضبي واري.

إسماعيل بن عياش.

إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، كوفي.

إسماعيل بن إبراهيم أبو سعيد الأقرع.

إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله التميمي، كوفي.

إسماعيل بن مسلمة بن قعنب.

إسماعيل بن عيسى الفزاري.

إسماعيل بن عمر أبو المنذر الوسطى.

إسماعيل بن راشد الطبري.

إسماعيل بن إبراهيم الترجماني، بغدادي.

إسماعيل بن زياد الدولابي، بغدادي.

إسماعيل بن رجاء أبو معاذ، رملي.

---

(١) تحرف فى طبعة المغرب إلى: «الورتني» وهو تحريف قبيح جدا، صوابه لدى السمعاني في الأنساب ١٢/ ٢٤١ - ٢٤٢.

obeikandl.com

إبراهيم بن عمر بن أبي الوزير، بصري.

إبراهيم بن حماد بن أبي حازم الزهري.

إبراهيم بن محمد بن أبي حازم الأسلمي.

إبراهيم بن المختار الرازي.

إبراهيم بن محمد الربيع السلمي.

إبراهيم بن الأسلمي.

إبراهيم بن رستم الخوارزمي.

إبراهيم بن عيسى الخزاعي.

إبراهيم بن زيد التفليسي.

إبراهيم بن علي التميمي.

إبراهيم بن إسحاق التميمي، كوفي.

إبراهيم بن هراسة الشيباني، أبو إسحاق كوفي.

إبراهيم بن هارون الليثي، مدني.

إبراهيم بن بشير، مكي.

إبراهيم بن يوسف بلخي.

إبراهيم بن حبان الأنصاري.

إبراهيم بن حبيب بن يونس، مدني.

إبراهيم بن عيسى سبلان، بغدادي.

إبراهيم بن زياد سبلان، بغدادي.

obeikandl.com

أيوب بن سليمان الأعور، مصري.

أيوب بن يونس أبو غسان القاضي، مروزي.

أيوب بن سويد الديلي.

أيوب بن عمار بن أبي أنيس، مدني.

أيوب بن هاني الجعفي، كوفي.

أسد بن موسى، مصري.

أسد بن عمر البلخي، صاحب أبي حنيفة، كوفي.

أسد بن الفرات القروي.

إسحاق بن عيسى الطباع، شامي.

إسحاق بن محمد العدوي.

إسحاق بن محمد المسيبي الرومي.

إسحاق بن عيسى بن بنت داود بن أبي هند.

إسحاق بن يونس أخو أبي مسلم المستملي.

إسحاق بن إبراهيم، مدني.

إسحاق بن الفرات، قاضي مصر.

إسحاق بن عبد الواحد الموصلي.

إسحاق بن بشر البخاري.

إسحاق بن بشر بن مقاتل الكاهلي، كوفي.

إسحاق بن منصور بن حبان، كوفي.

obeikandl.com

إسحاق بن إبراهيم الطبري.

إسحاق بن إبراهيم بن نسطاس، يمني.

إسحاق بن إبراهيم أبو معمر، بصري.

أشهب بن عبد العزيز، واسمه مسكين.

أصرم بن حوشب أبو هشام، قاضي همدان.

أسود بن عامر شادان.

أمية بن خلف بصري أخو هدبة.

آدم بن أبي إياس، عسقلاني.

إسرائيل بن روح.

أزداد بن موسى، بغدادي.

إدريس بن يحيى الخولاني، مصري.

حرف الباء

بشر بن المفضل، بصري.

بشر بن عمر الزهراني، بصري.

بشر بن آدم، بغدادي.

بشر بن يزيد الأزدي، إفريقي.

بشر بن بكر الأزدي الدمشقي.

بقية بن الوليد، حمصي.

بشار بن ضراط، رازي.

بكار بن عبد الله الزبيري، مدني.

بَرْبَر[1] المُغَنِّي، بغدادي.

بكر بن عبد الله بن الشرود، صنعاني.

بكر بن عبد الله، بصري.

بهلول بن صالح، قيرواني.

حرف الثاء

ثابت بن يعقوب بن هرمز، مصري.

حرف الجيم

جعفر بن محمد بن بشر بن جرير.

جعفر بن عون بن حريث المخزومي.

جعفر بن زيد السهمي، مدني.

الجارود بن يزيد أبو الضحاك، خراساني.

جميل بن يزيد.

جابر بن مدريق الحري.

حرف الحاء

الحسن بن سوار البغوي، بصري.

الحسن بن يحيى أبو عبد الملك الدمشقي.

الحسن بن محمد الشيباني، كوفي.

الحسن بن محمد الأشيب.

---

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «بريد» وصوابه من توضيح المشتبه لابن ناصر الدين ١/ ٤١٤ ولديه: «بَرْبر المُغَنِّي، عن مالك...».

obeikandi.com

الحسن بن محمد العبدي السدوسي، بصري.

الحسن بن الحسن بن عطية العوفي، كوفي.

الحسن بن علي الحلواني الخلال، بغدادي.

الحسن بن رافع البواري، بصري.

الحسين بن عبد الله العجلي.

الحسين بن الوليد النيسابوري.

الحسين بن عروة البصري.

حماد بن واقد الصفار، بصري.

حماد بن خالد الخياط، بغدادي.

حماد بن مسعدة، بصري.

حماد بن أسامة أبو أسامة، كوفي.

حماد بن سوار، جرجاني.

حماد بن عبد الملك، برقي.

حفص بن يحيى السرخسي.

حفص بن عمر بن ميمون الأيلي.

حفص بن سليمان السمرقندي.

حفص بن أبي حفص الهروي.

حفص بن عمر بن عبيد الطنافسي، كوفي.

حفص بن عمر الحوضي.

obeikandl.com

حبيب اللآلي، وصيه، مدني.

حبيب بن أبي حبيب كاتبه، مدني.

حسان بن عبد السلام، أندلسي.

حسان بن غالب بن نجيم الفارسي.

حجاج بن المنهال، بصري.

حجاج بن سليمان الرعيني.

حاتم بن سليمان القزاز الأعرج.

حاتم بن عثمان، قيرواني.

حمزة بن يزيد الهروي.

حمزة بن زياد الطوسي.

الحارث بن منصور، واسطي.

الحارث بن النعمان أبو النضر.

الحارث بن أسد، قفصي.

حيون بن صالح، مصري.

حكام بن سليمان الداراني.

حباب بن جَبَلة[1]، بغدادي.

حنظلة بن عامر العبدي.

حرملة بن عبد العزيز بن الربيع بن سبرة.

حج بن المثنى.

---

(١) تحرف فى طبعة المغرب إلى: «حبلة» بالحاء المهملة، وصوابه في تاريخ بغداد للخطيب ولديه: «حباب بن جبلة بغدادي. روى عن مالك بن أنس».

obeikandl.com

حرف الخاء

خلف بن هشام البزّاز المغربي، بغدادي.

خلف بن جرير بن فضالة، قيرواني.

خلف بن حجاج الأزرق، كوفي.

حلف بن أيوب بلخي.

خلف بن موسى بلخي.

حلفه بن خليفة أبو أحمد الأشجعي، بصري.

خالد بن عبد الرحمن أبو الهيثم، خراساني.

خالد بن خداش، بصري.

خالد بن عثمان العثماني.

خالد بن مَخْلَد القَطَوانِيّ[1]، كوفي.

خالد بن يزيد العمري، مدني.

خالد العبدي، مصري.

خالد بن حُمَيْد أبو حميد المَهْرِي[2].

خالد بن نجيح.

خالد بن سالم.

خالد بن يزيد اللؤلؤي، قروي.

خالد بن نزار، يروي رسالته إلى محمد بن مطرف.

---

(١) بفتح القاف والطاء قيده صاحب التقريب، وتحرف في طبعة المغرب إلى: «الغطواني» بالغين المعجمة.

(٢) بفتح الميم وسكون الهاء قيده صاحب التقريب، وتحرف في طبعة المغرب إلى: «المهدي» بالدال المهملة.

obeikandl.com

خالد بن سليمان أبو معاذ البلخي.

خلاد بن يزيد الأرسلي، بصري.

خلاد بن يزيد المكي.

خالد بن عبد الرحمن.

خارجة بن مصعب بن الحجاج، سرخسي.

خَصِيب بن نَاصِح، مصري.

خراش بن الدحراح.

خليل بن كريز، كوفي.

حرف الدال

داود بن الزبرقان، بصري.

داود بن عبد الله بن أبي الكرام الجعفري، مدني.

داود بن مهران الدباغ.

داود بن عبد الجبار.

داود بن سعيد بن أبي زنبر، مدني.

داود بن سليمان بن فليح، المدني.

داود بن منصور قاضي المصيصة.

داود بن إبراهيم القزويني

داود بن عثمان التميمي، أندلسي.

دعبل الخزاعي الشاعر.

obeikandl.com

حرف الذال

ذؤيب بن عمامة السهمي، مدني.

ذو النون بن إبراهيم الإخميمي، مصري

حرف الراء

ربيع بن عبد الله بن يعقوب.

الربيع بن الركي بن الربيع بن عليه الفزاري، كوفي.

رواد بن الجراح، عسقلاني.

روح بن القاسم، بصري.

روح بن عبادة، بصري.

رباح بن زيد، يماني.

رباح بن ثابت، قروي.

حرف الزاي

زيد بن يحيى بن عبيد، دمشقي.

زيد بن الحباب العكلي، كوفي.

زيد بن أبي الزرقاء، موصلي.

زيد بن الحسن، مصري.

زيد بن عون.

زيد بن داود، مدني.

زيد بن بشر، مصري نزل إفريقية.

obeikandl.com

زياد بن موسى، مصري.

زياد بن عبد الله طليطلي.

زياد بن الهيثم.

زكرياء بن نافع.

زكرياء بن يحيى الستوري.

زكرياء بن يحيى بن الحكم، قروي.

زكرياء بن دريد بن الأشعث.

زهير بن عباد الرواسي.

زهير بن محمد، مكي.

الزبير بن بكار الزبيري.

الزبير بن حبيب بن ثابت الزبيري.

زنبور بن أبي الأزهر.

زمعة بن عبد الله بن ربيعة.

زرارة بن عبد الله، إفريقي.

زبان بن حبيب بن زبان.

زهرة بن معبد.

زياد بن سعد.

obeikandl.com

حرف الطاء

طلحة بن يحيى بن النعمان الزرقي، مدني.

طاهر بن مدرار الطنافسي، كوفي.

طاهر بن عمرو، نصيبي.

طفيل بن عبد الله، أنصاري.

طلق بن غانم، كوفي.

حرف الصاد

صالح بن بيان السيرافي القاضي.

صالح بن محمد الخوارزمي.

صالح بن عبد الله التِّرْمِذي[1].

صالح بن عبد الله القيرواني.

صباح بن عبد الله أبو بشر، بصري.

صباح بن محارب، داري.

صقلاب بن زياد، قيرواني.

الصِّلْت بن محمد بن همام الخَارَكِي بصري.

صدقة بن عبد الله السمين، دمشقي.

صخر بن محمد الحاجبي.

---

(١) تحرف فى طبعة المغرب إلى: «الترميذي» وهو تحريف قبيح، صوابه في التقريب ومثله في تاريخ بغداد للخطيب ٩/ ٣١٥ ولديه: «حدث عن مالك».

obeikandl.com

حرف الضاد

الضحاك بن عثمان بن الضحاك، مدني.

الضحاك بن مخلد أبو عاصم النبيل، بصري.

ضمرة بن ربيعة، رملي.

ضمام بن إسماعيل، مصري.

حرف الكاف

كامل بن طلحة الجحدري، بصري.

كثير بن هشام.

كثير بن الوليد.

حرف اللام

ليث بن خالد الخراساني.

ليث بن بكر الدِّهْلي.

ليث بن عاصم القتباني أبو زرارة.

حرف الميم

محمد بن مالك، ابنه.

محمد بن إدريس الشافعي، مكي.

محمد بن فليح، مدني.

محمد بن صدقة، فدكي.

محمد بن الضحاك بن عثمان بن الضحاك الخزامي، مدني.

obeikandl.com

وهؤلاء الأربعة في نسب كلهم رووا عنه وصحبوه.

محمد بن حبيب، لوني، شامي.

محمد بن عمر الواقدي، بغدادي.

محمد بن النعمان بن شبل، بصري.

محمد بن عبد الله الصنعاني.

محمد بن خالد بن حرملة، البصري.

محمد بن عبد الله بن القاسم العميري.

محمد بن عبد الله الغادي.

محمد بن أبي نوح مرادي، بغدادي.

محمد بن عبد الله الزبيري، كوفي.

محمد بن مسلمة الحراني.

محمد بن عبد الرحمن الرداد بن رداد، مدني.

محمد بن يزيد الأنصاري.

محمد بن موسى الأنصاري، أبو غزية.

محمد بن يونس بن معاذ القرشي، بصري.

محمد بن سليمان بن أخي داود الحراني، بُوْمَة[1].

محمد بن خالد بن عَثْمَة[2]، بصري.

محمد بن خالد العمري، مدني.

---

(١) قيده صاحب التقريب، بضم الموحدة وسكون الواو.

(٢) قيده صاحب التقريب: «بمثلثة ساكنة قبلها فتحة» وتحرف في طبعة المغرب إلى: «غنمة» بالغين المعجمة والنون، وهو تحريف قبيح.

obeikandl.com

محمد بن خالد الجَنَدِيّ.

محمد بن جعفر بن صبيح، مصري.

محمد بن حاتم بن صبيح، خراساني.

محمد بن عبد الله بن ريسان.

محمد بن صالح بن فيروز، مروزي.

محمد بن الحسن بن خالد الترميذي.

محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصاري القاضي، بصري.

محمد بن عبد الله بن سنان الحارثي.

محمد بن عبد الله الرقاشي، والد أبي قلابة، بصري.

محمد بن عون الزيادي.

محمد بن إبراهيم بن أبي سكيت الحلي.

محمد بن أيوب الرقي.

محمد بن جعفر الجعفي، مدني.

محمد بن جعفر غنوي، بصري.

محمد بن جعفر الوركالي.

محمد بن مخلد أبو مسلم الرعيني، شامي.

محمد بن شجاع بن نبهان الخراساني.

محمد بن سلمة المدني.

محمد بن إسحاق اللؤلؤي.

محمد بن محمد بن إسماعيل بن عبيد أخو حويرة، بصري.

محمد بن أسامة، مدني.

محمد بن الحجاج المخزومي.

محمد بن الحجاج المضفر، بغدادي.

محمد بن مصعب، القرقسائي[1]، شامي.

محمد بن رمح، مصري.

محمد بن معاوية النيسابوري.

محمد بن زنبور بن أبي الأزهر المكي.

محمد بن عبد الرحمن بن شروس الصنعاني.

محمد بن المبارك الصوري.

محمد بن أبي كثير بن أبي عطاء الصنعاني.

محمد بن محمد المقدسي.

محمد بن يسوما قروي.

محمد بن عمرو الغنوي.

محمد بن سكين بن الرحال.

محمد بن يحيى بن عبد الحميد أبو غسان، مدني.

محمد بن بلال، بغدادي.

محمد بن أبي بلال.

محمد بن مسلم المدني.

محمد بن جعفر الموانى.

(١) تحرف فى طبعة المغرب إلى: «الفرقساني» وصوابه من التقريب.

obeikandl.com

محمد بن عمر بن عطاء البلغاوي، دمياطي.

محمد بن موسى الرعيني، برقي.

محمد بن مروان السُّدِّي[1]، كوفي.

محمد بن زيد الأنصاري.

محمد بن مزاحم المروزي.

محمد بن أبي الخطيب، أنطاكي.

محمد بن عمر بن الوليد.

محمد بن عيسى الطباع.

محمد بن المغيرة المخزومي.

محمد بن أبي مقاتل.

محمد بن حيان أبو الأحوص البغوي.

محمد بن عثمان بن ربيعة الرَّأيي.

محمد بن يحيى الإسكندراني.

محمد بن حرب بن سليمان المكي.

محمد بن حرب بن قطن بن قبيصة الهاجع، بصري.

محمد بن سعيد النسائي، أندلسي.

محمد بن حرب الأبرش.

محمد بن عيسى بن القاسم بن سميع.

محمد بن أبي عثمان، مصري.

---

(١) تحرف فى طبعة المغرب إلى: «السدفي» وصوابه لدى السمعاني ٧/ ٦٣.

obeikandl.com

محمد بن الفضل، مكي.

محمد بن سلمة الحراني.

محمد بن عثمان بن خالد العثماني.

محمد بن أبي المطيع، مصري.

محمد بن أبي الوزير، بصري.

محمد بن أحمد بن حماد زغبة[1]، مصري.

محمد بن عمران بن أبي ليلى، كوفي.

محمد بن بكير بن واصل الحضرمي، بغدادي.

محمد بن عتاب أبو الوليد السرخسي.

محمد بن خلف البلخي.

محمد بن بشر التنيسي.

محمد بن يحيى الأسلمي، مصري.

محمد بن الحكم اللخمي، إفريقي.

محمد بن معاوية الأطرابلسي.

محمد بن بشير القاضي أندلسي.

محمد بن عبد الأعلى أبو الخطاب، إفريقي.

محمد بن ربيعة الحضرمي، أطرابلسي.

محمد بن عبد الله بن حكم، برقي.

محمد بن عبد الله بن قيس، برقي.

---

(١) تحرف فى طبعة المغرب إلى: «رغبة» بالراء المهملة.

obeikandl.com

محمد بن عليم.

محمد بن إسماعيل حمصي، مدني.

محمد بن مخلد الحضرمي.

محمد بن قعنب، مدني.

محمد بن الحسن بن أنس، صنعاني.

محمد بن عبد الله المطماطي، أندلسي.

محمد بن زكريا بن يحيى المعافري، إسكندراني.

موسى بن جعفر الجعفري.

موسى بن أعين الجزري.

موسى بن محمد الأنصاري، كوفي.

موسى بن محمد بن عطاء، البلغاوي، يعرف بابن أبي طاهر المقدسي.

موسى بن داود الضبي القاضي بطرسوس.

موسى بن سلمة، مصري.

موسى بن عبد الله بن أبي علقمة القروي.

موسى بن إبراهيم المروزي.

موسى بن إبراهيم العثماني.

موسى بن أبي بكر البكري.

موسى بن تميم، مصري.

معافي بن عمران الظهري، موصلي.

obeikandl.com

مخلد بن يزيد الحراني.

محمد بن أبان البناء.

مخلد بن خداش، بغدادي.

مروان بن محمد الطاطري.

مروان بن محمد السنجاري.

منصور بن أبي مزاحم، بغدادي.

منصور بن سلمة، أبو سلمة الخزاعي، بصري.

منصور بن يعقوب بن أبي نويرة، كوفي.

منصور بن إسماعيل التل، حراني.

محرز بن عون، بصري.

محمد بن سلمة العدوي.

محرز المدني.

معلى بن منصور الرازي.

معلى بن المفضل البصري.

مالك بن إسماعيل أبو غسان، كوفي.

مالك بن سليمان الهروي.

مالك بن حويص الهروي.

مالك بن إبراهيم النخعي.

مالك بن عثمان المعافري، أبو طالب، قروي.

obeikandl.com

مالك بن هارون الأسواني.

المغيرة بن الحسن، خال سعيد بن عفير.

المغيرة بن صقلاب، حراني.

المغيرة بن الحسن الهاشمي، مدني.

مسلمة بن سليمان، أندلسي.

مسلمة بن علي بن الحسن، شامي.

معن بن عيسى.

مطرف بن عبد الله.

مكي بن إبراهيم الحنظلي، بلخي.

محمود بن ميمون، كوفي.

منبه بن عثمان، دمشقي.

مسكين بن بكير، حراني.

مجاعة بن الزبير.

معمر بن خالد السروجي.

مفضل بن فضالة، مصري.

مفضل بن صدقة.

معمر بن سليمان، بصري.

مسيب بن شريك.

مقاتل بن إبراهيم، بلخي.

obeikandl.com

مهدي بن إبراهيم، شامي.

مهدي بن هلال.

مصعب بن عبد الله الزبيري.

مصعب بن عثمان الزبيري.

مصعب بن إبراهيم القرشي.

مهران بن أبي عمران الرازي.

مبشر بن إسماعيل الحلبي.

مبارك بن مهاجر أبو الأزهر الرازي.

منجاب بن الحارث، بصري.

مرداس بن محمد أبو بلال، الأشعري.

منيع بن ماجد أبو مطر، صنعاني.

معاوية بن هشام، أنصاري، كوفي.

مسعدة بن اليسع، كوفي.

معاوية بن حفص السبيعي، حمصي.

معاوية بن الفضل، قيرواني.

مندل بن علي العنزي.

مغيث بن بديل، سرخسي.

المنذر بن علي الخزامي، مدني.

الماضي بن محمد بن مسعود، بصري.

obeikandl.com

مرحوم بن عبد العزيز العطار، بصري.

مسلم، ويقال سلم، بن ميمون الخواص، شامي.

مطري الأقرع، قروي.

حرف النون

النعمان بن عبد السلام الأصبهاني.

النعمان بن سبل[1]، بصري.

نوح بن أبي مريم أبو عصمة، بلخي.

نوح بن يزيد المؤدب، بغدادي.

نوح بن مريم.

النضر بن شميل، مروزي.

النضر بن شِبْل[2]، مكي.

النضر بن الطاهر، بصري.

نضر بن باب، خراساني.

نضر بن طريف، بصري، أبو خولة.

نصر بن إبراهيم.

نافع بن يزيد، مصري.

نعيم بن حماد، خراساني.

---

(١) تحرف فى طبعة المغرب إلى: «بسل».

(٢) كذا ورد لدى الفاسي على الصواب في العقد الثمين ٧/ ٣٣٨، ولديه: «شيخ كان بمكة، يروي عن مالك» وتحرف في طبعة المغرب إلى شبكل» وهو تحريف قبيح جدا.

obeikandl.com

عبد الله بن نافع الصائغ، مدني.

عبد الله بن نافع الزبيري، مدني.

عبد الله بن سلمة القعنبي، بصري.

عبد الله بن وهب، مصري.

عبد الله بن عبد الحكم، مصري.

عبد الله بن عثمان بن أبي رواد، بصري.

عبد الله بن عون الخراز، بغدادي.

عبد الله بن محمد بن أبي الوزير، طائفي.

عبد الله بن ميمون الومام، بلخي.

عبد الله بن عثمان المعافري، قروي.

عبد الله بن عباد أبو عباد البصري، ابن أخت حماد بن سلمة.

عبد الله بن عبد الوهاب الجمحي.

عبد الله بن عنبسة العثماني.

عبد الله بن عمرو بن أمية الضمري.

عبد الله بن أمية النحاس.

عبد الله بن إبراهيم الغفاري، مدني.

عبد الله بن عمرو الفهري.

عبد الله بن إدريس الجعفري.

obeikandl.com

عبد الله بن إبراهيم البياض.

عبد الله بن عبد الملك.

عبد الله بن يزيد القصير، مكي.

عبد الله بن الحارث المخزومي، مكي.

عبد الله بن عثمان بن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص.

عبد الله بن علي بن مهران، كوفي.

عبد الله بن حكم أبو بكر الزاهري.

عبد الله بن داود الخريبي، بصري.

عبد الله بن داود التمار، واسطي.

عبد الله بن نمير الهمداني، كوفي.

عبد الله بن الوليد العدني.

عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن مروان، مدني.

عبد الله بن الربيع.

عبد الله بن محمد بن أبي فروة.

عبد الله بن مطيع، بغدادي.

عبد الله بن مسلم بن رشيد الهاشمي.

عبد الله بن محمد بن زمعة العداني، مصيصي، مولاهم.

عبد الله بن مسلم.

عبد الله بن محمد بن عمارة القداح.

obeikandl.com

عبد الله بن واقد الحراني.

عبد الله بن العلاء بن زبرد، دمشقي.

عبد الله بن الجراح المرسابي.

عبد الله بن عيسى بن عطاء بن يسار، مدني.

عبد الله بن محمد البقيلي، حراني.

عبد الله بن رجاء المكي، بصري.

عبد الله بن سوار العنبري القاضي، بصري.

عبد الله بن مالك الخزاعي.

عبد الله بن يوسف التنيسي.

عبد الله بن محمد بن حميد بن الأسود، ابن أخت ابن مهدي.

عبد الله بن مصعب بن ثابت الزبيري.

عبد الله، ويقال عبد الرحمن بن يحيى بن سعيد العذري، مدني.

عبد الله بن عمر بن قاسم العمري.

عبد الله بن معاذ، صنعائي.

عبد الله بن النضر بن أنس بن مالك، بصري.

عبد الله بن أبي حسان، قيرواني.

عبد الله بن صالح، كاتب الليث.

عبد الله بن السمح، مصري.

عبد الله بن محمد البيطاري، مصري.

عبد الله بن حماد الخولاني، برقي.

عبد الله بن أبي غسان، قروي.

عبد الله بن عبد الحميد الحنفي، بصري.

عبد الله بن عثمان أبو طالب الإبزاري.

عبد الله بن عباد القاضي.

عبد الله بن داود الطيالسي.

عبد الله بن عبد الجليل، مؤدبه.

عبد الرحمن بن حازم الرملي.

عبد الرحمن بن القاسم، مصري.

عبد الرحمن بن محمد المحاربي.

عبد الرحمن بن عمرو الحراني.

عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر العمري.

عبد الرحمن بن عبد الله أبو سعيد الهاشمي، مكي.

عبد الرحمن بن أبي جعفر الدمياطي.

عبد الرحمن بن محمد المحمدي، مدني.

عبد الرحمن بن مسلم بن واقد.

عبد الرحمن بن غزوان قراد أبو نوح.

عبد الرحمن بن المغيرة الخزامي.

عبد الرحمن بن دبيس الملائي، كوفي.

obeikandl.com

عبد الرحمن بن يونس الجعفري، كوفي.

عبد الرحمن بن يحيى بن ريسان، بغدادي.

عبد الرحمن بن مقاتل أبو سهل، خالد القعنبي.

عبد الرحمن بن المبارك العيشي.

عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبي.

عبد الرحمن بن الجهم، قيرواني.

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، مدني.

عبد الرحمن بن عبد الله العمري، نيسابور.

عبد الرحمن بن عبد الله العمري نيسابوري.

عبد الرحمن بن هند، أندلسي.

عبد الرحمن بن موسى الهواري، أندلسي.

عبد الرحمن بن عبد الله الأشبوني، أندلسي.

عبيد الله بن عبد المجيد، ويقال عبد الله، أبو علي الحنفي، بصري.

عبد الله بن سفيان العوامي، بصري.

عبيد الله بن محمد بن عائشة، التميمي.

عبيد الله بن عمرو الأموي.

عبيد الله بن حيان، دمشقي.

عبيد بن أبي قرة، بغدادي.

عبيد بن عبيد الله بن عتبة، مروزي.

obeikandl.com

عبيد بن عبد الرحمن اليمامي.

عبيد بن هشام الحلبي القلانسي، أبو نعيم.

عبد العزيز بن عمران الزهري.

عبد العزيز بن عبد الملك الأويسي.

عبد العزيز بن يحيى مدني.

عبد العزيز بن عبد الله الأنيسي.

عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان، خراساني.

عبد العزيز بن أبي رجاء.

عبد العزيز بن يحيى الهاشمي، مولاهم، مدني.

عبد العزيز بن عبد الله العامري، بغدادي.

عبد العزيز بن أبي رواد، خراساني.

عبد الملك بن الماجشون.

عبد الملك بن مسلمة القعنبي، بصري، أخو عبد الله.

عبد الملك بن مسلمة القرشي، مصري.

عبد الملك بن زياد النصيبي.

عبد الملك بن قريب الأصمعي.

عبد الملك بن يزيد الحرزي.

عبد الملك بن عمرو بن عامر القعدي.

عبد الملك بن عبد العزيز النسائي، أبو نصر التمار.

obeikandl.com

عبد الملك بن مهران الرفاعي.

عبد الملك بن أبي كريمة قاضي القيروان.

عبد الملك بن مزمل القرقساني.

عبد الملك بن الحكم الرملي.

عبد السلام بن سلمة بن يزداد، مدني.

عبد السلام بن صالح أبو الصلت، الهروي.

عبد الحميد بن أبي أويس، أبو بكر، مدني.

عبد الحميد بن سليمان الخزاعي، أخو فليح بن سليمان، مدني.

عبد الحميد بن عبد الرحمن بن فروة.

عبد الحميد بن يحيى، مدني.

عبد الحميد بن يحيى.

عبد الحميد بن صالح البرجمي، كوفي.

عبد الوهاب بن نافع، مدني.

عبد الوهاب بن عطاء الخفاف العجلي، بصري.

عبد الوهاب بن موسى الزهري.

عبد الكريم بن روح بن عنبسة.

عبد الحكم بن أعين مصري.

عبد الأعلى بن حماد الفرسي، بصري.

عبد الأعلى بن مسهر، دمشقي.

عبد الرحمن بن سليمان الرازي.

عبد الرحيم بن موسى العتاد.

عبد الرحمن بن واقد الواقدي، بغدادي.

عبد الرحيم بن أشرس، قروي.

عبد الكبير بن عبد المجيد أبو بكر الحنفي.

عبد الجبار بن عمر الأيلي، شامي.

عبد المجيد بن أبي رواد، مكي.

عبد الغفار بن داود بن مهران، حراني.

عبد العظيم بن حبيب بن رعبان أبو بكر الحمصي.

عبد الرزاق بن همام، صنعاني.

عبد القدوس بن الحجاج أبو المغيرة، حمصي.

عبد العظيم بن عبد الله الثقفي.

عبد الجبار بن سعيد المساحقي.

عبد المنعم بن بشير أبو الخير، مدني.

عبد المتعالي بن صالح.

عبد الأحد بن أبي زرار الغساني.

عبد الحكم بن ميسرة المروزي.

عمر بن هارون البلخي.

عمر بن راشد، ويقال عمرو، مولى أبان بن عثمان.

obeikandl.com

عمر بن عصام، مدني.

عمر ابن إبراهيم بن مالك القروي، كوفي.

عمر بن محمد بن يحيى بن عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن، حجازي.

عمر بن أيوب المدني.

عمر بن قيس بن ميسرة الرازي.

عمر بن خالد، مصري.

عمر بن أيوب البرقي.

عمر بن أيوب المعافري، قروي.

عمر بن سميك، ويقال سمك، يروي عن السهمي.

عمر بن سعيد أبو داود، كوفي.

عثمان بن عمر بن فارس، بصري.

عثمان بن عمر بن ساج الحراني.

عثمان بن عبد الرحمن الطوائفي، حراني.

عثمان بن سعيد بن كثير الحمصي.

عثمان بن خالد العثماني.

عثمان بن عبد الله القرشي.

عثمان بن عبد الله الطيبي.

عثمان بن صالح بن صفوان، مصري.

عثمان بن عبد الله بن محمد الآمدي.

علي بن زياد الفقيه، تونسي.

علي بن زياد المحتسب، إسكندراني.

علي بن الجارود النيسابوري.

علي بن أبي علي اللهبي.

علي بن هشام بن البريد، كوفي.

علي بن عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب.

علي بن يونس البلخي.

علي بن عبد الحميد المعي، الكوفي.

علي بن الحكم المروزي.

علي بن الحسن بن أبان الرازي كراع.

علي بن أبي بكر الأسلمي، رازي.

علي بن ثابت الجزري.

علي بن محمد أبو الحسن المدائني الأخباري.

علي بن الجعد الجوهري، بغدادي.

علي بن الربيع بن الدعي الفزاري، كوفي.

علي بن محمد بن الحسن العلوي

علي بن يوسف البصري.

علي بن سالم الجمحي.

obeikandl.com

علي بن قتيبة الرفاعي.

علي بن سعيد المؤذن.

علي بن سعيد الترمذي.

علي بن عيسى الغساني.

علي بن معبد بن شداد العبدي، مصري.

علي بن هارون الرسي.

علي بن الحسن الشامي، صعيدي.

علي بن زادويه.

علي بن أبي الوزير.

علي بن يونس القروي.

علي بن معدم بن المعدم، بصري.

علي بن سعد أبو داود الجفري، كوفي.

عمر بن عمران المدني.

عمر بن عثمان الزهري، مدني.

عباس بن أبي سلمة، مدني.

عباس بن الوليد القرشي، مصري.

عباس بن ناصح الجزيري، أندلسي.

عباس بن الوليد الفارسي، تونسي.

عمرو بن حفص الأيلي.

obeikandl.com

عمرو بن الهيثم القطيعي، بصري.

عمرو بن حكام، بصري.

عمرو بن محمد العنقدي، كوفي.

عمرو بن أبي سلمة، تنيسي.

عمرو بن مرزوق، بصري.

عمرو بن زياد التوتاني.

عمرو بن يزيد، مصري.

عمرو بن مروان الأيلي.

عمرو بن زياد الباهلي، مصري.

عمرو بن محمد العثماني.

عيسى بن زيد بن علي الحسني.

عيسى بن جعفر الجعفري.

عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي.

عيسى بن ميمون المكي.

عيسى بن موسى غنجار، حجازي.

عيسى بن مينا قالون، مدني.

عيسى بن مسلم الصفار.

عيسى بن خالد اليمامي.

عيسى بن واقد الحنفي.

obeikandl.com

عيسى بن أبي فاطمة الرازي.

عيسى بن شجرة التونسي.

عيسى بن موسى بن حميد، مدني.

عيسى بن يونس الرملي.

عيسى بن خالد، دمشقي.

عاصم بن مهجع، أبو الربيع البصري.

عاصم بن أبي بكر الزهري، أبو ضمرة، مدني.

عاصم بن علي بن عاصم الواسطي.

عاصم بن عبد العزيز الأشجعي.

عقبة بن خالد السكوني، كوفي.

عقبة بن علقمة المعافري، مروي.

عقبة بن حسان الصحري.

عتبة بن عبد الله الحميدي، مروزي.

عتبة بن محمد المروزي.

عتبة بن حماد أبو جليد الحكمي.

عتبة بن محمد، مروزي.

عامر بن صالح بن عبد الله الزبيري، مدني.

عامر بن أبي عامر الخراز، بصري.

عامر بن أبي جعفر، أندلسي.

obeikandl.com

عامر بن سيار.

عامر بن عبد الله الغافقي.

عباد بن كثير.

عباد بن عباد بن المهلب أبو معاوية، بصري.

عباد بن صهيب أبو بكر الطائي.

العلاء بن عبد الجبار، مكي.

العلاء بن كثير، مصري.

عدي بن حاتم بن الفضل أبو حاتم البصري.

عمارة بن زيد بن علي بن مطر الرهاوي.

عمران بن أبان الواسطي.

عمر بن يزيد بن جرجيس الفارسي، مصري.

عطاب بن خالد المخزومي.

عتيق بن يعقوب بن صديق الزبيري.

عمير بن عمار الهمداني، كوفي.

عمامة بن عمرو السهمي.

عون بن عمارة، مصري.

عفيف بن سالم، موصلي.

عفان بن سيار الجرجاني.

عنبسة بن داود، قروي.

obeikandl.com

عبيد بن عثمان دمشقي.

حرف الغين

غياث بن إبراهيم.

غياث بن المسيب.

غسان بن مالك.

الغازي بن قيس، أندلسي.

حرف الفاء

فضيل بن عياض، مكي.

فتيان بن أبي السمح، مصري.

فضيل بن صالح المعافري.

الفضيل بن دكين أبو نعيم، كوفي.

فضيل بن غانم القاضي، بغدادي.

الفضل بن يحيى بن المروح، أنباري.

الفضل بن العباس.

الفضل بن منصور.

فضل بن إسحاق.

فياض بن محمد الرقي.

فرح بن مرزوق أبو مسلم.

فهري بن حبان الأعطف، بصري.

obeikandl.com

فرات بن زهير بن أبي عيسى الجزري.

فطر بن حماد بن واقد الصفار، بصري.

فطر بن محمد الكواري.

حرف القاف

قاسم بن معن بن عبد الرحمن المسعودي، كوفي.

قاسم بن الحكم بن أبي أوس، مدني.

قاسم بن مزيد الجرمي.

القاسم بن عبد الله العمري.

القاسم بن نافع، مدني.

القاسم بن سليمان الطائفي.

قتيبة بن سعيد، خراساني.

قيس بن الربيع، كوفي.

قطن بن صالح، دمشقي.

قدامة بن شهاب.

قدامة بن محمد بن عثمان.

قرعوس بن العباس أندلسي.

حرف السين

سعيد بن عفير، مصري.

سعيد بن الجهم، مصري.

obeikandl.com

سعيد بن عثمان، مصري.

سعيد بن الحكم بن أبي مريم.

سعيد بن داود بن أبي زنبر، مدني.

سعيد بن مسكين بن أبي الزرد.

سعيد بن هشام، مدني.

سعيد بن موسى، شامي.

سعيد بن أبي هلال.

سعيد بن عبد الرحمن الجمحي القاضي.

سعيد بن عبد الجبار الكرابيسي، مصري.

سعيد بن سالم القداح.

سعيد بن سلام بن سعيد العطار، مكي.

سعيد بن عبد الحميد بن جعفر، بصري.

سعيد بن منصور، مكي.

سعيد بن محمد، ويقال ابن موسى، الأزدي.

سعيد بن عمر الزبيدي.

سعيد بن معن، مدني.

سعيد بن عيسى.

سعيد بن منصور بلخي.

سعيد بن المغيرة الصياد، مصيصي.

obeikandl.com

سعيد بن الصباح، نيسابوري.

سعيد بن عون، بصري.

سعيد بن عبد الجبار أبو عُثمان، بصري[1].

سعيد بن عمرو بن الزبير الزبيري، مدني.

سعيد بن عبد الرحمن المساحقي، مدني.

سعيد بن عبد الرحمن بن جعفر، بصري.

سعيد بن ميسرة أبو هبيرة، كوفي.

سليمان بن برد، مصري.

سليمان بن داود الطيالسي.

سليمان بن جعفر، مصري.

سليمان بن داود الزهراني.

سليمان بن حيان أبو خالد الأحمري، كوفي.

سليمان بن داود العسفاني.

سليمان بن محبوب العباداني.

سليمان بن أبي بديع، مصري.

سليمان بن عيسى السجزي.

سليمان بن بريد أبو المثنى، مدني.

سلمة بن الغبار، دمشقي.

سلم بن قتيبة الشعيري، بصري.

---

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «أبو حمام حمصي» وصوابه من تهذيب الكمال للمزي ١٠/ ٥٢٠ ولديه: «روى عن مالك بن أنس».

obeikandl.com

سلم بن المغيرة الأزدي أبو حفصة.

سويد بن سعيد الحرثاني، كوفي.

سويد بن عبد الله.

سويد بن عبد العزيز الدمشقي.

سويد بن محمد قروي.

سهل بن حماد أبو عتاب الدلال، بصري.

سهل بن مزاحم المروزي.

سهل بن زياد الباهلي.

سهيل أبو عمرو.

سهيل، ويقال سهل، بن قدامة الحاطبي.

سلام بن واقد.

سويلم بن يونس، بغدادي.

سريح بن النعمان.

سوار بن عمار، رملي.

سنان بن عبد الله.

سحيم، خادمه.

سلمى بن عبد الله بن كعب.

سالم القداح، مصري.

سلامة بن زياد بن يونس، مصري.

obeikandl.com

حرف الشين

شعيب بن يحيى، إسكندراني.

شبابة بن سوار، مدائني.

شعيب ابن إسحاق، دمشقي.

شعيب بن حرب أبو صالح، بغدادي.

شعيب بن الليث بن سعد، مصري.

شجرة بن عبد الله بن عيسى، قروي.

شبطون بن عبد الله، أندلسي.

حرف الهاء

الهيثم بن عدي الطائي، بغدادي.

الهيثم بن جميل، أنطاكي.

الهيثم بن خارجة، خراساني.

الهيثم بن حبيب بن غزوان أبو سالم، خراساني.

الهيثم بن عبد الله القرشي، الفقيه.

الهيثم بن خالد الخشاب، كوفي.

الهيثم بن يمان أبو بشر الرازي.

هشام بن عبد الملك أبو الوليد الطيالسي، بصري.

هشام بن بهرام المدائني.

هشام بن عمار السلمي، دمشقي.

obeikandl.com

هشام بن عبد الله الرازي.

هشام بن إسحاق بن عمرو أبو ربيعة، مصري.

هشام بن يوسف القاضي الصنعاني.

هشام بن القاسم أبو النصر، بغدادي.

هشام بن محمد الربعي.

هانى بن المتوكل، إسكندراني.

هياج بن بسطام، هروي.

همام بن مسلم.

هشيم بن بشير، بغدادي.

هارون بن صالح الطائي.

هارون بن عبد الله الزهري القاضي، بغدادي.

هارون بن معروف، بغدادي.

حرف الواو

ورقاء بن عمرو السكوني، مدائني.

الوليد بن سلمة الطوافي.

الوليد بن كثير.

وهب بن المبارك أبو السبع.

وهب بن عطية، بصري.

وهب بن وهب أبو البختري، القاضي.

وبرة بن داود، أندلسي.

حرف الياء

يحيى بن مالك، ابنه.

يحيى بن يحيى التميمي، نيسابوري.

يحيى بن يحيى الليثي، أندلسي.

يحيى بن بكير، مصري.

يحيى بن مضر، أندلسي.

يحيى بن سعيد بن أبان، أموي.

يحيى بن سليمان الطائفي.

يحيى بن أيوب المصري.

يحيى بن أبي زائدة، كوفي.

يحيى بن عبد الله بن سالم العمري، مدني.

يحيى بن نصر بن حاجب القرشي.

يحيى بن عبد الله بن الضحاك البابلي.

يحيى بن عبد الصمد بن معقل بن وهب بن منبه الصنعاني، شامي.

يحيى بن حمزة الدمشقي.

يحيى بن محمد الفهري.

يحيى بن ثابت الجندي.

يحيى، كاتبه.

يحيى بن المبارك الصنعاني.

obeikandl.com

يحيى بن صالح الوحاظي، شامي.

يحيى بن إبراهيم بن داود بن أبي قبيلة، مدني.

يحيى بن محمد بن أبي قبيلة، مدني.

يحيى بن سالم البصري، سكن أفريقية.

يحيى بن عبد الله بن غيلان الجوهري، بغدادي.

يحيى بن السكن.

يحيى بن عبد الحميد الحِمَّاني[1]، كوفي.

يحيى بن قزعة القرشي، مدني.

يحيى بن أبي عمر العدني.

يحيى بن أبي بكر الكرماني.

يحيى بن المتوكل الباهلي.

يحيى بن محمد الحاري، حجازي.

يحيى بن عنبسة البغدادي.

يحيى بن حسان الحراني، ويعرف بالتنيسي.

يحيى بن مسلمة بن قعنب.

يحيى بن عباد أبو عَبّاد[2].

يحيى بن راشد.

يحيى بن الضريس.

---

(١) الحِمّاني: بكسر المهملة وتشديد الميم قيده ابن حجر في التقريب، وتحرف في طبعة المغرب إلى: «الحمائي» بالهمزة في آخره.

(٢) تحرف فى طبعة المغرب إلى: «وأبو عباد» وصوابه من التقريب - ص ٥٢٢.

obeikandl.com

يحيى بن كثير، مدني.

يحيى بن محمد بن عباد السجزي.

يحيى بن فضلة بن سليمان الخزاعي، مدني.

يحيى بن العريان الهروي.

يحيى بن يزيد بن ضماد المرادي، إسكندراني.

يحيى بن سابق، مدني.

يحيى بن عباد الزبيري، مدني.

يحيى بن كثير العنبري.

يحيى بن يزيد المستملي.

يوسف بن عون، كوفي.

يوسف بن عمرو بن يزيد بن خر خسروا[1]، مصري.

يوسف بن شعيب اللاذقي.

يوسف بن يونس أبو يعقوب الأفطس، شامي.

يعقوب بن الوليد المري.

يعقوب بن إبراهيم الحضرمي.

يعقوب بن إبراهيم بن مطرف.

يعقوب بن إسحاق بن أبي عباد القلزمي.

يعقوب بن كاسب، مدني.

يونس بن يحيى بن نباتة، مدني.

---

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «دحسروا» وهو تحريف قبيح، صوابه من تهذيب الكمال للمزي ٣٢/٤٤٨ ولديه: «روى عن مالك بن أنس».

obeikandl.com

يونس بن محمد، بغدادي.

يونس بن هارون، شامي.

يونس بن عبد الله بن سالم الخياط، عصبة مالك.

يونس بن عبد الله الليثي العمري، بصري.

يونس بن تميم، مصري.

يزيد بن أبي حكم العمري.

يزيد بن إبراهيم التستري، بصري.

يزيد بن هارون الواسطي.

يزيد بن هارون أبو خالد الأصبحي، ويقال الصباح.

يزيد بن مروان الخلال، بغدادي.

يزيد بن مغلس الباهلي.

يزيد بن وهب أبو موهب، شامي.

يزيد بن محمد الجمحي، إفريقي.

يزيد بن عبد الأعلى بن سويد الحبشاني.

يعيش بن هشام القرقساني[1]، شامي.

حرف الكنى

أبو بكر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب.

أبو بكر بن شعيب المدني.

أبو بشر بن مسلمة بن قَعْنَب.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «القرمسائي» وصوابه من الإكمال لابن ماكولا.

أبو حماد بن سالم.

أبو الحارث بن صلتان، مصري.

أبو محمد المخزومي، مدني.

أبو طلحة القاضي المدني.

أبو طالب بن عثمان المعافري، قروي، وهو والله أعلم أبو طالب الأبزازي، وستدركه والخلاف فيه.

أبو محمد الحكمي، مدني.

أبو موسى القاضي، أراه هارون الزهري، ولكن كنية ذاك المعروفة أبو يحيى، والله أعلم.

أبو المطرف بن أبي الوزير، بصري.

أبو علي صاحب محمد بن الحسن.

أبو نصر التَّمّار[1]، كوفي.

أبو نضلة الأويسي.

أبو السمح، ويقال أبو السمحاء، والد فتيان، مصري.

أبو سهل بن أخي عتبة بن محمد اليمامي.

أبو سعيد مولى بني هاشم.

أبو الهيثم العبدي.

---

(١) التمار: بفتح التاء المنقوطة باثنتين من فوقها وتشديد الميم وفي آخرها الراء. قيده السمعاني في الأنساب، ولديه: «سمع مالك بن أنس».

أبو سوار، ويقال ابن سوار الجوني.

أبو قبيل عبد الله بن مالك.

أبو مسلمة الخزاعي.

أبو سليمان البلخي، كاتب ابن الرماح.

قال الإمام الحافظ رضي الله عنه:

قد ذكر ما في هذه الحروف، مع التراجم التي قبلها، من أسماء الرواة عن مالك للفقه والأثر، من الأكابر، والمشايخ، قبله ومعه وبعده، ومشاهير الرواة، نيفًا على ألف اسم.

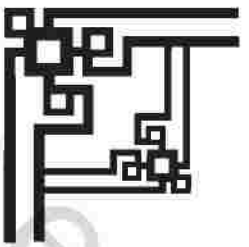
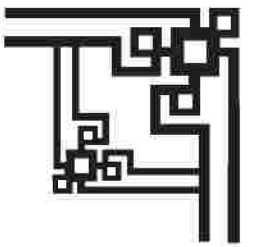
وتركنا كثيرًا ممن لم يشتهر بذلك، أو من جهل ولم يعرف من هو، أو لم يذكر له عنه رواية، إلا حكاية حالة أو وصف قصة، أو ذكر في رواته ولم تصح روايته عنه عند أهل المعرفة بالأثر.

ولخصنا ذلك من كتابنا الآخر الجامع لجمهرة رواته الذي قدمنا ذكره، واقتصرنا فيه على ذكر مجرد أسمائهم والتعريف بهم، دون التعرض لما رووه عنه ولا لشيء من أخبارهم، إذ أخبار الفقهاء منهم تأتي مستوعبة مبسوطة بعد هذا الجزء إن شاء الله، وغيرهم ليس من غرضنا في هذا التأليف، فلم نشتغل به، فنخرج من أسلوبه، ونخالف مقتضى ترجمته وتبويبه.

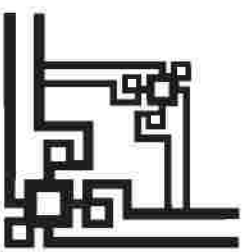
والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

obeikandl.com

ابتداء الطبقات




obeikandl.com

obeikandl.com

قال الفقيه القاضي الإمام أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض رضي الله عنه:

وهذا حين أبتدىء بترتيب الطبقات المقصودة، على العهود الموعودة، وقد وجدنا أصحاب مالك من الفقهاء ثلاث طبقات:

أولها، من كان له ظهور في العلم مدة حياته وقاربت وفاته مدة وفاته.

وثانيها قوم بعد هؤلاء، ممّن عرف بطول ملازمته وصحبته وشهر بعده بتفقهه عليه وروايته.

وثالثها، قوم صحبوه صغار الأسنان، وتأخرّ بهم بعده الزمان، فقاربوا أتباع أتباعه، وفضلوا بشرف مجالسته وحرية سماعه، فرتبناهم على هذا التطبيق وجئنا بمن بعدهم فريقًا بعد فريق والله ولي التوفيق.

الطبقة الأولى من أصحاب مالك

فمنهم من أهل المدينة:

١ - المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي

قال الزبير بن بكار: هو المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله ابن عياش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

قال أبو القاسم اللالكائي: ويقال في نسبه أيضًا ابن عبد الرحمن بن الحارث بن عياش.

---

١ - من مصادر ترجمته: ابن عبد البر: الانتقاء ص ١٠٠، تهذيب الكمال ج٢٨ ص ٣٨١، الديباج المذهب ج٢ ص٢ ص٣٢٤، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ١٣٨.

وقاله البخاري.

ويقال: ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن عياش، كنيته أبو هاشم.

قال: وأمه قريبة بنت محمد بن عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي.

سمع أباه، وابن عجلان، وعبد الله بن سعيد بن أبي هند، وهشام بن عروة، وموسى بن عقبة، وأبا الزناد، ويزيد بن أبي عبيد ومالكًا.

روى عنه، ابناه عبد الرحمن وعياش، ومصعب بن عبد الله، وأبو مصعب الزهري، وإبراهيم بن حمزة الزبيري، وقتيبة بن سعيد، ويحيى بن بكير، وسعيد بن أبي مريم، وابن مهدي وابن كاسب، والدراوردي.

قال أبو زرعة: لا بأس به، والمغيرة أحبّ إلي في أبي الزناد من ابنه.

خرج عنه البخاري.

وقال يحيى فيه: ثقة.

وقال أحمد بن حنبل: لا بأس به.

ذكر مكانته من العلم والثناء عليه

قال الزبير: كان المغيرة فقيه المدينة بعد مالك.

قال أبو عمر بن عبد البر: كان مدار الفتوى في زمان مالك وبعده علي المغيرة ومحمد بن دينار. حكى ذلك عبد الملك بن الماجشون، وكان ابن أبي حازم ثالثهم في ذلك، وعثمان بن كنانة وابن نافع.

قال ابن بكير كان المغيرة يفتي في حياة مالك، وللمغيرة كتب فقه قليلة في أيدي الناس.

قال الواقدي: كان المغيرة فقيه أهل المدينة بعد مالك.

قال غيره: كان بين المغيرة ومالك أول أمره معارضة ثم زالت آخرًا وجالسه.

قال محمد بن عبد الله البكري: رأيت المغيرة يأتي مالكًا فيستدني المجلس وما يرتفع إلى مجلس مثله.

وقال غيره: كان لمالك مجلس كالدكة يقعد فيه، وإلى جانبه المخزومي لا يقعد فيه سواه، وإن غاب المخزومي.

قال الزبير: وعرض عليه أمير المؤمنين الرشيد قضاء المدينة وجائزته أربعة آلاف دينار فامتنع، فأبى إلا أن يلزمه ذلك، فقال والله يا أمير المؤمنين لئن يخنقني الشيطان أحب إلي من أن ألي القضاء. فقال الرشيد ما بعد هذا شيء، وأعفاه. وأجازه بألفي دينار.

وقال الواقدي: لما جمع الرشيد بين مالك وأبي يوسف وأَبَى مَالِك أن يناظره، قام المغيرة وقال: يا أمير المؤمنين، هنا من يكفي أبا عبد الله الجواب إن أذن أمير المؤمنين. قال من هو؟ قال: أنا. فأذن له فناظره المغيرة في مسألة من الرهن، وكان فقيه المدينة بعد مالك، فقويت حجته على أبي يوسف فتناظرا إلى المغرب حتى خرجوا.

قال الواقدي: فقال لي يحيى بن برمك: يا واقدي: ماذا لقي صديقك أبو يوسف من المغيرة؟ لقد حيره حتى جعلت أتمنى أن يؤذن المؤذن بالمغرب فيتفرق المجلس لما لقي أبو يوسف منه.

وقال المغيرة لمالك حين خرجوا: كيف رأيت مناظرتي للرجل؟ قال رأيتك مستعليًا عليه، غير أنك كنت تترك شيئًا. قال وما هو؟ قال كنت إذا

ظهرت عليه في مسألة فضاقت به، أخرجك إلى غيرها وتخلص منها بذاك، وكان ينبغي أن لا تفارقه فيها حتى يفرغ منها.

ذكر نوادره وأخباره

قال الزبير بن بكار: قرأ الدراوردي على المغيرة فجعل يلحن لحنًا منكرًا، فقال له: ويحك يا دراوردي! أنت كنت بإقامة لسانك قبل طلبك هذا الشأن أحرى؛ وقال: ما كانت لنا حرمة إلا عادلها اللسان.

وحكى أبو بكر الخطيب عن ابن الماجشون، قال: دخل أبي وأصحابه على المهدي بالمدينة وفيهم المغيرة بن عبد الرحمن وأبو السائب، وابن أخت الأحوص، فقال لهم: أنشدوني. فأنشد عبد العزيز بن الماجشون:

وللناس بدر في السماء يرونه ... وأنت لنا بدر على الأرض مقمر
فبالله يا بدر السماء وضوئها ... تراك تكافي عشر مالك أضمر
وما البدر إلا دون وجهك في الدجا ... يغيب فتبدو حين غاب فتقمر
وما نظرت عيني إلى البدر طالعًا ... وأنت تمشي في الثياب فتسحر!

وأنشد ابن أخت الأحوص:

قالت كلابة ما هذا فقلت لها ... هذا الذي أنت من أعدائه زعموا
إني امرؤ لج في حب فأحرقني ... حتى بليت وحتى شفني السقم

وأنشد المغيرة:

رمى البين من قلبي السواد فأوجعا ... وصاح فصيح بالرحيل فأسمعا
وغرد حادي البين وانشقت العصا ... وأصبحت ملهوف الفؤاد مفجعا
كفى حزنًا من حادث الدهر أنني ... أرى البين لا أسطيع للبين مدفعا
وقد كنت قبل البين للبين جاهلا ... فيا لك بين ما أمرو أفظعا!

وأنشد أبو السائب:

أصيخا للداعي حب ليلى فيمما صـــدور المطـايا نحوها وتسمعا

خليـلي إن ليلى أقـامـت فإنني مقيـــم وإن بانـــت فبينا بنا معـا

وإن أثبتـــت ليـــلى بربع عدوهـا فعـــوذا لنا بالله أن تتـــزعـــزعـا

فقال المهدي والله لأغنيتكم. فأجاز الأربعة. فأجاز الأربعة بعشرة آلاف دينار.

وقال المغيرة: كنت أسأل مـالكًا، عن القول يقوله من أين قاله؟ فصلى يومًـا إلى جانبي فـقـال لي: يا أبا هاشم، إنك تكرم علي وتسـألني عمـا لا أجيب فيه الناس، فإن أجبـتك اجترءوا عليّ، وأحب ألا تفعل، ولكن اكتب ما تريـد من المسـائل وابعـث بها تحت خاتمك، أجـيبك فيمـا أمكنني إن شاء الله.

فانصرفت مسرورًا، وقلت لأصحابنا: اكتبوا مسائل، فكتبناها في نصف طومار، وختـمت عليه ووجهتـها إليه، فقـامت عنده أربعة أشهر، فـجاءتني بخاتمه بـعد ذلك، وقد أجـاب في ثلث تلك المسائل، وقـال في باقيـها: لا أدري.

ومعه دخل مالك على الرشيد متوكـئًا على المساحقي وعبد الرحمن بن عبيد الله العـمري، وربما كان مع المغيرة، ابن سلمة وكان مـا بينهما قبل هذا بعيداً جدًا.

ولما جلس المغيرة إذ ذاك للناس، قيل لمالك: إن المغيرة قد بسط في داره وأتاه الناس، فقال: إن الناس ليسوا بحمقى.

وقد ذكر أنه عـرض به أبو المعافى في شعره الكافي، وكـان قد سجن،

فجعل له مالك أن يجرح من شهد عليه وشهد عليه المغيرة فقال: ألا قل لقوم سرهم فقد مالك. . . . . الأبيات.

مولد المغيرة سنة أربع وعشرين ومائة، وتوفى فيما قاله الزبير وعمه مصعب سنة ثمان وثمانين ومائة.

وقال البخاري وابن وضاح: في صفر سنة ست وثمانين.

قال البخاري: يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر.

٢ - ابنه أبو القاسم عبد الرحمن بن المغيرة

قال أبو القاسم اللالكائي يروى عن مالك وأبيه.

يروي عنه ابن المنذر، والحزامي، وعبد الرحمن بن شيبة.

٣ - عبد العزيز بن أبي حازم

واسم أبي حازم سلمة بن دينار الفقيه الأعرج، مولى أسلم، وقال ابن شعبان: مولى بني ليث، كناه غير واحد «أبو تمام وأبو التمام» وكناه أبو إسحاق الشيرازي «أبو عبد الله»، والأول أصح. وقال آخر: أبو اليمان وهو تصحيف من أبي تمام والله اعلم.

تفقه مع مالك على ابن هرمز، وسمع أباه، والعلاء بن عبد الرحمن، وزيد ابن أسلم، وسهيل بن أبي صالح، وثور بن زيد، ويزيد بن الهادي، ومالكًا، وكان من جلة أصحابه.

---

٢ - من مصادر ترجمته: الحسيني: التذكرة ج٢ ص ١٠٢٦.

٣ - من مصادر ترجمته: ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير ج٧ ص ٦٠٢، السيوطي: طبقات الحفاظ ص ١٢٩ وما بحواشيه من مصادر.

روى عنه ابن وهب، وابن أبي أويس، وقتيبة، وعبد العزيز الأوسي، وابن مهدي، والقاضي هارون الزهري، وابن المديني، والقعنبي، ويحيى بن يحيى التميمي، ومصعب الزبيري.

قال ابن معين فيه: صدوق ثقة ليس به بأس.

قال النسائي: ليس به بأس. وقال أبو حاتم الرازي: وهو صالح الحديث قال هو وأبو زرعة: أفقه من الدراوردي، والدراوردي أوسع حديثًا منه.

قال ابن حارث: كان إمام الناس في العلم بعد مالك، وحكاه ابن وضاح عن بعضهم وشوور مع مالك آخراً.

قال أحمد بن حنبل: لم يكن يعرف بطلب الحديث إلا كتب أبيه فإنه سمعها منه، وكان رجلاً تفقه، وكان يقال لم يكن بالمدينة بعد مالك أفقه منه.

قال: ويقال إن كتب سليمان بن بلال رفعت إليه ولم يسمعها منه. وقد روي عن أقوام لا يعرف له منهم سماع.

قيل لمصعب بن عبد الله: أبو عبد الله بن أبي حازم ضعيف إلا في حديث أبيه. قال: وقد قالوها! أما ابن أبي حازم فسمع من سليمان بن بلال، فلما مات سليمان أوصى بكتبه إليه، فكانت عنده، وقد بال عليها الفأر فذهب بعضها فكان يقرأ ما استبان ويدع ما لا يعرف. وأما حديث أبيه فكان يحفظه.

خرج عنه البخاري ومسلم.

قال أحمد: كان يتفقه. لم يكن بالمدينة بعد مالك أفقه منه.

قال مصعب: ابن أبي حازم فقيه. وقال ابن السكري: هو مدني ثقة. وقال مثله ابن نمير.

قال الدراوردي: شهد عند قاضي المدينة فقال ما اسمك؟ قال عبد العزيز بن أبي حازم، قال: الاسم عدل، ولا أعرف وجهك. وكلف المشهود له من يعرف وجهه. قال: فاستحسن ذلك العلماء.

قال المؤلف رضي الله عنه مثل هذه الحكاية لابن القاسم، وهي به أشبه لخموله وقلة مواصلته القضاة، وأما ابن أبي حازم فأشهر بالمدينة، ومجالس أعيانها من أن يجهل.

وحكى الشيرازي أن مالكًا قال فيه: إنه لفقيه.

وقال مالك: قوم فيهم ابن أبي حازم لا يصيبهم العذاب. وقال: ما يدفع عن المدينة إلا بابن أبي حازم.

وقال ابن أبي ضمرة وغيره: ذكر قوم عند مالك الموت فبكى، فقلنا له: أرأيت إن نزل بك الموت فإلى من نفزع ومن نشاور؟ فقال: إن قومًا فيهم ابن أبي حازم، فيصدرون عن رأيه، أرجو أن يوفقوا.

وحكى الدراوردي، أن مالكًا سئل حين احتضر: من ترى لنا؟ قال: أبو تمام، يعني ابن أبي حازم.

قال ابن مهدي: سأل رجل مالكًا عن مسألة فلم يجبه فيها، فقال له: فمن نسأل يا أبا عبد الله؟ فقال: سل ابن أبي حازم، فإنه نعم المرء.

قال ابن فليح لمالك: الأنفس يغدى عليها ويراح، فمن تأمرنا يا أبا عبد الله؟ قال: بابن أبي حازم.

وقال أبو مصعب: إن مالكًا وعمر بن حسين كانا يجلسان عند الوالي

فكان مالك يرفع صوته على عمر، وكان فيه لين، فلما مات جلس مكانه ابن أبي حازم فرفع صوته على مالك، فقال مالك: يوم بيوم.

قال ابن شعبان وغيره: توفى فجأة بالمدينة في سجدة سجدها بالروضة بمسجد النبي ﷺ يوم الجمعة، في آخر سجدة منها، غرة صفر سنة خمس وثمانون.

وكذا قال الزبيري وغيره.

قال ابن سعد والجارودي والقعنبي والباجي: سنة أربع.

وقال ابن سحنون: سنة ست وثمانين ومائة.

وذكر البخاري أيضًا أن موته سنة اثنتين وثمانين ومائة، ومولده سنة سبع ومائة وكان رحمه الله يخضب بالحناء.

٤ - عبد العزيز الدراوردي أبو محمد

هو عبد العزيز بن محمد بن عبيد بن أبي عبيد، ويقال الأندراوردي أيضًا، منسوب إلى دراورد من بلاد فارس، وقال ابن سعد: دراورد قرية بخراسان. وذكره ابن أبي خثيمة وغيره، مولى جهينة، وبها كان منزله. ويقال مولى لبرك بن وبرة، أخي كلب بن وبرة، من قضاعة، مدني، مولده بها.

روى عن هشام بن عروة، وعبيد الله بن عمر، والعلاء بن عبد الرحمن، ومحمد بن إسحاق، وسهيل بن أبي صالح، وثور بن زيد، وحميد

---

٤ - من مصادر ترجمته: ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير ج٧ ص٦٠٢، الذهبي: تذكرة الحفاظ، المجلد الأول ص ٢٦٩، الحسيني: التذكرة ج٢ ص ١٠٥٢.

الطويل، وعمر بن يحيى المازني، ومحمد بن عبد الله بن حسن المهدي، وصحب مالكًا وغلب عليه الحديث.

روى عنه، ابن وهب، وأبو نعيم، والقعنبي، وقتيبة، وأبو مصعب، ويحيى بن يحيى.

أخرج له مسلم واستشهده له البخاري.

قال ابن معين: ليس به بأس، وما روى في كتابه فهو أثبت من حفظه.

قال ابن أبي حازم ومصعب: كان مالك يوثق الدراوردي.

قال ابن بكير وأحمد بن صالح: هو ثقة.

قال الكوفي: هو ثقة، وكان يلحن لحنًا قبيحًا.

قال أحمد: إذا حدث في كتابه فهو صحيح، وإذا حدث من كتب الناس أوهم.

واختلف فيه قول النسائي، فقال مرة: صالح لا بأس به. وقال مرة: ليس بذلك.

قال مصعب: ليس صاحب فتوى، كان صاحب حديث.

قال محمد بن سعد: كان ثقة، كثير الحديث يغلط.

قال الشافعي: رأيت المغيرة وابن أبي حازم والدراوردي يذهبون مذهب مالك.

وعده ابن حبيب في طبقاته في فقهاء المدينة بعد مالك.

قال مصعب وابن دينار: أمر هارون والي المدينة أن يولي الصدقات التي جعلها هارون لآل المدينة، خير رجلين بالمدينة، فلم يوجد يومئذ أفضل من

الدراوردي وسلمة بن عكرمة المخـزومي، فأقرأهما الوالي كتـاب هارون فأبيا عليه، فكتب إلى هارون فأجابه: تالله لئن ولينا أعمالنا شرارنا ليرون ذلك من حيـفنا وجورنا، ولئن ولينـاها خيارنا ليـأبون علينا. اضرب كل واحـد منهم ثلاثين سوطًا في كل يوم حتى يلياها.

وكان سلمة قـد أنهكته العبادة ومـا بقي فيه شيء، فقـال لهما الوالي: والله إنكمـا لمن أجل أهل المدينة عندي، والله لأنـفذن فـيكمـا كتـاب أميـر المؤمنين أو تلياها. فبكى سلمة.

وقـال الدراوردي: والله إن ضـربت ثلاثين سـوطًا لأمـوتن. فـقـال له الدراوردي: ويحك يا سلمة تموت تحت السياط خير لك من النار.

قال سلمة: إنك والله قد وجدت مس السـياط، فأنت لا تباليها. فكلم الناس الدراوردي، وقـالوا إليه: إنما هي صـدقة على المسـاكين، وأنت فيـها مأجور، فولياها جميعًا.

وقـد كـان هارون قـبل هذا حلف عـلى الدراوردي في عـمل أراد أن يستعمله فيه فأبى، فحلف ليضربنه أو ليلين، فحلف الدراوردي، فضربه اثنين وثلاثين سوطًا موجعة فما ولي.

توفى في سنة ست وقيل خمس وقيل سبع وثمانين ومائة بالمدينة.

٥ - زكريا بن منظور بن ثعلبة

ويقال عقبة بن ثعلبة بن أبي مالك القُرَظي الأنصاري أبو يحيى جليسه، وكبـير أصحابه، سـمع منه، ومعه، من زيد بن أسلم، وأبي حـازم، وهشام

٥ - من مصادر ترجمته: ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير ج٧ ص ٦١٥.

ابن عروة، وسمع ابن أبي سبرة، وعبيد الله بن عمر، ومحمد بن عقبة، وعطاف بن خالد، وثابت بن يزيد المحاربي، وعمر بن حسين.

روى عنه عبد الله بن عبد الوهاب، وعبد العزيز الأويسي، وهارون بن معروف الحجبي، ومحمد بن زبالة، وأبو إبراهيم الترجماني، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وعباد بن موسى الختلي، وأبو ثابت المدني، وهشام بن عمار، وإبراهيم بن المنذر، وعتيق بن يعقوب، وهارون بن يحيى القاضي وبه تفقه.

وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، ضعيف الحديث منكره، لم يكتب حديثه.

وقال أبو زرعة: ليس بالقوي، واهي الحديث منكره.

وذكر يحيى بن معين أنه سكن بغداد، وقال: لا بأس به. وقال مثل ذلك فيه أحمد بن صالح.

قال الخطيب: اختلف قول يحيى فيه.

قال ابن رشدين: ولي القضاء وحمله هارون إلى الرقة، لقضية قضى بها، قال: وليس بثقة.

قال ابن رشدين: سألت يحيى عنه، فقال: لا بأس به. قلت له: لم أرك فيه قبل جيد الرأي. فقال: ليس به بأس، إنما زعموا أنه كان طفيليًا.

وقال ابن حنبل: زكريا بن منظور شيخ، ولينه. وقال فيه المديني: ضعيف. وقال مثله الفلاس والنسائي والساجي.

وقال الدارقطني: هو متروك.

قال محمد بن سعد: كان أعور.

٦ - محمد بن دينار

هو محمد بن إبراهيم بن دينار الجهني، مولاهم، وقيل: من ولد دينار ابن النجار.

كنيته أبو عبد الله. قال القاضي أبو الوليد: كذا نسبه أصحاب الحديث. وقال عبد الرحمن بن دينار الفقيه في روايته عنه: محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن دينار.

يروي عن أبي ذئب، وموسى بن عقبة، ويزيد بن أبي عبيد، وعبد العزيز بن المطلب، وصحب مالكا وابن هرمز.

روى عنه ابن وهب ومحمد بن مسلمة، وأبو مصعب الزهري، ويعقوب بن محمد الزهري وغيرهم.

قال ابن عبد البر: كان يفتي أهل المدينة مع مالك وعبد العزيز، وبعدهما. وكان فقيهًا فاضلاً له بالعلم رواية وعناية.

قال ابن حبيب: كان هو والمغيرة أفقه أهل المدينة.

قال ابن أبي حاتم الرازي: وكان من فقهاء المدينة زمن مالك، وهو ثقة. قال يحيى: وهو ثقة.

قال البخاري: هو معروف الحديث. أخرج عنه البخاري.

قال أشهب: ما رأيت في أصحاب مالك أفقه من ابن دينار. وقال ابن شعبان: لا أحسبه أراد غير المدنيين. قال ابن حارث: كان من قدماء أصحاب مالك وكبارهم وشركه في بعض رجاله.

---

٦ - من مصادر ترجمته: الحسيني: التذكرة ج٣ ص ١٤٦٤.

وقال ابن القاسم: كبير من أصحاب مالك، وهو ابن دينار.

قال الشافعي: ما رأيت في فتيان مالك أفقه من ابن دينار.

قال الشيرازي: درس مع مالك على ابن هرمز.

قال الحارث بن مسكين: كان ابن دينار ممن يقدم من أصحاب مالك.

قال: وجاء رجل إلى مالك يومًا أثر صلاة الصبح وكان مالك لا يتكلم حتى تطلع الشمس، فجلس الرجل ما شاء الله ثم قام ليذهب فقال له ابن دينار: ما شأنك؟ فأخبره. فأفتاه ابن دينار. فلما انفتل مالك، قال: يا محمد! تفتي؟ قال أصلحك الله لم يطمع الرجل فيك وقام ليذهب، فخشيت أن يذهب بجهالة فأفتيته بما أعلم من مذهبك. فقال له مالك: عجلت.

قال سحنون: كان مالك، وعبد العزيز بن أبي سلمة، ومحمد بن دينار يختلفون إلى ابن هرمز، فيسألونه، فيجيب مالكًا وعبد العزيز، ولا يجيب الآخر. فتعرض له ابن دينار وقال له: لم تستحل ما لا يحل لك؟ وذكر له القصة. فقال له: إني كبرت سني وأخاف أن يكون خالطني في عقلي مثل الذي خالطني في جسمي ومالك وعبد العزيز فقيهان عالمان يسألان عن الشيء فأجيبهما، فما رأياه من حق قبلاه، وما رأياه من خطأ تركاه. وأنت وذووك ما أجبتكم به قبلتموه.

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وثمانين ومائة.

٧ - عثمان بن عيسى بن كنانة

قال ابن شعبان: يكنى أبا عمرو. وكنانة مولى عثمان بن عفان.

قال أبو عمر بن عبد البر: كان من فقهاء المدينة، أخذ عن مالك وغلبه الرأي، وليس له في الحديث ذكر.

قال الشيرازي كان مالك يحضره لمناظرة أبي يوسف عند الرشيد، وهو الذي جلس في حلقة مالك بعد وفاته.

قال ابن بكير: لم يكن عند مالك أضبط ولا أدرس من ابن كنانة، وكان مالك إذا مل من حبس الكتاب علينا، أسلمه إلى حبيب كاتبه، وربما إلى ابن كنانة، وهو الذي قعد في مجلس مالك بعد وفاته، وقيل بل جلس فيه يحيى بن مالك أولاً، وجلس فيه بعد ابن كنانة عبد الله بن نافع الصائغ.

قال غيره: وكان ابن كنانة ممن يخصه مالك بالأذن عند اجتماع الناس على بابه. فيدعى باسمه هو، وابن زنبر، وحبيب اللآل المعروف ببابين. فإذا دخلوا ودخل غيرهم ممن يخص أذن للعامة.

قال يحيى: كان مجلس ابن كنانة عن يمين مالك لا يفارقه.

قال ابن مفرج وابن القرطبي: توفى ابن كنانة سنة ست وثمانين ومائة.

وقال ابن سحنون وابن الجزار سنة خمس وثمانين.

وقال ابن بكير: كان بين موت ابن كنانة ومالك عشر سنين، وكانت وفاته بمكة وهو حاج.

---

٧ - من مصادر ترجمته: ابن عبد البر: الانتقاء ص ٤٧، الشيرازي: طبقات الفقهاء ص ١٣٨.

٨ - عثمان بن الضحاك وبنوه

قال الفقيه القاضي أبو الفضل رحمه الله: هو عثمان بن الضحاك بن عثمان بن عبد الله بن خالد بن حزام. زاد ابن أبي حاتم، ابن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، يكنى بأبي عثمان.

قال الزبير: كان وابنه الضحاك بن عثمان بن الضحاك من أكبر أصحاب مالك، وكانا جميعًا يجالسانه. روى عن عثمان هذا الحديث.

روى عن أبيه الضحاك، وأبي حازم سَلَمَة بن دينار.

سمع منه عبد الله بن عمر بن غانم، وعبد الله بن نافع الصائغ، وأنس بن عياض الليثي.

٩ - الضحاك[1] بن عثمان بن الضحاك بن عثمان بن عبد الله بن خالد بن حزام القرشي

الأسدي، الحِزَامي، المدني، النسّابة، الأخباري.

روى عن مالك بن أنس، وجده الضحاك بن عثمان، وموسى بن إبراهيم بن صُدَيْق بن موسى.

روى عنه ابنه محمد، وإبراهيم بن المنذر الحِزامي، ومصعب بن عبد الله الزبيري، وغيرهم.

---

٨ - من مصادر ترجمته: المزي: تهذيب الكمال ج١٩ ص٣٩٤، وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/ ٨٢٩.

٩ - من مصادر ترجمته: المزي: تهذيب الكمال ج١٣ ص ٢٧٥، وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/ ٥٨٣.

(١) حدث خلط في طبعة المغرب بين ترجمة عثمان بن الضحاك، وأبيه الضحاك بن عثمان ابن عبد الله، وابنه الضحاك بن عثمان بن الضحاك في بعض عناصر تلك التراجم، وقد اعتمدنا في تقويم تلك التراجم على ما ورد لدى الزبيري في نسب قريش، والزبير بن بكار في جمهرة نسب قريش، والمزي في تهذيب الكمال، وكذا جمهرة تراجم الفقهاء المالكية.

قال مصعب بن عبد الله الزبيري: علامة قريش بالمدينة بأشعار العرب وأيامها، وكانت له مروءة وفضل وفقه. ومن كبار أصحاب مالك بن أنس.

قيل لابن معين: كيف حديثه؟ قال: ليس به بأس. وقال: هو ثقة. وعثمان أبوه ثقة.

وقال أحمد بن علي الأبار: سألت مصعبًا الزبيري عن الضحاك بن عثمان؟ فقال الكبير؟ قلت: نعم. قال: ثقة، والصغير الذي أدركناه - (يعني صاحب هذه الترجمة) - ثقة.

توفى بمكة منصرفه من اليمن يوم التروية مئة وثمانين ومائة.

١٠ - محمد بن الضحاك

من أصحاب مالك أيضًا، كثير الرواية عنه، والمجالسة له، قال الزبير: هلك شابًا وقد ذُكر وظهرت مروءته، وخلف أباه في العلم والأدب وكان ممدحًا.

أمه أروى من بني عامر بن صعصعة.

روى عنه الزبير كثيرًا، وإبراهيم بن المنذر.

١١ - أحمد بن محمد

جالس الواقدي. وقال الواقدي: هذا الفتى، يعني أحمد، خامس خمسة جالستهم على طلب العلم كما ترون، هو، وأبوه، وجده الضحاك بن عثمان، وأبوه عثمان بن الضحاك، وأبوه الضحاك بن عثمان بن عبد الله.

---

١٠ - من مصادر ترجمته: جمهرة نسب قريش ج١ ص ٤٠٢، ٤٠٤، وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/ ١٠٩٥.

١١ - من مصادر ترجمته: جمهرة نسب قريش ج١ ص ٤٠٢.

ولما استعمل الرشيد عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير على اليمن، وجه عبدُ الله الضحاك بن عثمان خليفة له عليها، وأعطاه رزقه ألف دينار كل شهر، إلى أن يقدم عليه، وكلم له الرشيد، فأعانه على سفره بأربعين آلأف درهم وكان محمود السيرة[1].

وقال وهو باليمن[2]:

أقول لصاحبي إذ عيل صبري وحن إلى الحجاز بنات صدري

لعمرك ما العقيق وما يليه أحب إلي من ضِلَعٍ وضَهْرِ[1]

ضِلَع وضَهر[3]، موضعان باليمن. قال الزبير: قال عمي مصعب: أظن أن البيت الأول من البيتين له، والآخر لغيره، ورواهما جميعًا غيرعمي له ومات الضحاك بمكة منصرفه من اليمن يوم التروية سنة ثمانين ومائة. فقال المنذر بن عبد الله الحِزَامي يرثيه:

أعيني اسكبا غلبت عزائي حرارة بطنت حشائي

على الضحاك أني أرى قليلاً وقد بكَّى الحَمام له بكائي

ولا تستبقيا دمعًا لشيء لعل الدمع يُبْرِدُ حَرَّ دائي

١٢ - سعيد بن سليمان المُساحقي

قال القاضي الإمام أبو الفضل: هو سعيد بن سليمان بن نوفل بن مُساحق بن عبد الله بن مخرمة. وقال ابن شعبان: ليس في رواة مالك سعيد

(١) جمهرة نسب قريش ج١ ص ٤٠٣.

(٢) جمهرة نسب قريش ج١ ص ٤٠٣.

(٣) تحرف في طبعة المغرب إلى: «صلع وصهر بالصاد المهملة، وصوابه لدى الزبير ابن بكار في الجمهرة ص ٤٠٣.

١٢ - من مصادر ترجمته: نسب قريش ص ٤٢٧، التحفة اللطيفة ٢/١٤٨.

ابن عبد الرحمن المساحقي، وإنما هو ابن سليمان. كان من جلساء مالك وأصحابه، وعليه دخل مالك على الرشيد متوكئًا وعلى المخزومي والعامري. وإنما سعيد ابن عبد الرحمن جمحي أخذ عنه أيضًا، وذكره ابن شعبان أيضًا. قال الزبير: كان المساحقي من سراة قريش عقلاً وجلدًا وجمالاً وشعرًا وأدبًا، وعارضة. وكان مسددًا في قضائه[1]. قال ابن شعبان وهو من وجوه أصحاب مالك المدنيين. قال القاضي أبو بكر بن محمد بن خلف المعروف بوكيع في طبقات القضاة: هو أول قاض استقضاه المهدي بالمدينة وأقره الرشيد صدرًا من ولايته. قال ابن الماجشون شهد سعيد بن سليمان عند ابن عمران الطلحي وهو قاض، فرد شهادته. فلما ولي سعيد شهد عنده ابن عمران فنظر في شهادته ففكر قليلاً ثم قال لكاتبه: أجز شهادته يا ابن دينار. فإن المؤمن لا يشفي غيظه. وكتب العباس بن محمد إلى سعيد بن سليمان، وكان ينقلب إلى الحجاز وإلى ماله بالجفر:

فليس إلى نجد وبَرْدِ مياهه إلى الحول إنْ حُمّ الإياب سبيلُ

وقال له زد إليه. فقال سعيد:

وإن مُقَام الحَوْل[2] في طلب الغنى بباب أمير المؤمنين قليلُ

وذكر المصعب بن عبد الله[3] في كتابه هذه الحكاية فقال: فلما وفد على الرشيد وكان منقطعًا إلى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فنزل عليه، فجعل يَتَفَلَّتُ إلى المدينة والى ماله بالجَفْر بناحية ضَرِيّة وأنه اشتكى عند العباس فجعل العباس يمازحه ويدفعه عن الخروج إلى الحج.

قال مصعب: فكتب العباس إلى أبي بيتًا مازح به سعيدًا وقال له زدنا عليه بيتًا، وذكر البيت الأول إلا أنه قال: الحج مكان الحول.

---

(١) جمهرة نسب قريش ٢/٩٤٦.

(٢) في طبعة المغرب: «المرء».

(٣) نسب قريش ٤٢٨.

قال: فزاد أبي وذكر البيت الثاني وقال الحول، فكان المرء وهو أصح في المعنى وأولى.

وللمساحقي:

وذي إحنة قد قلت ألاً ومرحبًا ... له حين يلقاني بحيا ومرحبا

وأعطيته من ظاهري مسحة الرضا ... وأدنيته حتى دنا وتقربا

فصلت به مستمكن الكف صولة ... شفيت به أضغان من كان مغضبا

وله إلى عمرو بن عبد الرحمن العامري:

بَلَوْتُ إِخَاءَ الناس يا عَمْرو كُلِّهم ... وجَرَّبْتُ حتى أَحْكَمَتْنِي تَجَارِبِي

فلم أَرَ وُدّ النـاس إلا رضاهم ... فمن يُزْرِ أو يعتب فليس بصاحِبِي

فخذ عفو من أحببت لا تحرجنه ... فعند بلوغ الكد رنق المشارب

فهونك في حب وبغض فربما ... بدا جانب من صاحب بعد جانب

وأنشد ابن الجراح في كتاب الورقة هذين البيتين لابنه عبد الجبار:

إن لنا مجلسًا نسر به ... عند احتضار الهموم والحزن

ما به من خلة يعاب بها ... إلا حنين الفؤاد للوطن

وابنه عبد الجبار يأتي ذكره في طبقة بعد هذا إن شاء الله تعالى. قال مصعب: ومات سعيد وهو عند العباس وأُمُّه أَمَة الوَهّاب ابنة عَمرو[٢] بن مُسَاحق.

---

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «يرز» وصوابه من الجمهرة للزبير ٢/ ٩٣٣.

(٢) تحرف في طبعة المغرب إلى: «عُمر» وصوابه من نسب قريش.

١٣ - سليمان بن بلال

أبو أيوب، قاله البخاري.

قال مسلم: ويقال أبو محمد وهو قول الواقدي.

مولى عبد الله بن أبي عتيق محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق

قال الحارث وابن قتيبة: هو مولى القاسم بن محمد، مدني.

سمع يحيى بن سعيد، وزيد بن أسلم، وعبد الله بن دينار، وربيعة، وشَرِيك بن أبي نمر[1]، وصالح بن كيسان.

روى عنه ابن إدريس، وخالد بن مَخْلَد، والعَقَدِي، وابن وهب، ويحيى بن يحيى النيسابوري، وأشهب، وابن القاسم، والقعنبي، وابنا أبي أويس، ويحيى بن حسان.

قال ابن معين: هو ثقة، أروى الناس عن يحيى بن سعيد، وهو أحب إلي من الدراوردي.

قال ابن حنبل: وكان كاتب يحيى بن سعيد، وإنما كان وضع منه عند أهل المدينة أنه ولي السوق.

قال أبو عمر بن عبد البر: هو أحد ثقات أهل المدينة.

وقال ابن حنبل والنسائي: هو ثقة.

وقال ابن قتيبة: كان وضيئًا جميلاً.

---

١٣ - من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٢/ ١٧٦، تهذيب الكمال ١١/ ٣٧٢، كتاب الطبقات الكبير ٧/ ٥٩٨.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «أبي نمير» وصوابه من تهذيب الكمال.

قال محمد بن يحيى: هو أحفظ من الدراوردي.

وقال أبو حاتم: هو مقارب.

وقال أبو زرعة: هو أحب إلي من هشام بن سَعْد.

قال ابن مهدي: ندمت ألا أكون أخذت عنه.

وخرج عنه البخاري ومسلم.

وعده ابن حبيب في الطبقة التي صار إليها الفقه بالمدينة بعد طبقة مالك، وشارك مالكًا في كثير من رجاله. وكان من أجل أصحابه وأخصهم به، وهو أول من جلس معه حين انعزل عن مجلس ربيعة، وعمل لنفسه مجلسًا.

قال مطرف: قال لنا مالك: لما أجمعت تحولا من مجلس ربيعة، جلست أنا وسليمان بن بلال في ناحية المجلس، فلما قام ربيعة عدل إلينا وقال: يا مالك تلعب بنفسك! زفنت وصفق لك سليمان بن بلال، بلغت أن تتخذ مجلسًا، ارجع لمجلسك.

وقد ذكرنا هذا الخبر بتمامه وسببه في أخبار مالك.

وولي سليمان بن بلال سوق المدينة. وقال أحمد بن صالح الكوفي: إنه ولي قضاءها. وقال ابن قتيبة: ولي خراجها. والأول أصح.

وقد قال بعضهم: إذا قال مالك: الأمر عندنا، والأمر المجتمع عليه عندنا، فإنما يعني ما به الحكم أيام سليمان بن بلال. وهذا غير صحيح. وقد شرحنا هذا الفصل في أخبار مالك.

وولي سليمان بن بلال القضاء ببغداد للرشيد وتوفي وهو عليه. وصلى عليه الرشيد وذلك في سنة ست وسبعين ومائة قبل وفاة مالك بثلاث سنين.

وقد قال البخاري: توفي سنة سبع وسبعين. وقال ابن قتيبة: سنة اثنتين وسبعين. وقال محمد بن المثنى سنة ثلاث وسبعين.

١٤ - محمد بن مُطَرِّف

هو أبو غسان الليثي، المدني صاحبه. وله كتب مالك رسالته في الفتوى وهو يرويها عنه.

وحكى البخاري أن إسحاق قال فيه: محمد بن طريف. قال البخاري: والأول أصح، مدني، نزل عسقلان.

سمع زيد بن أسلم، وأبا حازم، ومحمد بن المنكدر وشاركه مالك في كثير من رجاله.

سمع منه ابن المبارك، ويزيد بن هارون، وابن يحيى[1]، وعيسى بن يونس، وعلي بن عياش.

قال أبو حاتم فيه: ثقة.

وقال ابن معين والنسائي والبزار وابن السكري: لا بأس به.

وقال ابن السكري وابن بكير: هو ثقة.

وقال ابن أبي الرقي: احتملنا حديثه لأنه روى عنه الثقات.

---

١٤ - من مصادر ترجمته: تذكرة الحفاظ: المجلد الأول ص ٢٤٢.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «وابن أبي يحيى» وصوابه لدى المزي، وهو: يونس بن يحيى بن نباتة، ولدى المزي في ترجمته: «روى عن أبي غسان محمد بن مطرف».

١٥ - يحيى بن كثير بن دِرْهم

أبو غسان[١]، ويقال أبو الهياج، ويقال أبو الهداج والأول أشهر، وهو قول البخاري مولى العمريين.

ذكره الدار قطني وابن شعبان وابن مفرّج في رواة مالك.

قال الدارقطني وابن شعبان: هو مدني.

وقال ابن مفرج: مصري.

وقال البخاري وغيره: هو بصري.

قال ابن عفير: كان من كبراء أصحاب مالك المتقدمين. حدث عن سليمان بن كثير، وعبد العزيز بن الربيع الباهلي، وأبي حفص عمر بن العلاء.

روى عنه إسحاق بن إبراهيم. خرج عنه البخاري ومسلم. قال أبو حاتم: هو صالح الحديث[٢].

---

١٥ - من مصادر ترجمته: التقريب ص ٥٢٥، سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٣٨.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «أبو عمران».

(٢) اضطربت هذه الترجمة في طبعة المغرب بكثرة ما فيها من تحريف، وقد رجعنا في تصويبها إلى المزي ٣١/ ٤٩٩.

١٦ - يحيى بن ثابت

من قدماء أصحاب مـالك الجَنَدِي فيما يظن[١]. قال أحمد بن خالد: قال لنا عبيد بن محمـد الكشوري: يحيى بن ثابت من اقدم أصحاب مالك. وهو أول من وطأ له كتبه.

وحدثنا أحـمد بن خالد عن ابن الكشـوري عن عبد الله بن الصـباح، قال: حدثنا يحـيى بن ثابت عن مالك، قال: سمعت ربيـعة يقول: لا يحل لأحد عنده موضع العلم إلا طلبه، يريد العقل.

قال غيره: كان كاتب مالك أولاً.

---

١٦ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٣/ ١٣٣٦.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «موظي جندي» وهو تحريف قبيح، وصوابه من الجمهرة.

obeikandl.com

١٧ - عبد الله بن المبارك

وهو مولى بني تميم. ثم لبني حنيفة مروزي وكنيته أبو عبد الرحمن.

سمع ابن أبي ليلى، وهشام بن عروة، والأعمش، وسليمان التيمي، وحميدا الطويل، ويحيى بن سعيد، وابن عون، وموسى بن عقبة، والسفيانيين، والأوزاعي، وابن أبي ذئب، ومالكًا، ومعمرًا، وشعبة، وحيوة ابن شريح، وقرأ على أبي عمرو بن العلاء والليث وغيرهم.

روى عنه ابن مهدي، وعبد الرزاق، ويحيى القطان، وابن وهب وغيرهم.

قال ابن وهب: ما فات ابن المبارك من مشيختنا أحد إلا عمرو بن الحارث.

قال الشيرازي تفقه بمالك والثوري، وكان أولاً من أصحاب أبي حنيفة ثم تركه ورجع عن مذهبه.

قال ابن وضاح: ضرب آخرًا في كتبه على ذكر أبي حنيفة، ولم يقرأه للناس.

ذكر مكانته من العلم والثناء عليه

قال أبو إسحاق الفزاري: ابن المبارك إمام المسلمين. وكان الفزاري يجلس بين يديه فيسأله.

---

١٧ - من مصادر ترجمته: الإرشاد ١/ ٢٧٢، وتاريخ بغداد ١/ ١٥٢، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٧٤، والديباج المذهب ١/ ٣٥٨، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٣٦، وطبقات الحفاظ ص ١٣٢، وكتاب الطبقات الكبير لابن سعد ٩/ ٥٢٩، والولاة والقضاة ص ٣٦٨.

وقال شعبة: ما قدم من ناحيته مثله.

قال ابن مهدي: لقيت أربعة من الفقهاء: مالكًا وشعبة وسفيان وابن المبارك. وفي بعضها: حماد، مكان شعبة. فما رأيت أنصح للأمة من ابن المبارك وحديث لا يعرفه ابن المبارك فنحن لا نعرفه.

وسئل ابن مهدي عنه وعن الثوري أيهما أفضل، فقال ابن المبارك. فقيل له: إن الناس يخالفونك. فقال: إن الناس لم يجربوا. ما رأيت مثل ابن المبارك. وقال: حدثني ابن المبارك وكان نسيج وحده.

ولما نُعي ابن المبارك إلى سفيان بن عيينة قال: رحمه الله. لقد كان فقيهًا عالمًا عابدًا زاهدًا سحيًا شجاعًا شاعرًا.

وقال أيضًا: ما قدم علينا أحد يشبه ابن المبارك وابن أبي زائدة[1].

قال محمد بن المعتمر: قلت لأبي لما مات الثوري: من فقيه العرب؟ قال ابن المبارك.

قال الأوزاعي لأبي عثمان الكلبي عنه: لو رأيته لقرت عينك.

وقال علي: هو ثقة.

قال أبو حاتم: هو إمام.

قال أبو زرعة: اجتمع فيه فقه ومروءة وشجاعة وسخاء وأشياء.

وقال داود العطار: هو رجل طلع علينا من ناحية المشرق.

وقال النسائي: لا يعلم أحد في عصر ابن المبارك أجل منه ولا أعلى ولا أجمع لكل خصلة محمودة منه.

---

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «ابن أبي زيادة».

وقال سلام بن مطيع: ما خلق بالمشرق مثله، وابن المبارك أحب إلي من الثوري.

وقال ابن وضاح: سمعت جماعة من أهل العلم يقولون: اجتمع في ابن المبارك العلم والفتيا[1]، والحديث والمعرفة بالرجال، والشعر والسخاء والعبادة والورع.

ابتداء طلبه وسبب زهده وجمل من فضائله وعلمه

قال الإمام القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى: ذكر الصدفي، قال: لما بلغ ابن المبارك دفع إليه أبوه خمسين ألف درهم يتجر بها، فطلب العلم حتى أفقدها، فلما انصرف لقيه أبوه، فقال: ما جئت به فأخرج إليه الدفاتر، فقال هذه تجارتي. فدخل أبوه المنزل فأخرج له أبوه ثلاثين ألف درهم أخرى، وقال: هذه فابتع بها تجارتك، فأنفقها.

قال ابن المبارك طلبت الأدب ثلاثين سن وطلبت العلم عشرين سنة.

وقال ابن حنبل: لم يكن في زمن ابن المبارك أحد أطلب للعلم منه، دخل اليمن ومصر والشام والحجاز والبصرة والكوفة، وكان من رواة العلم وكان أهلاً لذلك، كتب عن الصغار والكبار، وما أقل سَقْطه. كان يحدث من كتاب.

قال ابن وضاح: كان ابن المبارك يروي نحوًا من خمسة وعشرين ألف حديث. وقيل له إلى متى تطلب العلم؟ قال أرجو أن تروني فيه إلى أن أموت.

---

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: التقي».

وذكره أبو عمرو في كتابه في طبقات المقرئين، وذكر أنه يقرأ بالاختلاف: إن ابنك سُرِق.

وقال يحيى الليثي أقبل يومًا إلى مالك رجل عليه سمت حسن: فكنت أراه، يعني مالكًا، يقول له: هاهنا. ثم تزحزح له في مجلسه، وما رأيته تزحزح لأحد غيره. فأجلسه في جواره، وكان ربما سأل مالكًا عن المسألة فيجيب فيها، ثم يميل إلى الرجل فيقول له: ما يقول أصحابك فيها؟ فيقول الرجل جوابًا خفيًا لا نسمعه ولا نفهمه، فرأيته فعل ذلك أيامًا، فأعجبني أدب الرجل، ولم أره يسأل عن شيء حتى انصرف، وكان يجتزئ بما يسمع. فقال لنا مالك: هذا ابن المبارك فقيه خراسان.

وصلى ابن المبارك يومًا إلى جنب أبي حنيفة فجعل ابن المبارك يرفع يديه في كل ركعة تكبيرة. فقال له أبو حنيفة: أتريد أن تطير؟ فقال: لو شئت لطرت في الأولى.

وكان يقول الزاهد الذي إذا أصاب الدنيا لم يفرح، وإذا فاتته لم يحزن.

وقال ابن شاهين: حضر ابن المبارك عند حماد بن زيد مسلمًا عليه، فذهب أصحاب الحديث إلى حماد أن يسأل ابن المبارك أن يحدثهم. فقال ابن المبارك: يا سبحان الله أحدث وأنت حاضر؟ فقال: أقسمت عليك لتفعلن أو نحوه.

فقال: حدثنا أبو إسماعيل حماد بن زيد وما حدثهم بحرف إلا عنه.

وكان ابن المبارك يقول: أول العلم النية، ثم الاستماع، ثم الفهم، ثم العمل، ثم الحفظ، ثم النشر.

ويقال: إنه كان يحج عامًا ويغزو عامًا لا يمر بمدينة إلا قال لمشيختها من

أهل العلم والإقلال: ليخرج معي من أراد الحج، يكفيهم مئونتهم. ويفعل مثل ذلك إذا غزا.

قال أحمد بن شجاع: رأيت سفرة ابن المبارك على عجلة، وقال على عجلتين.

ومن كتاب أبي عمرو الصدفي قال: قدم الرشيد الثغر فجاء الفزاري، وفرج أبو سليمان إلى ابن المبارك، فقالا له: قدم هارون وهو يريد لقاءك والسلام عليك. فقال: إِذَن أكمله بلساني كله. فقال أحدهما للآخر: قم بنا لعله يجيء منه ما يكرهه الآخر بسببنا.

قال الفَسَوي العابد: كنت مع ابن المبارك في غزاة في ليلة ذات برد ومطر فبكى. فقلت أتبكي من مثل هذا؟ فقال: إنما ابكي على ليال سلفت ليس فيها مثل هذا من الشدة لنؤجر عليها.

قال ابن المسيب: أرسل ابن المبارك إلى أبي بكر بن عياش بأربعين ألف درهم، وقال سد بها خلة اللوم عنك. قال نعيم بن حماد: كان ابن المبارك يكثر الجلوس في بيته فقيل له: ألا تستوحش؟ فقال كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه.

وحكى: أن إبليس جاء إلى ابن المبارك وهو يتوضأ فقال: إنك لم تسمح. فقال: بلى قد مسحت. قال: بل لم تمسح. فقال: أنت المدعي، أقم البينة.

قال منصور بن عمار: ثلاثة تفتت أكبادهم من الخوف، الفضيل، وعيسى بن يونس، وابن المبارك.

وقال ابن المبارك لبعض أصحابه، لا تغفل عن يوم ذكره الله في كتابه في ثلاثة وستين موضعًا.

وقال رجل لابن المبارك: قرأت البارحة القرآن في ركعة فقال ابن المبارك: لكني أعرف رجلا لم يزل البارحة يقرأ التكاثر إلى الصباح ما جاوزها - يعني نفسه.

وذكر هو وغيره: أن ابن المبارك سئل عن ابتداء طلبه العلم فقال: كنت شابًا أشرب النبيذ، وأحب الغناء، وأطرب بتلك الخبائث، فدعوت إخوانًا حين طاب التفاح وغيره إلى بستان، فأكلنا وشربنا حتى ذهب بنا السكر والنوم، فانتبهت آخر السحر فأخذت العود أعبث به وأنشد:

ألم يأن لي منك أن ترحما وتعصي العواذل واللوما

فإذا هو لايجبني إلى ما أريد. فلما كررت عليه بذلك وإذا هو ينطق كما ينطق الإنسان: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ... ﴿١٦﴾﴾ [الحديد]. قلت: بلى، يا رب.

فكسرت العود وهرقت النبيذ وجاءت التوبة بفضل الله بحقائقها، وأقبلت على العلم والعبادة.

وروي أن عبد الله بن المبارك دخل الكوفة وهو يريد الحج، فإذا بامرأة جالسة على مزبلة، وهي تنتف بطة، فوقع في نفسه أنها ميتة، فوقف على بغلة، وقال لها: ما هذه البطة أميتة أم مذبوحة؟ قالت: ميتة. قال فلم تنتفيها؟ قالت لآكلها أنا وعيالي. فقال لها: يا هذه! هذه البطة ميتة أو مذبوحة؟ قالت: ميتة، قال: فلم تنتفيها؟ قالت: لآكلها أنا وعيالى، فقال لها: يا هذه! إن الله قد حرم عليك الميتة، وأنت في بلد مثل هذا.

قالت: يا هذا! انصرف عني.

فلم يزل يراجعها الكلام وتراجعه إلى أن قال: وأين تنزلين من الكوفة؟

قالت قبيلة بني فلان. فقال لها وبأي شيء تعرف داركم؟ قالت ببني فلان. فانصرف عنها وسار إلى الخان، ثم سأل عن القبيلة فدلوه عليها. فقال لرجل: لك عليّ درهم وتعال معي إلى الموضع.

فمضى حتى انتهى إلى القبيلة التي ذكرت المرأة، فقال للرجل: انصرف. ثم دنا إلى الباب فقرع الباب بمقرعة كانت معه، فقالت العجوز: من هذا؟ فقال: افتحي الباب. ثم نزل على البغل ثم ضربه بالمقرعة، فدخل البغل إلى الدار، ثم قال للمرأة: هذا البغل وما عليه من النفقة والكسوة والزاد هو لكم، وأنتم منه في حل فى الدنيا والآخرة.

ثم جلس ابن المبارك مختفيًا حتى رجع الناس من الحج، فجاءه قوم من أهل بلده يسلمون عليه ويهنئونه بالحج، فأقبل يقول لهم: إنه كانت بي علة ولم أحج هذه السنة. فقال بعضهم: يا سبحان الله! ألم أودعك نفقتي، ونحن بمنى، ونحن نذهب إلى عرفات؟ وآخر يقول: ألم تشتر لي كذا؟ فأقبل يقول: لا أدري ما تقولون. أما أنا فلم أحج هذا العام. فرأى في النوم قائلا يقول له: يا أبا عبد الله، أبشر فإن الله قد قبل صدقتك وبعث ملكًا على صورتك فحج عنك.

ذكر قطع من حكمه وشعره وملحه

قال رحمه الله تعالى:

تعاهد[1] لسانك إن اللسان سريع إلى المرء في قتله
وهذا اللسان يريد الفؤاد يدل الرجال على عقله

(١) في طبعة المغرب: «جاهد» وهو غير صحيح عروضيا والبيتان من المتقارب.

وقال رحمه الله تعالى:

أرى لي أناسًا بأدنى الدين قد قنعوا ولا أراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال أيضًا رحمه الله تعالى:

لولا الجماعة ما كانت لنا سبل وكان أضعفنا نهبًا لأقوانا

وقال:

تنعم قوم بالعبادة والتقى ألذ نعيم لا اللذاذة بالخمر

فقرت بهم طول الحياة عيونهم وكانت لهم والله زادًا إلى القبر

على برهة نالوا بها العز والتقى ألا ولذيذ العيش بالبر والصبر

وكان فتى يصحب ابن المبارك يسمع منه كل يوم شيئًا يسيرًا، فسافر ابن المبارك وسافر معه، فورد على ابن المبارك رجل في منزله فحدثه ابن المبارك بحديث كثير فوجد الفتى في نفسه فكتب إليه:

كنت زوارًا لكم في أرضكم وأنا اليوم رفيق في السفر

ذان حقان عظيمان معًا ليس كالطير الذي جاء فمر

فكتب ابن المبارك رحمه الله تعالى:

غاية الصبر لذيذ طعمها ورديء الذوق منه كالصبر

إن في الصبر لفضلاً بينًا فاحمل النفس عليه تصطبر

وقال:

كل عيش قد أراه نكدًا غير ركز الرمح في ظل الفرس

وقـــيام فـي لـيـــال دجـــــن حارسًا للناس في أقصى الحرس

وجاء رجل إلى ابن المبارك فـقال له: رضي الله عنك صف لي الوالهين بالله فقال هم كما أقول لك:

مستوفزين على رحـــل كـأنـهـم ركب يريـدون أن يمـضوا فينتقلوا
عفت جوارحهم عن كل فاحـشة فالصدق مذهبهم والزهد والوجل

وسأله آخر عن صفة الخائفين فقال:

إذا ما الليل أظلـم كـابـــدوه فيســفـر عنهـم وهـــم ركـوع
أطار الخـوف نومهم فقـالـوا وأهل الأمن في الدنـيا هجـوع
لهم تحت الظلام وهم سجود أنـين منـــه تنقـــرح الضـلـوع
وخرس بالنهار لطـول صمت عليهم من سكينتهم خشـــوع

وكان ينشد أيضًا:

أغتنـــم ركعـتين زلفـى إلـى الـلـ ـه إذا ما كنت فارغًا مـسـتـريحـًا
وإذا ما همـــمـت بالنطـق بالبـا طل فاجـــعل في مكانـه تسبيحا
واغتنام السكـوت أفـضـل مـن خو ض وإن كنـت في الكلام فصيـحا

ورأى أبا العتاهية يلبس الصوف فقال:

أيها القارىء الذي لبس الصوف وأضحـى بعـد فـي الـزهـــاد
الزم الثغـــر والـتـعـــبـد فيـه ليـس بغـداد منـــزل الـعـبـاد
إن بغـــداد للـمـلـوك مـحـــل ومنـاخ للـقـــارىء الـصـــياد

ومما استحسن له من الشعر قوله:

قـــرب طـعـــامـك لـمـن دخـــــلا واحلف على من أبى واشكر لمن أكلا

ولا تكـن سامري العرض محتشـمـًا من القلـيل فلسـت الدهـر محـتـفـلا

وشعر ابن المبارك كثير في غير باب وله أرجوزة في الصحابة والتابعين، وقصائد طوال في التثبت والجهاد مشهورة، وله كتاب الرقائق مشهور، وكتاب رغائب الجهاد.

وسئل ابن المبارك فقيل له: من الناس؟ قال: العلماء. قيل فمن الملوك؟ قال الزهاد. فقـيل له: من الغوغاء؟ قال: هرثة وخـزيمة بن حازم. قيل: من السفلة؟ قال من باع آخرته بدنيا غيره.

وكان يقول: إن أثر الحبـر في ثوب صاحب الحديث أحسن من الخلوق في ثوب العروس.

وقيل له من أحسن الناس حالاً؟ فقال: من انقطع إلى ربه.

وقال ابن المبارك: مـررت بحائك وقد انقطع شِسع نعلي فلـقيني بقِال، فقلت للـثواب فعلتـها؟ قال: نعـم. فكنت إذا أجزت به ملت إليـه فسلمت عليه. ثم افتقدته فأصبته قد أغلق حانوته، فسألت عنه بعض جيرانه، وقلت: إن كان مريضًا عدناه أو مشغـولاً أعناه أو فقيرًا واسيناه. فقالوا لا علم لنا به. فأستأذنت على منزله فخرج إلي، فسـألته ما شغلك عن حانوتك؟ فقال لي: أنت يا ابن المبـارك، يراك الناس تميل إلي فـالبسـتني قمـيصًـا ليس علي منه شيء. فأخذت بكمه فسرت به إلى المقـابر فقلت له: هذا قبر فلان، كان من شأنه كـذا. وهذا قبر فـلان، كان من شأنه كـذا. فقال لي يا ابن المبـارك ما أعرف ما تقول، ليس الرجل كل الرجـل من وصفته الألسن، ولا الرجل كل الرجل من رمقته الأعين، إنما الرجل من ستر الله عليـه في حياته فأدخله قبره مستورًا، ثم أبرزه يوم القيامة ليس عليه ذلة معصية، فذلك الرجل.

وحكى أبو بكر بن الخطيب أن الحسن بن عيسى بن ما سرجس كان يجتاز وهو إذ ذاك على نصرانيته بابن المبارك، وكان الحسن من أحسن الناس وجهًا، فسأل عنه، فقيل له: هو نصراني فقال: اللهم ارزقه الإسلام.

فاستجاب الله دعوته، وحسن إسلام الحسن، ورحل في طلب العلم، فكان أحد علماء الأمة، وممن رحل في طلب العلم والتسنن في الآفاق. وأخذ الناس عنه مع ورع وعقل وثقة.

ومال إلى الدنيا رجل ممن كان يصحب ابن المبارك وصحب السلطان فلقيه يومًا فسلم عليه فقال له يا أخي:

كل من الأرز والبر ومن خبز الشعير

وأنا يا هذا هداك الله عن دار الأمير

لا تزرها واجتنبها إنها شر[1] مزور

توهن الدين وتُدْنيك من الحوب الكبير

فاستحيا الرجل وترك مصاحبة السلطان ورجع إلى صحبته.

ذكر مذهبه في الرواية والحديث

كان ابن المبارك ينكر التدليس في الحديث. وقال له بعض الصوفية. وسمعه يضعف بعض الرواة: يا أبا عبد الرحمن: تغتاب؟ قال: اسكت، إذا لم نبين فمن أين يعرف الحق من الباطل؟

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «شرر» والأبيات من مجزوء الرمل.

توفى ابن المبارك بهيت مـنصرفه من الغزو في سفـينة. فدفن بهيت في رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة.

قال البخاري: ومولده سنة ثمان عشرة ومائة.

ولما حضرته الوفـاة قال لنصر مولاه: اجعل رأسـي على التراب. فبكى نصر. فـقال: ما يبكيك؟ قـال ذكرت ما كنت عليـه من النعيم، وأنت هو ذا تموت فقيرًا غريبًا. فقال له: اسكت. فإني سألت الله أن يحييني حياة الأغنياء ويميتني ميتة الفقراء.

ثم قـال: لقني، ولا تعـد علي إلا أن أتكلـم بكلام ثان. ولقني حـتى تكون آخر كلامي.

قال أبو بشر بن قعنب: رأيت في النوم قائلاً يقول: عبد الله بن المبارك وفلان في الفردوس الأعلى.

obeikandl.com

١٨ - عثمان بن الحكم الجُذَامي من بني نَضْرة

مشهور في أصحاب مالك المصريين. قال ابن شعبان: هو أول من أدخل علم مالك مصر.

وقال ابن أبي مريم: لم تنبت مصر أنبل من عثمان بن الحكم.

قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: شيخ ليس بالمتقن.

قال الأمير: كان فقيهًا له روايات مشهورة عن مالك. قال ابن مفرج: وله عن مالك نحو سبعة عشر حديثًا.

يروي عن محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ، وموسى بن عقبة، وزهير بن محمد، ويونس بن يزيد، وابن جريج[1]، وعبيد الله بن محمد.

روى عنه سعيد بن أبي مريم، وأبو زرعة عبد الأحد بن الليث، وروى عنه ابن وهب كثيرًا في موطئه وفي المدونة.

قال أبو الربيع الرشديني في كتاب عباد مصر: أشار الليث بن سعد أن يولي عثمان بن الحكم القضاء أو غيره، فوقف عثمان عليه فقال: يا ليث، رميتني بمشاقص الحتوف، لا كلمتك بعد يومي هذا أبدًا. فجاءه الليث يعوده في مرضه فقال: حولوا وجهي إلى الحائط.

قال ابن المفرج وابن الجزار توفي سنة ثلاث وستين ومائة.

وقال ابن شعبان سنة ست وثلاثين ومائة. والأولى أشبه.

---

١٨ - من مصادر ترجمته: الإكمال لابن ماكولا ١/ ٣٣٠، تهذيب الكمال ٩/ ٣٥٢، الثقات لابن حبان ٨/ ٤٥٢، الجرح والتعديل ٦/ ١٤٨، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/ ٨٢٥.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: ابن جريح» بالحاء المهملة.

١٩ - عبد الرحيم بن خالد بن يزيد مولى الجمحيين

قال أبو عمر الكندي مولى أبي الصَّبِيغ[1]، مولى عُمير بن وهب الجُمَحي إسكندراني يكنى أبا يحيى.

قال الدارقطني: عبد الرحيم وعثمان بن عبد الحكم أول من قدم مصر بمسائل مالك.

قال الشيرازي: كان من أقران ابن أبي حازم ونظرائه، وعنده تفقه ابن القاسم بمصر قبل رحلته إلى مالك وكان جمع بين الزهد والعلم.

وقد روى عن مالك الموطأ، وقد روى عنه الليث وابن وهب، وروى ابن وهب عن سعيد بن أبي أيوب. قال ابن بُكير: بلغني أن مالكًا كان يعجب به، وكان فقيهًا.

قال ابن القاسم: تذاكرنا مع عبد الرحيم بن خالد إيمان الكافر ورجوعه إلى الإسلام، مع ما ذكر الله في كتابه: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ** ... ﴿٣٨﴾﴾ [الأنفال]. وذنوب أهل الإسلام. فقال: إني لأرجو أن يكون أهل الإسلام أفضل حالاً من أهل الكفر. ولقد بلغني أن توبة المسلم كالإسلام بعد الإسلام.

وكان أبوه خالد من فقهاء مصر وقضاتها، يروي عن عطاء وأبي الزبير، يروي عنه الليث وابن لهيعة والفضل. ووثقه أبو زرعة. وقال أبو حاتم: لا بأس به.

---

١٩ - من مصادر ترجمته: الإكمال لابن ماكولا ٥/ ٤٤١، تبصير المنتبه ٣/ ٨٥٥، توضيح المشتبه ٥/ ٤٥٦، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/ ٦٦٩، طبقات الفقهاء للشيرازي - ص ١٤.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «أبي الطبيع».

وقال ابن القاسم لمالك يومًا: ما قوم أعلم بهذه البيوع من أهل مصر. فقال مالك: وأنى لهم بذلك؟ فقال: من قبل عبد الرحيم.

ذكر الرشديني عن عبد الرحيم قال: بعثني أبي في حاجة، فجاء إنسان فسأله عن مسألة فأجاب فيها، فقال له الرجل: مد الله للأمة في عمرك.

وسمعته يقول وهو لا يراني لنفسه: خالد مولى أبي الصبيغ مد الله للأمة في عمرك ومن أنت لولا نعمة ربك؟ ومن أنت لولا ستر ربك؟ ويبكي، فلما أحس بي سكت.

قال الرشديني: قال لي إدريس: لما مات عبد الرحيم عرف اليتم على ابن شريح.

توفي سنة ثلاث وستين ومائة، قاله العمري وابن شعبان وابن الجزار وذلك بالإسكندرية وسنه ثلاث وخمسون سنة.

٢٠ - سعد بن عبد الله بن سعد المعافري

أبو عمرو. وقيل أبو محمد، وقيل أبو عثمان، من أقران عبد الرحيم من كبراء أصحاب مالك من المصريين.

سمع منه ابن القاسم، وأشهب، وابن وهب، وابن عفير، وابن بكير وغيرهم.

قال الشيرازي: وبه تفقه ابن وهب، وابن القاسم.

---

٢٠ - من مصادر ترجمته: تاريخ الإسلام، وفيات (١٧١ - ١٨٠) ص ١٣٠، الجمهرة ٥٠٨/١، حسن المحاضرة ٤١٥/١، الديباج المذهب ٣٠٤/١، طبقات الشيرازي - ص١٤١.

قال ابن القاسم: ما خرجت إلى مالك إلا وأنا عالم بقوله.

قال سحنون: يريد أنه تعلم من عبد الرحيم وطليب وسعد وكانوا عنده أوثق أصحاب مالك.

قال ابن بكير: هو ثقة.

قال ابن حارث: كان فاضلاً مأمونًا، ووصى لابن القاسم مع ابن وهب بابنته.

قال ابن شعبان: وهو الذي أعان ابن وهب على تواليفه.

قال ابن حارث: كان معلم ابن القاسم في العبادة.

قال سليمان بن داود المهري[1] المقرئ في كتابه: أخبرني فتح بن حماد، قال: لقيت الليث بن سعد عند قدومي من الإسكندرية فقال لي: كيف تركت إخواننا بالإسكندرية؟ فقلت له: مات سعد بن عبد الله. فرجَّع وقال لو كان الناس في عدوة وكنت أنا وسعد في عدوة لرجوت أن أكون به مليا.

خطب ابنة سعد بعد موته رجل موسر، لكنه يعيبه أهل الدين، فقال ابن وهب: أزوجها منه.

وقال ابن القاسم لا أزوجها منه. ثم قال أرأيت لو كان سعد حيًا لكان يفعل؟ قال ابن وهب لا. قال: إنما نفعل كما يفعل.

قال سعد عن مالك: ليس على الفقيه ضيافة ولا مكافآة - يريد عن هدية - ولا شهادة بين اثنين.

---

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «المهدي» بالدال المهملة.

وحكى ابن وضاح: أخبرني محمد بن يحيى وغيره: أن ابن القاسم أعطى سعدًا معلمه صاحب مالك سبعين دينارًا.

توفي بالإسكندرية سنة ثلاث وسبعين ومائة.

٢١ - زين بن شعيب بن كريب المعافري ثم الخامِري

بخاء معجمة، من الأخمور، بطن من المعافر، أبو عبد الملك، ويقال أبو عبد الله. كذا قال الأمير أبو نصر إسكندراني مصري. وآخر اسم زين بالنون.

روى عن مالك وقاسم العُمَري، وأسامة بن زيد وغيرهم.

روى عنه ابن وهب وسعيد [ابن عيسى][1] بن تليد وابن بُكير ومرة البرالسي وعبد الأعلى بن عبد الواحد.

قال ابن شعبان: كان مالك إذا فقده قال: كيف الشيخ الصالح؟ وكان فقيهًا فاضلاً عابدًا وكان يعبر الرؤيا، وهو الذي عبر رؤيا ابن القاسم التي نذكرها في خبره.

قال الحارث بن مسكين: كان زين، من عِلْية أصحاب مالك.

حكى سليمان بن داود المهري عن عمه أبي الأصبغ قال: كنت مع زين ابن شعيب في المحرس، فكان إنما هَجْعَة[2] أول الليل ثم لا ينام حتى يصبح، يحرس وسط الليل وآخره ووسطه، أشد ما يكون. وإذا كان قبل

---

٢١ - من مصادر ترجمته: الإكمال ٣/ ٧٥، ٤/ ٢١، الأنساب ١/ ١٥٥، تاج العروس ١١/ ٢٢٢، توضيح المشتبه ٣/ ٣١، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ١/ ٤٩٦.

(١) من الجمهرة.

(٢) الهَجْعَة: النومة الخفيفة من أول الليل. يقال: استيقظت بعد هجعة.

الفجـر بمنزلتين إنما تراه هكذا راحـتاه إلى وجـهه رافعًـا يديه داعيًـا ثم يقلب بطونهما يسأل ويتعوذ إلى الفجر، قال: وعادلته إلى مكة فذكر من فضله.

حكى الحارث بن المسكين أن رجلاً سـأل زين بن شعيب عن الوطء في الدبر. فتناول وسادة من وسائد الحرس فـضرب بها رأسه. قال: وكان زين، من علية أصحاب مالك.

قال الدارقطني: توفي بالإسكندرية بعد الثمانين ومائة.

قال الأمير سنة أربع وثمانين.

وقال غيره: سنة تسع وثمانين.

٢٢ - عبد الحكم بن أَعْيَن بن الليث القرشي مولاهم

يقال هو مولى رافع مولى عثمان بن عـفان ويقال مولى عفير، امرأة من موالي عثمان ويقال مولى رافع مولى عثمان. وقاله ابن شعبان.

هو والد بني عبـد الحكم من فقهـاء مصر. ويكنى عـبد الحكم هذا أبا عثمان. وله رواية عن مالك في مسائل من المدبر وغيرها.

ذكر ابن القاسم عنه في المدونة مسألة.

قال ابن أبـي حاتم: يروي عن أبي حنيـفة اليـمامي[1]. روى عنه ابن وهب، وعبد الله بن صالح كاتب الليث، وابن القاسم.

قال بعضهم: كان عاقلاً أديبًا أعجلته المنية عن إتقان مذهب مالك.

---

٢٢ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/ ٦١٢.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «اليماني» وصوابه من الجمهرة.

سكن هو وأبوه إسكندرية. ويقال أصلهم من أَيْلَة. قال ابن بكير كان مداعبًا للناس.

ورفع اسمه في تاريخ أحمد بن سعيد، سماه عبد الحكم بن أعين، وتوفي سنة إحدى وسبعين ومائة.

٢٣ - طُلَيب بن كامل اللَّخْمي

من كبار أصحاب مالك وجلسائه. كنيته أبو خالد وهو أيضًا أبو عبد الله له اسمان قاله أبو سعيد حفيد ابن يونس في تاريخه. قال وأصله أندلسي سكن الإسكندرية.

روى عنه ابن القاسم وابن وهب وبه تفقه ابن القاسم قبل رحلته إلى مالك مع سعد وعبد الرحيم.

قال ابن حارث: وكانوا عنده أوثق أصحاب مالك.

قال ابن وضاح: كان طليب بن كامل نبيلاً وهو من العرب من لخم، وهو مصري إسكندراني. قاله سحنون.

وذكر ابن شعبان في المصريين عبد الله بن كامل. وفي الإسكندرانيين طليب بن كامل فجعلهما رجلين وهما واحد كما تقدم.

وتوفي طليب بالإسكندرية سنة ثلاث وسبعين ومائة في حياة مالك.

---

٢٣ - من مصادر ترجمته: بغية الملتمس - ص٣١٥، تاريخ ابن الفرضي ١/ ٢٤٦، جذوة المقتبس - ص٢٣١، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/ ٥٨٨.

٢٤ - أبو السمح عبد الله بن السمح

ابن أسامة بن زكبر مولى بن عـامر بن عدي من تُجِيب، المصري، والد فِتْيان الفـقيه. كذا كناه ونسبه أبو عُـمَر الكندي في كتاب أعيـان موالي مصر فيمن روى عن مالك. قال: وكان أبو السمح فقيهًا.

روى عنه ابن بكير، يروى عن عُقيل بن خالد وغيره. قال ابن شعبان: أبو السمح والد فتيان روى عن مالك وكناه ابن وضاح: أبو السمحا.

قال ابن حزم الصدفي: قال سحنون: رأى أبو السمحاء في منامه، نعم العمل النُّجْحُ[1] لولا المناهل.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: أبو السمحاء ليس بوالد فتيان. وإنما والد فتيان أبو السمح المذكور.

وقد وصـفه ابن القاسـم بالفقه والثـقة في المدونة، في كـتاب الحج في مسألة الإمام يذكـر صلاة نسيها. قال: ولقد سـألني رجل عن هذه المسألة ما يقول مالك فيها - وكان من أهل الفقـه ورواته الثقة - فأخبرته أن مالكًا يرى أن تنتقض عليهم، كما تنتقض عليه، فلا أعلمه إلا قيل لي، وهذا الرجل هو أبو السمح والد فتيان. قال الكندي ولد أبو السمح سنة خمس وعشرين ومائة وتوفي سنة اثنتين وثمانين ومائة.

---

٢٤ - من مصـادر ترجمتـه: الإكمال لابن مـاكولا ٤/ ٩١. ٣٥٨ - ٣٥٩، جمـهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/ ٧١٦.

(١) النجح: النجاح.

٢٥ - خالد بن حُمَيد أبي ثعلبة

ويقال خالد بن أبي ثعلبة أبو حميد مولى بَهْرَة إسكندراني. قال الكندي: كان فقيهًا من أصحاب مالك.

روى عنه هانىء بن المتوكل وسعيد بن سابق بن عامر.

مولده سنة ثلاث عشرة وتوفي سنة نسع وستين ومائة.

٢٦ - يحيى بن أزهر أبو عبد الله مولى قريش

قال الكندي: كان فقيهًا من أكابر أصحاب مالك وغلبت عليه العبادة.

قال الحارث: كان ابن أزهر من خيار المسلمين، وقدماء أصحاب مالك.

وقال عبد الرحمن بن القاسم: كان العباد يأتون يحيى فينظرون صلاته لحسنها.

قال غيره: كان يتيمًا وكان له مال في بيت المال، فلمّا كبر وقبض ماله أدى منه أربعمائة دينار أو نحوها عن زكاة تلك السنين.

وقال سليمان بن القاسم: ترك يحيى ألف دينار، كالخائف عليه. وكان قد اشترى تجارة قيمت فبيعت بعد موته بألف.

توفي سنة إحدى وستين ومائة في حياة مالك.

---

٢٥ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ١/ ٤٤١ وبحواشيها ثبت واف بمصادر ترجمته.

٢٦ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٣/ ١٣٣٢ وما بحواشيها من مصادر.

٢٧ - موسى بن سَلَمَة بن أبي مَرْيم مولي أبي الصَّبِيغ[١]

هو خالد سعيد بن أبي مريم، كان من أكثر أهل مصر طلبًا للعلم.

توفي سنة ثلاث وستين ومائة في حياة مالك.

obeikandl.com

---

٢٧ - من مصادر ترجمته: التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة برقم ٦٩٣٩، تهذيب الكمال ٢٩/ ٧٢، حسن المحاضرة ١/ ٢٦٠.

(١) في طبعة المغرب: «أبي الضبيع» وصوابه من الجمهرة.

٢٨ - عبد الله بن غانم القاضي

قال القرطبي[١] هو عبد الله بن عمر بن غانم بن شَرَحْبِيل بن ثوبان بن محمد بن شريح بن شراحيل بن الحنف بن أيمن بن ذي القمط بن قزو بن ذي رعين. كنيته أبو عبد الرحمن، كذا نسبه ابن شعبان وابن حارث وأبو العرب.

وقال البخاري في التاريخ: عبد الله بن عمر النميري عن يونس بن عبد الله، سمع من الثوري وحجاج بن منهال، وقال في الصحيح: حدثنا عبد الله بن عمر النميري، حدثنا يونس حديث الإفك في باب من شهد بدرًا.

قال ابن منده[٢]: عبد الله هذا هو ابن غانم الإفريقي، روى عنه القعنبي وابن القاسم.

قال أبو العرب التميمي: كان ثبتًا ثقة فقيهًا عدلاً في قضائه.

قال أبو علي بن أبي سعيد في كتابه المغرب في أخبار المغرب: كان ابن غانم رجلاً كاملاً فقيهًا مقدمًا، مع فصاحة لسان، وحسن بيان، وبصر بالعربية، ورواية الشعر، تروى له أبيات مستحسنة وكانت فيه تمتمة. وكان أبوه مذكورًا قديمًا في عرب إفريقية وأبنائها قبل دخول المسودة.

قال غيره: كان من أهل العلم والدين والفضل والورع والتواضع والفصاحة والجزالة.

---

٢٨ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/٧٢٨ وبحواشيه ثبت واف بمصادر ترجمته.

(١) في طبعة المغرب: «ابن الفرضي» ولم أجد هذا القول لدى ابن الفرضي في تاريخ علماء الأندلس، وفي إحدى النسخ الخطية: «قال القرطبي».

(٢) في طبعة المغرب: «ابن مندر» وفي بعض النسخ الخطية: «ابن منده».

قال أبو سعيد ابن يونس: كان أحد الثقات الأثبات، ولم يعرفه أبو حاتم لبعد قطره، وقال: مجهول. قال الشيرازي: كان ابن غانم من نظراء ابن أبي حازم وأقرانه.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: سمع ابن غانم من ابن أنعم، وخالد بن أبي عمران. ورحل إلى الحجاز والشام والعراق فسمع من مالك، وعليه اعتماده، ومن سفيان الثوري، ومن أبي يوسف بن الضحاك، وإسرائيل بن يونس. وداود بن قيس وغيرهم. سمع منه القعنبي وغيره.

قال ابن عمران: كان مالك يجل ابن غانم، وإذا جاءه أقعده إلى جانبه، ويسأله عن أخبار المغرب، وإذا رآه[1] أصحابه قالوا: شغله المغربي عنا. ولما ولي القضاء، أعلم مالك بذلك أصحابه، وسُر به.

ويقال إن مالكًا عرض عليه أن يزوجه ابنته ويقيم عنده، فامتنع عن المقام، وقال له: إن أخرجتها إلى القيروان تزوجتها.

وله سماع من مالك مدون انقطع. ومنه في المجموعة مسائل. وسمع الموطأ.

قال وجاء رجل بوثيقة إلى أسد بخط ابن غانم، فجعل أسد يعرضها ثم نقرها بإصبعه، وقال: ما كان أفقهه.

قال سليمان بن عمران: كان ابن غانم كاملاً متكملاً فصيحًا، حسن البيان، جيد الترسيل، لولا تمتمته ما قام بطلاقة لسانه أحد.

قال أحمد بن الجزار: وهذه التمتمة الباقية في ولده إلى زمننا.

---

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «وإذا رأى أصحابه» وصوابه من الجمهرة.

قال أسد: كان ابن غانم فقيهًا.

قال معمر: كان ابن غانم يَقْرَأُ لَنَا كتب أبي حنيفة في الجمعة يومًا. ولما بلغت وفاته ابن وهب استرجع وترحم عليه، ثم قال: لقد كان قائمًا بهذا الأمر.

قال ابن غانم: لما دخلت مع البهلول بن راشد على سفيان الثوري وكان معهم عبد الله بن فروخ، قال: ليقرأ علي أفصحكم لسانًا. فإني أسمع اللحنة فيتغير لها قلبي. فقرأت عليه إلى أن فارقته، ما رد علي حرفًا.

قال أبو العرب ومناقب ابن غانم كثيرة.

وذكر ابن حارث أن علي بن زياد كان يسيء القول فيه ويغمزه في كتبه، ويقول ما صدق والله. حدث عنه سحنون وداود بن يحيى.

ذكر ولايته القضاء وسيرته

قال الشيرازي: ولى الرشيد لابن غانم قضاء إفريقية. وقيل ولاه أمير إفريقية روح بن حاتم المهلبي. أشار عليه ابن فروخ الفقيه لما امتنع هو أن يلي.

وقيل: إن أبا يوسف قال لروح عند خروجه إلى القيروان: إن بمدينة القيروان فتى يقال له عبد الله بن غانم، قد فقه فوله قضاء إفريقية.

وكانت ولايته في رجب سنة إحدى وسبعين ومائة، وهو ابن اثنتين وأربعين سنة في حياة مالك رحمه الله تعالى. ولما بلغت مالكًا ولايته سر بها، وأعلم بذلك أصحابه. ولما أتاه ابن أبي حسان سأل عن ذلك ابن أبي حسان فأعلمه فقال ما ذاك بخير له.

وكان الرشيد يكاتبه فكان يعد قضاؤه من قبله.

وتشاجر أصحاب ابن غانم في ولايته، فقال بعضهم: هي من المسودة كذا دون أمير المؤمنين. فقال أبو عثمان المعافري: امرأته طالق ثلاثًا ومماليكه أحرار، إن كان ولاه إلا أمير المؤمنين.

ثم جاء إلى ابن غانم فأخبره الخبر، فقال له: يا أبا عثمان! كم صداق امرأتك؟ فقال مائتا دينار. قال: وكم ثمن مماليكك؟ قال: مائة دينار. قال خذها فقد بانت منك امرأتك وعتق مماليكك.

ولم يزل ابن غانم على القضاء إلى أن توفي، فكانت ولايته نحوًا من تسعة عشر عامًا.

وكان ابن غانم يوجه أبا عثمان هذا بمسائله أيام قضائه إلى مالك فيما ينزل به من نوازل الخصوم، فيأخذ له عليها الأجوبة، وكان يكتب إلى ابن كنانة فيأخذ له الأجوبة من مالك، وكان يكتب أيضًا إلى أبي يوسف.

قال السيوري[1]: ولم يزل الأمر يتراقى بابن غانم في الرفعة والسمو في أحكامه وأموره، فكان من إكرام الخليفة له إذا كتب كتابًا لإبراهيم بن الأغلب يقول له فيه: وأنا لا أفك لك كتابًا حتى يكون مع كتابك إلي كتاب ابن غانم. فكان إبراهيم أكثر الناس مداراة وتعظيمًا له.

وكان ابن غانم يلبس من الثياب أرفعها، ويجعل لخصومات النساء يومًا يجلس فيه للنظر بينهن، فيلبس يومئذ الفرو الخشن وخلق الثياب، وينظر ببصره إلى الأرض فلا يشك من لا يعرفه أنه أعمى، ويزيل الحجاب والكتاب عنه.

---

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «السوري» وصوابه من ترجمته فيما يأتي، وهو: عبد الخالق ابن عبد الوارث القيرواني المعروف بالسيوري، توفي ٤٦٠هـ.

وكان له حظ من صلاة الليل فإذا قضاها وجلس في التشهد آخرها عرض كل خصم يريد أن يحكم له، على ربه، يقول في مناجاته: يا رب فلان نازع فلانًا وادعى عليه بكذا فأنكر دعواه فسألته البينة فأتى ببينة شهدت بما ادعى، ثم سألته تزكيتها فأتاني بمن زكاهم وسألت عنهم في السر فذكر عنهم - يعني - خيرًا، وقد أشرفت أن آخذ له من صاحبه حقه الذي تبين لي أنه حق له، فإن كنت على صواب، فثبتني، وإن كنت على غير صواب فاصرفني، اللهم لا تسلمني. اللهم سلمني.

فلا يزال يعرض الخصوم على ربه حتى يفرغ منهم.

وابن غانم هذا هو الذي أوقف الأحمية التي كانت بمراسي إفريقية، لمرافق المرابطين.

وكان ابن غانم إذا جلس رمى إليه الخصوم الشقاف فيها قصههم مكتوبة، فوجد يومًا شقفة فيها قصة لنخاسي البغال فدعاهم، فأخبروه أن أبا هارون مولى إبراهيم بن الأغلب الأكبر، صاحب أمره، ابتاع منهم بغالاً بخمسمائة دينار، ولم يدفع لهم شيئًا. فضم ديوانه، ونهض إلى إبراهيم، وكان قد أباح له الدخول عليه دون إذن، فكان القاضي إذا أتى تنحنح فإذا قيل له: ادخل، دخل. ففعل كعادته، فسأله إبراهيم ما قصته، فذكر له شأن المتظلمين. فأحضر أبا هارون فاعترف وقال حتى يجيء الخراج وقد بعثت في طلبه.

فقال ابن غانم: لا أبرح حتى تدفع إليهم أموالهم. فما برح حتى دفعت إليهم.

ودعا الأمير إبراهيم بن الأغلب ابن غانم يومًا فقرأ عليه كتاب الرشيد، يأمره بإحضار رجل يقال له حاتم الأبزاري، ويقول: إن لفرج مولى أمير

المؤمنين عليه عشرة آلاف دينار، ويأمر إبراهيم بقبضها، ويوجهها مع رسول له خراساني. ويقول في آخر الكتاب: وأحضر ابن غانم القاضي، وقد أُحضر المطلوب ترعد فرائصه، فلما أكمل إبراهيم قراءة الكتاب، قال لابن غانم: سمعت ما فيه؟ قال نعم. قال ابن غانم: وأحضرت ليحمل علي قولي فيما في هذا الكتاب؟ قال إبراهيم: ولم أمرت بإحضارك إذن؟ قال: فأول ذلك أن يثبت الرسول بعدلين استخلاف أمير المؤمنين له على قبض هذا المال إن صح، وأن المال لأمير المؤمنين أو لمولاه.

فقال الرسول: ويكتب أمير المؤمنين بالباطل؟ قال معاذ الله، أمير المؤمنين أكرم من أن يأخذ مالاً من غير حله، ولكن قد تنخرق الأشياء دونه.

قال الخراساني ما تقول أيها الأمير؟ قال: ما قال القاضي.

وتحمل. فقام ابن غانم وحمل الأبزاري معه. فقال إبراهيم: ما أنفذ بصيرته وأمضى عزيمته.

وراكب ابن غانم إبراهيم يومًا فزادت دابة إبراهيم في المشي، فحول ابن غانم دابته، وعرج إلى داره، فعاتبه إبراهيم على ذلك، فقال ابن غانم: أصلح الله الأمير، إنما نفوذ أحكام القاضي على قدر جاهه، ولو ساعدتك وحركت دابتي سقطت قلنسوتي فلعب بها الصبيان.

وراكبه مرة، فشق إبراهيم زرعًا فلم يسلك ابن غانم معه.

ودخل عليه يومًا وفي يد إبراهيم قارورة فيها دهن يسير، فقال كم تظن أيها القاضي يساوي هذا؟ قال: تافه يسير، ما عسى أن يبلغ؟ قال إبراهيم: فإن ثمنه كذا وكذا. قال ابن غانم: ما هو؟ قال السم. قال: أرنيه. فدفع إليه إبراهيم القارورة ضرب بها عمودًا في المجلس فكسرها.

ودعاه إبراهيم يومًا إلى صعود الصومعة فأبى، وقال: نكشف حرم المسلمين! فلم يصعد معه.

ودخل يومًا على إبراهيم فوردت عليه كتب من الرشيد، فقرأ إبراهيم كتابه ثم دفعه إلى ابن غانم فقرأه ورده على إبراهيم، فقال له إبراهيم: هات كتابك أقرأه. قال: لا أفعل قال له: فلم قرأت أنت كتابي؟ قال: أنت دفعته إلي ومددت يدك به فكرهت ردها. وقد أسر إلى أمير المؤمنين في كتابه ما لا أريد أن أطلع عليه أحدًا.

فقال له إبراهيم: أما علمت أن إبراهيم أمير إفريقية يقتل عبد الله قاضيها؟ فقال: يذكر ذلك، ولكن لست ذلك الأمير، هو ابنك، ولست أنا ذلك القاضي، هو غيري.

فقدر أن الخبر بعد هذا، صدق في أبي العباس عبد الله بن طالب القاضي، قتله الأمير إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بعد هذا مسمومًا في سجنه. وسيأتي ذكره إن شاء الله بعد هذا.

قال ابن غانم: دخلت مجلس إبراهيم بن الأغلب، إذ أشرف علينا إبراهيم، فقام إليه من كان في البيت غيري. فجلس مغضبًا ثم قال لي: يا أبا عبد الرحمن ما منعك أن تقوم كما قام إخوانك؟ فقلت أيها الأمير: حدثني مالك عن نافع عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يتمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار»[1]. فنكس إبراهيم رأسه وأطرق.

ومر رباح[2] بن يزيد الزاهد وبيده قسط زيت على ابن غانم وهو

(١) مسند أحمد وسنن أبي داود وسنن الترمذي في كنز برقم ٢٥٣٨٧.

(٢) تحرف في طبعة المغرب إلى: «رياح» بالياء المثناة، وصوابه من رياض النفوس ١/ ٣٠٠ والإكمال لابن ماكولا ٨/٤ ولديه: «رباح بن يزيد اللخمي من أهل إفريقية، كان عابدًا زاهدًا.

قاض، فقال لها ابن غانم: أحمله لك. فقال: رباح شأنك. فرفع القسط إليه وجعل يشق به مجامع الناس فسلك به حوانيت البزازين حتى انتهى إلى داره. فقال رباح: إنما فعلت هذا، لأنه بلغني عنك أنك تجد بنفسك، فأحببت أن أضع منك. فجزاه ابن غانم خيرًا.

وكان رباح بن يزيد يأتي كل يوم جمعة إلى ابن غانم فيدعو له. وكان نحيلاً دقيق العروق، فجعل يومًا يدعو فاستضحك ابن غانم وتمادى رباح في الدعاء، وابن غانم في الضحك حتى نهض رباح فعذل ابن غانم جلساؤه في ذلك، وقالوا له: مثل رباح يضحك عليه؟

فقال لهم ابن غانم: امسكوا عني، إنما غمني أن العدو لما علم ما نحن فيه من الخير، أراد أن يقطعه بما رأيتم أو نحوه.

فلما كان الجمعة جاء رباح فأخذ في الدعاء وهجم على ابن غانم من الرقة والخشوع أكثر ما كان منه، فلما قضى دعاءه قال ابن غانم: جزاك الله خيرًا يا أبا يزيد. فقال له رباح قد علمت أن الذي كان منك إنما حركك عليه العدو ليقطع ما نحن فيه من الخير.

ومر يومًا بالسوق والبهلول بن راشد يشتري لحمًا من جزار فنزل ابن غانم عن دابته وعانقه وقرب إليه دابته تعظيمًا له، فامتنع البهلول فأقسم عليه ابن غانم، فقال له: إني اشتريت لحمًا، قال: أحمله لك. فقال البهلول: إني أجلك أن تمشي راجلاً فقال: أركب خلفك. فركب البهلول على السرج وركب القاضي خلفه على كفل الدابة وقد حمل اللحم، فشقا السماط حتى وصلا إلى دار البهلول فعجب الناس من تواضعه وشرفه.

بقية أخباره وكرمه وحلمه

قال ابن البصري: ذكر أن ابنًا لابن غانم جاءه من عند معلمه، فسأله عن سورته فقرأ عليه فأحسن، فدفع إليه عشرين دينارًا أو نحوها.

فلما جاء بها الصبي إلى المعلم، أنكرها، وظن بالصبي ظنًا. فجاء بها إلى ابن غانم، فقال ابن غانم: لعلك استقللتها؟ قال لا. فقال له: لحرف واحد مما علمته يعدل الدنيا وما فيها.

وذكر أن رجلاً يقال له ابن زرعة كان ابن غانم قد حكم عليه، فبلغ ذلك من ابن زرعة كل مبلغ، فلقي ابن غانم في طريق ضيقة فسبه وقال له: يا فاعل يا ابن الفاعلة، وبالغ.

فلما كان بعد ذلك لقيه في طريق ضيقة، فسلم عليه ابن غانم وحمله معه إلى منزله فأحضر طعامًا وأكل معه، وأقاما إلى قرب المساء ثم انصرفا. فلما أراد مفارقته استغفره ابن زرعة واعترف له بالخطأ.

فقال: أما هذا فلست أفعله حتى نخاصمك بين يدي الله، وأما أن ينالك منه شيء مكروه في الدنيا فلا.

ومن طريق آخر أن الجند نزلوا في دار ابن زرعة بعد سبه له وملئوها سلاحًا.

فلجأ إلى ابن غانم، فلما دنا من الباب تذكر، وقال بعد أن سببته أستنصره؟

فانصرف، ثم أعظم ما نزل به فرجع إليه، فلما دنا انصرف ثم رجع، فلما رآه ابن غانم قال: مرحبًا بابن زرعة وأوسع مجلسه وقال له: ما جاء

بك؟ فأخبره، فقال: يا غلام، الرداء والنعال، فلبسهما ثم مضى إلى الأمير، فسأله إخراج الجند من داره، ففعل.

وخرج ابن غانم مع جماعة إلى منزله، ومعه سليمان بن زرعة، وخرج بزوامله ومطابخه فنزل وقرب إليهم الطعام، وفيه كنافة، ففجر رجل من القوم الزبد إلى جهته، فقال ابن زرعة: أخَرَقْتَها لِتُغْرقَ أَهْلَهَا؟

فقال ابن غانم: استهزاء بكتاب الله تعالى؟ [لله][1] علي أن كلمتك أبدًا. وانصرف راجعًا إلى القيروان.

وهجا أبو المضرجي الشاعر، بني غانم، فاتصل ذلك بالقاضي، فضجر منه، واشتهر الشعر، فقيل لابن غانم: ليس لك إلا أبا الوزن، فإنه يلقاه بكل ما يكره.

وكان أبو الوزن مضحكًا ضعيف الشعر.

فأتي به، فقال له ابن غانم: بلغني أنك بعيد الصوت ونحن نريد من يؤذن في الجامع. وقال لبعض خدمه: ادفع لأبي الوزن خمسة أقفزة قمحًا وخمسين قفيزًا زيتًا ومائة درهم، حتى ننظر في أمره. فلما قبض ذلك أبو الوزن قال للذي أتى به للقاضي: والله قصة! فإني لا أصلح أن أكون مؤذنًا، فأخبر بالأمر، فقال: قد كفي.

فدخل يومًا على إبراهيم بن الأغلب في جملة الشعراء فنظر إلى الأمير ثم أنشده:

إني وإني وإنني وإنا وأهل بيتي معظموا الأمرا

ثم اشار إلى أبي المضرجي وقال:

إن أبا المضرجي شاعركم يضرط في الشعر كلما شعرا

(١) ساقط من طبعة المغرب.

قال القاضي: وبعد هذا بيت قبيح تركناه لفحشه ورفثه، وإن كان بيت الأبيات الثلاثة في بابه.

فضحك الأمير ومن حضر وانكسر الآخر، وعلم من حيث أتى. فجاء إلى ابن غانم معتذرًا مقسمًا أنه ما هجا أحدًا من أهل بيته: فأظهر ابن غانم ألا علم عنده من شيء من القضية. فسأله كف أبي الوزن عنه، فأمر له بمثل ذلك.

وكان ابن غانم يكثر إنشاد هذين البيتين:

إذا انقرضت عني من العيش مدتي فإن غناء الباكيات قليل

سيعرض عن ذكري وتنسى مودتي ويحدث بعدي للخليل خليل

وكان لابن غانم أخ اسمه سعيد، سمع من أخيه عبد الله وكتب عنه. وكان لابن غانم ابنان جليلان أبو عمر غانم وأبو شراحيل فقيهًا نظارًا ورعًا أديبًا شاعرًا، أخذ عن الكوفيين ومال إلى رأيهم. وتوفى ابن ست وثلاثين سنة. مولده سنة تسع ومائتين وكان لابنه أبي عمر غانم ولد يكنى أبا عبد الرحمن وهو القائل في شعر له يفتخر بآله رحمهم الله تعالى:

ولينا قضاء الغرب عشرين حجة فعز بعدل عندنا مستلينها

وأمضى أبونا الحق في الناس فاستوت رعيته في العدل فاعتز دينها

فصلى عليه الله في مستقره وسقاه من غر السحاب هتونها

وفاته:

قال القاضي أبو الفضل: ودخل على ابن غانم أبو الوليد المهدي اللغوي في مرضه الذي مات فيه، فقال له رفع الله ضجعتك من هذه العلة إلى

إفاقة، وراحة، وأعاد عليك ما عودك من الصحة والسلامة، فلطالما صححت وعوفيت أصلحك الله فاصبر لحكم ربك، فإن الله يحب أن يشكر على نعمه.

فقال ابن غانم: هو الموت، والغاية التي إليها انتهاء الخلق، وما لا بد منه فصبر يؤجر صاحبه عليه، خير من جزع لا يغني عنه ثم تمثل:

وهل من خالد أما هلكنا وهل بالموت يا للناس عار؟

وتوفى في ربيع الآخر سنة تسعين ومائة، وقيل ست وتسعين، من فالج أصابه، وقيل: إن بصره كان قد كف، والأول أصح، ويشهد له شعر حفيده وقوله:

ولينا قضاء الغرب عشرين حجة.

وكان ولي القضاء سنة إحدى وسبعين وهو ابن اثنتين وأربعين سنة، وتوفي وهو قاض كما قدمناه، ومولده سنة ثمان وعشرين ومائة مع البهلول ابن راشد في ليلة واحدة.

وذكر بعضهم أنه سمع عند موته صوتًا لا يرون شخصه يقول:

زأرت ذئاب بعد طول عوائها لما تضمنه الضريح الملحد

وقيل: بل رآه بعضهم في النوم.

ولما مات بكى عليه ابن الأغلب وجلس على كرسي ينتظر وقته، ووقف على قبره معه ابن غفال خال إبراهيم بن الأغلب، وجزع عليه، فسأله إبراهيم عن ذلك، فقال: كان لي صديقًا ودودًا. فقال إبراهيم والله ما ولينا إفريقية ولا أمنا حتى مات.

وكان علي الهمة، لما مات قومت كسوة ظهره بألف دينار.

٢٩ - علي بن زياد التونسي العبسي

أبو الحسن. وقيل أصله من العجم ولد بأطرابلس، ثم انتقل إلى تونس فسكنها.

وقال ابن شعبان وغيره: هو من عبس.

قال أبو العرب: علي بن زياد من أهل تونس، ثقة مأمون، خير، متعبد، بارع في الفقه ممن يخشى الله عز وجل مع علوه في الفقه.

سمع من مالك، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، وابن لَهِيعة وغيرهم. وسمع بإفريقية قبل هذا من خالد بن أبي عمران، لم يكن بعصره بإفريقية مثله.

سمع منه البهلول بن راشد، وسحنون، وشجرة، وأسد بن الفرات وغيرهم.

وروى عن مالك الموطأ، وكتب سماعه من مالك الثلاثة.

قال أبو سعيد بن يونس: هو أول من أدخل الموطأ وجامع سفيان المغرب، وفسر لهم قول مالك ولم يكونوا يعرفونه. وكان قد دخل الحجاز والعراق في طلب العلم وهو معلم سحنون الفقه.

قال الشيرازي: به تفقه سحنون، وله كتب على مذهبه، وتفقه بمالك، وله كتاب خير من زنته.

قال سحنون: كتاب خير من زنته، أصله لابن أشرس. إلا أنا سمعناه من ابن زياد، وكان يقرأه على المعافى وكان أعرف من ابن أشرس بالمعافى.

---

٢٩ - من مصادر ترجمته: جمهرة فقهاء المالكية ٢/ ٨٥٠ وما بحواشيه من مصادر.

قال ابن وضاح: قلت له: وكان أكبر من ابن أشرس؟ قال: ما كان أمرهما واحدًا، إلا أن ابن أشرس ربما سمع، وغاب علي، فكان علي يقرأ على المعافى.

وهو ثلاثة كتب بيوع ونكاح وطلاق، وسماعه من مالك ثلاثة كتب.

قال أبو الحسن بن أبي طالب القيرواني العابد في كتاب الخطاب: إن علي بن زياد لما ألف كتابه في البيع لم يدر ما يسميه به، فقيل له في المنام سمه: كتاب خير من زنته.

ورأى حبيب أخو سحنون في منامه، خذ (كتاب خير من زنته ذهبًا) فإنه الحق عند الله.

قال أسد قال لي المخزومي، وابن كنانة: ما طرأ علينا طارىء من بلد من البلدان كشف عن هذا الأمر، وفي رواية عن ابن كنانة، كشف لنا مالك عن الأصول كشف علي بن زياد.

وكان سحنون لا يقدم عليه أحدًا من أهل إفريقية، ويقول: ما بلغ البهلول بن راشد شسع نعل علي بن زياد.

قال سحنون: وكان البهلول يأتي إلى علي بن زياد ويسمع منه، ويفزع إليه. يعني في المعرفة والعلم، ويكاتبه إلى تونس يستفتيه في أمور الديانة. وكان أهل العلم بالقيروان إذا اختلفوا في مسألة كتبوا بها إلى علي بن زياد ليعلمهم بالصواب. قال وكان علي خير أهل إفريقية في الضبط للعلم.

قال سحنون ولو أن التونسيين يسألون لأجابوا بأكثر من جواب المصريين. يريد علي بن زياد وابن القاسم.

وفي رواية أخرى: لـو كان لعلي بن زياد من الطلب مـا للمصـريين ما فاته منهم أحد. وما عاشره منهم أحد.

قال ابن الحداد، ألا إنها كلمة فضله بها عليهم.

وقال سحنون: ما أنجبت إفريقيـة مثل علي بن زياد. وكان يقول ما فاقه المصريون إلا بكثرة سمـاعهم. وذلك أني اختبرت سره وعـلانيته. والمصريون إنما اختبرت علانيتهم.

قال أسد: كان علي بن زياد من نقاد أصـحاب مالك. قال وإني لأدعو له مع والدي.

وفي رواية أني لأدعـو في إدبار صلاتي لمعـلمي، وأبدأ بعلي بن زياد، لأنه أول من تعلمت منه العلم.

قال البلخي: لم يكـن في عصر علي بن زياد أفـقه منه ولا أورع. ولم يكن سحنون يعدل به أحدًا من علماء إفريقية. قال ابن حارث: كان علي ثقة مأمونًا.

ذكر فضائله ومناقبه

قال بعـضهم: رأيت علي بن زياد واقـفًا إلى سـارية بجامع القـيروان، فأراد أن يكبر فارتعد خوفًا من الله، ثم تحامل فكبر وتغير لونه.

وذكر ابن اللباد عن سحنون قال: مات بعض قضاة إفريقية فقدم رسول الخليفة إلى إفريقية لجمع العلماء واستـشارتهم في قاض يوليه إفريقية، فتوجه إلى تونس، وبعث واليها في علي بن زياد فتثاقل، فأخبر بذلك الوالي رسول الخليفة فقال له الرسول، أمير بلد ورسول الخليفة، يوجه إلى رجل من الرعية فيتثاقل عن المجيء!

فمضى إليه الوالي معه، فلما دخلا عليه وجداه قد حول وجهه إلى الحائط، فقال له الوالي: يا أبا الحسن، هذا رسول الخليفة يستشيرك في قاض يلي إفريقية، فحول عليه وجهه إلى القبلة وقال: ورب هذه القبلة ما أعرف بها أحدًا يستوجب القضاء قوموا عني.

وبعث فيه روح بن حاتم ليوليه القضاء، فقدم عليه وقدم البهلول والصالحون إلى باب دار الإمارة إذ بلغهم قدومه فخرج عليهم علي ممسيا يمسح العرق على جبينه، فقالوا له: ما فعلت؟ فقال عافى الله، وهو محمود.

فقال له البهلول: فما عزمت عليه؟ قال: ألا أبيت فيهان فيبدو له، فتوجه إلى تونس على حماره، ودعوه.

وجاء رجل إلى البهلول فقال له: رأيت في المنام كأن قنديلاً دخل من باب تونس حتى دخل دار بني دراج. فقال تعرف الدار؟ قال نعم. قال: قوموا بنا فقد جاء علي بن زياد.

فانتهوا مع الرجل حتى أوقفهم على الدار. فسألوا فإذا علي قد دخلها في السحر. فدخل عليه البهلول، فقام إليه علي وسلم عليه، وجعل البهلول يسأله عن مسائل.

وكتب البهلول مع سحنون إلى علي بن زياد: يأتيك رجل يطلب العلم لله.

فلما وصل سحنون أتاه علي إلى بيته بالموطأ. وقال والله لا سَمِعته علي إلا في بيتك. لأن أخي البهلول كتب إلي أنك ممن يطلب العلم لله.

وقد رأيت أنا هذه الحكاية مع غير سحنون، وفيها: ومات علي بن زياد والبهلول بن راشد سنة ثلاث وثمانين ومائة.

ويشتبه به رجل آخر من أكابر أصحاب مالك المصريين يكنى بكنيته ويسمى باسمه، وينتسب بنسبه وهو أبو الحسن علي بن زياد الإسكندراني سيأتي ذكره في طبقته إن شاء الله تعالى.

٣٠ - عبد الرحيم بن أشرس

قال أبو العرب: هو أنصاري من العرب من أهل تونس كنيته أبو مسعود ونسبه ولم يسمه(١).

وسماه المالكي العباس. وقالوا: هو مولى الأنصار. وقاله أبو سعيد بن يونس. وقال اسمه عبد الرحمن.

وكذلك قال ابن فهر، رجح المالكي أن اسمه العباس، قال: وهو ثقة فاضل(٢).

سمع من مالك بن أنس ومن ابن القاسم.

روى عنه عبد الرحمن حديث الموطأ.

قال: وقرأت في رجال ابن وهب، أبو الأشرس عبد الرحمن بن أشرس المغربي التونسي. ولعله أخ لأبي مسعود. وكان يكنى بأبي مسعود، وقد بين هذا ابن شعبان، فقال عنه أبو مسعود عبد الرحمن بن أشرس، ويقال عبد الرحيم.

قال سحنون: كان علي بن زياد خير أهل إفريقية في الضبط للعلم،

---

٣٠ - من مصادر ترجمته: رياض النفوس ١/ ٢٥٢، طبقات علماء إفريقية لأبي العرب - ص ٢٥٣.

(١) طبقات علماء إفريقية - ص٢٥٣.

(٢) رياض النفوس ١/ ٢٥٢.

وكان ابن أشرس أحفظ على الرواية، وكـان شديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1].

قال ابن يونس الصدفي: روى ابن أشرس عن مالك وعبد الله العمري.

وروى عنه ابن وهب، وسعيد بن تليد، ومهدي بن جعفر، وعمران بن هارون بمصر.

قـال مـوسى بن مـعاويـة: كنت عند البـهلول بن راشـد، إذا أتاه ابن أشرس، فقال له: ما أقدمك؟

قال: نازلة رجـل طلبه السلطان فـأخفيـته، وحلفت بالطـلاق ثلاثًا ما أخفيته.

قال له البهلول: مالك يقول: إنه يحنث في زوجته.

قال ابن أشـرس: وأنا سمعـته يقوله، وإنما أردت غـير هذا. فقـال ما عندي غير ما تسمع.

قال: فتردد إليه ثلاثا. كل ذلك يقول البهلول قوله الأول، فلما كان في الثالثة أو الرابعـة قال له: يا ابن أشرس! شر ما أنصـفتم الناس إذا أتوكم في نوازلهم، قلتم: قـال مالـك قال مـالك. فإذا نزلت بكـم النوازل طلبتم لهـا الرخص، الحسن يقول: لا حنث عليه.

فقال ابن أشرس: الله أكبر. قلدها الحسن أو كما قال.

قال القاضي: كذا نقلته من كتاب ابن حارث وأراه كان بخطه.

قال غيره فرجع ابن أشرس إلى زوجته. وكان هو صاحب المسألة.

---

(١) رياض النفوس ١/ ٢٥٢.

٣١ - البُهْلُول بن راشد

أبو عَمْرو من أهل القيروان.

قال محمد بن أحمد التميمي كان ثقة مجتهداً ورعًا مستجاب الدعوة لا شك في ذلك، كان عنده علم كثير.

سمع من مالك، والثوري، وعبد الرحمن بن زياد، ويونس بن زيد، وحنظلة بن أبي سفيان، وموسى بن عُلَيّ بن رَبَاح، والليث بن سعد، والحارث بن نَبْهان.

وكان أولاً مشغولاً بالعبادة، فلما احتاج الناس إليه في العلم، سمع الموطأ من علي بن زياد، وابن غانم، وسمع جامع سفيان الصغير من أبي الخطاب، وأبي خارجة، والجامع الكبير من علي بن زياد. ودون الناس عنه جامعًا، وقام بفتياهم.

ووسمع من البهلول: سَحْنُون، وعَوْن، والجُفْرِي[1] وعبد المتعال[2]، وخالد بن يزيد، وأبو سنان، ويحيى بن سلام وغيرهم من بعدهم.

قال أبو عبد الله الأجدابي[3]: وروى عن البهلول أيضًا عبد الله بن مسلمة القعنبي. وقال حدثنا البهلول بن راشد وهو وتد من أوتاد المغرب.

وروى عنه يزيد الفقير، ونظر إليه مالك بن أنس فقال: هذا عابد بلده.

---

٣١ - من مصادر ترجمته: الثقات لابن حبان ٨/ ١٥٢، الجرح والتعديل ٢/ ٤٢٩، رياض النفوس ١/ ٢٠٠، طبقات علماء إفريقية ص ٥٢، معالم الإيمان ١/ ٢٦٤.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «الجعفري» وصوابه من رياض النفوس ومعالم الإيمان.

(٢) تحرف في طبعة المغرب إلى: «المتعالي» وصوابه من معالم الإيمان.

(٣) تحرف في طبعة المغرب إلى: «الجدلي» وصوابه من رياض النفوس.

وجاءت إلى مالك من عند ابن غانم أقضية فقال ما قال فيها المصفر؟ يعني البهلول. وما قال فيها الفارسي؟ يعني عبد الله بن فروخ.

قال سعيد بن الحداد: ما كان بهذا البلد أحد أقوم بالسنة من البهلول في وقته، وسحنون في وقته.

قال أبو حاتم: هو ثقة لا بأس به.

وقال العقيلي: هو شيخ من أهل المغرب، ليس به بأس. وقال مثله علي بن المديني.

وقال أبو إسحاق البرقي: كان البهلول بن راشد من أهل الفضل والعلم والورع معروفًا بذلك مع العبادة والاجتهاد.

قال سحنون: كان البهلول رجلاً صالحًا ولم يكن عنده من الفقه ما عند غيره، وإنما اقتديت به في ترك السلام على أهل الأهواء.

ذكر فضائل البهلول وعبادته وورعه وتواضعه وشمائله وبقية أخباره

قال أبو إسحاق البرقي: قال البهلول بن عمر: ما رأيت أحدًا أخشى لله من البهلول بن راشد.

قال سحنون: كنا نختلف عند البهلول نتعلم منه السمت.

قال غيره. دفع إلى البهلول كتاب ففضه. فإذا فيه: من امرأة من سمرقند من خراسان مَجَنَتْ مُجُونًا لم يَمْجُنْه أحد إلا هي. ثم أنابت إلى الله، وسألت عن العبّاد في أرضه، فوصف لها أربعة بهلول بإفريقية أحدهم، فسألتك بالله يا بهلول ألا دعوت الله في أن يديم لي ما فتح لي فيه. فسقط

الكتاب من يده وخر على وجهه وجعل يبكي حتى لصق الكتاب بطين دموعه ثم قال: يا بهلول! سمرقند خراسان! الويل لك من الله إن لم يستر عليك[1].

قال سحنون: كان الذكر لرباح فلما مات، صار لبهلول. وما ذلك إلا من خبيئة كانت له.

ومرت امرأتان وهو يتفلي فقالت إحداهما للأخرى: هذا البهلول. فقالت لأن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. فقال البهلول هذه عرفتني[2].

وقال له رجل يومًا يا مرائي. فقال له البهلول: قد أخبرتها بذلك، يعني نفسه، فأبت علي ولم تقبل، فاجتمع عليها شهادتك وعلمي.

وكان عند البهلول طعام، فغلا السعر فباعه ثم أمر أن يشترى له ربع نصف قفيز، فقيل له في ذلك، فقال نفرح إذا فرح الناس ونحزن إذا حزنوا[3].

قال جماعة: إن البهلول مضى مرة يريد الجامع، فلما حاذى قصر الإمارة إذا خدم السلطان قد خرجوا من المطبخ يحملون القدور، فقالوا له: تقدم. ووضعوا لوحًا عليه قدور على رأسه، فلما رآه الناس قاموا من كل ناحية فأرادوا البطش به[4]، فاعتذروا بأنهم لم يعرفوه. فقال: أنا فعلته بنفسي ولا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه. فكان بعد لا ينصرف إلا بثياب حسنة.

---

(١) رياض النفوس ١/ ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) رياض النفوس ١/ ٢١٠.

(٣) معالم الإيمان ١/ ٢٦٦.

(٤) في المطبوع: «بهم».

قال بعضهم: رأيت البهلول منصرفًا إلى داره وعليه قلنسوة خز وساج طرازي، وقميص تستري ونعل طائفي.

قال عون: صنع البهلول طعامًا وأحضر له جماعة من أصحابه، فقالوا له لم صنعته لغير سبب؟ فقال كنت خائفًا أن أكون من البربر، لما جاء فيهم من الحديث، فأخبرني من يعلم، أني لست منهم(١).

وكان البهلول جوادًا، فبلغني أنه كان لا يحبس فوق خمسمائة درهم.

قال ابن الحداد: أخبرتني أمي قالت: وجهت إلى بهلول وأنا طفلة، فلما رآني قال تبارك الله. نزع بها الشبه ثم وهب لي مائة درهم.

وقالت جاريته أقمت مع البهلول ثلاثين سنة فما رأيته نزع ثوبه قط عن جسده. ولا رأيته مصليًا نافلة قط. كان يأتي فيرقدني كما ترقد الأم ابنها، ثم يدخل المستراح فيتهيأ للصلاة، ثم يصعد لغرفته فيغلقها عليه، ولا أدري أحي هو أم ميت غير أني كنت ربما أسمع سقطته في آخر الليل، فأظن أنه استثقل نومًا فسقط.

وذكر أنه كان عنده شاب يطلب ثم أقبل على المجانة، فبلغ ذلك البهلول، فساءه، فبينما هو جالس يومًا إذ خطر بباله الشباب وتحته طنبور فعرف ذلك البهلول، فتأمله، ثم قال: لعله ذهب ليكسره.

فلما كان بعد ذلك، ذهب البهلول إلى داره فاستدعاه فسلم عليه وسأله عن الذي شغله عنه، وأقبل يعظه حتى رجع الفتى إلى الخير، وترك ما كان عليه ولازم البهلول ونفعه الله به فكان له شأن.

قال أبو عثمان بن الحداد بلغني أن بهلولاً كان ذات يوم جالسًا وعنده

---

(١) معالم الإيمان ١/ ٢٧٣.

صاحبه رباح[1] بن يزيد الزاهد، إذ أقبل أخ للبهلول في البادية فجعل يلهج بخبر المطر والزرع والبهلول يتقلى ويتلون اغتمامًا لرباح، لعلمه بكراهيته ذكر الدنيا وأسبابها فلما أكثر أخوه من هذا نهض وجعل يقول لبهلول: سقطت من عيني، تذكر الدنيا في مجلسك ولا تغير.

فقال له البهلول: إذا لم أسقط من عين الله فلا أبالي من عين من سقطت.

فخر رباح[1] على رأسه يقبله. نعم يا حبيبي يا بهلول لا تبالي من عين من سقطت، إذا لم تسقط من عين الله.

ودخل بهلول على ابن غانم القاضي وقت المغرب في رمضان، فقرب الماء ليغسل من حضر فغسلوا وغسل بهلول، ولم يأكل، فكلمه في ذلك ابن غانم القاضي وقال: أنا سلطان؟ طعامي حرام؟ ألست بصائم؟ فجعل البهلول يعتذر إليه ويقول: طعام لا أجد في بيتي مثله، وإن تكلفت شق علي، وأنا أكره أن أتكلف ما يشق علي.

وابن غانم يبدي ويعيد كلامه الأول، والبهلول يعتذر ولا يزيد على قوله الأول، حتى فرغ القوم وخرجوا وخرج البهلول.

وذكر ابن اللباد أن رجلاً سأل بهلولاً عن مسألة، فأجابه فيها، ثم قال له: اذهب إلى الفارسي يعني ابن فروخ فسله، فذهب إليه فسأله، فأجاب بمثل قول بهلول، فانصرف إلى بهلول فسأله أيضًا، فقال ألم أدلك على ابن فروخ؟ قال بلى. وقد أجابني. قال بهلول فما لك تفضل بعض الناس على بعض؟ يريد نفسه. والله لو كانت للذنوب رائحة ما جلست إلي ولا جلست إليك. وقال: ابن فروخ الدرهم الجيد، وأنا الدرهم الستوق.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «رياح» وقد علقنا عليه فيما سبق.

قال بهلول لقيت رباح بن يزيد ببئر زمزم، ومعه خراساني وقد نزعا ماء من بئر زمرم فجعلاه في سويق فنظرته فإذا هو عسل. فقالا لا تخبر بما رأيت. فما فعلت حتى مات.

قال ابن الحداد: كان لقوم من النخاسين عشرون ديناراً عند البهلول وكان له عشرون ديناراً عند دحنون فجاءه سائل فقال لدحنون ادفع إليه ديناراً من العشرين فدفعه.

وجاءه النخاسون فقالوا حضر فقال: حضر تسعة عشر، وأمر دحنون بعدها لهم فوجد عشرين ديناراً[1].

فقال لدحنون لا إله إلا الله. أراك لا تحسن العدد.

قال سليمان بن سالم: جاء مُعَتِّب بن رباح[2] إلى البهلول فأخبره بعزمه على الحج، فقال له أما كنت حججت؟ فقال: نعم. ولكني اشتقت إلى بيت الله الحرام وقبر النبي ﷺ.

فقال: كم أعددت لخروجك؟ فقال مائة درهم. فقال هل لك أن تأتيني بها فأصرفها في مواضع، وأضمن لك على الله عشر حجج مقبولة. فأتى معتب بالصرة فأفرغها [البهلول] تحت جلد [كان قاعداً عليه] وجلس معه. فلم يزل يدفع منها الخمسة والعشرة يقول لهذا تزوج بها وعش بالباقي، ولهذا أنفقها على عيالك، والآخر استر وجهك بها. حتى نفدت[3].

---

(١) رياض النفوس ١/٢٠٧.

(٢) تحرف في طبعة المغرب إلى: «مغيث بن رياح» وصوابه من رياض النفوس ١/٢٠٨.

(٣) رياض النفوس ١/٢٠٨ وما بين حاصرتين منه.

فرأى بعد ذلك رجل صالح أنه أتاه آت في تلك الليلة، يقول له: امض إلى معتب فأخبره أن الله قد وفاه ضمان بهلول. فأخبره بذلك الرجل[1].

قال أبو زَرْجونَة استُعْقِبْت ليلة جمعة وضربت بمقرعة[2] فأخبرت بذلك البهلول من الغد فأكب علي يسألني أن اجعل من فعل ذلك في حل. فقلت فعلوا بي وفعلوا وأجعلهم في حِلّ؟. فقال: أَيَسُرُّكَ أن يُحال بين أخيك المسلم وبين الجنة بسببك؟ فلم يزل بي حتى جعلتهم في حل[3].

قال: وأقبل هرثمة بن أعين أمير إفريقية في موكبه، حتى انتهى إلى مسجد البهلول بن راشد، وبهلول مسند ظهره إلى عمود بإزاء باب المسجد، فانحنى هرثمة في السرج، وقال لبعض من معه ادفع إليه هذا المزود بالدراهم وقل له: قال لك الأمير: فرقها.

فجاء إليه الرسول فقال له البهلول: الأمير أقوى على تفريقها.

قال سحنون: سأل رجل البهلول وأنا عنده عن مسألة، فأجابه بخطأ، فقلت له في ذلك، فقال: ألا ترى إلى هؤلاء الأحداث يؤذوننا.

وكنت إذا اجتمع لي قطعة خرجت إلى علي بن زياد فخرجت إليه، فبينما أنا عنده جاءه كتاب البهلول فرمى به إلي، فقلت: هذه مسألة اختلف فيها عندنا. فقال لي: ما قالوا؟ قلت: قال البهلول كذا. قال ومن نازعه؟ فقلت: أنا قلت فيها كذا. قال أصبت وأخطأ. اكتب إليه بهذا عني. ثم قال لي: الزم هذا الرجل فإنه صالح.

---

(١) رياض النفوس ١/ ٢٠٨ - ٢٠٩.

(٢) في طبعة المغرب: «استغفيت» والمثبت من معالم الإيمان ١/ ٢٦٧.

(٣) معالم الإيمان ١/ ٢٦٧.

وقال ابن الحداد عن أبيه: كان البـهلول من أغير الناس، ما كان يدخل داره رجل غيري.

قال بعض أصـحابه: دخلت علـيه وبين يديه ابنتـه طفلة وعليهـا ثياب مصبوغة، قال: فقال لي: ما أحبـبت شيئًا حبي لها، وإني لأحب لو قدمتها لربي.

فانصـرفت عنه ثم رجـعت إليه، فوجـدت الناس مجـتمـعين على بابه فسألت، فقيل لي: ماتت ابنته.

فدخلت إليه فعزيته فلما وليت لحقني وقال: بالله لا تذكر ما كان مني، يعني أمنيته، يعني ما دمت حيًا.

قال زكريا بن الحكم قلت للبهلول يا أبا عَـمْرو! وهذه القراءة التي تقرأ عنك أشيء رويته عن السلف أم شيء رأيته؟

فقال: مـا أخذته عن أحد، إلا أني كنت عند معلمي أخيط فـيمر علي مسافر بن سليمان الواعظ بالجامع والقـراء يقرءون عليه، فأقف إليه وأستحلي ذلك، ثم حاسبت نفسي وقلت: أنا مستأجر، فصرت آخذ من معلمي طريحة معلومـة، فإذا فرغت منها مـضيت إلى مجلسـه، فانتفعت به وبقـيت حلاوة ذلك في قلبي ومنفـعتها إلـى الآن، ثم قال وهؤلاء القراء إن أتوني سـمعت منهم، وإن غابوا لم أرسل فيهم.

وذكر رجل لبهلول أنه رأى الشمس والقمر دخلا جوفه فأفتاه بهلول بأنه يموت وتلا: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ۝١٠﴾ [القيامة].

ذكر تسننه ومجانبته أهل الأهواء

وموالاته ومعاداته في الله

وخرج بهلول يومًا على أصحابه وقد غطى خنصره بيده، وكان أهله قد سألوه حاجة، فربط في خنصره خيطًا ليذكرها، ثم قال: خفت أن أكون ابتدعت فغطى أصبعه لئلا يراه أحد فيقتدي به. ثم وجه بعض أصحابه، وأسرّ إليه الأمر، يسأل له ابن فروخ صاحبه عن ذلك، فجاءه فأخبره عنه أن عبد الله بن عمر كان يفعل ذلك، فنحى بهلول كفه عن خنصره: وقال الحمد لله الذي لم يجعلني ممن ابتدع بدعة في الإسلام.

قال ابن الحداد: قال لي أبو سنان ربما سمعت بهلولاً في داركم وهو يهدر ويقول السنة السنة، ويلح بها.

قال سحنون: أتيت يومًا إلى البهلول فوافاني رجل من أهل الأهواء على بابه فسألني عن الشيخ، فلم أرد عليه جوابًا، والشيخ يسمع. فلما دخلت سلمت عليه، فلم يرد علي وأعرض عني، فلما خرج الناس جثوت بين يديه وقلت له ما قصتي؟ فقال سلم عليك رجل من أهل الأهواء وسألك عني. فقلت له: والله ما رددت عليه جوابًا.

فقال مرحبًا وأهلاً. وسلم علي. ثم قال لي بهذا يعرف الحق من الباطل.

قال ابن الحداد: وأتى أبو محرز العراقي الفقيه إلى البهلول يعوده فقيل ذلك البهلول، فقال: قولوا له إن كنت على رأيك فلا تقربنا.

وقال سحنون: ما اقتديت في ترك السلام على أهل الأهواء إلا بالبهلول.

قال بعضهم: دفع بهلول إلى بعض أصحابه دينارين ليشتري له بهما زيتًا يستعذبه، له، فذكر للرجل أن عند نصراني زيتًا أعذب ما يوجد. فانطلق إليه الرجل بالدينارين، فأخبر النصراني أنه يريد زيتًا عذبًا للبهلول.

فقال النصراني نتقرب إلى الله ببهلول كما تتقربون أنتم به إليه، وأعطاه بالدينارين من ذلك الزيت ما يعطى بأربعة دنانير من دنيء الزيت. ثم أقبل إلى بهلول فأخبره الخبر، فقال له بهلول: قضيت حاجة فاقض لي أخرى، رد علي الدينارين. فقلت: ولم؟ قال ذكرت قول الله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة]. فخشيت ان آكل زيت النصراني فأجد له في قلبي مودة فأكون ممن حاد الله ورسوله على عرض من الدنيا يسير.

ذكر محنته ووفاته

قال القاضي رحمه الله: امتحن البهلول على يد العكي أمير القيروان، وقيل له: إنه يقع في سلطانك، وضعف عنده أمره. فأمر به، فتحاشد الناس معه، فزاده ذلك حنقًا عليه، وأخرج إليهم الأجناد ففضوهم، وأمر بتجريده وضربه بالسياط، ورمى عليه جماعة أنفسهم، فضربوا، وضرب هو نحو العشرين وحبسه[1].

وكان عندما هم به وسيق، لقيه قوم متمثلون فشاوروه في القيام عليه وتخليصه فجعل يقول لا...لا.

قال بعضهم كنا في غزاة مع بعض الخلفاء وكنا معه من أهل الثغور اثني عشر ألفًا وكان يقضي لنا كل يوم حاجتين، فلما بلغنا ضرب العكي لبهلول،

(١) رياض النفوس ١/ ٢١٣.

اختل العسكر، وتقدمنا إلى باب الخليفة فسألنا حاجبه[1]، فقلنا قد جعلنا حوائجنا نصرة للبهلول، بلغنا أن العكي ضربه. فقال الحاجب: اتقوا الله في دم العكي، إن بلغ هذا الخليفة قتله، وكيف يضرب البهلول إلا أن يكون أهل إفريقية ارتدوا.

وكان مما حرك عليه العكي، أنه كان يهادي ملك الروم فوجه إليه الطاغية في سلاح وحديد ونحاس، فلما أراد توجيه ذلك إليه، عارضه في ذلك بهلول ووعظه فيه إذ لا يجوز له ذلك.

قال أبو زرجونة كنت عند بهلول بعد ضربه إذ سمعت بكاء رجل داخل من الباب فإذا ابن فروخ فجلس أمامه، يبكى. فقال له بهلول: ما أبكاك يا أبا محمد؟ قال أبكي لظهر ضرب بغير حق. فقال قضاء[2] وقدر[3].

وندم العكي بعد ذلك، وقال لابن غانم هل تستطيع أن تُرِيَنيه؟ فقال أما على أن يأتيك فلا ولكن استدعيه أنا واستشرف أنت من حيث تراه، ففعل. فلما بصر به جعل يقول تبارك الله كأنه سفيان الثوري في شأنه.

فعن قريب عزل العكي أسوأ عزل وولي تمام بن تميم.

وحكي أنه لما مدت رجلاه للقيد، قال: إن هذا الضرب من البلاء الذي لم أسأل الله العافية منه قط[4].

---

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «فسألنا حاجة» وصوابه من رياض النفوس.

(٢) في طبعة المغرب: «قضى» والمثبت من رياض النفوس.

(٣) رياض النفوس ١/ ٢١٣.

(٤) الخبر فيه تحريف وسقط في طبعة المغرب، وقد اعتمدنا في تكملته وتصويبه على ما ورد لدى المالكي في رياض النفوس ١/ ٢١٢.

وأتاه السجان في سجن العكي فعالجه فوهب إليه ديناراً وأعطى لمن معه دراهم، فعل بهم هذا ثلاثة أيام. كلما دخلوا عليه أعطاهم. فخاف أصحابه حاجته قبل خروجه فقالوا للسجان قد برىء فلا تعاودوه.

فلما استبطأه بهلول سأل عنه أصحابه، وكأنه فطن لهم، فقالوا له: لكل يوم دينار؟ فقال وما في ذلك؟ فقال له حفص بن عمارة من أصحابه سمعت الثوري يقول: إذا كمل صدق الصادق لم يملك ما في يديه.

فخرّ البهلول على يديه يقبلهما ويقول سألتك بالله أنت سمعتها منه؟ وبرىء الضرب الذي ضرب، إلا أثر سوط واحد، تنغل فصار قرحة، فكان سبب موته منها رحمه الله.

قال البهلول: أقمت ثلاثين سنة أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم. . . . إلخ فنسيتها يومي مع العكي، فابتليت [به[1]].

وذكر أن العكي وجه إلينا بثياب وكيس فلم يقبل ذلك منه. فلما أبى سأله أن يحلله فقال له: ما وقع علي سوط إلا وأنا أستغفر لك يا بائس.

وفي رواية ما حللت يدي من العقالين حتى جعلتك في حل.

وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائة.

قال سحنون: بعد علي بن زياد بخمسة وثلاثين يومًا، كذا قال غير واحد.

وقال فرات: سنة اثنتين وثمانين، وومولده مع عبد الله بن غانم في ليلة واحدة، سنة ثمان وعشرين ومائة[2].

(١) رياض النفوس ١/ ٢١٣ وما بين حاصرتين منه.

(٢) معالم الإيمان ١/ ٢٧٨.

٣٢ - أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي

فقيه القيروان في وقته.

ذكر أبو بكر المالكي في كتاب رياض النفوس: أن مولده بالأندلس سنة خمس عشرة ومائة، ثم انتقل إلى إفريقية، فسكن القيروان وأوطنها، ونحو ذلك ذكر سليمان بن عمران، فيما حكاه عنه ابن الجزار، في كتاب التعريف.

قال القاضي: وإن اسمه كان بالأندلس عبدوسًا، وإن رجلاً ناداه به في الجامع يعني بالقيروان ممن كان يعرفه به، فقال له أناشدك الله أن تذكرني في هذا البلد. ثم رحل إلى المشرق فلقي جماعة من العلماء والمحدثين كزكريا بن أبي زائدة، وهشام بن حسان، وعبد الملك بن جريج، والأعمش، والثوري، ومالك بن أنس، وأبي حنيفة وغيرهم. فسمع منهم وتفقه بهم.

قال أبو بكر: وكان اعتماده في الحديث والفقه على مالك بن أنس. وبصحبته أشتهر، وبه تفقه، لكنه كان يميل إلى النظر والاستدلال، فربما مال إلى قول أهل العراق فيما تبين له منه الصواب. ثم انصرف إلى إفريقية فأقام بالقيروان يعلم الناس العلم ويحدثهم فانتفع به خلق، ثم رحل ثانية، وأتى مصر فمات بها كما سنذكره.

قال ابن الجزار في كتاب طبقات القضاة: كان ابن فروخ فقيهًا ورعًا، رحل في طلب العلم، وكان يكاتب مالك بن أنس في المسائل ويجاوبه مالك، إلا أن سحنون كان يقول فيه: لا ينص الأصول، كان يسأل في المسألة فيجيب فيها بالأقاويل المختلفة.

---

٣٢ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/ ٧٣٥ وبحواشيه ثبت واف بمصادر الترجمة.

الثناء عليه بالعلم والعقل والدين

قال ابو بكر: كان رجلاً صالحًا فاضلاً متواضعًا قليل الهيبة للملوك لا يخاف في الله لومة لائم، مباينًا لأهل البدع حافظًا للحديث والفقه.

قال أبو العرب: كان ممن رحل في طلب العلم فلقي مالكًا وسفيان الثوري وغيرهما، وكان يكاتب مالكًا فيجيبه عن مسائله، وكان ثقة في حديثه. واستعفى من القضاء.

قال ابن أبي مريم: هو أَرْضَى أهل الأرض عندي.

وقد خرج له مسلم في صحيحه.

وقال البخاري: عبد الله بن فروخ، سمع منه ابن أبي مريم، تعرف وتنكر، خراساني وقع بالمغرب.

قال عبد الله بن وهب: قدم إلينا ابن فروخ سنة ست وتسعين بعد موت الليث بن سعد، فرجونا أن يكون خلفًا منه. فما لبث إلا يسيرًا حتى مات. وجعلت على نفسي ألا أحضر جنازة إلا وقفت على قبره، أدعو له.

قال المالكي: كانت لوفاته بمصر فجعة عظيمة، عند أهل العلم، وقالوا: طمعنا أن يكون خلفًا عن الليث، وكانوا يعظمونه ويعتقدون إمامته. قال: وكان مالك بن أنس يكرمه ويعظمه.

وحكى الطحاوي أن ابن فروخ قدم المدينة فلبس ثيابه، وأتى قبر النبي ﷺ، ثم أتى مالكًا فلما رآه مالك تلقاه بالسلام: وقام إليه، وكان لا يكاد يفعل ذلك بكثير من الناس، وكان لمالك موضع من مجلسه يقعد فيه، وإلى جانبه المخزومي، معروف له، لا يستدعي مالك أحدًا للقعود فيه، فأقعده فيه وسأله عن أحواله ومتى كان قدومه، فأعلمه أنه في الوقت الذي أتى إليه.

فقال له مالك: صدقت، لو تقدم قدومك لعلمت به ولأتيتك، وجعل مالك لا ترد عليه مسألة وعبد الله حاضر إلا قال: أجب يا أبا محمد. فيجيب. ثم يقول مالك: هو كما قال. ثم التفت مالك إلى أصحابه، فقال: هذا فقيه المغرب.

وفي خبر آخر، إنه أتى مالكًا فأجلسه معه على دكان. فأتاه سائل من أهل المغرب بمسائل في الجنايات فقرئت عليه، فقال له مالك: أجبهم يا أبا محمد فهم أهل بلدك.

فقال له ابن فروخ: بحضرتك؟ قال: نعم. عزمت عليك.

وكانت المسألة: رجل ضرب على رأسه وعلى حقويه فذهب أم رأسه، وزال عقله وبصره وسمعه وأسنانه واسترخت انثياه، حتى بلغت ركبتيه. فقال له ابن فروخ: في السمع الدية، وكذلك في البصر والعقل والأسنان، ويقعد في إِجَّانة فيها ماء بارد في ليلة باردة. فإن تقلصت أنثياه وعادتا إلى حالهما فلا شيء عليه، وإلا ففيهما الدية كاملة. وإن تقلصت إحداهما فنصف الدية.

فقال السائل لمالك: أهذا جوابك يا أبا عبد الله؟ قال: هذا جوابي. وقد حدث ابن فروخ بهذه الحكاية عنه وعن مالك.

قال أبو العرب، عن أبي عثمان المعافري: أتيت إلى مالك بمسائل من ابن غانم، فقال لي: ما قال فيها المصفر؟ يعني البهلول بن راشد. وما قال فيها الفارسي؟ يعني ابن فروخ. ثم كتب الأجوبة وكتب في آخر الكتاب ودين الله يسر إذا أقيمت حدوده.

قال ابن حارث: وسؤال مالك عن كلامه، وكلام البهلول في المسألة يدل على أنه علم أنهما صاحبا فتوى القيروان في زمنه. ولم يسأل عن كلام

ابن زياد وابن أشرس لأنهما لم يكونا بالقيروان كانا بتونس، مع مناظرة ابن غانم علي بن زياد وابن أشرس لأنهما لم يكونا بالقيروان كانا بتونس، مع مناظرة ابن غانم علي بن زياد.

وكان البهلول بن راشد، يعظم ابن فروخ ويقلده فيما نزل به من أمور الديانة، ويذكر أنه ناظر زفر بن الهذيل في مجلس أبي حنيفة، فازدراه زفر للمغربية، فلم يزل به ابن فروخ حتى قطعه. فقال أبو حنيفة لزفر: لا خفف الله ما بك.

ذكر زهده وعبادته وورعه وقيامه بالحق

قال ابن قادم: كان ابن فروخ كثير التهجد بالليل، وكان تهجده آخر الليل.

وقال أحمد بن يزيد: كان عبد الله بن فروخ إذا أخذ الجند أعطياتهم أغلق حانوته، تلك الأيام حتى يذهب ما في أيديهم.

قال ابن قادم: كان الناس يتبركون بصحبة ابن فروخ ويجلسون له على طريقه إذا خرج من داره، ويمشون معه، ويغتنمون منه دعوة وموعظة، حتى يأتي الجامع، فإذا وصل الجامع تشاغل بمسح رجليه خارج المسجد، وقال لمن معه: ادخلوا رحمكم الله. فلا يدخل حتى لا يبقى معه أحد.

وحدث الأجدابي[1]: إن روح بن حاتم أرسل إلى ابن فروخ ليوليه القضاء، فلما جاءه قال له: بلغني أنك ترى الخروج علينا. قال نعم. فعظم ذلك على روح، ثم قال ابن فروخ: وذلك مع ثلاثمائة وسبعة عشر، عدة أصحاب بدر، كلهم أفضل مني. فقال روح: أَمِنّاك أن تخرج علينا أبدًا.

(١) تحرف في طبعة المغرب: «الجدلي».

ثم عرض عليه القضاء، فامتنع، فأقعده في الجامع وأمر الخصوم يكلمونه، وجعل يبكي ويقول لهم: ارحموني رحمكم الله.

وذكر غيره: أنه لما امتنع، أمر به أن يربط ويصعد به على سقف الجامع، فقال: تقبل. فقال: لا. فأخذ ليطرح. فلما رأى العزم، قال: قبلت.

فأجلس في الجامع ومعه حرس، فتقدم إليه خصمان فنظر إليهما وبكى طويلاً، ثم رفع رأسه، فقال لهما: سألتكما الله إلا أعفيتماني من أنفسكما، ولا تكونا أول مشومين عليَّ، فرحماه وقاما عنه. فأعلم الحرس بذلك روحًا فقال: اذهبوا إليه. فقولوا له: تشير علينا من نولي، أو فاقبل. فقال: إن يكن، فعبد الله بن غانم. فإني رأيته شابًا له صيانة. يعني بمسائل القضاء فعليكم به، فإنه يعرف مقدار القضاء. فولي ابن غانم، فكان ابن غانم يشاوره في كثير من أموره وأحكامه، فأشفق ابن فروخ من ذلك، وقال له: يا ابن أخي، لم أقبلها أميرًا، أقبلها وزيرًا.

فألح عليه ابن غانم، وشدد عليه، فلما رأى ذلك ابن فروخ، خرج إلى مصر هربًا من ذلك وورعًا. فمات بها.

وكان أكره الناس في القضاء وكان يقول: قلت لأبي حنيفة، ما منعك أن تلي القضاء؟ فقال لي: يا ابن فروخ، إن القضاة ثلاثة، رجل يحسن العوم فأخذ البحر طولاً فما عساه يعود، يوشك أن يكل فيغرق، ورجل لا بأس بعومه، عام يسيرًا فغرق، ورجل لا يحسن العوم، ألقى بنفسه على الماء فغرق من ساعته.

قال سحنون: اختلف ابن غانم وابن فروخ في الرجل يوليه أمير غير عدل القضاء، فأجاز ابن غانم له أن يلبي، وأباه ابن فروخ، وكتبا بذلك إلى

مالك. فلما قـرأ مالك الكتاب قال للرسول: ولي ابن غـانم؟ قال نعم. قال مالك: إنا لله وإنا إليه راجعون، فَألا هرب؟ فألا فرّ حتى تقطع يداه؟ أصاب الفارسي وأخطأ الذي يزعم أنه عربي.

وسأله يزيد بن حاتم الأمير عن دم البراغيث في الثوب هل تجوز الصلاة به؟ فقال له: ما أرى بأسًا. ثم قال بمحضر رسوله: يسألونني عن دم البراغيث ولا يسألونني عن دماء المسلمين التي تسفك!

وخرج مرة يصلي على جنازة، فإذا بإسحاق بن الأمير يزيد بن حاتم قد أغرى كلابه بظبي، يضربها بذلك، فلما انصـرف استوقفه، وقال له: يا فتى! رأيتك الآن تفعل كـذا وكذا، وما أحـسب ذلك لك، لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك. فقبل منه إسحاق وقال صدقت يـا أبا محمد جزاك الله خيرًا، والله لا فعلت ذلك بعدها أبدًا.

قال ابن قادم: كان ابن فروخ ربما غـسل الأموات ولا يولي ذلك غيره، ويحملها إلى قبرها.

ذكر رحلته وطلبه

ذكر المالكي عنه، أنه رحل قـديمًا فلقي الشيوخ والفقـهاء، قال: وهناك سمع من أبي حنيفة مسائل كثيرة مدونة. يقال إنها نحو عشرة آلاف مسألة.

قال: لقي مالكًا وتفـقه عنده وسمع منه. وأما خبره المتـقدم مع مالك، فإنما كان في سفرته الثانية، بعد خروجه من القيروان.

وذكر أنه قـال: سقطت آجـرة من أعلى دار أبي حنيفـة وأنا عنده على رأسي فدمي. فـقال: اختـر الأرش أو ثلاثمائة ألف حديث. فـقلت الحديث فحدثني.

قال: ولما أتيت الكوفة وأكثر أملي السماع من الأعمش، فسألت عنه، فقيل لي: غضب على أصحاب الحديث، فحلف أن لا يسمعهم مدة.

فكنت اختلف إلى باب داره لعلي أصل إليه، إذ فتحت يومًا بابه وخرجت منه جارية، فقالت لي ما بالك على بابنا؟ فأعلمتها بخبري. قالت وأين بلدك؟ قلت إفريقية. فانشرحت إلي وقالت تعرف القيروان؟ قلت أنا من أهلها. قالت تعرف دار ابن فروخ؟ قلت: أنا. فتأملتني، ثم قالت: عبد الله؟ قلت نعم. وإذا هي جارية لنا بعناها صغيرة، فصارت إلى الأعمش، وقالت له: مولاي الذي كنت أخبرك بخبره بالباب. فأمر بإدخالي فدخلت، وأسكنني بيتًا قبالة بيته، فسمعت منه وحدثني.

ذكر تسننه واتباعه وبقية أخباره

قال أبو العرب: كان ابن فروخ كتب إلى مالك يخبره أن بلدنا كثير البدع، وأنه ألف لهم كتابًا في الرد عليهم.

فكتب إليه مالك يقول له: إن ظننت ذلك بنفسك خفت أن تزل وتهلك، لا يرد عليهم إلا من كان ضابطًا عارفًا بما يقول لهم، لا يقدرون أن يعوجوا عليه فهذا لا بأس.

وأما غير ذلك فإنني أخاف أن يكلمهم فيخطىء، فيمضوا على خطاه، أو يظفروا منه بشيء، فيطغوا ويزدادوا تماديًا على ذلك.

قال محمد بن سحنون: كانت المعتزلة تدعي ابن فروخ عندنا. فأخبرني بعض أصحاب أبي، وكان صحب أبا خارجة. قال: نزل بنا أبو خارجة فسألته عن ابن فروخ وما يرمي به. فقال من قال هذا؟ فو الله الذي لا إله إلا هو، ما رأيت بهذين العينين شابًا أعبد لله من ابن فروخ.

ثم قال: والله لقد كنت معه حتى سئل عن المعتزلة، فقال للسائل: وما سؤالك عن المعتزلة؟ فعلى المعتزلة لعنة الله قبل يوم الدين، وفي يوم الدين، وبعد يوم الدين، وفي طول دهر الداهرين.

فقال له: وفيهم قوم صالحون! فقال ويحك، وهل فيهم رجل صالح؟

قال سحنون: مات رجل من أصحاب البهلول، فحضر هو وابن غانم وابن فروخ فصلوا عليه وجيء بجنازة ابن صخر المعتزلي، فقالوا لابن غانم الجنازة. فقال: كل حي ميت. قدموا دابتي. وقيل لابن فروخ مثل ذلك. فقال مثله. وقيل للبهلول مثل ذلك، فقال مثله. وانصرفوا ولم يصلوا عليه. فكان ذلك مما عرف لابن فروخ.

وكان قبل هذا يرى الخروج على أئمة الجور، إذا اجتمع ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر عدة أهل بدر. فلما خرج إلى مصر وشيعه الناس التفت إلى من شيعه، فقال اشهدوا أني رجعت عما كنت أقول به من الخروج على أئمة الجور، وتائب إلى الله منه.

وكان قد تواعد مع قوم أيام العكي للخروج عليهن وكان العكي رجل سوء، وأن يكون اجتماعهم بباب تونس، فذهب ابن فروخ لمكان الموعد وتخلفوا، فلم يوافه منهم إلا محمد بن منوتا، من المدنيين وابن محرز القاضي من العراقيين، فرجع.

قال سحنون: ذهبت مع أخي حبيب، وكان يسمع من ابن فروخ، فلما رأيته يمازح الطلبة حوله، مجه قلبي.

وذكر أن رجلاً دعاه فأطعمه وسقاه نبيذاً، وكان يرى فيه رأي أهل العراق فشربه واحمر وجهه، فقال له الذي دعاه: ألم تحدثنا أن الحسنات تتناثر

من وجه الرجل إذا احمر وجهه من النبيـذ؟ فقال له ابن فروخ: قد كنا أغنياء عن طعامك.

وفاته

توفي رحـمه الله تعـالى بمصر إثر منصـرفه من الحج، في سنة خـمس وسبعين ومائة، ودفن بالمقطم.

قال عبد الله بن وهب: قدم علينـا ابن فروخ سنة ست وسبعين ومائة، وهو ابن خمس وخـمسين سنة، وقيل ابن ستين سنة. وكـان يخضب بالحناء فما لبث إلا يسيراً حتى مات رحمه الله تعالى.

* * *

obeikandl.com

٣٣ - سعيد بن عُبْدُوس

من أهل طليطلة يعرف بالجُدَيّ مصغرًا، لقي مالكًا فسمع منه الموطأ وكان مفتي بلده في وقته، وسمع منه.

وأبوه عبدوس مولى هشام بن الحكم عتاقة. وقيل مولى الحكم. توفي سنة ثمانين ومائة، من كتاب ابن الفرضي.

وقال ابن حارث: ذكر لي إسحاق بن إبراهيم، أنه كان من أهل الفقه والعلم، وكان مفتي البلد، وولي قضاء طليطلة، وأن أباه عبدوسًا كان دايًا للأمير الحكم، وهو الذي أعتقه، وكان تقيًا فاضلاً، وعلى يديه تم أمر أهل طليطلة وسلمهم مع الحكم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: هذا الذي ذكر هؤلاء في عتقه، والصحيح أنه من عتاقه عبد الرحمن بن معاوية، وعقد عتقه كان موجودًا بطليطلة، وهو الذي أجار يحيى بن يحيى عند فراره من قرطبة، في محنة أهل الربض، ومنعه من الحكم ابن هشام حتى أمنه واعتذر إليه.

قال ابن وضاح لقيته بطليطلة.

٣٤ - الغازي بن قيس

من أهل قرطبة. أموي يكنى أبا محمد. رحل قديمًا فسمع من مالك الموطأ، وسمع من ابن أبي ذئب، وابن جريج، والأوزاعي، وثور بن يزيد،

---

٣٣ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم فقهاء المالكية ١/ ٥٣٠ وبحواشيه ثبت واف بمصادر ترجمته.

٣٤ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم فقهاء المالكية ٢/ ٩٢١ وما بحواشيه من مصادر.

ومحمد بن وَرْدان، وهو أول من أدخل موطأ مالك وقراءة نافع الأندلس فيما قاله أبو عمرو المقرىء.

قال: وشهد مالكًا وهو يـؤلف الموطأ وقرأ القرآن على نافع بن أبي نعيم قارئ المدينة، وكان يحـفظ الموطأ ظاهرًا، وانصرف إلى الأندلس بعلم عظيم، نفع الله به أهلها.

وكان الغازي يقدم أو يؤخر فيرد عليه ذلك.

وقصـد قارئ يـومًا أن يقـدم من أبواب الموطأ ويؤخرها، ليـرى الناس حفظ الغازي فأنكر ذلك عليه، وقال إن عدت، لا تقرأ علي إنما تريد أن تري الناس ما تكن، يريد حفظه.

روى عنه ابنه، وابن حبيب، وأصبغ بن خليل، وعثمان بن أيوب.

وقيل: إنه عرض عليه القضاء فأبى.

قال أصبغ: سمـعته يقول: والله ما كذبت منذ اغـتسلت ولولا أن عمر ابن عبـد العزيز قاله ما قلـته، وما قاله عـمر فخرًا، ولا رياء، ومـا قاله إلا ليقتدى به.

وشاوره المصعب بن عمران القاضي عند موت صعصعة بن سلام.

وأدب بقرطبة قبل رحلته، وكان إمام الناس بها في القراءة.

قال أبو عَمْرو المقرىء: وكان جيدًا فاضلاً عالمًا أديبًا ثقة مأمونًا.

قال أحمد بن عبـد البر: كان عاقلاً نبيلاً يروي حديثًا كثـيرًا ويتفقه في المسائل، رأسًا في علم القـرآن، متهجدًا بالقرآن كثـير الصلاة بالليل، وتوفي فيها قبل سنة تسع وتسعين ومائة.

وروي عنه أنه كان يقول: ما من يوم يأتي إلا ويقول: أنا خلق جديد، وعلى ما يفعل بي شهيد، خذوا قبل أن أبيد، فإذا أمسى ذلك اليوم خر لله ساجداً، وقال: الحمد لله الذي لم يجعلني اليوم العقيم.

وكان للغازي بن قيس ابنان: عبد الله، وكان من أهل العلم بالعربية والتأدية لقراءة نافع، سمع من أبيه، وروى عنه ثابت وابنه قاسم. توفي سنة ثلاثين ومائتين، ومحمد أبو عبد الله، صاحب عربية ولغة، ورحل ولقي الرياشي وأبا حاتم ومات بطنجة في انصرافه وقال لما حضره الموت:

الحمد لله ثم الحمد لله ماذا عن الموت من ساه ومن لاه

ماذا يرى المرء ذو العينين من عجب عند الخروج من الدنيا إلى الله

٣٥ - زياد بن عبد الرحمن يلقب بشَبْطُون

قرطبي. جد بني زياد: يكنى أبا عبد الله.

وهو زياد بن عبد الرحمن بن زهير بن ناشرة بن لودان بن يحيى بن أخطب بن الحارث بن وائل اللخمي، وقد قيل: إنه من ولد حاطب بن أبي بلتعة.

سمع من مالك الموطأ، وله عنه في الفتاوى كتاب سماع معروف بسماع زياد.

وسمع من معاوية بن صالح القاضي، وكان صهره زياد على ابنته. وعن عبد الله بن عقبة، والليث بن سعد، وسليمان بن بلال، وعبد الله بن

---

٣٥ - من مصادر ترجمته: الإكمال لابن ماكولا ٢/ ٦١، بغية الملتمس - ص ٢٨٠، جذوة المقتبس - ص٢٠٢، شذرات الذهب ١/ ٣٩٩، طبقات الفقهاء للشيرازي - ص ١٤٣، العبر ١/ ٣١٣، نفح الطيب ٢/ ٤٥.

عبد الرحمن، وعبد الرحمن بن أبي الزناد، وعبد الله بن عمر العمري، ويحيى بن أيوب، وأبي معشر، وموسى بن علي، ومحمد بن عبد الله بن عمر الليثي، والقاسم بن عبد الله، وإسماعيل بن داود، وهارون بن عبد الله، ومحمد بن أبي سلمة العمري، وأبي معمر صاحب أنس، وعبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكه، وابن أبي داود، وسفيان بن عيينة، وعمرو بن قيس، وابن أبي حازم.

وروى عنه يحيى بن يحيى الموطأ، وسماعه من مالك قبل رحلته من الأندلس، فأشار عليه زياد بالرحيل إلى مالك ما دام حيًا، وأخذه عنه، ففعل.

وكان زياد أول من أدخل إلى الأندلس موطأ مالك، متقنًا[1] بالسماع منه، ثم تلاه يحيى بن يحيى.

قال يحيى بن يحيى: زياد أول من أدخل الأندلس علم السنن ومسائل الحلال والحرام، ووجوه الفقه والأحكام، وهو أول من عرّف بالسنَّة في تحويل الأردية في الاستسقاء، وصاحب الصلاة إذ ذاك المصعب بن عمران فأنكر ذلك. وقال هذا نشوة.

قال يحيى: فخرجت بعد ذلك إلى المشرق، ولقيت مالك بن أنس، والليث بن سعد، ومن دونهما، فوجدت سنة تحويل الأردية عندهم معروفة فاشية.

قال الشيرازي: كان أهل المدينة يسمون زيادًا فقيه الأندلس.

وحكى ابن حارث أنه كان له إلى مالك رحلتان: آخرهما حين اجتمع به معاوية بن صالح.

---

(١) في طبعة المغرب: «متفقها» وفي الجمهرة: «مُثَقَّفًا» والمثبت رواية إحدى النسخ الخطية من الديباج المذهب.

وحكى أبو بكر المالكي أن زياداً قدم المدينة فدخل على مالك وعنده ابن كنانة. فلم يعرفه ابن كنانة. فسأله ابن كنانة عن بلده، فذكره.

فقال له: مَنْ فقيه بلدكم؟ قال: أنا أو نحو ذلك.

فجاراه ابن كنانة في المسائل فلم يأت منه ما أحب. فقال: وإن لقوم سودوك لفاقة. . . . البيت.

فقال له مالك: أحفظت الرجل وأسأت أدبه. فلما استقر المجلس بزياد جاراه ابن كنانة ففجر منه بحراً. فعلم أن ما كان أولاً إنما كان لهيبة المجلس.

ذكر فضائله وخبره

كان زياد إذا بعث معاوية بن صالح القاضي شيئًا وكان أبا زوجته إلى داره، لم يأكل شيئًا منه.

وكان زياد ناسكًا ورعًا، راوده الأمير هشام على القضاء فأبى عليه وخرج هاربًا بنفسه. فقال هشام: ليت الناس كلهم مثل زياد حتى أكفى أهل الرغبة في الدنيا. ثم أمنه فرجع إلى قرطبة.

وكان هشام يقول: بلوت الناس فما رأيت رجلاً يكتم من الزهد أكثر مما يظهر إلا زياداً.

وذكر يحيى بن إسحاق أن هشامًا لما ولي قيل له: لا يعتدل ما تريد، إلا بتولية زياد على القضاء. فبعث إليه فتمنع، فألح هشام عليه، فقال للوزراء: أما إذا عزمتم فأخبركم بما أبدأ به، على المشي إلى مكة إن وليتموني، إن جاءني أحد متظلمًا منكم إلا أخرجت من أيديكم ما يدعيه، ورددته عليه وكلفتكم البينة، لما أعرف من ظلمكم. فتركوه وأشاروا بإعفائه

فعوفي، فقيل ليحيى بن يحيى: أهو وجه القضاء؟ قال: نعم، فيمن عرف بالظلم والغدرة وأشاروا بإعفائه.

وكان الأمير هشام يؤثر زيادًا ويكرمه ويستنيم إليه، ويخلو به، ويسائله عما يعن له من أمور دينه. فيأخذ برأيه، ويبالغ في بره، ويدفع إليه المال يتصدق به، وربما اجتاز به ليلاً فيخرج إليه ويسلم عليه ويحادثه. وذكر الصدفي: أنه عرض عليه أخذ مال ليفرقه فأبى.

وذكر أنه حضر عنده يومًا غضب فيه على خاصة له، أوصل إليه كتابًا كرهه، فأمر بقطع يده، فقال زياد: أصلح الله الأمير. فإن مالك بن أنس حدثني في خبر رفعه إلى النبي ﷺ، أن من كظم غيظًا يقدر على إنفاذه ولاه الله أمنًا وإيمانًا يوم القيامة.

فسكن غضب الأمير، وقال له: الله إن مالكا حدثك بهذا؟ قال: زياد: الله، إن مالكا حدثني به.

فأمر الأمير أن يمسك عن يد الخادم، وعفا عنه.

وذكر أن زيادًا راكب الأمير الحكم، وقد أردف زياد ولده خلفه، منصرفين من جنازة، ووصل محادثة الأمير إلى أن وصل القنطرة، فسمع المؤذن فقطع زياد حديثه وقال: معذرة إلى الأمير أصلحه الله، إنا كنا في حديث عارضه هذا المنادي إلى الله تعالى. ولا يجوز الإعراض عنه، فهو أحق بالإجابة، وإن اجتمعنا قدرنا على تتميم الحديث إن كانت بنا إليه حاجة. وسلم عليه فدخل الجامع من باب القنطرة، واستقام الأمير إلى القصر.

قال يحيى: كان زياد واحد زمانه، زهدًا وورعًا، وأتاه هشام ليلاً في

خاصته فقرع[1] عليه الباب فخرج فزعا، ففتح له وسلم عليه، وسأله عن سبب مجيئه، فقال: طلب التفرد بك، وهذا مال طيب وأشار إلى مال يحمله الفتى - أردت التزلف به فأتيتك به لتضعه حيث تراه.

فقال له زياد: تجد من هو أقوم لك بذلك وأعرف بأهله. وسمى له قومًا من صلحاء الناس.

فأبى هشام إلا إياه، فلم يقدر عليه إلى أن حلف ألا يفعل. فاستحياه هشام، وخرج بماله، وهو يقول: اللهم أعني على طاعتك بمثل هذا.

قال حبيب: كنا جلوسًا عند زياد فأتاه كتاب من بعض الملوك قد ميزه، فكتب فيه ثم طبع الكتاب ونفذ به الرسول. فقال زياد: أتدرون عمّ[2] سأل صاحب هذا الكتاب؟ سأل عن كفتي ميزان الأعمال يوم القيامة، من ذهب هي أم من ورق؟ فكتبت إليه، حدثنا مالك عن ابن شهاب، قال: قال رسول الله ﷺ من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. وسترد فتعلم.

وكان زياد جرت له في مصاهرته لمعاوية بن صالح نادرة مذكورة، وذلك أنه أراد النظر إلى المرأة قبل تمام نكاحها، كما يفعل بعض الناس، وقيل بعد تمام نكاحها، وهو أشبه بحاله، وبآخر الحكاية، فواعد أهل الدار أن يأتيهم ليلاً خفية من معاوية، فجاء واختفى في أسطوان الدار، وخرج معاوية فأحس من دابته قلقًا وحركة، لمكان زياد، فأنكر ذلك، ودعا بالمصباح فلما نظر إذا بزياد قد انزوى في بعض زوايا أسطوانه، فلم يزد أن قال استوصوا بضيفكم خيرًا وانصرف.

---

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى «ففرع» بالفاء.

(٢) في طبعة المغرب: «عمّا» وهو غير صحيح إملائيا.

وله سماع من مالك، مؤلف. وكتاب الجامع له.

قال ابن عتاب: وهو كتاب غريب يشتمل على علم كثير.

قال يحيى بن يحيى: عـرضت سماع زياد على ابن نافع وابن القاسم، فرد عليه ابن القاسم مسألة، وقال لي: كذب زياد على مالك. وما سمع هذا منه قط.

فأخذت الكتاب وطويته وأدخلتـه كمي، فقال: اقرأ. فقلت: زياد أجل في نفسي من أن أعرضه مثل هذا.

فاحـتشـم ابن القاسم وقـال لي: اقرأ، فـو الله لا عدت لمثلهـا أبدًا. فقرأت.

وكان محمد بن عـيسى الأعشى سيء الرأي في زياد، وكان يقول: إني لآكل التفاح الحلو، وأحسو البيض الخفيف، وأبول في الماء الراكد، منذ كذا، لينسيني الله علم زياد ويخرجه من صدري، فمـا نسيته. وألتزم كل ما أعرف أنه ينسي.

فقيل له: لم؟ قال لأن زيادًا لم يكن شيئًا، وكان علمه باردًا.

وتوفي سنة ثلاث، وقيل أربع، وقيل تسع وتسعين ومائة.

ونجب ولده بقرطبة، وكان فيهم عـدة من أهل الجلالة والفضل والقضاء والعلم والخير.

٣٦ - سعيد بن أبي هند أبو عثمان

أصله من طليطلة وسكن قرطبة، ولقي مالك بن أنس، وهو الذي كان يسميه مالك: الحكيم. قاله أحمد بن عبد البر.

قال ابن لبابة: اسمه عبد الوهاب.

قال بعضهم عن أبي حارث، عبد الرحمن بن أبي هند الأصبحي من أهل طليطلة يكنى أبا هند. سمع مالكًا وكان له مكرمًا، وكان يسميه: حكيم الأندلس، وانصرف وسكن قرطبة، واستوزره بعض الخلفاء.

وفي كتاب أبي سعيد الصدفي مثله، وكناه أبا زيد. وقال: توفي سنة مائتين.

وذكر غيره: إن سبب ولايته الوزارة ما امتحن به من صدقه، وأنه لم تجرب عليه كذبة قط. فقال بعض وزراء ذلك الوقت أنا أجعله يكذب. فرصده حتى نعس ثم قال له: رقدت يا أبا هند؟ قال: نعم. فلم يظفر منه بما يريد، لعادة الناس الإنكار في هذا.

وقد أضيفت هذه القصة لغيره، فلعلهما قصتان والله أعلم.

وقرأت في كتاب القضاة لابن حارث: سعيد بن عبد الرحمن بن أبي هند الأصبحي، ولي قضاء طليطلة.

قال: وذكر لي أن أبا عبد الرحمن بن أبي هند كان من العلماء. وكانت له رحلة لقى فيها مالكا، وأنه بعد انصرافه ولي قضاء طليطلة.

قال غيره: عبد الرحمن بن أبي هند، أبو هند الأصبحي الطليطلي روى عن مالك الموطأ.

---

٣٦ - من مصادر ترجمته: تاريخ ابن الفرضي ١/ ١٩٠، جذوة المقتبس - ص٢١٨.

وقال القاضي أبو الوليد بن الفرضي ومحمد بن حارث: لا أدري، أهما اثنان أو واحد. فقد قيل: إن ابن أبي هند مات في أيام هشام بن عبد الرحمن، والله تعالى أعلم.

قال أحمد بن سعيد: كان ابن أبي هند - ولم يسمه - فاضلاً نبيلاً عاقلاً، له سمت وهيبة.

قال ابن وضاح: كان ابن أبي هند هذا شريفًا، وكان مالك يسأل عنه، يقول: ما فعل الحكيم عندكم بالأندلس؟ لكلمة سمعها منه، وهي: أن قال مالك يومًا ما أحسن السكوت وأزينه بأهله. فقال ابن أبي هند: وكل من شاء سكت يا أبا عبد الله؟ فأعجبت مالكًا كلمته.

وقيل: بل قال له: إنما يزين الصمت ما بعده.

وعرض به رجل عند الأمير عبد الرحمن بالرياء، فقال سعيد: أصلح الله الأمير، يظن بنا سوء السريرة مع حسن العلانية، فما ظن الأمير أعزه الله تعالى، بسريرة رجل قد فسدت علانيته؟

ورأى الناس ينظرون إلى قوم كساهم الأمير، ويستحسنون كسوتهم، فقال: إنهم ما أخذوا ذلك إلا ببخس من الثمن. يعني أنهم بذلوا فيها دينهم.

حدّث عنه يحيى، وروى ابن وهب عن مالك عن أبي هند، قال: وجدت الصمت أشد من الكلام.

قال يحيى بن يحيى: سمعت ابن أبي هند يقول: ما هبت أحدًا هيبة عبد الرحمن بن معاوية، حتى حججت فدخلت على مالك فهبته هيبة شديدة صغرت هيبة ابن معاوية.

قال: وكان له ابن شيخ لم يملك من مال أبيه شيئًا، فقال له يوما: يا أبت، هب لي من مالك شيئًا.

فقال: وهل استأثرت عنك منه بشي؟ تركب وتلبس وتأكل كما أفعل أنا.

فقال: أحب أن تسمي لي منه شيئًا. فقال: يمنعني من ذلك أنه يقال: ينتقص من عقل الرجل بقدر ما ينتقص من ماله.

قال أحمد: وتوفي سعيد بن أبي هند صدر أيام عبد الرحمن بن معاوية، قبل موت مالك بكثير.

٣٧ - يحيى بن مضر القيسي وقيل اليحصبي

من أهل قرطبة أبو زكرياء. ويقال أبو بكر شامي الأصل كبير من فقهاء قرطبة. سمع من سفيان الثوري، ومالك بن أنس وروى عنه مالك، حكاية عن سفيان الثوري أن الطلح المنضود هو الموز، وقال: أخبرني بذلك عن سفيان، يحيى بن مضر فقيه الأندلس.

وروى عنه عبد الله بن وهب، ويحيى بن يحيى قبل رحلته، وكان عالمًا متقنًا صاحب رأي.

قال يحيى بن يحيى لبعض الكبراء. وقال له: إن الأمير أجابني أن يجلس لي الفقهاء فيما حكم به علي بن بشير، ويجلسك معهم فقال له يحيى: عليكم إن كنتم لا بد فاعلين بشيخنا يحيى بن مضر.

---

٣٧ - من مصادر ترجمته: تاريخ ابن الفرضي ١/ ١٧٤، جذوة المقتبس - ص ٣٥٦.

وصلبه أمير المؤمنين الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن عبد الملك بن مروان، فيمن صلبه بسبب الهيج، ممن أراد القيام عليه وخلعه، سنة تسع وثمانين ومائة.

وكانوا قد أنكروا على أميرهم أموراً كثيرة، من انهماكه في لذاته وفي ذلك. فأرادوا خلعه وكانوا عدة من أعيان الفقهاء وأكابر العلماء والصلحاء وأكابر الناس ومشايخهم ولقوا فتى من بني عمه، عزموا على القيام معه وتقديمه فوشى بهم إلى الأمير وأوقفه على صحة الحال، بأن أدخل كاتبه وثقته قبة له، وأسبل عليه سترًا في يوم وعدهم بالاجتماع فيه، فلما حضروا، أقبل يسألهم عمن معهم في هذا الأمر، والكاتب يكتب إلى أن استراب بعضهم بكثرة سؤاله، وقيل بل سمع صرير القلم وراء الستر، فكشفوه فوقفوا على الأمر، فسقط في أيديهم، وبادروا الخروج، فنجا من بادر، وقبض على من بقي، فكان ممّن نجا يحيى بن يحيى، وعيسى بن دينار، وقبض على يحيى بن مضر فيمن قبض، فأمر الأمير بصلبهم على شط نهر قرطبة، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً من الفقهاء وأهل الصلاح.

وقيل كان عدة من صلب مائة وأربعين.

وقيل في شرح هذه القصة غير هذا.

فعظم ما فعل في قلوب الناس وغدوا على جدة، لم يزالوا متربصين للوثوب به، إلى أن أقاموا القيامة المشهورة بوقعة الربض التي اصطلموا فيها سنة اثنتين ومائتين.

الطبقة الوسطى

فمن أهل المدينة:

٣٨ - عبد الله بن نافع

مولى بني مخزوم المعروف بالصائغ

كنيته أبو محمد. قاله البخاري.

روى عنه مالك، وابن أبي ذئب، وحسين بن عبد الله بن ضميرة، وابن أبي الزناد، وتفقه بمالك ونظرائه.

قال أحمد بن حنبل: كان صاحب رأي مالك، ومفتي أهل المدينة برأي مالك. ولم يكن صاحب حديث، ولم يكن في الحديث بذاك، وكان ضعيفًا فيه.

قال أبو زرعة الرازي: لا بأس به.

قال البخاري: يعرف حديثه وينكر. وكتابه أصح.

وقال محمد بن الحسين: سألت أبا عبد الله عنه، فقال: ثقة.

قال ابن لبابة: أهل الحديث يقدمون ابن نافع على أصحاب مالك في الحديث والثقة.

قال ابن غانم: قلت لمالك: من لهذا الأمر بعدك؟ قال: رجل من أصحابي. حتى دخل رجل أعور وهو ابن نافع، فقال: هذا.

---

٣٨ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/٧٦٨، وبحواشيه ثبت واف بمصادر الترجمة.

قال الشيرازي: كان أصم أميًا لا يكتب.

وقال: صحبت مالكًا أربعين سنة، ما كتبت منه شيئًا، وإنما كان حفظًا أتحفظه.

وهو الذي سمع منه سحنون، وكبار أصحاب أصحاب مالك، والذي سماعه مقرون بسماع أشهب في العتبية، لا كما زعم أبو عبد الله بن عتاب في فهرسته أنه ابن نافع الزبيري، وما ذكرناه غير منكر، ولهذا يعد في مشيخة الأندلس عما يقع في سماعها، وفي سماع الشيخين، يعنون أشهب وابن نافع الصائغ، وهو الذي ذكروه، وروايته في المدونة نفيسة.

قال أشهب: ما حضرت لمالك مجلسًا إلا وابن نافع حاضر. وما سمعت إلا وقد سمع. لكنه كان لا يكتب. فكان يكتب أشهب لنفسه وله.

وفي المدونة أن مالكًا سأل ابن نافع عن حديثه عن حسين بن عبد الله ابن ضميرة في القراءة في ركعتي الفجر، قال ابن نافع فحدثته به، فأعجب مالك واستحسنه.

وقال قد كنا على هذا ولم يبلغني فيه شيء، وجلس مجلس مالك بعد ابن كنانة.

قال ابن وضاح: كان أفضل أصحاب مالك في العبادة المصريون والإسكندرانيون، وكان ابن نافع رجلاً صالحًا لكن هؤلاء فوقه.

قال محمد بن سَعْد[1]: لزم مالكًا لزومًا شديدًا. وكان لا يقدم عليه أحدًا وهو دون مَعْن[2]. قال سحنون: وكان ابن نافع رجلاً صالحًا، وكان ضيق الخلق. وكان أبوه صائغًا، وكان أولاً في حداثته متحركًا فبينما هو في حائط

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «سعيد» وهو تحريف قبيح، وانظر في ذلك: كتاب الطبقات الكبير ٧/ ٦١٦.

(٢) كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ٧/ ٦١٦.

من حيطان المدينة إذ سمع رجلاً يقرأ القرآن، قال: هذا يتلو كتاب الله وأنا مشغول في هذا الحائط. فرجع ولزم المسجد.

وله تفسير في الموطأ رواه عنه يحيى بن يحيى، وعده ابن حبيب وابن حارث فيمن خلف مالكًا بالمدينة في الفقه.

وقال مجاهد بن موسى: قال عبد الله بن نافع الصائغ: أنا أجالس مالكًا منذ ثلاثين سنة أو خمس وثلاثين سنة بالغداة والعشي، وربما هجرت، فما رأيته قرأ الموطأ على أحد قط.

توفي بالمدينة في رمضان سنة ست وثمانين ومائة.

٣٩ - محمد بن مَسْلَمة بن هشام

قال الزبير: هو محمد بن مسلمة بن محمد بن هشام بن إسماعيل بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

وهشام هذا هو أمير المدينة الذي نسب إليه مد هشام، والذي يذكر عنه ذكر عهدة الرقيق في خطبته.

روى محمد عن مالك وتفقه عنده، وروى عن الضحاك بن عثمان، وإبراهيم بن سعيد والهديري.

قال أبو حاتم: كان أحد فقهاء المدينة وأصحاب مالك وكان أفقههم وهو ثقة، ولمحمد بن مسلمة كتب فقه أخذت عنه.

وقال القاضي التستري: هو ثقة مأمون حجة.

---

٣٩ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٣/ ١٢٠٠ وما بحواشيه من مصادر.

قال الشيرازي: جمع العلم والورع.

قال: وكان مالك إذا دخل على الرشيد دخل بين رجلين من بني مخزوم، المغيرة عن يمينه وابن مسلمة عن يساره.

قال البخاري قيل لمحمد بن مسلمة: ما لرأي فلان، دخل البلاد كلها إلا المدينة.

فقال: لأنه دجال من الدجاجلة. وقال النبي ﷺ: لا يدخلها الطاعون ولا الدجال.

وتوفي سنة ست عشرة ومائتين.

٤٠ - مُطَرِّف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان ابن يَسار اليَسَارِي الهلالي

أبو مصعب، ويقال: أبو عبد الله، مولى ميمونة أم المؤمنين.

كان جد أبيه سليمان مشهوراً مقدمًا في الفقه والعلم.

وكان هو وإخوته: عطاء وعبد الله وعبد الملك بنو يسار، مكاتبين لميمونة أم المؤمنين، أخذ عن جميعهم العلم، وولاؤهم لبني العباس، وهبت ميمونة ولاءهم لعبد الله بن عباس.

قال أبو عمر الصدفي: هذا وهم، أنا أنكره، إنما هو مولى ميمونة رضي الله تعالى عنها.

وقال فيه ابن حارث: الأسلمي.

---

٤٠ - من مصادر ترجمته: تهذيب الكمال ٢٨/ ٧٠، وجمهرة تراجم فقهاء المالكية ٣/ ١٢٥٤، وكتاب الطبقات الكبير لابن سعد ٧/ ٦١٦ وفي حواشي الجمهرة ثبت واف بمصادر المترجم.

وقد ذكر إسماعيل بن إسحاق في مبسوطه: وروى الأسلمي عن مالك ولم يسمه.

قال محمد بن سعد: مطرف بن عبد الله بن يسار، وكان يسار مكاتبًا لرجل من أسلم، فأدى عنه عبد الله بن أبي فروة فعتق، فصار في دعوتهم، وهو ثقة.

قال القاضي أبو الوليد الباجي: مطرف الفقيه صاحب مالك، هو ابن أخته، وكان مطرف أصم. روى عن مالك، وابن أبي الزناد، وعبد الرحمن بن أبي المَوَال[1] وعبد الله بن عُمر العُمَرِيّ.

وروى عنه أبو زرعة، وأبو حاتم، وإبراهيم بن المنذر، والذهلي، ويعقوب بن شيبة، والبخاري وخرج عنه في صحيحه.

قال الشيرازي: تفقه بمالك، وعبد العزيز بن الماجشون وابن أبي حازم، وابن دينار، وابن كنانة، والمغيرة.

قال ابن مَعِين: مطرف ثقة.

قال ابن وضاح: هو عنده أرجح من ابن أبي أويس.

قال الكوفي: هو ثقة.

قال أحمد بن حنبل: كانوا يقدمونه على أصحاب مالك.

قال أبو حاتم: مطرف أحب إلي من إسماعيل بن أبي أويس، ومطرف صدوق، مضطرب.

قيل لابن معين: مطرف مثل القعنبي ومعن؟ قال: كلهم ثقات.

قال الزبير: قال مطرف: صحبت مالكًا سبع عشرة سنة فما رأيته قرأ

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «الموالي» وصوابه لدى المزي.

الموطأ على أحد، وكـان يعيب كـتابة العلم علينا، ويقـول لم أدرك أحدًا من أهل بلدنا، ولا كان من مضى، يكتب.

فقيل له فكيف نصنع؟ فقال تحفظون كما حفظوا، وتعملون كما عملوا. حتى تتنور قلوبكم فيغنيكم عن الكتـابة. وقد كره عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك، وقال لا يكتب كتاب مع كتاب الله.

قال ابن وضاح: رأيت سحنونًا لا يعجبه مطرف.

قال أبو العرب: وامتحن مطرف في القرآن أيام المأمون.

قال البخاري: ولد سنة تسع وثلاثين ومائة، ومات سنة عشرين ومائتين بالمدينة، وقال ابن أبي خيثمة ومحمد بن سعد[1]، قال: في أولها.

وقال الدار قطني: في صفر منها. وقـال غيره: توفي سنة أربع عشرة، وقال ابن وضاح: سنة تسع عشرة. وسنه بضع وثمانون سنة.

٤١ - عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سَلَمَة

كنيته أبو مروان، واسم أبي سلمة ميمون. قاله اللالكائي. ويقال دينار، وقـاله البـاجي. مولـى بني تميم من قـريش. ثم لآل المنكدر [المعـروف بابن الماجِشُون]. والماجِشُـون: هو أبو سلمة فيما قاله اللالكائي. وقـال محمد بن سعد[1] والدار قطني: هو يعقوب بن أبي سلمة، أخو عبد الله.

قال الباجي: والماجشون، المورد، بالفارسية.

قال الدار قطني: سمي بذلك لحمرة في وجهه.

---

٤١ - من مصـادر ترجمته: كـتاب الطبقـات الكبير ٧/ ٦٢٠، وفي جـمهرة تراجم الفقـهاء المالكية ٢/ ٧٩٠ ثبت واف بمصادر ترجمته.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: ابن سعيد».

وحكى ابن خالد عن بعضهم أنهم من أهل أصبهان انتقلوا إلى المدينة، فكان أحدهم يلقى الآخر فيقول: شوني شوني يريد كيف أنت؟ فلقبوا بذلك.

وحكى ابن حارث: أن ماجش موضع بخراسان نسبوا إليه.

وكان عبد الملك فقيهًا فصيحًا، دارت عليه الفتوى في أيامه إلى موته، وعلى أبيه قبله فهو فقيه ابن فقيه.

قال مصعب: عبد الملك مفتي أهل المدينة في زمانه. وكان ضرير البصر، ويقال عمي آخر عمره. وبيته بيت علم وخير بيت بالمدينة.

وجده عبد الله يروي عن ابن عمر وغيره، خرج له مسلم.

وأخو جده يعقوب بن أبي سلمة يروي عن ابن عمر أيضًا.

وعمر بن عبد العزيز. خرج عنه مسلم أيضًا.

ويوسف بن عبد العزيز أخو عبد الملك، حدث عنه الزبير ابن بكار.

ومنهم يوسف بن يعقوب بن عبد الله بن أبي سلمة، يروي عن ابن المنكدر، والزهري، خرج عنه البخاري ومسلم، وروى عنه ابن حنبل وابن المديني وغيرهما.

وأخوه عبد العزيز بن يعقوب أبو الأصبغ يروي أيضًا عن ابن المنكدر مراسيل رواها عنه ابن حنبل.

ثناء العلماء عليه وتعظيمهم له وفضله

قال الشيرازي: تفقه بأبيه، ومالك، وابن أبي حازم، وابن دينار، وابن كنانة، والمغيرة.

وكان فصيحًا، روي أنه كان إذا ذاكره الشافعي لم يعرف الناس كثيرًا مما يقولان. لأن الشافعي تأدب بهذيل في البادية، وعبد الملك تأدب في خئولته من بني كلب، بالبادية.

قال يحيى بن أكثم[1] القاضي: عبد الملك بحر لا تكدره الدلاء.

قال عبد الملك: أتيت المنذر بن عبد الله الحزامي وأنا حديث السن، فلما تحدثت وفهم عني بعض الفصاحة قال لي من أنت؟ فأخبرته. فقال لي: اطلب العلم فإن معك حذاءك وسقاءك.

وقال ابن المعذل: كلما تذكرت أن التراب أكل لسان عبد الملك، صغرت الدنيا في عيني. وقيل له: أين لسانك من لسان أستاذك عبد الملك؟ فقال: كان لسانه إذا تحايى أحسن من لساني إذا تحايى.

قال ابن حارث: كان من الفقهاء المبرزين، وأثنى عليه سحنون وفضله، وقال: هممت أن أرحل إليه وأعرض عليه هذه الكتب، فما أجاز منها أجزت، وما رد، رددت. وأثنى عليه ابن حبيب كثيرًا، وكان يرفعه في الفهم على أكثر أصحاب مالك.

قال ابن المواز: كنت عنده بعد أن عمي، حتى جاءه كتاب أمير المؤمنين يسأله عن أشياء فلما قرأ القارىء عليه، قال له: حول الكتاب واكتب جوابه، وأملى عليه، ثم ختمه ودفعه إلى الرسول.

وقال ابن شعبان: كتب إليه المأمون بولاية القضاء، وكان قد عمي، فامتنع من ذلك.

---

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «أكتم» بالتاء المثناة.

وقيل له: لو خرجت إلى العراق فعالجت بصرك فإن بها من يعالجه، وتنظر في مالك، وكان له بها غلام بتجارة خلط عليه فيها. فقال لا أفارق المدينة.

وذكر أنه أتي بقادح يقدح بصره فقال له: أنك تقيم كذا وكذا على ظهرك مستلقيًا فأبى.

وقال: ما كنت لألتمس ما جعل الله ثوابه الجنة بتعطيل فرض من الصلاة.

قال ابن حارث وكانت له نفس أبية، كلمه يومًا مالك بكلمة خشنة فهجره عامًا كاملاً، وذلك أنه استقصى على مالك في الفرق بين مسألتين، فقال له مالك تعرف دار قدامة؟

وكانت دارًا يلعب فيها الأحداث بالحمام، وقيل بل عرض له بالسجن.

وكان العلماء يفضلونه في علم الأحباس. قال القاضي إسماعيل: عبد الملك عالم بقول مالك في الوقوف.

وكان يقول بعد أن كف بصره هلموا إلي سلوني عن معضلات المسائل. وذكر إسماعيل القاضي في المبسوط بعض كلامه، ثم قال ما أجزل كلامه، وأعجب تفصيلاته، وأقل فضوله.

وتفقه به خلق كثير، وأئمة جلة كأحمد بن المعذّل، وابن حبيب وسحنون.

قال ابن أكثم[1] القاضي ما رأيت مثل عبد الملك، أيما رجل، لو كان

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «ابن أكتم» بالتاء المثناة.

مسائلون - وكان ممن سمع كتبه - كتب عنه أربعمائة جلد أو مائتي جلد شك الرواي، أو كما قال.

وقال النسائي: فقيه الأمصار من أصحاب مالك من أهل المدينة، عبد الملك بن الماجشون، ولعبد الملك بن الماجشون كلام كثير في الفقه وغيره. قال ابن حارث وعلم كثير جدًا، وله كتاب سماعاته وهي معروفة، وكتابه الذي ألفه آخرًا في الفقه يرويه عنه يحيى بن حماد السجلماسي، ورسالة في الإيمان والقدر والرد على من قال بخلق القرآن والاستطاعة.

ذكر مذهبه فيما اختلف الناس فيه واتباعه السنة

قال أبو مصعب الزهري: القرآن ليس بمخلوق. قال: وهو قول عبد الملك بن الماجشون.

وكتب سحنون إلى عبد الملك يذكر له ما حدث عندهم من الكلام في التشبيه والقرآن، ويسأله الجواب عليه. فكتب إليه عبد الملك: من عبد الله بن الماجشون إلى سحنون بن سعيد، سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، وفقنا الله وإياكم لطاعته، سألتني عن مسائل ليست من شأن أهل العلم والعمل بها جهل، فيكفيك من مضى من صدر هذه الأمة أنهم اتبعوا بإحسان، ولم يخوضوا في شيء منها، وقد خلص الدين إلى العذراء في خدرها، فما قيل لها كيف؟ ولا من أين؟ فاتبع لما اتبعوا، واعلم أنه العلم الأعظم، لا يشأ الرجل أن يتكلم في شيء من هذا فيكفر، فيهوى في نار جهنم.

وقال عبد الملك: لو أخذت المريسي لضربت عنقه.

قال: وسمعت من أدركت من علمائنا يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق.

قال القاضي رضي الله تعالى عنه. ذكرنا هذا كله وجلبناه من كتب الأئمة الثقات ردًا وإبطالاً لما حكاه الساجي، في علله من خلاف هذا، مما لم يصح عنه. ولم يعرف منه مما كان الأولى بعد تركه.

ذكر ابن اللباد، أن يحيى بن أكثم[1] القاضي كان مع عبد الملك على سريره. يعني وهما يتذاكران مذهب أهل العراق وأهل المدينة، ويتناظران في ذلك. فقال ابن أكثم: يا أبا مروان رحلنا إلى المدينة في العلم قاصدين فيه، وكنتم بالمدينة لا تعتنون به، وليس من رجل قاصدًا فيه كمن كان فيه وتوانى.

فقال عبد الملك: اللهم غفرًا، يا أبا محمد ادع لي[2] أبا عمارة المؤذن من ولد سعد. فجاء شيخ كبير فقال له: كم لك تؤذن؟

فقال سبعين سنة، أذنت مع آبائي وأعمامي وأجدادي. وهذا الأذان الذي أؤذن به اليوم أخبروني أنهم أذنوا به مع ابن أم مكتوم.

فقال عبد الملك: وإن كنتم تقولون توانيتم وتركتم، هذا الآذان ينادي به على رءوسنا كل يوم خمس مرات متصلا بأذان النبي ﷺ، فترى أنا كنا لا نصلي؟ فقد خالفتمونا فيه، فأنتم في غيره أحرى أن تخالفونا. فخجل ابن أكثم ولم يذكر أنه رد عليه جوابًا.

بقية أخباره ووفاته

ذكر أن ابن أبي إسحاق: سأل ابن الماجشون عن مسألة فأجابه، فرد عليه، فأجابه. فلما أكثر، قال له: قم، إني لأثقف من أن ترد علي المسائل. فأعلم به سحنون، فقال: نعم هو أثقف من أن يرد عليه.

---

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «ابن أكتم» بالتاء المثناة.

(٢) في طبعة المغرب: «ادعوالي».

قال عبد الملك كان رجل من قريش صديقًا لي وكان بينه وبين وكيله محاسبة، فأجلسني مع رجل ثم تكلم مع الوكيل فقال الوكيل: قبضت كذا، وأنفقت لك كذا. فقال القرشي: ما دفع شيئًا.

وقال لي ولصاحبي اشهدا بما سمعتما منه، فإنه كان جحدني حقي. فقلت: لا، والله ما نشهد بها، ولا جلسنا لهذا.

قال: فاذهب بنا إلى مالك فإن أمرك بالشهادة فاشهد.

فقلت: لو أمرني لم أشهد لأنني لم أقعد للشهادة.

فأتينا ابن أبي حازم فذكر له القصة. فقال لي: لا شهادة له عندكما. ثم دخلنا على مالك فذكر له القصة. فقال لي: يا عبد الملك لا تشهد.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: قد اختلف في هذا الأصل عندنا، واختلف في تأويل قول مالك فيه، وكذلك لو أخفاهما ليشهدا على ماسمعا، أو أجلسهما للمحاسبة بشرط أن لا يشهدا، والصحيح من ذلك كله أن يشهدا، أذن أو لم يأذن، إذا استوعبا كلامه كله.

حكى الطالبي في كتاب البستان: كان عبد الملك يجيد تفسير الرؤيا، فسأله رجل أنه رأى في منامه أن بيده سيفًا من ذهب وهو يهزه فينثني. فقال له خيرًا رأيت، جعلت فداك.

فعزم عليه ليخبرنه. فقال: يولد لك غلام يكون مخنثًا. فكان كذلك.

قال أبو عمر بن عبد البر: كان عبد الملك مولعًا بسماع الغناء ارتجالاً وغير ارتجال.

قال أحمد بن حنبل قدم علينا ومعه من يغنيه.

قال ابن معين: قدم علينا فكنا نسمع صوت معازفه، فلهذا والله أعلم لم يخرج عنه في الصحيح.

قال: ولما قدم عبد الملك من العراق سئل عنها فقال:

بها ماشئت من رجل نبيل ولكن الوفاء بها قليل

يقول فلا ترى إلا جميلاً ولكن لا يصدّق ما يقول

وروى عنه أنه قال: إني لأسمع الكلمة المليحة ومالي إلا قميص، فأدفعه إلى صاحبها، وأستكسي ربي، ولقد كنا بالمدينة فيحدثنا الرجل الحديث فيمليه علي ويذكر الخبر من الملح فأستعيده، فلا يفعل، ويقول: لا أعطيك ظرفي وأدبي.

وكانت وفاة عبد الملك سنة اثنتي عشرة. وقيل أربع عشرة ومائتين، وهو ابن بضع وستين سنة.

٤٢ - عبد الله بن نافع الأصغر الزبيري

أبو بكر.

قال الزبير: هو عبد الله بن نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، ويعرف بالأصغر، وهو الفقيه صاحب مالك.

وله أخ آخر اسمه عبد الله، ويعرف بالأكبر. من أهل الفضل والدين ولم يكن فقيهًا.

---

٤٢ - من مصادر ترجمته: الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء - ص ١٠٣، تهذيب الكمال ١٦/ ٢٠٣، الجرح والتعديل ٢/ ١٨٤، الديباج المذهب ١/ ٣٦١، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٧٤، طبقات الشيرازي - ص ١٤٠، كتاب الطبقات الكبير ٧/ ٦١٧، معرفة الثقات للعجلي ٢/ ٦٣، وفي حواشي جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/ ٧٦٧ مزيد من المصادر.

قال الزبير وأبوهما نافع، من أعبد أهل زمانه. صام من عمره خمسين سنة.

قال يحيى بن مسكين: ما رأيت أطول صلاة منه قط. وكان يحب ابنه هذا عبد الله الأصغر.

قال مصعب: فكان يأتيه في صلاته فيدعو له، فيرى أن بركة دعائه أدركته.

سمع عبد الله هذا من مالك، وعبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة.

روى عنه ابنه أحمد، وعباس الدوري، والزبير بن بكار، والذهلي، وهارون الحمال، ويعقوب بن شيبة، ويحيى بن يحيى الأندلسي، وابن رزين القروي، وعبد الملك بن حبيب وغيرهم، وهو أصغر من ابن نافع الصائغ، وروى عنه من لم يدرك ذلك.

قال ابن مَعِين فيه: صدوق. وليس به بأس.

قال البخاري أحاديثه معروفة مستقيمة.

قال البزار: هو ثقة.

وخرج عنه مسلم.

قال منذر بن سعيد: ابن نافع إمام لم يرمه[1] أحد ببدعة. قال الزبير: توفي وهو المنظور إليه من قريش بالمدينة في هديه وفقهه وعفافه. وكان سرد الصيام دهره. وحمل عنه.

قال الضراب: صحب الزبيري مالكًا أربعين سنة.

---

(١) في طبعة المغرب: «لم يزنه».

قال المؤلف رحمه الله تعالى: وسنبين الغلط في هذا. والأشبه إن صحت هذه الحكاية أن لا تكون لابن نافع الصائغ.

قال عبد الله بن نافع: أول ما عرفت مالكًا أني كنت يومًا أقرأ على نافع بن أبي نعيم بعد الصبح، فرفعت صوتي فزجرني وقال لي: أما ترى مالكًا.

قال عبد الله بن نافع الأصغر: قال لي عبد الله بن نافع الأكبر: إذا كنت متخذًا عمرك خليلاً فاتخذه عاصبًا.

قال ابن نافع: كان في آل الزبير رجل يشتم عبد الله بن مصعب بن ثابت، لا يضعه من فيه. فكان عبد الله بن مصعب يدفع في كل هلال دينارين ويأمرني أن أعطيه إياها ويقول لا أحب أن يعلم أني وصلته.

فلما مات مصعب استبطأني فأخبرته فعاد يدعو له ويقرضني أنا. فقلت:

شتمت امرءًا لم يطبع الذم عرضه زمانا ولا تدري ما كان يفعل

فلما تيقنت الذي كان صانعًا غدوت علي اليوم بالجهل تخطل

وما كان لي ذنب ولا لابن مصعب سوى أننا جئنا التي هي أجمل

حكى ابن اللباد: أن ابن نافع سأله رجل فقال خرجت من المسجد فتعلقت حصاة بخفي فقال له: اطرحها. فقال له: فإنهم يقولون إنها تصيح. فقال: قل لها تصيح حتى ينشق حلقها.

قال وكان في خلقه شيء، ولست أدري أي ابن نافع منهما صاحب هذه الحكاية. والأشبه عندي أن صاحب هذه الحكاية ابن نافع الصائغ، فهو الذي وصف بما ذكر من ذلك.

وتوفي في المحرم سنة ست عشر ومائتين. قاله الزبير.

وقال البخاري سنة عشرة. وفي حكاية بضع عشرة.

قال الزبير: وهو ابن سبعين سنة. وهذا يرد ما قاله الضراب لأنه على هذا عاش بعد مالك ستًا وثلاثين سنة. فبقي من عمره أربع وثلاثون سنة منها طفولته وبعدها صحبته لمالك والله سبحانه وتعالى أعلم.

٤٣ - مَعْن بن عيسى بن يحيى بن دينار

القَزَّاز.

كان يبيع القز، مولى أشجع، أبو يحيى.

روى عن مالك، وابن أبي ذِئْب، وابن طَهْمان، ومعاوية بن صالح، ومخرمة بن بكير، وابن أبي أويس وغيرهم.

وروى عنه أحمد، وابن المَدِيني، وابن مَعِين، والحميدي، وإسحاق بن موسى الأنصاري، وابن نمير، وإبراهيم بن المنذر، وأبو بكر بن أبي شيبة، وسحنون بن سعيد، وعبد الله بن جعفر البرمكي، وذُؤَيْب بن عِمامة السَّهْمي وأبو خيثمة وغيرهم.

قال الشيرازي: وكان ربيب مالك وهو الذي قرأ عليه الموطأ للرشيد وابنيه، وكان يتوسد عتبته فلا يلفظ بشيء إلا كتبه. وعده في فقهاء أصحابه، وعده ابن حبيب فيمن خلف مالكًا في الفقه بالمدينة.

قال ابن حارث: وله سماع معروف من مالك. ذكره ابن عبدوس في المجموعة فيما ذكر.

---

٤٣ - من مصادر ترجمته: الانتقاء لابن عبد البر - ص ١٠٩، كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ٧/ ٦١٥.

قال: وهو من كبار أصحاب مالك.

وقد ذكر أيضًا كثيرًا من سماعه، وروايته عن مالك أبو عيسى الترمذي في جامعه، فكل ما أدخله عن مالك فقد قال في آخر كتابه: إنه من رواية معن.

قال ابن عبد البر: كان أشد الناس ملازمة لمالك. وكان يتكىء عليه عند خروجه إلى المسجد، حتى قيل له عُصَيَّة مالك.

قال يحيى: هو ثقة. وخرج عنه البخاري ومسلم.

قال أبو حاتم الرازي: أوثق أصحاب مالك وأثبتهم معن. وهو أحب إلي من ابن نافع وابن وهب.

قال محمد بن سَعْد[1]: كان ثقة كثير الحديث، مأمونًا ثبتًا.

قال الشافعي: قال لي الحميدي حدثني من لم تر عيناك مثله، معن بن عيسى.

وسئل يحيى عن الثبت في مالك، فقال: القعنبي، ومعن.

قال ابن الجنيد قلت لابن معين: كان عند معن غير الموطأ؟ قال شيء قليل.

قال علي بن المديني: أخرج إلينا معن أربعين ألف مسألة سمعها من مالك.

قال معن: كان مالك لا يجيب أحدًا من العراقيين حتى أكون أنا الذي أسأله عنه.

---

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «سعيد» وهو تحريف قبيح، وقول ابن سعد في كتاب الطبقات ٧/ ٦١٥.

قال ابن بكير: كان معن يبيع الخز وكان طويلاً.

قال محمد بن سعد: وكان له غلمان حاكة.

قال ابن بكير وكان معن يقول: حدثني مالك. فقيل له: فكيف تقول هذا. إنما كان يقرأ عليه؟ قال: كنت أستخرج الحديث في رقاع منه، ثم أقول يا أبا عبد الله اقرأ لي هذا الحديث. فيقرأه. ثم أتركه أيامًا وأجيئه برقعة أخرى.

قال ابن وضاح: أقبل قوم إلى معن بالمدينة يستأذنون عليه في داره، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم أسود ليدخل داره، فسألوه الإذن لهم، فدخل فنادى يا معن فاستجاب له، فأعلمه، فأذن ودخلوا.

فقالوا له: أصلحك الله. عجبًا من تسمية هذا الأسود لك.

قال: أما إنه مع ذلك مملوكي. قالوا هذا أكبر. قال وما أردتم؟ أكان يدعوني بأفضل من اسمي الذي رضيه الله لي. وكأنه حسن فعله.

قال البخاري: مات معن سنة ثمان وتسعين ومائة، قيل في شوال منها بالمدينة.

٤٤ - إسماعيل بن أبي أويس

أبو عبد الله. قاله البخاري.

وقال اللالكائي والجرجاني وأبو خيثمة، ويحيى ابن معين ومعن بن عيسى: اسم أبي أويس عبد الله بن عبد الله بن أويس بن أبي عامر الأصبحي، ابن عم مالك بن أنس وابن أخته وزوج ابنته.

---

٤٤ - من مصادر ترجمته: التاريخ الكبير ١/ ٣٦٤، كتاب الطبقات الكبير ٧/ ٦١٦.

وقال ابن شعبان: إن اسم أبي أويس عبد العزيز بن عبد الله.

وقال غيره اسمه أويس بن مالك بن عبد الله والأول أصح.

وكان أبو أويس ممن يسمع العلم، وروى عن ابن شهاب وابن المنكدر وهشام بن عروة وغيرهم.

قال أحمد بن حنبل: زعموا أن سماعه وسماع مالك كان شيئًا واحدًا. سمع الناس بالحجاز والعراق.

روى عنه القعنبي وغيره.

واختلف فيه. فأثنى عليه أحمد بن حنبل، وأبو داود، وضعفه ابن المديني، وضعف حديثه يحيى بن معين، لكنه قال: كان صالحًا. وقال مرة: كان ثقة. ومرة ليس به بأس. وصدوق. وليس بحجة. وقال مرة: ليس بثقة.

قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به.

وقال أبو زرعة: صالح صدوق يدلس.

قال أبو داود: هو ثقة حافظ لحديث بلده.

قال أبو نعيم: قدم علينا ومعه جوار، يعني القيان. قال الفلاس: فيه ضعف، وهو عندهم من أهل الصدق.

وقال يعقوب بن شيبة: هو صدوق صالح الحديث إلى الضعف.

وقال النسائي: ليس بالقوي.

وقال الدارقطني: في بعض حديثه شيء.

توفى سنة تسع وستين ومائة.

سمع إسماعيل، أباه، وأخاه، وخاله مالكا، وإبراهيم بن سعيد، وسليمان بن بلال، وقرأ على نافع بن أبي نعيم، وله عنه نسخة، وهو آخر من روى عنه بالمدينة.

وروى عنه قتيبة، وأحمد بن صالح، وابن كَاسِب، والذهلي، وإسماعيل القاضي، وأخوه حماد، وأبو حاتم السجستاني، وأبو خيثمة[1]، وابن حبيب، وابن وضاح.

قال أبو أحمد الكرابيسي الحافظ: وسمع منه خاله مالك، وخرج عنه البخاري ومسلم.

قال أبو حاتم الرازي: محله الصدق، وكان مغفلا.

قال ابن حنبل: لا بأس به.

وتكلم فيه ابن معين من غير باب الصدق مرة، وقال مرة: كان هو وأبو يسرقان الحديث.

وكذبه النضر بن سلمة المروزي، وقال: كان يحدث عن مالك بمسائل ابن وهب.

قال ابن عدي: روى عن خاله، وسليمان بن بلال، وغيرهما، وغرائب لا يتابع عليها، وقد حدث عنه الناس وأثنى عليه ابن معين، وأحمد، والبخاري يحدث عنه بالكثير وهو خير من أبيه لأنه كان مغفلاً. وتكلم فيه النسائي.

وقال الصدفي عنه: جالست خالي مالكًا من سنة ثمان وخمسين ومائة إلى أن مات، وذلك إحدى وعشرون سنة.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «ابن» وصوابه لدى المزي.

وروى عنه ابن وضاح واثنى عليه. وقال: إنه كان شديد القول فيمن يقول بالمخلوق. وروى عن مالك حديثًا كثيرًا، وفقهًا.

قال إسماعيل: قدمت على سفيان بعد وفاة خالي فأدنى مجلسي، وذكر خالي فدعا له، وذكر فضله وحاله، وما أصيب الناس به منه، وبكى. ثم قال: سلني ما شئت لمكان خالك.

قلت: أحاديث أحب أسمعها منك.

قال: أيما أحب إليك تقرأ أو أقرأ لك؟

قلت: أقرأ أنا، فهو أثبت لي.

قال: افعل. فبدأت بالقراءة.

فقال ناس من أهل العراق: يا أبا محمد اقرأ أنت ونسمع كلنا.

فقال: اطلبوا إليه، فإني قد آثرته بهذا المجلس لمكان خاله.

فكلموني فأبيت عليهم، وقرأت فصاحوا وقالوا: لا نسمع.

فقال لهم: لا سمعتم، ما أصنع لكم؟ فجعلوا يصيحون ويقولون لا نفعك الله به، أو نحو هذا.

قال ابن وضاح: وسأل رجل ابن أبي أويس، وهو جالس في الروضة داخل المسجد، فقال له: رحمك الله أي شيء تقول في القرآن فإنه قد اختلف علينا فيه؟

فغضب وقال: بقيت أنا حتى أسأل عن هذا أو يذكر في مجلسي، ناشدتك الله والقبر ومن فيه والمنبر ومن علاه وأشار إليهما إما أن تقوم عني وإما قمت عنك. هذا مما لا يذكر في مجلسي.

وتوفي إسماعيل سنة ستة وعشرين ومائتين وقيل سنة سبع وعشرين ومائتين.

٤٥ - أخوه أبو بكر عبد الحميد بن أبي أويس المعروف بالأعشى

يروي عن أبيه وأخيه وخاله وابن عجلان، وابن أبي ذئب، وسليمان بن بلال.

وقرأ على نافع القارىء، وكان صاحب عربية وقراءة.

أخرج له البخاري ومسلم، وروى عنه أحمد بن صالح المصري وأخوه إسماعيل، وإبراهيم بن المنذر، وإسحاق بن موسى، وسليمان بن بلال، وعبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبة، ومحمد بن عبد الحكم.

قال يحيى: هو ثقة فيما حكاه ابن أبي حاتم والعقيلي وغيرهما.

قال ابن شعبان: له ولأخيه عن مالك ما لا يجهل، الموطأ وغيره.

وروى عن مالك أنه قال لهما: أراكما تحبان هذا الشأن، فإن أردتما أن ينفعكما الله به فأقلا منه وتفقها فيه. وذكر يحيى بن بكير، فقال: ما بلغني إلا خير، كان كثير العلم.

قال أحمد التميمي في كتاب المحن عن موسى بن الحسن، قال: سمعت أبا بكر بن أبي أويس، ومطرف بن عبد الله، وقد دعيا إلى المحنة في القرآن بالمدينة. فلما قرىء عليهما الكتاب قال أبو بكر: أكفر بالله بعد نيف وتسعين سنة، ومجالسة مالك ورجال أهل العلم متوافرون بالمدينة؟ فقيل له: ليكن بيتك سجنك.

---

٤٥ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/٦١٣ وبحواشيه ثبت واف بمصادر الترجمة.

وقال صحبت نافعًا القارىء أربعًا وعشرين سنة لا أفارقه إلا في منزله. وكان الغالب عليه الحديث.

وحكى ابن شاهين، أن ابن معين كان يضعف بيت آل أبي أويس كلهم جدًا.

وتوفي سنة اثنتين أو ثلاث ومائتين، ويقال سنة إحدى ومائتين.

٤٦ - داود بن سعيد بن أبي زَنْبَر

قال الحاكم هو قريشي صحب مالكًا وروى عنه حديثًا وفقهًا كثيرًا، ويقال إنه كان أحد أوصيائه، وكان كثير الحديث.

وقد روى عنه جماعة من أصحاب مالك كمحمد بن مسلمة، وكابن نافع وغيرهما، وأثنى عليه ابن أبي أويس خيرًا.

قال الحاكم: هو أول من أخذ الفقه عن مالك.

قال غيره: كان ممن يخصه مالك بالأذن عليه، في أول من يأذن له. وكان أحد أوصيائه.

٤٧ - ابنه سعيد بن داود يكنى بأبي عثمان

قال الدار قطني: يروي أيضًا عن مالك نسخة عن أبي الزناد وعن الزهري، وهشام بن عروة، وثور بن زيد، أحاديث تفرد بها.

قال ابن أبي حاتم: وسكن سعيد بغداد، وقدم الري، وروى الموطأ عن مالك، وتكلم فيه أبو حاتم الرازي، وقال: ليس بالقوي.

---

٤٦ - من مصادر ترجمته: الجمهرة ١/ ٤٦١ وما بحواشيه من مصادر.

٤٧ - من مصادر ترجمته: الجمهرة ١/ ٥٢٥ وما بحواشيه من مصادر.

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: حدث عنه أحمد بن منصور الرمادي، ومحمد بن عمار الداري، وروى عنه خالي، وقد روى عنه ابن أبي حاتم، ويعقوب بن شيبة.

وقال البخاري: سعيد بن داود الزنبري ويقال ابن داود، مدني سكن بغداد.

وعده الحاكم في الضعفاء. قال: ويروي عن مالك أحاديث موضوعة.

وقد استشهد به البخاري في الصحيح.

٤٨ - يحيى بن عبد الملك الهُدَيْري

يكنى أبا زكرياء. قال الدار قطني: هو يحيى بن عبد الملك بن هارون ابن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن محرز الهديري التميمي.

قال غيره: هو من ولد ربيعة بن عبد الله الهديري. مشهور بصحبة مالك، والرواية عنه حديثًا ومسائل. وله روايات عنه، رواها عنه أبو يحيى الزهري القاضي وبه تفقه.

قال الشيرازي. وروى عنه الزبير بن بكار.

توفي سنة ست ومائتين، وقيل سنة ثمان ومائتين.

---

٤٨ - من مصادر ترجمته: طبقات الشيرازي - ص ١٤٠.

٤٩ - سعيد بن عمرو بن الزبير بن عمرو[١] بن الزبير ابن العوام الأسدي القرشي

ذكره الزبير في جمهرته. قال: وقد روى عن مالك بن أنس، وعبد الرحمن بن أبي الزناد، وكان من جلساء مالك وأصحابه، ولي الشرطة بدمشق لعباس بن محمد بن إبراهيم.

قال الزبير بن بكار ووكيع القاضي عن أبي يحيى الزهري وبعضهم يزيد على بعض، وحديث الزهري أَتَمّ. دعا أبو البَخْتَرِيّ وهب بن وهب حين ولي المدينة سعيد بن عَمْرو ليوليه شرطته، فأبى، وحلف وهب ليضربنه وليسجننه ثم لا يرسله ما دام عليه سلطان. فقبل عمله، فألبسه السواد، وقلده سيفًا وأعطاه مائة دينار، وقال له: صل بالناس العتمة. ففعل. فلما انصرف سعيد إلى منزله ومعه رسول وهب بالمائة قال ضعها في تلك الكوة. وندم على توليته.

فأراد أبو البختري أن يؤكد الأمر فأرسل إليه، صل بالناس الصبح، فإني مريض، فأبى وغدا حين أصبح إلى المسجد فجلس فيه.

وقال الزبير: إنما ولاه قضاء المدينة، فلما أصبح جلس في الرحبة، وأرسل إلى ثلاثة من فقهاء المدينة، وهم أبو زيد الأنصاري، ومُطَرِّف بن عبد الله، وعبد الملك بن المَاجِشُون. وقال لهم: رزقني الأمير[٢] ثلاثين دينارًا. فأنا أقسمها بينكم لكل رجل منكم عشرة. وقد استخلفتك يا أبا زيد.

---

٤٩ - من مصادر ترجمته: جمهرة نسب قريش للزبير ١/ ٣٦٠ - ٣٦١.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «بن عمر بن الزبير» وصوابه من الجمهرة.

(٢) في طبعة المغرب: «الله» والمثبت لدى الزبير الذي ينقل عنه المصنف.

فقال أبو زيد: إن عشرة دنانير لَمُسْتَرَادٌ لها[1]، ولكني ضعيف عن أن أَخْلُفَك.

وقال لعبد الملك وأما أنت فقد استكتبتك.

فقال: إن عشرة في الشهر لمرغوب فيها. ولكني ضعيف البصر ولا أصلح للكتابة.

وقال لمطرف استعملك على الطواف، وكان مطرف ضيقًا. فقال له: لو استعملت على عملك ما قبلته. فكيف أعمل لك على الطواف؟ فقال ما أنا بتاركك إلا أن أُعْفَى.

وقال وكيع وبعث إلى أبي غزية الأنصاري، ومطرف وعبد الملك وابن نافع الصائغ، فقال لمطرف وليتك السجون. وقال لأبي غزية وليتك السوق. وقال لعبد الملك وليتك كتابتي. وقال لابن نافع وليتك كذا. وذكر مثله.

فدخلوا على وهب فذكروا ذلك له فأرسل إليه. فلا جاءه كلمه في تركهم فقال له سعيد: ليس لك أن تكرهني وتمنعني من إكراههم. فقال: لا تعجل.

فحلف سعيد أن لا يعمل إلا أن يدعه يكره على العمل من رأى. فقال له وهب: ضع سيفنا، واخلع سوادنا، واردد مالنا.

وأمر به فدفع في قفاه، وهو يكبر. فلحقه الرسول فطلب المائة فقال له: أين وضعتها؟

قال: في الكوة التي أمرتني.

قال: انظرها حيث وضعتها.

فأخذها وانصرف. فقال في ذلك سعيد بن عمرو:

---

(١) في طبعة المغرب: «لمستزاد، ولكني» والمثبت لدى الزبير الذي ينقل عنه المصنف. يقال: فلان مسترادٌ لمثله، أي يطلب ويشح به لنفاسته.

أظن وهبُ بن وهبٍ أن أكون له لَمَّا تَغَطْرَسَ في سُلْطَانِه تَبَعَا
لما تغطرس وَهْبٌ في عَمَايته وازداد أُبَّهَةً واختال وابْتَدَعَا
خرجت منها خُروجُ القِدْح لاوَكِلاً وجُلِّلَ العَبْدُ فيها اللؤم والطَّبَعَا(١)

٥٠ - أخو الوليد بن عمرو

قال الزبير: كان سريًا استخلفه بعض ولاة المدينة بها. وكان من جلساء مالك.

وذكر بعض أصحابنا أنه ألف لمالك موطأه. يعني - والله أعلم - أنه بيضه له.

٥١ - إبراهيم بن هارون بن محمد بن الياس بن أبي النضر الليثي

قال الزبير: كان من جلساء مالك حافظًا عنه جامعًا لأنواع العلم عاقلاً، راجح الذهن.

قال غيره: كان حافظًا متقنًا، روى عنه الزبير.

٥٢ - زيد بن داود

قال مطرف: حدثني زيد بن داود - وكان من أفضل أصحابنا - قال رأيت في منامي كأن القبر فرج عن رسول الله ﷺ قاعدًا والناس قد انقضوا عليه، فصاح صائح بمالك بن أنس، فجاء إلى رسول الله ﷺ، فأعطاه شيئًا

---

(١) جمهرة نسب قريش - ص ٣٤٧.

٥٠ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٣/ ١٣٢١ وما بحواشيه من مصادر.

٥١ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ١/ ١٨٠ وما بحواشيه من مصادر.

٥٢ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ١/ ٤٩٤.

وقال اقسم هذا بين الناس. فرأيته يعطيهم إياه. فإذا هو مسك فتأولنا ذلك، العلم الذي بثه مالك في الناس.

٥٣ - أبو زيد الأنصاري

اسمه محمد بن زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن جارية[1] كذا نسبه القاضي وكيع.

وكان من رواة مالك وجلسائه، وأحد فقهاء المدينة ومفتيهم من ابناء الأنصار، وولي قضاءها أيام المبيضة، عند دخول محمد بن سليمان بن داود المدينة، فلما رجعت المسودة عزلته، ثم ولي أيام المأمون مرتين قبل أبي مصعب وبعده.

وذكر ذلك القاضي وكيع.

قال مصعب: ولاه المأمون قضاء المدينة سنة عشرين ومائتين.

وعنه في كتاب ابن حبيب روايات.

سمع منه ابن حبيب.

٥٤ - عبد الجبار بن سعيد بن سليمان المُسَاحقي

تقدم نسبه في الطبقة الأولى عند ذكر أبيه.

كان من أصحاب مالك وجلسائه.

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم، كنيته أبو معاوية، روى عن أبي الزناد، ويحيى بن محمد بن هانىء وابن وهب، وروى عنه أبو زرعة.

---

٥٣ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/ ١٠٧٠.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «حارثة» وصوابه من الجمهرة.

٥٤ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/٦٠٨.

وقال مصعب: كان أجمل قريش وجهًا وأحسنهم لسانًا، ولي إمرة المدينة وقضاءها، وأمه بنت عثمان بن الزبير بن عبد الله بن الوليد بن عثمان ابن عفان.

قال محمد بن الجراح، في كتاب الورقة: كان أديبًا ظريفًا مدنيًا.

قال وكيع كان من أصحاب مالك وابن أبي الزناد ومن أهل الأدب، حدث عنه إسماعيل القاضي وغيره. وولي قضاء المدينة وولايتها سنة اثنتين ومائتين.

وله:

وعوراء قد أسمعتها فصرفتها
وأوطأتها من غير عي بها نعلي
فلم يثنها ثان وكانت كما مضى
وجرَّ عليها العاصفات سفى الرمل

وله أيضًا:

أمر الغواني واحد حذو المثال على المثال[1]
أصبرن قبلك بالمنى قطعن أعناق الرجال

وأنشد له الزبير:

ومولى منحتُ النصح مني وإنه
لطاو حشاه والضمير على بُغْضِي
يُحَيِّي ويستحفِي إذا ما لقيتُهُ
وإن غبت أَوْ وَلَّيْتُ أرتع في عِرْضِي

(١) أخبار القضاة لوكيع - ص ١٦٤ - ١٦٥.

فلو شئت قد عض الأنامل نادمًا

وأوطأته إذ كان في موطىء دحض

ولكنه إحدى يدي فلم أجد

سبيلاً إلى مولى ببعضٍ على بعض

وأغضيت عنه غير وهن على التي

لعمرك ما يغضي على مثلها مغضي

وقال له الحسن بن زيد يومًا - وكان الحسن ولاه شرطة المدينة، فعتب عليه في شيء -: لقد هممت أن أفارقك فراقًا لا رجعة بعده، فقال له المساحقي إذًا أيها الأمير أقول:

وفارقت حتى ما أبالي من النوى

وإن بان جيران علي كرام

فقد جعلت نفسي على النأي تنطوي

وعيني على هجر الحبيب تنام

قال الزبير: توفي سنة ست وعشرين ومائتين وسنة ثلاث وثمانون سنة، وهو شيخ قريش.

٥٥ - حبيب اللأل

بشد الهمزة. ويعرف ببابَيْن. أحد أصحاب مالك القدماء وجلسائه المختصين به، وأحد من كان يقدمه في الإذن عليه ويخصه، وأحد أوصيائه.

---

٥٥ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ١/ ٣٩٤ وما بالحواشي من مصادر.

وقال بعضهم فيه: إبراهيم بن حبيب، وأراه ابن هذا. وذكر أنه وصي مالك.

وذكرهما ابن شعبان معًا.

وذكر أيضًا إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن بابين، ووجدت له حكاية عند موت مالك بن أنس: وجد إسحاق بن بابين، في تركة مالك، صندوقين مقفلين فيهما كتب. فجعل أبي يقرأها ويبكي ويقول رحمك الله، إن كنت تريد بعلمك الله. لقد جالسناك الدهر الطويل فما سمعته يحدث بشيء مما قرأت.

وأرى صوابه أبا إسحاق.

قال قاسم بن أصبغ: إبراهيم بن حبيب ثقة من أصحاب مالك، وهو وصي مالك رحمه الله تعالى.

٥٦ - حبيب بن أبي حبيب

واسم أبي حبيب مرزوق ويقال رزين. كاتب مالك وقارئه، وبقراءته سمع الناس الموطأ. مدني انتقل إلى مصر، وعده بعضهم في المصريين لأنه توفي بها.

روى عن مالك غير شيء، الموطأ، والفقه، وكثيرًا من الحديث وغيره.

ضعفه ابن حنبل وابن مَعِين، والنَّسائي، وأبو حاتم الرازي وكذبوه وذموه.

وقال ابن مَعِين: حبيب الذي بمصر كان يقرأ على مالك، وَيُخَطْرف

---

٥٦ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ١/ ٣٩٠.

للناس، ويصفح ورقتين. سألوني عنه فقلت: ليس بشيء. وبقراءته سمع ابن بكير. وهو شر العرض.

قال ابن أبي خيثمة ذكرت لمصعب ما ذكر أن حبيبًا كان يقلب ورقتين. فقال: إنما كنا نعرض له ورقتين إنكارًا لما ذكر من ذلك. قال مصعب قال لنا مالك: صلوا حبيبًا. أعطوا حبيبًا. وكان نزل على مالك. قال مصعب: كان حبيب يقرأ على مالك وأنا عن يمين حبيب، يقرأ كل يوم ورقتين أو ورقتين ونصفًا. وكان يأخذ في كل عرضة دينارين من كل إنسان، فزدناه نحن.

قال حبيب: جعل لي الدراوردي وابن كنانة وابن أبي حازم دينارًا على أن اسأل مالكًا عن ثلاثة سمعوا منهم عن مالك، ولم يحدث عنهم مالك، وتهيبوا الحديث عنهم لذلك، فدخلت عليه بعد الظهر، وليس عنده غير هؤلاء الثلاثة، فقال لي: ليس هذا وقتك.

قلت: أجل: ليس في البيت دقيق ولا سويق وقد جعل لي قوم دينارًا لأسألك: لِمَ لَمْ ترو عن فلان وفلان وفلان؟ فأطرق ثم قال: ما أحب منفعتك إلي! ولكن، لم أحمل العلم إلا عن أهله. فأومأ إلى القوم إن أكتفي بمسألتي.

وقال يحيى بن يحيى: رشوت حبيبًا بألف درهم حتى مكنني من مالك، فسمعت عليه ألف حديث.

وتوفي بمصر سنة ثمان عشرة ومائتين.

٥٧ - محمد بن الضحاك بن عثمان الحزامي

من جلساء مـالك يروي عنه وعن أبيه الضحاك. روى عنه يعـقوب بن حميد بن كاسب.

تقدم ذكـره عند ذكر أبيه وجده في الطبـقة الأولى وهناك بقيـة أخباره. قال الزبير: ومات شابًا وخلف أباه في العلم والأدب.

٥٨ - أبو غَزِيّة محمد بن موسى بن مسكين الأنصاري

من بني مازن بن النجار ومن ولد أسامـة بن زيد، من جهة النساء. من أصحاب مالك والقائلين بقوله وله رواية.

وولي القضاء بالمدينة، وسمع ابن أبي الزناد.

قال محمد بن سعد: كانت له رواية وعلم ونظر بالفتوى والفقه.

قال البخاري: يعد في أهل الحجاز، وعنده منا كير.

وفي بعض نسخ تاريخ البـخاري الكبيـر في ذكره، ثقـة. وجدت ذلك بخط شيخنا القاضي الشهيد رحمه الله تعالى.

روى عنه يعقوب بن محمد.

توفي في سنة سبع ومائتين قاله البخاري.

---

٥٧ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/ ١٠٩٥.

٥٨ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٣/ ١٢٠٩.

٥٩ - مُصْعَب بن عبد الله بن مُصْعَب بن ثابت بن عبد الله ابن الزُّبَيْر بن العَوّام

أبو عبد الله القرشي الأسدي، كذا نسبه البخاري وغيره، هو عم الزبير ابن بكار.

روى عن مالك الموطأ وغير شيء وعرف بصحبته، وروايته في الموطأ معروفة. سمع أباه ومالك بن أنس ونمطهم من أهل المدينة، وكتب عنه أبو خيثمة وابنه، ويحيى بن معين. وكان علامة قريش في النسب والشعر والخبر، شريفًا معظمًا عند الخاصة والعامة. شاعرًا ظريفًا.

قال الصدفي: مصعب بن عبد الله الزبيري أبو عبد الله صاحب الأنساب وصاحب مالك.

قال يحيى بن معين: هو ثقة.

ذكر جمل من أخباره

قال مصعب: قال لنا أبي اطلبوا العلم، فإن لم يكن لك مال أكسبك مالاً، وإن يكن لك مال أجداك جمالاً.

قال ابن أبي خيثمة: قلت لمصعب بن عبد الله: إن هؤلاء يقولون القرآن كلام الله، ويقفون. فيقولون من قال مخلوق ابتدع، ومن قال غير مخلوق ابتدع ويحتجون بك ويزعمون أنك تقول بهذا القول، وإن مالكًا يقوله.

---

٥٩ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٣/ ١٥٢١ وبحواشيه ثبت واف بمصادر الترجمة.

فقال معاذ الله. أما أنا فأقول كلام الله وأسكت وقلبي يميل إلى أنه غير مخلوق، ولكني أسكت لأنه بلغني عن مالك أنه يقول الكلام في الدين كله أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهون، القدر ورأي جهم، وكل ما أشبهه. ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل، فأما الكلام في الله فأحب إلي السكوت عن هذه الأشياء لأن أهل بلدنا ينهون عن الكلام إلا فيما تحته عمل. ولقد ناظرني إسحاق بن إسرائيل فقال: لا أقول كذا ولا كذا ولا أقول ذلك على الشك، ولكني أسكت كما سكت القوم قبلي. فأنشدته قصيدتي التي قلتها في الواقفة فكتبها عني وأعجبته وهي:

أأقعد بعدما رجعت عظامي ... وكان الموت أقرب ما يليني

أجادل كل معترض خصيم ... وأجعل دينه عرضًا لديني

وأترك ما علمت رأي غيري ... وليس الرأي كالعلم اليقين

وما أنا والخصومة وهي لبس ... تصرف في الشمال وفي اليمين

وكان الحق ليس له خفاء ... أغرّ كغرة الفلق المبين

وهي أطول من هذا.

ذكر جمل من ملحه

ذكر الجراح في كتاب الورقة عنه، قال: دخلت على أحمد بن هشام فقال يا أبا عبد الله لقد شهرك إبراهيم الموصلي حيث قال:

لام فيها مصعبٌ وصباح ... فعصينا مصعبًا وصباحا

عذلا ما عذلا ثم ملاً ... فاسترحنا منهما واستراحا

فقلت: ما شهرنا إلا بأمر جميل، جعلنا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر وما شهرك بن أشهر، حين قال:

وصافيـــة مـن الـمـدام رقـيقـــة رهينة عـــام في الدنّـان وعـــام

أدرنا بها الكأس الرويـة مـــوهنـا من الليل حتى انجاب كل الظلام

فما درّ قرن الشمس حتى رأيتـنا من العيّ نحكي أحمد بن هشام

فكأنما غشي عليه.

وتوفي آخـر شوال سنة ست وثلاثين ومـائتين، قاله ابن أبي خـيثـمة، قال: وسنة ست أو سبع وسبعون، وكان أسن من أبي.

٦٠ - عتيق بن يعقوب

ابن صُدَيْق بن موسى بن عبد الله بـن الزبير بن العوام القرشي الأسدي أبو بكر. وأمـه حفـصة بنـت عتـيق بن عامـر بن عـبد الله بن الزبيـر، من المختصين بمالك والقائلين بقوله، المكثرين عنه، الحافظين لسيرته وشمائله.

قال: سـمعت مالكًا يقول: ينبـغي للرجل أن يؤدب أهله وولده، ومن يجب عيه فرضـه، وقد قال عليه الصلاة والسلام: كلكم راع وكـلكم مسئول عن رعيتـه. فأدب أهلك أو من وليت أمره على أدبك وخلقك حـتى يتأدبوا على الذي أنت عليه ليكونوا لك عونًا على طاعة الله.

وقد ذكرنا في أخبار مالك دخوله منزل مـالك بعد وفاته، وما وجد فيه من حديثه، وأنه ما رأى منه شيئًا مما ذاكر به أصحابه في حياته.

قال مـحمد بن سعـد كاتب الواقدي في تاريـخه: كان ملازمًـا مالك. كتب عنه الموطأ وغـيره، ولزم أيضًا عـبد الله العمري واعـتزل، ثم رجع إلى المدينة، ولم يزل من خـيـار المسلمين. توفي سـنة سبـع أو ثمان وعـشـرين ومائتين.

---

٦٠ - من مصادر ترجمته: كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ٧/ ٦١٧.

وممن عداده في المكيين من أهل الحجاز:

٦١ - محمد بن إدريس الشافعي

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، وأمه أزدية.

ولد بالشام بغزة. وقيل باليمن سنة خمسين ومائة، وحمل إلى مكة فسكنها وتردد بالحجاز والعراق وغيرها. ثم قدم مصر فاستوطنها.

روى عن مالك ومسلم بن خالد، وابن عُيَيْنة، وإبراهيم بن سَعْد، وسعيد بن سالم، وإسماعيل بن عُلَيّة، ويحيى بن حسان والدراوردي وإبراهيم بن أبي يحيى، وابن أبي رواد، وابن أبي سلمة، والثقفي، وابن أبي فُدَيك، وفضيل بن عياض، وعن عمه محمد بن شافع.

روى عنه أحمد بن حنبل، والحُمَيْدي، وأبو الطاهر بن السَّرْح[1]، وحَرْملة بن يحيى، والبُوَيْطي، والمُزَني، والربيع المؤذن، ويونس بن عبد الأعلى، وأبو ثور، والزَّعْفَراني، وأحمد بن سنان الواسطي، ومحمد بن عبد الحكم وابن أخي ابن وهب، وهارون الأيلي في آخرين.

ابتداء طلبه وحفظه

قال الشافعي: كنت وأنا في المكتب أسمع المعلم يلقن الصبي فأحفظ ما يقول، ولم يكن عند أمي ما تعطي المعلم، وكنت يتيمًا، فكان المعلم يرضى

---

٦١ - من مصادر ترجمته: البداية والنهاية ١٠/ ١٥٤، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٤٤، تهذيب الكمال ٢٤/ ٣٥٥، مختصر تاريخ دمشق ٢١/ ٣٥٥، المقفى ٥/ ٣٠٩ وفي جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/ ١٠٢٥ مزيد من المصادر.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «وأبو الطاهر بن السراج» وصوابه لدى المزي.

مني بأن أخلفه إذا قام، ولقد كانوا يكتبون. وقبل أن يفرغ المعلم من الإملاء حفظت جميع ذلك.

وفي رواية: فقال لي ذات يوم: ما يحل لي أن آخذ منك شيئًا.

ثم لما خرجت من الكتاب كنت ألتقط الخزف وكرب النخل وأكتاف الجمال، فأكتب فيها الحديث، وأجيء إلى الدواوين فأستوهب الظهور، وأكتب فيها، حتى ملأت جبابًا كانت لأمي من ذلك. فسمع إذ ذاك بمكة من عمه ومسلم بن خالد الزنجي وغيرهم من المكيين.

قال: ثم خرجت من مكة فلزمت هذيلاً أتعلم كلامها، وكانت أفصح العرب، فبقيت فيهم سبع عشرة سنة، راحلاً برحلتهم ونازلاً بنزولهم. فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الأدب والأخبار، وأيام العرب، فمر بي رجل من الزبيريين فقال لي: يا أبا عبد الله، عزّ عليّ أن يكون مع هذه الفصاحة والذكاء فقه، فتكون قد سدت أهل زمانك. فقلت: من بقي يقصد؟ فقال لي: هذا مالك سيد المسلمين يومئذ.

فوقع في قلبي، وعمدت إلى الموطأ فاستعرضته وحفظته في تسع ليال، وذكر الإمام أبو المعالي الجويني عنه: أنه حفظه في ثلاث ليال.

ثم دخلت إلى والي مكة فأخذت كتابه إلى مالك وكتابه إلى والي المدينة، وقلت له: تبعثه إلى مالك يأتيك فتوصيه بي. فقال: يا ليتني إذا ركبت إليه مع حشمي معك، حتى نأتي بابه ونجلس عليه، حتى تضرب وجوهنا الريح بتراب العقيق، أذن لنا.

فلما صلينا ركب معي إليه، وصرت معه حتى أتينا العقيق، وكان منزله، فنزل بمن معه، وجلس على بابه، واستأذن. فخرجت إليهم جارية، فقالت الشيخ يقول لك: إن كنت تريد المسائل فاكتبها في رقعة أجبك عنها.

فقال لها: قولي له إن الأمير قد كتب إلي في حاجة، فدخلت فأبطأت ثم التفت إلي وقال: ألم أقل لك؟ قلت: بلى.

ثم خرج مالك فجلس وقال: ما شاء الله. فناوله الأمير الكتاب فلما بلغ موضع الشفاعة رمى به ثم قال: يا سبحان الله! وصار علم رسول الله ﷺ يؤخذ بالوسائل!

قال: فرأيت الوالي قد تهيبه أن يكلمه. فتقدمت إليه وقلت أصلحك الله، إني رجل مطلبي، ومن حالي وقصتي فلما سمع كلامي نظر إلي ساعة، وكانت له فراسة، فقال لي: ما اسمك؟ قلت محمد. قال لي: يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن من الشأن. ثم قال: نعم وكرامة. إذا كان غدًا تجيء وتجيء بمن يقرأ لك الموطأ.

قلت: فإنني أقوم بالقراءة.

قال: فغدوت عليه وابتدأت قراءته ظاهرًا، والكتاب بين يدي فلما تهيبت مالكًا وأردت قطع القراءة - وقد أعجبته قراءتي - قال: بالله يا فتى زد. حتى قرأته عليه في أيام يسرة، فأقمت بالمدينة إلى أن توفي رحمه الله تعالى.

وفي رواية: أن مالكًا لما نظر في الكتاب قال: من هو؟ فقال له الوالي: هذا.

فنظر إلي ونكس رأسه، ثم قال: كيف يصلح العلم لمن لا يمرض من خوف الله، فإذا كان كذلك أوشك أن ينفعه الله بالعلم.

فقال له الأمير: إنه مطلبي. فلما سمع ذلك سري عنه وذكر نحوه.

قال مصعب الزبيري: قدم الشافعي المدينة فكان يجلس في المسجد ينشد

أشعار الشعـراء، وكان حسن اللفظ فصيح القول، عالمًا بمعـانيه. فقال له أبي يومًا: ترضى لنفسك في قرشيتك بما أنت فيه أن تكون شاعرًا؟

قال: فمـا أصنع؟ قال تفقه. قال رسـول الله ﷺ من يرد الله بن خيرًا يفقهـه في الدين. قال وأنى لي بذلك؟ قال: مالك بن أنس سـيد المسلمين. فقال تقوم بنا إليه.

فأتينا مالكًا فجلس عنده وأخبره بشرفه وأمره، فقرّبه مالك وجعل يسمع منه.

فلما كان بعـد أيام قال الشافعي لأبي: الذي يقـول مالك أمرنا، والذي عليه أهل بلدنا، والذي عليه أئمـة المسلمين الراشدين المهديين، أي شيء هو؟ فقـال له: أولهم رسـول الله ﷺ، ثم أبو بكر وعمـر وعثـمان الذين مـاتوا بالمدينة.

فترك الشافعي ما كان فيه، وسمع الموطأ من مالك، وسرّ به مالك. ثم سار الشـافعي إلى العراق، فلزم مـحمد بن الحـسن وناظره على مذهب أهل المدينة. وكتب كتبه ورتب هناك قوله القديم، وهو كتاب الزعفراني.

اقتداؤه بمالك واعترافه له

قد تقدم في أخبار مالك كلام الشافعي فيه، وكثير من ثنائه عليه.

وقال الشافعي: مالك بن أنس معلمي. وفي رواية أستاذي، ومنه تعلمنا العلم، وإذا ذكر العلمـاء فمالك النجم، وما أحـد أمنّ عليّ من مالك، وعنه أخذت العلم.

وقال: إنما أنا غلام من غلمان مالك.

وقال: جعلت مالكًا حجة فيما بيني وبين الله.

قال محمد بن عبد الحكم: لم يزل الشافعي يقول بقول مالك ولا يخالفه إلا كما يخالفه بعض أصحابه، حتى أكثر فتيان عليه، فحمله ذلك على ما وضعه على مالك؛ وإلا فإنه كان الدهر كله إذا سئل عن الشيء قال: هذا قول الأستاذ.

قال القاضي هارون بن عبد الله الزهري: كان الشافعي معي بغزة، في منزل واحد. فكان يصنف كتبه بالليل، فقلت له: تتعب نفسك تسهر وتفني الزيت وتؤلف كتبًا تخالف فيها مذهب أهل المدينة، من ينظر فيها؟

فقل لي يبعث الله لها قوما أعيانا من أهل هذا المشرق فتكون عندهم أكثر من الكتاب والسنة.

قال القاضي أبو عبد الله التستري: قال لي القاضي أبو العباس بن سريج الشافعي قلت لأبي إسحاق إبراهيم بن حماد: ما بين مالك والشافعي أقل مما بين أبي يوسف وأبي حنيفة. وجعل يحتج بما ذهب إليه مالك في مسألة خلع الثلث. فقال: أنا لا أفتي ولا أقضي إلا بقول مالك.

وحكى أبو العباس الشارقي عن أبي إسحاق الشيرازي، أنه قال له: ما يعد الشافعي إلا أحد أصحاب مالك. ولو عد ما خالفه فيه مع ما خالفه فيه عبد الملك أو غيره من أصحابه، لكان أقل، أو نحو هذا من الكلام.

ذكر ثناء العلماء عليه بسعة العلم والفضل

قال محمد بن عبد الحكم: قال لي أبي: الزم هذا الشيخ يعني الشافعي، فما رأيت أبصر منه بأصول العلم. أو قال: بأصول الفقه.

قال محمد: لولا الشافعي ما عرفت، وهو الذي علمني القياس، وكان صاحب أثر وفضل وخير، مع لسان فصيح طويل، وعقل رصين صحيح.

وقال فيه ابن عيينة: هذا أفضل فتيان زمانه، وكان ابن عيينة إذا جاءه شيء من التفسير والرؤيا قال سلوا هذا. يعني الشافعي.

وقال له مسلم بن خالد الزنجي شيخه وهو شاب، ابن خمس عشرة سنة، ويقال ابن ثمان عشرة: قد آن لك أن تفتي يا أبا عبد الله.

وقال يحيى بن سعيد القطان: إني لأدعو للشافعي في صلاتي، لما أظهر من القول بما صح عن رسول الله ﷺ.

وقال أحمد بن حنبل: ما أحد يحمل محبرة من أصحاب الحديث إلا وللشافعي عليه منة.

قال: وكنا نلعن أصحاب الرأي ويلعوننا حتى جاء الشافعي، فمزج بيننا.

وقال: ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالسته.

وقال أحمد بن حنبل لإسحاق بن راهويه: تعال أرك رجلاً لم تر عيناك مثله. فأراه الشافعي.

قال، وقال لي: جالسه يا شيخ.

فقلت إن سنه قريب من سننا. أأترك ابن عيينة والمقبري؟ قال ويحك: إن ذلك لا يفوت وذا يفوت.

وقال ابن حنبل: كان الشافعي أفقه الناس في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وكان قليل الطلب للحديث.

قال وقد رآه: هذا رحمة من الله لأمة محمد ﷺ.

وقال بعضهم قلت لأحمد: تركت سفيان وعنده التابعون - يعني

وجئت إلى الشافعي - فقال لي: اسكت فإن فاتك علو الحديث تجده بنزول لا يضرك في دينك ولا عقلك، وإن فاتك عقل هذا الفتى أخاف أن لا تجده أبدًا، ما رأيت أفقه في كتاب الله منه.

وقال أحمد: كان الشافعي كالشمس للدنيا، والعافية للناس. فانظر هل لهذين من عوض؟

قال أحمد: وبلغني أن النبي ﷺ قال: يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة رجلاً يقيم لها أمر دينها، وقال: قد اختلفنا إليه فما رأينا إلا خيرًا.

وقال ابن معين لصالح بن أحمد بن حنبل: أما يستحيى أبوك رأيته مع الشافعي، والشافعي راكب وهو راجل، ورأيته قد أخذ بركابه؟

قال صالح: فقلت لأبي فقال لي: قل له: إن أردت أن تتفقه، فخذ بركابه الآخر.

قال إسحاق: ما تكلم أحد إلا والشافعي أكثر اتباعًا وأقل خطأ.

وقال إسحاق: الشافعي إمام.

قال أبو عبيدة: ما رأيت رجلاً قط أكمل من الشافعي.

وقال هارون: ما رأيت مثله، لو ناظر على أن هذا العمود الذي من حجارة أنه من خشب، لأثبت ذلك لقدرته على المناظرة.

وقال أبو ثور: الشافعي عندي أفقه من الثوري والنخعي.

قال غيره: ما رأيت محمد بن الحسن يعظم أحدًا من أهل العلم إعظامه للشافعي.

وقال هلال بن العلا: الشافعي فتح أقفال العلم.

وقال الزعفراني: ما رأيت قط أفصح ولا أعلم من الشافعي. كان يقرأ عليه من كل الشعر فيعرفه.

قال ابن هشام: الشافعي حجة في اللغة، وذاكره بمصر في أنساب الرجال فقال له الشافعي بعد ساعة: دع هذه، فإنها لا تذب عنا ولا عنك وخذ بنا في أنساب النساء. فلما أخذا في ذلك بقي ابن هشام ساكتا فكان يقول: ما ظننت أن الله خلق مثل هذا.

قال النسائي: وهو أحد العلماء ثقة مأمون.

وقال يونس: ما أخرجت الحجاز مثل الشافعي. قيل له فكيف كان أخذكم عنه؟ قال قصرنا وعاجله الموت، ولو مد في عمره لأدرك من علمه ما لم يدرك من علم أحد في زمانه.

وقال: ما رأى أهل العراق مثل الشافعي، لو ضُمَّت عقول الناس كلهم إلى عقله لغرقت عقولهم في عقله. ومن فهم عن الشافعي ما يقول فهو الغاية. وكان يكلم الناس على قدر أفهامهم.

قال المزني: ألف الشافعي كتاب السبق والرمي وكان بصيراً بذلك. وأي علم كان يذهب عليه؟

وقال: لو كنا نفهم عن الشافعي كل ما يقول، لأتيناكم عنه بصنوف من العلم. ولكنا لم نكن نفهم.

وسأله رجل عن الرأي فقال: أين أنت من كتب الشافعي.

قال الأصمعي: ورأيت محمد بن إدريس، فرأيت فقيهًا عالمًا حسن المعرفة عذب اللسان، يحتج ويعرف، ولا يحسن إلا لصدر سرير، أو ذروة

منبر، وما علمت أني أفدت حرفًا، فضلاً عن غيره. ولقد استفدت منه ما لو حفظ رجل يسيره لكان عالمًا.

قال غيره: أقام الشافعي في علم العربية وأيام الناس عشرين سنة. فقيل له في ذلك. فقال ما أردت به إلا الاستعانة على الفقه.

قال الزعفراني: كان يحضر مجلسه ببغداد الأدباء والكتاب، يسمعون حسن ألفاظه وفصاحته، وما رأيت ولا أرى أحد في عصر الشافعي مثله.

قال أيوب بن سويد: ما طننت أن أبقى حتى أرى مثل الشافعي، ما رأيت مثل هذا الرجل قط. وكان لقي الناس.

وقال أبو يعقوب البويطي: رأيت الناس بمصر والشام والعراق والكوفة والبصرة والحجاز من كل صنف، من علماء القرآن والفقه ولسان العرب والسير والكلام وأيام العرب، ما رأيت أحدًا يشبه الشافعي. وهو عندي أورع من كل من رأيت نسب إلى الورع.

وقال الشافعي: وددت أن الخلق يعلمون ما في كتبي ولا ينسبون إلى منها شيئًا.

وقال سويد بن سعيد: كنا عند ابن عيينة بمكة فجاء الشافعي فجلس فروى ابن عيينة حديثًا رقيقًا، فغشي على الشافعي. فقيل لسفيان: مات ابن إدريس. فقال إن كان مات فقد مات أفضل أهل زمانه.

وقال أحمد بن عبد الله: هو ثقة صاحب رأي وكلام، ليس عنده حديث. وكان يتشيع.

والثناء على الشافعي كثير وفضله مشهور، إلا ما كان من يحيى بن معين فإنه أكثر القول فيه وأساءه، ونحوه لعلي بن المديني، ويونس، والحسن ابن مكرم، ومحمد بن الحكم وغيرهم.

وقد تقدم ليونس ومحمد خلاف ذلك، وأرى لأجل كلام يحيى وأولئك فيه، ترك أهل الصحيح حديثه، فلم يدخلوا له حرفًا. وكيفما كان، فلا خلاف في إمامته في الفقه، وإنما ضعف حديثه، لروايته عن الضعفاء كما قال محمد بن عبد الحكم، يروي عن الكذابين والبدعيين، وإلا فهو في نفسه بريء من ذلك.

وقد ألف الحافظ أبو بكر بن ثابت الخطيب كتاب الحجة في الشافعي، وأثبته في الصحيح.

قال القاضي رضي الله عنه: وسنجلب بعد هذا من تسننه ما يصحح ما قلناه، ويبطل ما عداه إن شاء الله تعالى.

وأخبار الشافعي كثيرة وفضائله مأثورة. قال الربيع لمن سأله أن يحدثه بأخباره: لو ذهبت أحدثكم بأيام الشافعي ما أتيت عليه في سنة.

ذكر الأثر المتأول فيه وتسننه واتباعه ومذهبه فيما اختلف فيه

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: اللهم اهد قريشًا، فإن عالمها يملأ طباق الأرض علمًا. اللهم كما أذقتهم عذابًا فأذقهم نوالاً. قال الربيع: قال الشافعي: القرآن كلام الله غير مخلوق. ومن قال مخلوق، فهو كافر.

وقيل لمحمد بن عبد الحكم: أكان الشافعي بدعيًا أو كذابًا؟ قال: وإن خالفناه فلا ينبغي أن نقول عليه ما لا نعلم، كان أبعد الناس من ذلك. قيل له: فكان يقف في القرآن؟ قال ما علمت ذلك. كان بريئًا من ذلك أو نحوه.

قال ابن حنبل: الشافعي ثقة، صاحب رأي وكلام، وليس عنده حديث. وكان يتشيع.

وقيل للشافعي فيك بعض التشيع. قال: وكيف؟ قالوا: تظهر حب آل محمد. قال: يا قوم، ألم يقل رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»، وقال: «إن أوليائي وقرابتي المتقون».

فإذا كان واجبًا أن أحب قرابتي وذوي رحمي إذا كانوا من المتقين، أليس من الدين أن أحب من قرابة رسول الله ﷺ من كان كذلك؟ فإنه كان يحبهم. ثم أنشد:

يا راكبًا قف بالمحصب من منى ... واهتف لساكن خيفها والناهض

سحرًا إذا فاض الحجيج إلى منى ... فيضًا كملتطم الخليج الفائض

إن كان رفضًا حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أني رافضي

وكان الشافعي يقول لأحمد وابن مهدي: أما أنتم فأعلم بالحديث مني، فإذا كان صحيحًا فأعلموني به، أذهب إليه.

قال البويطي: إنما كان الشافعي يتبع أخلاق رسول الله ﷺ.

ذكر جوده وبقية أخباره وفضائله

انصرف الشافعي من اليمن إلى مكة ومعه عشرة آلاف دينار، فضرب خباء خارج مكة، وجاءه الناس فما برح حتى فرقها كلها، فلما دخل مكة استسلف ما أنفق.

قال الربيع: ما أرى أتى عليه يوم إلا تصدق فيه. وكان يف شهر رمضان كثير الصدقة بالثياب والدراهم، ويطعم الفقراء. وأصلح رجل زره، فأعطاه دينارًا، واعتذر إليه، وناوله آخر سوطه، فأعطاه صرة دنانير وقال: لم يحضرني غيرها.

قال الربيع: قد سمعنا بالأسخياء، وقد كان قوم عندنا بمصر منهم، رأيناهم. فأما مثل الشافعي فما رأيناه ولا سمعنا أحدًا في زمان كان مثله. وكان إذا سأله إنسان يحمر وجهه حياء من السائل. ودخل مرة الحمام، فأعطى صاحبه مالاً كثيرًا، وسقط سوطه فناوله إنسان فأعطاه خمسين دينارًا. وأنشد الشافعي عند خروجه إلى مصر:

أخي أرى نفسي تتوق إلى مصر ومن دونها أرض المفاوز والقفر

فو الله ما أدري أللخفض والغنا أساق إليها أم أساق إلى قبر

قال المؤلف رحمه الله تعالى: سيق إليهما معًا، رحمه الله.

قال سعد بن عبد الله بن عبد الحكم: لما قدم الشافعي مصر قدم علينا على خلة شديدة فمضى أخي محمد إلى بعض من بالبلد من المياسير، فقال له: قد قدم علينا من أصحابنا ومن أهل مذهبنا من قريش على خلة فتأمر لنا بما يغير به حاله. فأمر له بخمسمائة دينار، فلما كان المساء اجتمعنا عند أبي. فقال: ما كان ينفعني أن يرضى بمثل هذا من فلان. فقال له أخي: فأعنا عليه، ففعل، فأتمها ألفًا.

قال الشيرازي: ويقال إن ابن عبد الحكم دفع إلى الشافعي من مال نفسه ألف دينار، وأخذ له من بعض أصحابه ألفًا، ومن رجلين آخرين ألفًا ثالثًا. وعند ابن الحكم مات الشافعي.

قال سعد: وكان الشافعي يلزم محمدًا ولا يفارقه، يأتيه كل يوم غدوة فربما لم يجده في المنزل، فيسأل أين يذهب، فيمضي إليه. وكان يأخذ من كتبنا كتب مالك في كل يوم جزأين، فيمكثان عنده ذلك اليوم وليلته، ثم يغدو وقد فرغ منهما فيردهما ويأخذ آخرين.

وروى من أخباره أنه قال: بينما أنا أدور في طلب الحديث باليمن قيل لي هاهنا امرأة وسطها إلى اسفل بدن وإلى فوق بدنان مفترقان، بأربع أيد ورأسين، فأحببت رؤيتها ولم أستحل ذلك فخطبتها ودخلت بها فوجدتها على ما وصفت، فلعهدي بالبدنين يتلاطمان ويتقابلان ويصطلحان ويأكلان ويشربان.

ثم نزلت عنها وغبت ورجعت بعد مدة، فسألت عنها، فقيل: مات الجسد الواحد وربط أسفله بحبل وثيق، وترك حتى ذبل ثم قطع ودفن.

فرأيت الشخص الآخر بعد ذلك يذهب في الطريق ويجيء.

قال المؤلف رحمه الله في نكاح مثل هذا نظر! وهما أختان لا شك جمعهما بعض الجسد وفرج واحد مشترك، وإذا كان على ما وصف من خلاف أخلاقهما وأغراضهما فهو أبين والله تعالى أعلم.

قال ابن عبد الحكم: روى أن أم الشافعي لما حملت به، رأت كأن المشتري خرج من فرجها، حتى انقض بمصر، ثم وقع في كل بلد منه شظية، فتؤول أنه عالم يخص علمه أهل مصر، ويفترق منها في البلاد.

قال الربيع: كان الشافعي يختم في كل ليلة ختمة. فإذا كان رمضان ختم في كل ليلة منه ختمة، وفي كل يوم ختمة.

قال: وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة. وكان يحيي الليل حتى مات.

ولما قدم الشافعي على الزعفراني نزل عليه، فكان الزعفراني يكتب للجارية ما يصلح من الألوان كل يوم لطعامه. فدعا الشافعي يومًا الجارية ونظر في الكتاب فزاد بخطه لونًا اشتهاه، فلما حضر الطعام أنكر الزعفراني اللون الذي لم يأمر به فسأل الجارية، فأخبرته. فلما نظر في الرقعة ووجده بخط الشافعي أعتق الجارية فرحًا بذلك.

وألح عليه يومًا أصحاب الحديث فقال لهم: لا تكلفوني أن أقول لكم

ما قال ابن سيرين لرجل ألح عليه: إنك إن كلفتني ما لا أطيق ساءك ما سرك مني من خلق.

وروي أن الشافعي كان عطيرًا. وكان غلامه يأتيه كل يوم بغالية يمسح بها الأسطوانة التي يجلس إليها، وكان إلى جانبه رجل متزهد فعمد إلى عذرة فجعلها في شارب نفسه، مضادة لما فعل. وكان يسميه البطال، فلما شم الشافعي الرائحة قال: فتشوا نعالكم. ثم قال ليشم بعضكم بعضًا فوجدوا ذلك بالرجل، فقال له الشافعي ما حملك على ما فعلت؟ قال رأيت تجبرك فأردت أن أتواضع لله.

قال الشافعي: اذهبوا به إلى صاحب الشرطة يعقله، حتى ننصرف. فلما خرج الشافعي أمر به فضربه ثلاثين درة. وقال له: هذا أراه لجهلك. ثم أربعين، وقل له هذا لتخطيك المسجد بالعذرة.

جمل من حكمه وآدابه

قال الشافعي: من ولي القضاء ولم يفتقر فهو سارق. ومن حفظ القرآن نبل قدره، ومن تفقه عظمت قيمته، ومن حفظ الحديث قويت حجته، ومن حفظ العربية والشعر رق طبعه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه العلم.

وقيل له كيف أصبحت؟ فقال كيف أصبح من يطلبه الله بالقرآن، والنبي ﷺ بالسنة، والحفظة بما ينطق، والشيطان بالمعاصي، والدهر بصروفه، والنفس بشهواتها، والعيال بالقوت، وملك الموت بقبض روحه.

وقال: أحسن الاحتجاج ما أشرقت معانيه، وأحكمت مبانيه، وابتهجت له قلوب سامعيه.

وقال: الطبع أرض، والعلم بذر، ولا يكون العلم إلا بالطلب، فغذا كان الطبع قابلاً زكا مربع العلم وتفرعت معانيه.

وقال العلم جهل عند أهل الجهل، كما أن الجهل جهل عند أهل العلم. وأنشد فيه:

ومنزل السفيه من الفقيه كمنزلة الفقيه من السفيه

فهذا زاهد في قرب هذا وهذا فيه أزهد منه فيه

واستعار الشافعي من محمد بن الحسن كتبه فمنعه إياها. فكتب إليه:

قل للذي لم تر عينا من رآه مثله

العلم يأبى أهله أن يمنعوه أهله

لعله يبذله لأهله لعله؟

فأجابه محمد بن الحسن ما أراد ذلك وكان الشافعي كثيراً ما ينشد:

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم ولن يكرم النفس الذي لا يهنيها

يريد لمن يطلب العلم عنده.

وقال المزني سمعت الشافعي يقول: ذكر رجل رجلاً فقال: أما والله لقد كان يملأ العيون جمالاً، والأذن بيانًا. فقال له رجل: أعد رحمك الله، فقال: أعيده والله عليك بلا تهاتر مني، ولا إفكاه لك ولا تزكية له.

ذكر محنته ووفاته رحمه الله تعالى

قال الفضل بن الربيع: بعث إلي الرشيد في وقت لم يكن يبعث إلي فيه، فدخلت عليه في مجلس خاصته وبين يديه سيف وقد اربد وجهه. فقال

لي يا فضل اذهب إلى الحجازي محمد بن إدريس فأتني به، فإن لم تأتني به أنزلت بك ما أريد به.

فأتيته وهو في مسجد بيته يصلي، فانفتل من صلاته، فقلت له: أجب أمير المؤمنين فقال: بسم الله وحرّك شفتيه ثم نهضت أمامه وهو يقفوني حتى أتيت القصر، وأنا أرجو أنه قد نام فإذا هو جالس. فقال ما فعل الرجل؟ قلت: بالباب، قال: لعلك روعته، قلت: لا قال: أدخله.

فلما دخل تزحزح له عن مجلسه وتهلل وجهه، وضحك إليه وصافحه وعانقه وقال له: يا أبا عبد الله لم يكن لنا عليك من الحق أن تأتينا إلا برسول.

فاعتذر بعذر لطيف. فقال: إنا أمرنا لك بأربعة آلاف دينار، وفي رواية بعشرة آلاف. فقال: لا أقبلها. فقال: عزمت عليك لتأخذنها. يا فضل! احملها معه. قال الفضل: فلما انصرف قلت: بالذي أنجاك منه وأبدلك رضاه من سخطه، ما قلت في إقبالك إليه ودخولك عليه.

قال نعم، قلت: شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، رب العرش العظيم. اللهم إني أعوذ بنور قدسك، وعظمة طهارتك، وبركة جلالك، من كل آفة أو عاهة، أو طارق يطرق، إلا طارقًا يطرق بخير يا أرحم الراحمين. اللهم أنت عياذي، فبك أعوذ وأنت ملاذي فبك ألوذ، يا من ذلت له رقاب الجبابرة، وخضعت له مقاليد الفراعنة، أعوذ بكرمك من غضبك، ومن نسيان ذكرك، ومن أن تخزيني أو تكشف ستري، أنا في كنفك في ليلي ونهاري، وظعني وأسفاري ونومي وقراري. فاجعل ثناءك دثاري، وذكرك شعاري، لا إله غيرك، تنزيهًا لوجهك وتعظيمًا لسبحات قدسك. أجرني من عقوبتك وسخطك، واضرب

علي سرادقات حفظك، وأعطني من خير ما أحاط به علمك. واصرف عني سوء ما أحاط به علمك. وأمن على روعاتي يوم القيامة يا أرحم الراحمين.

قال الفضل: فما دخلت على سلطان فدعوت بهذا الدعاء إلا ضحك في وجهي وضمني وأكرمني.

وفي رواية أخرى، إن الفضل سأله بما دعا به.

فقال له نعم. هو ما حدثني به مالك عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ، دعا به يوم الأحزاب: اللهم إني أعوذ بنور قدسك وعظمة طهارتك وبركة جلالك من كل آفة وعاهة. وذكر نحو ما تقدم.

وتوفي الشافعي بمصر عند عبد الله بن عبد الحكم وإليه أوصى.

قال الربيع: كنا جلوسًا في حلقة الشافعي بعد موته بيسير، فوقف علينا أعرابي فسلم، ثم قال أين قمر هذه الحلقة وشمسها؟ فقلنا توفي رحمه الله تعالى.

فبكى بكاءًا شديدًا وقال رحمه الله وغفر له، ما أكثر ما كان يفتح ببيانه منغلق الحجة، ويهدي خصمه واضح المحجة، ويغسل من العار وجوهًا مسودة، ويوسع من الرأي أبوابًا منسدة، ثم انصرف.

وكانت وفاته بمصر يوم لخميس وقيل ليلة الجمعة منسلخ رجب سنة أربع ومائتين ودفنه بنو الحكم في قبورهم. وصلى عليه أمير مصر، وكان رحمه الله تعالى خفيف العارضين يخضب.

ومن أهل اليمن:

٦٢ - أبو قرة موسى بن طارق السَّكْسَكِي

كنيته: أبو محمد وأبو قرة لقب له، قاله الحسين بن محمد الغساني الحافظ. وقال: نقلته من خط ابن فطيس.

وقال الأمير أبو نصر في كتاب الإكمال: أبو قرة موسى بن طارق الجَنَدي - بجيم ونون مفتوحة ودال مهملة مكسورة - منسوب إلى جَنَد، ناحية اليمن.

وقال ابن شعبان هو من أهل زبيد، من أهل الخصيب. قاض لهم.

وروى عن مالك ما لا يحصى حديثًا ومسائل، وقد روى عنه الموطأ.

ولأبي قرة كتابه الكبير، وكتابه المبسوط، وسماع معروف في الفقه عن مالك، يرويه عنه علي بن زياد اللَّحْجِيّ[1]. قرية هنالك.

وروى عنه أيضًا صامِت بن مُعَاذ، وكان أبو قرة قاضي زبيد.

وذكره أبو عمرو المقرىء في كتاب القراء. فقال: قرأ أبو قرة على نافع وروى عن إسماعيل القسط، وموسى بن عُقْبة، ومالك، وابن جُرَيْج، وابن عُيَيْنة.

روى عنه علي بن زياد اللَّحْجِيّ، ومحمد بن يوسف[2] الزَّبِيدِي، وابن حنبل، وابن راهويه.

قال أبو حاتم: محله الصدق، وأثنى عليه ابن حنبل خيرًا. وقال ابن أبي داود: هو ثقة.

---

٦٢ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٣/ ١٢٨٢ وما بحواشيه من مصادر.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «الحجبي» وهو تحريف قبيح، صوابه لدى المزي. ولحج: بالفتح ثم السكون وجيم، مخلاف باليمن.

(٢) تحرف في طبعة المغرب إلى: «يونس» وصوابه لدى المزي وابن حجر في التقريب.

٦٣ - محمد بن حميد بن عبد الرحيم بن شروس

ويقال الشروسي الصنعاني. من أصحاب مالك، له عنه الموطأ. وكتاب سماع مسائل ثلاثة أجزاء.

يروي عنه أبو علي الحسن بن أحمد بن أبي الطيب الصنعاني.

قال القاضي رضي الله عنه، وقد رأيت موطأه عن مالك، وهو غريب لم يقع لأصحاب اختلاف الموطآت، فلهذا لم يذكروا منه شيئًا والله أعلم. وإنما يذكرون من حديث ابن شروس ما في غير الموطأ.

* * *

٦٣ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/ ١٠٥٣ وما بحواشيه من مصادر.

obeikandl.com

ومن أهل البصرة والعراق وما وراءهما من بلاد المشرق:

٦٤ - عبد الله بن مَسْلَمَة

ابن قَعْنب التميمي.

الحارثي، القعنبي أبو عبد الرحمن، أصله مدني وسكن البصَرة، فهو في عداد البصريين.

روى عن مالك، وابن أبي ذئب، وأبيه، ومَخْرَمة بن بُكَيْر، وشُعْبة، والليث، والدراوردي، والعُمَرِيّ، والحمادين، وسليمان بن بلال.

روى عنه أبو زرعة، وأبو حاتم الرازيان، وعلي بن عبد العزيز، والذُّهلي، وأحمد بن سنان، ومحمد بن سَهْل بن عَسْكر، والرمادي، وأبو داود السجستاني، وأخرج عنه البخاري ومسلم.

حكى أبو علي الغساني الحافظ عنه أنه قال: لزمت مالكًا عشرين سنة حتى قرأت عليه الموطأ.

ذكر فضائله والثناء عليه

قال ابن شاهين فيما يحكى عن الحنيني: كنا عند مالك رحمه الله تعالى فجاءه رجل فأخبره بقدوم القعنبي، فقال: هنيئا بقرب قدومه فقال: قوموا بنا إلى خير أهل الأرض نسلم عليه. فقام فسلم عليه.

قال أبو زرعة: ما كتبت عن أحد أجل في عيني منه.

قال أبو حاتم: القعنبي أحب إلي من ابن أبي أويس. وهو بصري ثقة حجة.

---

٦٤ - من مصادر ترجمته: الديباج المذهب ١/ ٣٦١ ولمزيد من المصادر: انظر حواشي جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/ ٧٦٤.

وقال: ما رأيت أخشع منه. سألناه أن يقرأ لنا الموطأ، فقال ائتوا بالغداة فقلنا إنا نجلس عند الحجاج. قال فإذا فرغتم؟ قلنا نأتي مسلم بن إبراهيم. قال فإذا فرغتم؟ قلنا يكون وقت الظهر ونأتي أبا حذيفة. قال فبعد العصر. قلنا نأتي حازمًا. قال فبعد المغرب. فكنا نأتيه ليلاً فيخرج وعليه لبد، ماتحته شيء في الصيف في الحر الشديد. فيقرأ لنا وهو على جسده، ولو أراد لأعطي الكثير.

قال هارون بن إسحاق: ما رأيت أحدًا يريد بعلمه الله، إلا القعنبي.

قال ابن معين فيه: ذلك من در ذاك من دنانير.

قال: وإخوته ثقات كما تحب.

وقال: أثبت الناس في مالك هو معن.

وقال مرة: أثبتهم القعنبي.

قال أحمد: هو ثقة. وقال الكوفي: هو ثقة، رجل صالح. وقال سعيد ابن منصور إنا لنقول - أو إنه ليقال -: ما يطوف بهذا البيت أحد من خلق الله أفضل من القعنبي.

قال ابن مفرج: هو بصري ثقة عابد.

قال عبد الله بن داود: حدثني القعنبي، وهو عندي والله أخير من مالك.

قال ابن أبي أويس: كان مالك إذا جلس قال ليلني منكم ذو الأحلام والنهى، فربما جلس القعنبي عن يمينه.

قال عبد الله بن عبد الحكم: كنت عند عبد الرزاق، فنهرني مرة، وأبى

أن يكتب فبت مغمومًا، فرأيت النبي ﷺ، فذكرت له قصتي مع عد الرزاق، فقال لي اكتب عن أربعة، فقلت: من هم يا رسول الله؟ فذكر القعنبي وثلاثة معه.

وعده أبو عمر بن عبد البر في الفقهاء من أصحاب مالك، وقد روى عن مالك كثيرا.

وبنو قعنب أربعة: عبد الله هذا، وإسماعيل، ويحيى، وعبد الملك بنو مسلمة، كلهم روى عن مالك.

قال أحمد بن الهيثم: كنا إذا أتينا القعنبي خرج إلينا كأنه مشرف على جهنم.

قال البخاري: توفي سنة عشرين أو إحدى وعشرين ومائتين.

وحقق ابن مفرج وأبو إسماعيل الترمذي بمكة يوم السبت، ست خلون من المحرم منها.

وقال أبو إسماعيل الترمذي لست خلون، يوم الخميس. وقيل يوم عاشوراء. وقاله ابن الجزار في كتاب التعريف.

٦٥ - عبد الرحمن بن مَهْدي بن حسان العَنْبَرِيّ

يكنى أبا سعيد، مولى الأزد بصري، سمع السفيانيين، والحمادين، ومالكًا، وشعبة، وعبد العزيز، وشريكًا، وهمامًا، وأبا عوانة، وزائدة، والدستوائي، وغيرهم.

---

٦٥ - من مصادر ترجمته: تهذيب الكمال ١٧/ ٤٣٠، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٩، وطبقات الحفاظ للسيوطي - ص ١٥٦ وبحواشيه ثبت واف بمصادر الترجمة.

روى عنه ابن وهب، وابن حنبل، ويحيى، وزهير، وابن المديني، وابنا أبي شيبة، وإسحاق، وأبو عبيد، وأبو ثور، وابنه موسى بن عبد الرحمن، ويحيى بن مَعِين[1] وغيرهم. وخرج عنه البخاري ومسلم، ولازم مالكًا فأخذ عنه كثير الفقه والحديث وعلم الرجال، وله معه حكايات.

قال ابن المديني: كان ابن مهدي يذهب إلى قول مالك، وكان مالك يذهب إلى قول سفيان بن يسار، وكان سليمان يذهب إلى قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

قال أحمد بن عبد الله بن صالح: رسالة الشافعي، ابن مهدي ابتدأها، وأتمها الشافعي.

وذكر أبو إسحاق الشيرازي: أن الشافعي إنما كتب الرسالة إلى ابن مهدي، وهو الأشبه عندي. وكان يجالس الشافعي ويصحبه مع أحمد بن حنبل، فكان الشافعي يقول لهما: ما صح عندكما من الحديث فأعلماني لأتبعه لأنكما أعلم بالحديث مني.

ويقال: إن ما أرسله مالك من غير ابن مسعود فعن ابن مهدي أخذه.

ثناء العلماء عليه وذكر فضله

قال علي بن المديني غير مرة[2]: لو حلفت بين الركن والمقام، لحلفت أني لم أر مثل عبد الرحمن.

وقال أيضًا: كان ابن مهدي أعلم الناس. وقال لي ابن مهدي: اختلفت إلى حماد بن زيد زمانًا، وما بي إليه حاجة.

---

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «سعيد» وصوابه لدى المزي.

(٢) قول ابن المديني جاء محرفا في طبعة المغرب، وتصويبه من تذكرة الحفاظ للذهبي.

قال ابن حنبل: كان ابن مهدي من معادن الصدق. وقال: هو أشد توقيًا من وكيع.

قال أحمد بن سنان: كان ابن مهدي ورعًا منذ كان. وكان حماد بن زيد إذا نظر إلى ابن مهدي في مجلسه تهلل وجهه.

قال أبو حاتم كان ابن مهدي خيارًا ثقة، من معادن الصدق صالحًا، مسلمًا. ولما حضر سفيان الموت قال لمولى حميد: انطلق إلى ابن مهدي فَجِئْ به يغمضني. وقال سفيان: كتبي بالكوفة عند عجوز، وددت لو قدرت عليها. فنظر فيها ابن مهدي نظرة.

قال علي بن المديني قدمت الكوفة فعنيت بحديث الأعمش فجمعته، فلما قدمت البصرة لقيت ابن مهدي فسلمت عليه فقال: هات ما عندك، فقلت: ما أحد يفيدني عن الأعمش شيئًا.

فغضب. فقال: هذا كلام أهل العلم؟ ومن يضبط العلم ويحيط به؟ مثلك يتكلم بهذا؟ معك شيء تكتب فيه؟ فقلت: نعم، قال: اكتب. قلت ذاكرني فلعله عندي. فقال الكتب لست أملي عليك إلا ما ليس عندك. قال: فأملى علي ثلاثين حديثًا لم أسمع منها حديثًا ثم قال: لا تعد. قلت: لا.

قال علي: فلما كان بعد سنة جاء سليمان فقال: امض بنا إلى ابن مهدي حتى نفضحه اليوم في المناسك. وكان سليمان من أعلم أصحابنا بالحج. قال: فذهبنا فدخلنا عليه فسلمنا وجلسنا بين يديه، فقال هاتا ما عندكما، وأظنك يا سليمان صاحب الخطبة. قال نعم. ما أحد يفيدنا في الحج شيئًا.

فأقبل عليه بمثل ما أقبل علي. ثم قال: يا سليمان، ما تقول في رجل

قضى المناسك كلها إلا الطواف بالبيت فوقع على أهله؟ فاندفع سليمان فروى يفترقان حيث اجتمعا ويجتمعان حيث تفرقا. فقال: إذن متى يجتمعان ومتى يفترقان؟

قال: فسكت سليمان. فقال اكتب. وأقبل يلقي عليه المسائل ويملي عليه حتى كتبنا ثلاثين مسألة في كل مسألة يروي الحديث والحديثين ويقول سألت مالكًا وسألت سفيان وعبيد الله بن الحسن.

قال فلما قمت قال: لا تعد ثانيًا.

فأقبل علي سليمان فقال: أيش خرج علينا من صلب مهدي هذا؟

وجاء رجل إلى ابن مهدي فقال: يا أبا سعيد: حديث رواه الحسن عن النبي ﷺ: «من ضحك في الصلاة فليعد الوضوء والصلاة». فقال عبد الرحمن هذا لم تروه إلا حفصة بنت سيرين عن أبي العالية، عن النبي ﷺ.

فقال له الرجل: من أين قلت ذلك يا أبا عبد الله؟ فقال إذا أتيت الصراف بدينارك فقال لك: هو بهرج. تقدر أن تقول: من أين قلت؟ فسره لي! قال هذا الحديث لم تروه إلا حفصة بنت سيرين. فسمعه هشام بن حسان منها وكان في الدار معها. فتحدث به الحسن، فقال الحسن: قال رسول الله ﷺ.

فقيل له: فمن أين سمعه الزهري؟ قال كان سليمان بن أرقم يختلف إلى الحسن والزهري، فسمعه من الحسن، فذاكر به الزهري فقال الزهري قال رسول الله ﷺ.

قال لي أحمد بن صالح: لم يكن ابن مهدي يرويه إلا عن ثقة. وكل

ما أرسله مالك عن ابن مسعود فـإنما أخذه عن ابن إدريس، وما كان عن غير ابن مسعود، فإنما أخذه عن ابن مهدي.

قال يحيى بن سعيد: سمـاع ابن مهدي نائمًا أحب إلي من إملاء غيره؛ أو كما قال.

قال ابن أخته: كان خالي قد خط علي أحاديث، ثم صحح عليها بعد، وقرأتها عليه.

فقـلت له في ذلك، فقـال: تفكرت في فعل ذلك أنه إسـقاط لعـدالة ناقليها، فيكونون خصمائي عند الله. يقول رأيتني؟ تعرفني؟ سمعت كلامي؟

ومرض ابن مهدي فعاده حماد بن زيد في أصحابه، فخرج وهو يقول: إن كنت لأؤملك لأهل هذا البلد مرتين.

قال القطان: ما قرأ ابن مهدي على مالك أثبت مما سمع منه الناس.

قال ابن مهدي: كتب عني الحديث بحلقة مالك.

قال ابن أبي صفوان لو كتب عنه مالك ما ضره.

قال ابن المبارك: من لقي ابن مهدي فلم يأخذ بحظه منه، فَقَدَ كدا.

وذكره أيضًا. فقال: ذلك رجل منذ عرفناه يزداد في كل يوم خيرًا.

وقال محمد بن عبد الله بن السكوني: هو ثقة.

وقال أبو داود فيه: حدثنا الثقة عبد الرحمن بن مهدي.

بقية أخباره ووفاته

قال ابن حنبل: قـدم ابن مهدي علينا بغـداد، وهو ابن ست أو خمس وأربعين سنة. وقد خضب.

قال صالح بن أحمد: شرب ابن مهدي وأبو داود الطيالسي للحفظ، فأما ابن مهدي فما مات حتى برص، وأما أبو داود فجذم.

قال ابن اللباد: كان عبد الرحمن بن مهدي يبيع الجوهر، وأبوه طحان.

قال البهلول بن راشد: لم آسف على شيء أسفي على كتاب رأيت ابن مهدي يعرضه على سفيان الثوري، فأعجب به سفيان. قال الصمادحي: فلما قدمت على ابن مهدي ذكرت له، فأخرج لي كتاب السنة والفتن من تأليفه.

قال ابن مهدي: اختلفت إلى حماد بن زيد ثلاثين سنة، فما رجعت منه إلا بفائدة.

وقيل لابن مهدي: إن فلانًا صنع كتابًا في الرد على الجهمية. فقال عبد الرحمن: رد عليهم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله؟ قالوا: لا بل بالرأي والمعقول.

فقال: أخطأ، رد بدعة ببدعة.

قال القاسم بن سلام: دخلت البصرة لأسمع من حماد بن زيد فإذا هو ميت فشكوت ذلك إلى ابن مهدي، فقال لي مهما سبقت فلا تسبقن بتقوى الله.

قال القواريري: رأيت عبد الرحمن بن مهدي على درجة من المنبر يحدث، وأبوه مهدي على الدرجة الأخرى، وجده حسان فوق قبة في الدرجة العليا وهو يحدث الناس.

قال الفلاّس: رأيت ابن مهدي يوم الجمعة جاء فجلس خارجًا عن الحلقة فقال له يحيى: ادخل الحلقة.

فقال أنت حدثتني عن ابن عجلان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن النبي ﷺ نهى عن الحلق يوم الجمعة قبل خروج الإمام.

قال يحيى: فإني رأيت حبيب بن الشهيد وهشامًا وابن أبي عروبة يتحلقون حينئذ، فقال ابن مهدي: فهؤلاء بلغهم أن النبي ﷺ قاله ففعلوه. فسكت يحيى.

قال ابن المديني: كان ابن مهدي، يقال له في الحديث روى معن كذا. فيقول هو خطأ وينبغي أن يكون أخطأ من وجه كذا. فيفتش عليه، فيوجد كما قال.

قال ابن مهدي: من فر من الرئاسة تبعته. ومن طلبها لم يكن ينالها.

وتوفي ابن مهدي رحمه الله تعالى بالبصرة في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائة، وهو ابن ثلاث وستين سنة.

ويقال: مولده سنة خمس، ويقال أربع ويقال ست وثلاثين ومائة.

وله ابن روى عنه، اسمه إبراهيم، يروي عنه أحمد الدورقي.

٦٦ - محمد بن عمر بن واقد الواقدي

مولى بني سهم من[1] أسلم، أبو عبد الله مدني: عداده في البغداديين. سكن بغداد وولي القضاء بها للمأمون، بعسكر المهدي، والجانب الشرقي، والصلاة بالرصافة. وولي القضاء من قبل الرشيد.

روى عن مالك حديثًا كثيرًا، وفقهًا ومسائل، وفي حديثه عنه منقطع كثير وغرائب، وكذلك في مسائله عنه منكرات على مذهبه لا توجد عند

---

٦٦ - من مصادر ترجمته: تهذيب الكمال ٢٦/ ١٨٠، وكتاب الطبقات الكبير ٧/ ٦٠٣، ٩/ ٣٣٦.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «ابن» وصوابه لدى ابن سعد والمزي.

غـيره، تكلم فـيـها النـاس، وطرحه أحـمـد بن يحيى وابن نمـير والنسـائي وغيرهـم، وكان واسع العلم كثيـر المعرفة، أديبًا نبـيلاً عالمًا بالحديث والـسير والأخبار.

قال أحمد بن عبد الـله بن صالح: ما رأيت أحفظ للحديث منه. وإنما تكلم فيه ابن المبارك.

قال محمد بن سعد كاتبه في تاريخـه الكبير: كان عالمًا بالمغازي والسيرة والفتـوح، وباختـلاف الناس في الحديـث والأحكام، واجتـماعهم عـلى ما اجتمعوا عليه، وقد فسّر ذلك في كتب استخرجها ووضَعَها وحدّث بها[1].

قال القاضي وكيع: كان الواقدي من المتسعين في العلم.

وسئل عنه أحمد، فقال: دعونا من بحار الواقدي، زعم أن عنده عشرة آلاف حديث عن معمر ليست لغيره، فنظرنا إلى من هو أقدم منه مجالسة منه لمعمر، فلم نجد هذا عنده.

قال ابن البرقي: هو كذاب.

قال النسائي: ليس هو بثقة. ولا يكـتب حديثه. قيل له فلم لم تضرب على اسمه؟ قال: استحيى من ابنه وهو صديقي.

وقال أحمد ابن عبد الله الكوفي: كتبت عنه كثيرا، وهو ثقة، ما رأيت أحفظ منه. كتبت عنه نحوًا من ستين ألف حديث. فبلغني أن ابن المبارك قال له: لا ترفع هذين الحديثين، فإنهما غير مـرفوعين. فلج فيهما. فقال الناس: كذاب. فقال ابن الجارود تركوه.

وذكره أبو عمرو المقرىء في طبقات القراء. فقال: روى القراءة عن نافع ابن أبي نعيم، وعيسى بن وردان، وسليمان بن مسلم بن حبان، وسمع معمر ابن راشد هكذا روى عنه ابنه، وكاتبه محمد بن سعد.

(١) في النص تحريف وسقط، وقـد اعتمدنا في تصويبه وتكملتـه على ما ورد لدى ابن سعد الذي ينقل عنه المصنف.

ذكر جمل من أخباره وكرمه وذكر وفاته

قال مصعب بن عبد الله: كلمت الواقدي في توكيل رجل من أهل المدينة بعض الوكالات التي يرتزق فيها. فأرسل إلي بصرة فيها مائة درهم فقلت: لم أكلمك أن تصله. قال وأي شيء ينفق إلى أن أوكله؟

قال محمد بن سعد: زارني الواقدي مغتمًا، فقال لي: لا تغتم فإن الرزق يأتي من حيث لا تحتسب، أملقت مرة حتى بعت برذوني فاستبطأني يحيى بن خالد فاعتذرت إليه، فوقف على حالي، فأمر لي بخمسمائة دينار فصرت بها إلى البيت فأنا في تصريفها في قضاء الدين وعلى العيال إذ طرقني رجل من أهل المدينة قد قطع عليه الطريق، من ولد أبي بكر، فشكا إلي حاله، فدفعت إليه ما فضل ولم أشتر برذونًا.

فاستبطأني يحيى فأخبرته الخبر. فوجه إلى البكري، فقال: نعم أخذت الدنانير منه، فلما صرت بها إلى البيت جاءني فلان الأنصاري فشكا إلي حاله فدفعتها إليه.

فوجه يحيى إلي الأنصاري فأخبره، فتعجب من الكرم ثم أمر لي بألف دينار وللبكري بمثلها، ولزوجتي بخمسمائة لغمها حين دفعت الدنانير إلى البكري.

قال هارون بن عبد الله القاضي: رفع الواقدي في رقعة إلى المأمون يذكر فيها غلبة الدين عليه، وقلة صبره عليه، فوقع المأمون على ظهرها: أنت رجل فيك خلتان الحياء والسخاء. فأما السخاء فهو الذي أطلق ما عندك، وأما الحياء فهو الذي منعك من إطلاعنا على ما أنت عليه، وقد أمرنا لك بكذا وكذا، فإن أصبنا إرادتك فازدد في بسطتك، وإن كنا لم نصب إرادتك

فبجنايتك على نفسك. وأنت كنت حدثتني وأنت على قضاء الرشيد عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن أنس أن رسول الله ﷺ قال للزبير: يا زبير إن خزائن الرزق مفتحة بإزاء العرش فمن أكثر كثر الله عليه ومن قلل قلل الله عليه.

قال الواقدي: وكنت قد أنسيت هذا الحديث، فكان ما ذكر فيه أعجب إلي من جائزته.

قال هارون: وبلغني أن جائزته كانت مائتي ألف درهم.

قال الواقدي: كان لي صديقان أحدهما هاشمي فنالتنا ضيقة، فقالت لي امرأتي: أما نحن فنصبر إلى البؤس، وأما صبياننا فقد قطعوا قلبي، فلو نظرت لهم في شيء تصرفه في صلاح شأنهم.

فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة بما حضره، فوجه إلي كيسًا مختومًا ذكر أن فيه ألف درهم. فما استقر قراره، حتى كتب إلي الصديق الآخر يذكر مثل شكواي، فوجهت إليه بالكيس كهيئته وخرجت إلى المسجد فبت فيه حياء من امرأتي، ثم رجعت فاستحسنت فعلي، إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته، فقال اصدقني عن الأمر فأخبرته.

فقال: وجهت إلي وما أملك إلا ما بعثت به إليك، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة فوجه إلي بكيسي بخاتمي.

قال فتواسينا الألف وقسمناها بيننا أثلاثًا بعد أن أخرجنا إلى المرأة مائة درهم، ونمى الخبر إلى المأمون فدعاني، فشرحت له الأمر فأمر لي بسبعة آلاف دينار، لكل واحد منا ألفان وللمرأة ألف.

وقد ذكر في رواية أخرى في هذا الخبر نحوه، وأن البرمكي وجه فيه

وقال: رأيتك البارحة في المنام بحالة دلت على شدة، فاشرح لي أمرك فذكر له القصة. فقال: ما أدري أيكم أكرم وأمر لي بثلاثين ألف درهم، ولهما بعشرين ألفًا، وقلدني القضاء، ولم يذكر فيها المأمون.

قال الواقدي: لقيت أشعب يومًا فقال لي: يا ابن واقد، وجدت دينارًا فكيف أصنع به. قلت: تصرفه. قال: سبحان الله. ما أنت في علمك إلا في غرور. قلت: فما الصواب با أبا العلاء؟ قال أشتري به قميصًا وأعرفه بِقَبَاء. قلت: إذن لا يعرفه أحد. قال فذاك أريد.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: كذا وجدت هذا الخبر عنه. ولا أدري من هذا أشعب، فإن أشعب الطماع متقدم عن زمن الواقدي، سمع من سالم بن عمر، وقد قال أهل هذا الباب لا يعرف بهذا الاسم غيره.

وتوفي الواقدي ببغداد وهو على قضاء عسكر المهدي ليلة الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، سنة سبع ومائتين، ودفن يوم الثلاثاء بعده، وهو ابن ثمان وسبعين سنة.

مولده سنة ثلاث ومائة.

وصلى عليه محمد بن مسلم وأوصى إلى المأمون، فقبل وصيته وقضى دينه.

٦٧ - يحيى بن يحيى بن بَكْر[1] بن عبد الرحمن التميمي

الحنظلي مولاهم ويقال مولى بني منقر بن سعد بن عمر بن تميم النيسابوري.

---

٦٧ - من مصادر ترجمته: تهذيب الكمال ٣٢/ ٣١.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «بكير» وصوابه من تهذيب الكمال.

روى عن مالك الموطأ، وقيل إنه قرأه عليه، وهو الذي يدلّ عليه حديثه في صحيح مسلم وغيره، ولازمه مدة للاقتداء به، وعده أبو عمر بن عبد البر في كتابه المنتقى في الفقهاء من أصحاب مالك، وروى عن الليث، والحمادين وأبي عَوَانة، وابن لَهِيعة، وابن عُيَيْنة، وهشيم، وابن المبارك، وزهير بن معاوية، وسليمان بن بلال وغيرهم. قال أبو عمر: وكان له مال بنيسابور وحظ في الفقه. وكان ثقة مأمونًا مرضيًا. روى عنه جماعة من أهل بلدنا وغيرهم من الأئمة. كإسحاق بن راهويه، والذهلي والبخاري ومسلم، وخرجا عنه في الصحيح كثيرًا. قال ابن خلاد الرَّامَهُرْمُزِي[1] في كتابه الفاضل: ورحل يحيى إلى مصر والشام واليمن والعراق، وكان ابن حنبل يثني عليه، ويقول: ما أخرجت خراسان بعد ابن المبارك مثله. وكان من ورعه يشك في الحديث كثيرًا حتى سموه الشكاك. وذكر من فضله وإتقانه أمرًا عظيمًا، وذكر نحوه أبو حاتم الرازي وأثنى عليه أبو زرعة الرازي ووثقه.

وقال إسحاق بن راهويه: لم أكتب العلم عن أحد أوثق في نفسي منه. ومن الفضل بن موسى السيناني.

قال: وكان يحيى رجلاً عاقلاً. وقال: يحيى أثبت من ابن مهدي. وقال ما رأيت مثل يحيى بن يحيى. ولا أراه رأى مثل نفسه.

قال محمد بن مسلم، قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت له: عمن أكتب العلم؟ فقال: عن يحيى بن يحيى.

قال أبو أحمد بن عدي: وكان من العباد فاضلاً.

---

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «الرامهرمي» وهو تحريف قبيح، صوابه لدى السمعاني في الأنساب ٦/ ٥٢.

قال يحيى بن الشهيد: ما رأيت محدثًا أورع من يحيى ولا أحسن لباسًا منه.

قال أبو بكر بن إسحاق: لم يكن بخراسان أعقل من يحيى بن يحيى. وكان أخذ تلك الشمائل من مالك بن أنس، أقام عليه لأخذها سنة بعد أن فرغ من سماعه، فقيل له في ذلك. فقال: إنما أقمت مستفيدًا لشمائله فإنها شمائل الصحابة والتابعين.

قال أبو أحمد بن عدي في معجمه: يقال إن إسحاق بن راهويه ركبه الدين، فركب مِنْ مَرْوَ إلى عبد الله بن طاهر بنيسابور، وكلم أصحاب الحديث يحيى بن يحيى في أمره. فقال ما تريدون؟

قالوا: تكتب إلى عبد الله بن طاهر رقعة، وعبد الله أمير خراسان إذ ذاك.

فقال يحيى: ما كتبت إليه قط، فألحوا عليه، فكتب في رقعة: إلى عبد الله بن طاهر، إن إسحاق بن إبراهيم رجل من أهل العلم والصلاح، فحمل إسحاق الرقعة إليه فلما جاء الباب قال للحاجب: معي رقعة يحيى بن يحيى إلى الأمير.

فدخل الحاجب إلى ابن طاهر، فقال: رجل بالباب يزعم أنه معه رقعة من يحيى بن يحيى إلى الأمير.

فقال: يحيى بن يحيى؟ قال نعم. قال: أدخله. فأدخله وناوله الرقعة فقبلها ابن طاهر، وأقعد إسحاق بجنبه، وقضى دينه ثلاثين ألف درهم، وصيره في جلسائه.

وكان يحيى لا يختلف إليه، وكان يحيى بن يحيى من المياسير.

وذكر أنه أهدى هدية إلى مالك باع مالك من فضلتها بثمانين ألفًا.

قال البخاري وتوفي ضحى يوم الأربعاء منسلخ صفر في سنة ست وعشرين ومائتين.

* * *

obeikandl.com

ومن أهل الشام:

٦٨ - الوليد بن مسلم بن السائب

أبو العباس، مولى بني أمية، دمشقي.

قال ابن شعبان: له عن مالك ما لا يحصى كثرة: الموطأ والمسائل والحديث الكثير. يروي عن مالك وابن جريج والأوزاعي، وهو مختص به، والليث، والثوري، وابن عيينة، ونافع القارئ، ويحيى بن الحارث الزماري، وابن لهيعة، وعبد الرحمن بن يزيد، ومسلمة بن علي، وعمرو بن جابر، ويزيد بن جابر، وأبي بكر بن أبي مريم وغيرهم، وروى عن شريك عشرة أحاديث.

قال اللالكائي: روى عنه الليث، والحميدي، وأحمد بن حنبل، [وابن المديني][(١)] وأبو خيثمة وغيرهم، وروى عنه أيضًا إسحاق بن راهويه وهشام ابن عمار وصفوان بن صالح، وأخرج عنه البخاري ومسلم.

قال أبو مسهر: رحم الله أبا العباس، لقد كان معتنيًا بالعلم.

وقال أحمد: هو ثقة في الحديث.

قال يحيى: كان يدلس.

قال أحمد: ليس أحد أروى لحديث الشاميين منه ومن إسماعيل بن عياش.

قال الوليد: وافيت مكة وعليها محمد بن إبراهيم يقصر الصلاة بمنى وعرفة. فأعاد سفيان الصلاة وأمها ابن جريج فأتيت المدينة وذكرت ذلك

---

٦٨ - من مصادر ترجمته: تهذيب الكمال ٣١/ ٨٦ وما بحواشيه من مصادر.

(١) ساقط من طبعة المغرب.

لمالك، فقال لي أصاب الأمير وأخطأ سفيان وابن جريج، وأرى الأوزاعي قال فيه مثله.

فأتيت مصر، فذكرت ذلك للشافعي، فقال لي: أخطأ الأمير والأوزاعي ومالك وأصحاب سفيان وابن جريج.

أما مالك فيرى القصر للحاج وإن كان من أهل مكة كما فعل الأمير، وقاله الأوزاعي ويقصر الناس معه من أهل مكة وغيرهم.

وعند الشافعي يتم وراءه المكيون. وهو قوله الثوري وابن حنبل وأهل الرأي.

وقال الخطابي في إعادة سفيان: لأنه يرى للمفترض أن يصلي خلف المتنفل، وصلاة الأمير عنده نافلة حين قصرها، وهو مكي، فاستأنف سفيان الصلاة، وهذا خلاف ما ذكر عنه من الإتمام، وفي روايته عن مالك شذوذ وغرابة.

قال أحمد فيه: ثقة.

وقال أحمد بن صالح الكوفي: قال البخاري وابن أبي خيثمة وابن وضاح. توفي سنة خمس وتسعين في منصرفه من الحج بذي المروة.

وقال ابن شعبان وغيره: توفي في المحرم سنة أربع وتسعين ومائة. مولده سنة تسع عشرة ومائة.

٦٩ - أبو مسهر عبد الأعلى بن مُسْهِر بن عبد الأعلى ابن مُسْهِر الغساني الدمشقي

قال أبو عَمْرو المقرىء، أحمد بني كعب بن هند.

قال ابن شعبان: روى عن مالك الموطأ وغيره من المسائل والحديث الكثير.

قال ابن أبي حازم: سمع سعيد بن عبد العزيز، وعبد الله بن العلاء بن زَبْر[1]، وخالد بن يزيد بن صالح.

يروي عنه ابن أبي الحواري، وأبو زرعة الدمشقي، ويحيى بن مَعِين، وأبو حاتم.

قال ابن معين: ما رأيت مثله منذ خرجت من بلادي. أشبه بالمشيخة الذين أدركت من أبي مسهر. وهو ثقة.

قال أبو حاتم: ما رأيت ممن كتبنا عنه الصحيح أثبت منه، وهو إمام. وقد خرج عنه البخاري.

قال ابن وضاح: كان فاضلاً ثقة. وقد روى عنه محمد بن يوسف السكوني والنسائي وأبو داود.

قال الزبيري: وقرأ القرآن على نافع، وأيوب بن تميم.

روى عنه أبو زرعة الدمشقي، وأبو عبيد بن سلام.

قال ابن مُفَرِّج: أبو مسهر سيد أهل الشام وفقيههم وعابدهم.

---

٦٩ - من مصادر ترجمته: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٨١، وتهذيب الكمال ١٦/ ٣٦٩، وكتاب الطبقات الكبير لابن سعد ٩/ ٤٧٧.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «زيد» وصوابه لدى المزي.

قال ابن معين فيه: ثقة. قال الكوفي: هو ثقة.

قال عبد الباقي بن الحسن: رجعت الإمامة بعد ابن ذكوان في القراءة، إلى أبي مسهر.

وسأل أبا مسهر رجل عن مسألة فلم يجبه، ثم أعاد عليه فلم يجبه، ثم أعاد عليه فلم يجبه. فقيل له في ذلك فقال: سمعت مالكًا يقول من إذالة العلم أن تجيب كل من سألك.

فصل في أخباره ونوادر حديثه

سئل أبو مسهر عن حديث بقية فقال: احذر أحاديث بقية وكن منها على تقية، فإنها غير نقية. وكان على خاتمه مكتوب: عبد الأعلى قل الحق. وكان نقش خاتم أخيه علي: أبرمت فقم. فكان إذا استثقل جليسه ناوله خاتمه ليقرأ نقشه.

وحجبه محمد بن عبد كان فكتب إليه أبو مسهر:

إني أتيتك للتسليم عنك فلم تأذن عليك لي الأستار والحجب
وقد علمت بأني لم أرد وطرًا إلا الإخاء والعلم والأدب
ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا إن السماء ترجى حين تحتجب

فأجابه ابن عبد كان رحمه الله:

لو كنت كافأت بالحسنى لقلت كما قال ابن أوس ففي استغفاره أدب

قال هارون بن موسى: دخلت علي أبي مسهر وكان مستلقيًا على قفاه فترنم بقول الشاعر:

يسر الفتى ما كان قدم من تقى إذا نزل الداء الذي هو قاتله

محنته

قال موسى بن الحسن: سمعت أبا مسهر، وقد وجه به المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم ببغداد، فأحضر له إسحاق جماعة ليقرّ بكتاب المحنة الذي كتبه المأمون في خلق القرآن، ونفي الرؤية وعذاب القبر، وأن الميزان ليس بكفتين، وأن الجنة والنار غير مخلوقتين.

فلما قرىء الكتاب على أبي مسهر قال: أنا منكر لجميع ما في كتابكم هذا. أبعد مجالسة مالك والثوري ومشايخ أهل العلم! إذن لا أكفر بالله بعد إحدى وتسعين، ولا أقول: القرآن مخلوق، ولا أنكر عذاب القبر، ولا الموازين أنها كفتان، ولا أن الله يرى في القيامة، ولا أن الله تعالى على عرشه، وعلمه قد أحاط بكل شيء، نزل بذلك القرآن وجاءت به الأخبار التي نقلها أهل العلم، فإن كانوا متهمين فيما يقولون، فإنهم متهمون في القرآن فهم الذين نقلوا القرآن والسنن عن رسول الله ﷺ. فجر برجله وطرح في أضيق المحابس فما أقام إلا يسيرًا حتى توفي رحمه الله تعالى. فحضر جنازته من الخلق ما لا يحصيهم إلا الله.

وقال أبو داود: وحمل في المحنة فلم يجب.

قال أبو جعفر الطبري: حمل أبو مسهر إلى المأمون بالرقة، للمحنة في القرآن فلم يجبه. فدعا له بالسيف والنطع ليقتله. فلما رأى ذلك قال: مخلوق. فتركه فلم يقتله، وأشخصه إلى بغداد في ربيع الآخر سنة ثمان عشرة. فحبس فلم يلبث إلى يسيرًا حتى مات في غرة رجب من السنة المذكورة.

وحكى البلخي أن المأمون لما ورد دمشق، ذكر له أبو مسهر، ووصف

بالعلم والفقه، فأحضره وناظره في القرآن، ثم سأله عن النبي ﷺ، هل كان يشهد إذا تزوج؟ فقال: لا أدري، ثم سأله عن النبي ﷺ هل احتلق؟ فقال: لا أدري. فسبّه وأقامه وهذا إنما فعله المأمون به عداوة لمخالفته إياه في القرآن. ومن قال لا أدري فقد أنصف.

وقيل لأبي مسهر في الرجل يصحف ويخطىء ويبهم في الحديث، فقال: بين أمره. فقيل له: أذلك عيب؟ قال لا.

توفي فيما قاله الطبري والبرقاني والبخاري: سنة ثمان عشرة ومائتين.

وقال ابن مفرج: سنة عشرة. مولده سنة أربعين ومائة، ونحوه قال البخاري.

٧٠ - مروان بن محمد بن حسان الأسدي

الطَّاطَرِيّ دمشقي صحب مالكًا وروى عنه حديثًا ومسائل كثيرة وعن الليث بن سعد وسعيد بن عبد العزيز ومعاوية بن سلام.

قال ابن وضاح: مروان بن محمد كبير فاضل.

قال ابن معين: الطَّاطَرِيّ لا بأس به. قال: وكان مرجئًا.

قال ابن معين: ومن كان مرجئًا بدمشق عليه عمامة، ومن لم يكن مرجئًا لم يعتم.

قال البخاري: وإنما قيل له الطَّاطَرِيّ لثياب نسب إليها.

سمع معاوية بن سلام، وخرّج عنه مسلم في الصحيح وأبو داود وغيرهما من الأئمة وضعفه بعضهم.

---

٧٠ - من مصادر ترجمته: تهذيب التهذيب ٤/ ٥٢، وتهذيب الكمال ٢٧/ ٣٩٨.

حدث عنه الهيثم بن خارجة، ومحمود بن خالد، وأحمد بن أبي الحواري، والدارمي، وأحمد بن الأزهر[1] النيسابوري، وسَلَمَة بن شبيب.

روى عنه أنه قال: ثلاثة لا يؤتمنون في دين: الصوفي، والقصاص، ومبتدع يرد على أهل الأهواء.

وابنه إبراهيم بن مروان بن محمد يروي عن أبيه، كتب عنه أبو حاتم الرازي وقال: كان صدوقًا.

قال البخاري: مات مروان سنة عشر ومائتين وقال غيره سنة ست عشرة.

٧١ - إسحاق بن عيسى بن نَجِيح أبو يعقوب المعروف بابن الطَّبَّاع

وهم ثلاثة أخوة: محمد ويوسف وإسحاق.

سمع إسحاق: مالك بن أنس وصحبه، وسمع شَرِيك بن عبد الله، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وأبا ضَمْرة أنس بن عياض.

روى عنه ابن أخيه محمد بن يوسف، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن بهلول، ويعقوب بن شيبة، وعباس الدوري، والحارث بن أسامة[2] والحسن ابن مُكْرَم، ومسلم بن الحجاج، وخرّج عنه في صحيحه وغيرهم.

---

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: أحمد بن أبي الأزهر» وصوابه من التقريب وتهذيب الكمال.

٧١ - من مصادر ترجمته: تهذيب التهذيب ١/ ١٢٥.

(٢) تحرف في طبعة المغرب إلى: «الحارث بن أبي سلمة» وصوابه من تهذيب التهذيب.

قال الخطيب أبو بكر: كان قد انتقل آخره عمره إلى أَذَنَة، فأقام بها إلى أن مات.

سئل عنه صالح بن محمد فقال: لا بأس به صدوق.

قال محمد بن سعد: توفي سنة خمس عشرة ومائتين إسحاق بن الطباع الفقيه.

وقال ابن نافع: سنة أربع عشرة.

قال أبو بكر الحافظ: والأول أصح.

* * *

obeikandl.com

ومن أهل مصر:

٧٢ - عبد الله بن وهب بن مسلم القريشي

مولاهم، مولى يزيد بن زَمَانة ويقال، بني فهر قاله الباجي.

وقال الدار قطني: مولى يزيد بن زَمَانة مولى يزيد أنيس الفهري[١].

وقال أبو عمر الكندي: مولى يزيد بن زَمَانة، مولى آل شيبان بن محارب بن فهر[٢].

قال وقد اختلف في ولائه، وقيل إن ابن زَمَانة مولى امرأة من الأنصار من بني بياضة كان زوجها فهريًا.

قال غيره فرجع ولاؤه إلى بنيه بسببها.

وقال البخاري: هو مولى زَمَانة.

وقال ابن حاتم مولى ابن زَمَانة مولى فهر.

وقال ابن شعبان وابن عبد البر: مولى ريحانة مولاة لأبي عبد الرحمن يزيد ابن أُنيس الفهري.

قال الكندي: وكان ابن وهب فيما زعموا ربما قال: الأنصاري، وربما قال القرشي، ثم ثبت على القرشي وذكر نحوه ابن عفير.

---

٧٢ - من مصادر ترجمته: الانتقاء - ص ٩٢، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٤، والتقريب - ص ٤٥٣، وتهذيب التهذيب ٢/ ٤٥٣، وتهذيب الكمال ١٦/ ٢٧٧، والديباج المذهب ١/ ٣٦٣، وكتاب الطبقات الكبير ٩/ ٥٢٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٦، والولاة والقضاة، انظر الفهرس.

(١) تهذيب الكمال ١٦/ ٢٧٧.

(٢) تحرفت هذه الأقوال في طبعة المغرب، وتصويبها من المصادر السابقة.

وقال ابن بكير: وجدت شهادته في صك، الأنصاري.

قال أبو الطاهر: كان مسلم جده بربريًا.

روى عن مالك، والليث، وابن أبي ذئب، ويونس بن يزيد، والثوري، وابن عيينة، وابن جريج، وابن أنعم، وعبد العزيز بن الماجشون، ويحيى بن أيوب ونحو أربعمائة شيخ من المصريين والحجازيين والعراقيين.

وقرأ على نافع، وروى عنه الليث وصرح باسمه.

وقيل: إن مالكًا روى عنه عن ابن لهيعة حديث العربان.

ومن أروى الناس عنه أصبغ بن الفرج، وسحنون، وأحمد بن صالح، وابن بكير، ويونس، وأبو الطاهر، وقتيبة، وابن عفير، والوقار، والقراطيسي، والحارث بن مسكين، وبنو عبد الحكم، وحرملة، وأبو مصعب الزهري وغير واحد.

قال الشيرازي: تقفه بمالك، وعبد الملك بن الماجشون، وابن أبي حازم، وابن دينار والمغيرة، والليث.

قال حرملة سمعت ابن وهب يقول لقيت ثلاثمائة عالم وستين عالمًا، ولولا مالك والليث لضللت في العلم.

وقال: أدركت من أصحاب ابن شهاب أكثر من عشرين رجلاً وقد حدث الليث عن ابن وهب بحديث كثير.

قال أبو الطاهر سمع ابن وهب من مالك قبل ابن القاسم ببضع عشرة سنة وصحب مالكًا من سنة ثمان وأربعين إلى أن مات، ولم يشاهد ابن وهب موته، كان خرج للحج.

وقال ابن وضاح: حج ابن وهب سنة أربع وأربعين، وفيها لقي مالكًا أولاً، ولم يسمع منه إلا مسألة واحدة، وسمع فيها من المثنى بن الصباح بمكة، والمسألة التي سمع من مالك في الجمع في المطر بين العشاءين وقد أرسل إليه الوالي في ذلك، وكان مطرًا يسيرًا فأمره بالجمع.

قال الشيرازي صحب ابن وهب مالكًا عشرين سنة.

قال ابن وضاح: وسمع العلم صغيرًا ابن ست عشرة سنة.

وذكر ابن الحنون عنه أنه قال: طلب العلم ابن سبع عشرة سنة.

ذكر مكانته في العلم والفقه والحديث وسماع الأجلاء عليه

قال أبو عمر: يقولون إن مالكًا لم يكتب لأحد بالفقيه، إلا إلى ابن وهب وقاله ابن وضاح وكان يكتب إليه: عبد الله بن وهب فقيه مصر.

قال الشيرازي: كان مالك يكتب إليه: إلى أبي محمد المفتي وحكى مثله أبو الطاهر، زاد ولم يكن يفعل هذا بغيره.

وقال مالك: ابن وهب إمام وقال: ابن وهب عالم ونظر إليه يومًا فقال: أي فتى لولا الإكثار!

وقال أحمد بن حنبل: ابن وهب عالم صالح فقيه كثير العلم.

وقال أيضًا: ابن وهب صحيح الحديث عن مشايخه الذين روى عنهم يفصل السماع من العرض والحديث من الحديث، ما أصح حديثه وأعرفه بالأسامي، إلا أن الذين حملوا عنه لم يضبطوا، إلا هارون بن معروف.

قال يوسف بن عدي: ما أدركت الناس: فقيهًا غير محدث، ومحدثًا غير فقيه، خلا عبد الله بن وهب فإني رأيته فقيهًا محدثًا زاهدًا.

قال أبو مصعب: كنا إذا شككنا في شيء من رأي مالك بعد موته، كتب ابن دينار والمغيرة وكبار أصحابه إلى ابن وهب، فيأتينًا جوابه.

قال ابن حنبل: أخبرنا من رأي ابن أبي حازم يعرض على ابن وهب، رأي مالك.

قال هارون القاضي الزهري: كان أصحاب مالك بالمدنية يختلفون في قول مالك بعد موته، فينظرون قدوم ابن وهب فيصدرون عن رأيه.

وقال ابن وضاح: كان أهل الحجاز يحتاجون إلى ابن وهب في علم الحجاز، وأهل العراق، يحتاجون إليه في علم أهل العراق وكان عنده علم كثير.

ونعي إلى ابن عيينة فترحم عليه وقال: أصيب به المسلمون عامة وأصبت به أنا خاصة.

وقال ابن رشدين: ابن وهب أعلم من ابن القاسم بكثير.

وقال مالك وقد قام عنه: كذا يكون أهل العلم، لما رأى من تخشعه.

وقال له سيفان: أنت ابن وهب المصري؟

قال: نعم قال له: ما زلت أعرف مكانك من الإسلام منذ بلغني عنك.

قال يحيى بن معين: ابن وهب ثقة.

قال أحمد بن خالد: كان ابن وهب من الفضلاء الكبار، وممن يضبط ويحسن، وكان ابن القاسم يقول: حدثني أوثق أصحابي، يريده.

وقال ابن رشدين: قال لي الحسن بن ثوبان - ورآه -: لئن عاش هذا الفتى ليكون إمام هذا العصر إن شاء الله تعالى.

قال أحمد بن صالح: ليس أحد من خلق الله أكبر في مالك من ابن نافع وابن وهب، وابن نافع أحب إلى أحمد وابن وهب المقدم في كثرة العلم والمسائل لم يكن مالك يتكلم بشيء إلا كتبه ابن وهب وكان ابن وهب يتساهل في المشايخ، ولو أخذه أخذ مالك كان خيرًا له.

قال أحمد بن صالح: حديث ابن وهب مائة ألف حديث وما رأيت أكثر منه. وقع عندنا في حديثه سبعون ألف حديث.

قال أبو زرعة: نظرت من حديث ابن وهب نحو ثمانين ألف حديث، فما رأيت له حديثًا لا أصل له وهو ثقة وهو أفقه من ابن القاسم.

وقال الكوفي هو ثقة، صاحب سنة وآثار، ورجل صالح.

وقال محمد بن عبد الحكم وابن بكير: هو أثبت الناس في مالك.

وسأل رجل علي بن معبد عن مسألة، وكان بالإسكندرية مرابطًا، فقال: ما كنت لأجيب بموضع فيه ابن وهب، فاذهب فاسأله.

قال محمد بن الحسين، كان ابن وهب في عصره محدث بلده، وكان عبدًا صالحًا.

قال محمد بن عبد الحكم وابن بكير: كان ابن وهب أفقه من ابن القاسم إلا أنه كان يمنعه الورع من الفتيا.

وقال ابن وضاح: كان علم ابن وهب المناسك، وعلم ابن القاسم البيوع.

وقال أبو حاتم الرازي: ابن وهب أحب إليّ من ابن نافع ومن الوليد بن مسلم، وهو أصح حديثًا من الوليد بكثير، وابن وهب صالح الحديث صدوق.

قال ابن مَعِين والنَّسَائِيّ: ابن وهب ثقة.

وقال ابن مَعِين: هو ثقة إلا أنه روى عن الضعفاء.

وسئل: لم تركت ابن القاسم ورويت عن ابن وهب؟ قال: كان ابن القاسم فاضلاً، ولكن ابن وهب صاحب آثار.

وخرج عنه البخاري ومسلم.

وكان أبو مصعب يعظم ابن وهب، وسمع مسائله عن مالك وكان يقول: هي صحيحة.

وقال أصبغ: ابن وهب أعلم أصحاب مالك بالسنن والآثار.

وقال عبد الرحمن بن محمد السهمي: رأيت مالكًا في النوم، على بغلة، فأخذت بلجامها لأسأله عن اختلاف قوله، فتأبّى عليَّ، وقال: كأنك تسأل عن اللؤلؤ والجوهر المكنون؟ قلت نعم. قال عليك بكتاب ابن وهب القديم.

قال الحارث: جمع ابن وهب الفقه والرواية والعبادة، وكان إمامًا ورزق من العلماء محبة، وحظوة من مالك وغيره. وما أتيته قط إلا وأنا أفيد منه خيرًا.

قال أبو زيد بن أبي الغمر: سمعت ابن وهب يقول: حججت أربعًا وعشرين حجة، ألقى فيها مالكًا، قال أبو زيد: وكنا نسمي ابن وهب ديوان العلم.

قال حرملة: رأيت كتاب مالك إلى ابن وهب مفتي مصر.

قالوا وما من أحد إلا زجره مالك،إلا ابن وهب، فإنه كان يعظمه ويحبه.

وكان ابن القاسم يقول: لو مات ابن عُيَيْنة لضربت إلى ابن وهب أكباد الإبل، ما دوَّن أحد العلم تدوينه.

قال يونس: ما رأيت أبا الحسن الإسكندراني قال لابن وهب قط، إلا: يا عم، ولقد كانت تلك المشيخة إذا رأت ابن وهب خضعت له.

قال أبو الطاهر: وقيل لابن وهب في المسائل الجدد، فقال: أدع أنا المسائل القدم التي قرأناها عليه وهو نشيط لها، حتى إنه ربما محا لي الشيء بكمه من كتابي.

قال ابن أخيه: كنت معه بالإسكندرية مرابطًا، فاجتمع الناس عليه يسألونه نشر العلم، فقال لي: هذا بلد عبادة. وقلما أمهد لنفسي فيه مع شغل الناس.

فترك الجلوس لهم في الأوقات التي كان يجلس، وأقبل على العبادة والحراسة، فبعد يومين أتاه إنسان فأخبره، أنه رأى نفسه في المسجد الحرام، والنبي ﷺ فيه، وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله وأنت بين يديه، وفي المسجد قناديل تزهر أحسن شيء وأشدها ضياء، إذ خفت منها قنديل فانطفأ. فقال لك رسول الله ﷺ: قم يا عبد الله أوقده، فأوقدته ثم آخر كذلك ثم أقمت أيامًا فرأيت القناديل كلها همت أن تطفأ، فقال أبو بكر يا رسول الله: أترى هذه القناديل. فقال ﷺ: هذا عمل عبد الله يريد أن يطفئها.

فبكى ابن وهب وقال له الرجل جئت لأبشرك ولو علمت أنه يغمك لم آتك. فقال: خير. هذه الرؤيا وعظت بها نفسي ظننت أن العبادة أفضل من نشر العلم. فترك كثيرًا من عمله للعلم، وحبس نفسه لهم يقرءُون عليه ويسألونه.

ذكر مذهبه في الرواية

قال ابن وهب: كل شيء في كتبي «كتب إليّ مالك» فقد سمعته منه. وكانت له منه خاصة.

قال ابن وهب سألت مالكًا أن يخليني في شيء يعرضه لي، ففعل. فأنا عنده أقرأه عليه، إذ استأذن عليه عبد الصمد الهاشمي والي المدينة، فسأله مثل ما سألته، فأبي وقال: قد أرداني الخليفة على هذا فلم أجبه. فقلت في نفسي: كيف لم يحتج عليه بي.

قال ابن وهب كنت بين يدي مالك أكتب فأقيمت الصلاة، وفي رواية فأذن المؤذن وبين يديه كتب منشورة، فبادرت إلى جمعها فقال لي: على رسلك. فليس ما تقوم إليه بأفضل مما أنت فيه، إذا صحت فيه النية.

قال ابن وهب: قال لي مالك: ما خلفك عنا منذ ليال. فقال: كنت أرمد. قال مالك: أحسب من كتب الليل. قلت أجل. فصاح مالك بالجارية: هاتي من ذلك الكحل لصديقي المصري ابن وهب.

قال إسماعيل بن قعنب: كنت مه ابن وهب عند مالك فكانت الهدية تأتي إلى مالك بالنهار ويهديها إلى ابن وهب باللّيل.

قال ابن وهب دخلت المسجد فإذا الناس يزدحمون علي ابن سمعان وهشام بن عروة جالس فقلت أسمع من هذا وأسير إليه، فلما فرغت قام، فأتيت منزله فقيل: هو راقد. فقلت أحجّ وأرجع إليه، فرجعت وقد مات.

وقيل لابن وهب: إن ابن القاسم يخالفك في أشياء. فقال: جاء ابن القاسم إلى مالك وقد ضعف. وكنت أنا آتي مالك وهو شاب قوي، يأخذ كتابي فيقرأ منه، وربما وجد فيه الخطأ فيأخذ خرقة بين يديه فيبلها في الماء فيمحوه، ويكتب لي الصواب.

قال ابن وهب: لولا أن الله أنقذني بمالك والليث لضللت.

فقيل له: كيف ذلك؟ قال: أكثرت من الحديث فحيرني. فكنت أعرض ذلك على مالك والليث، فيقولان لي: خذ هذا ودع هذا.

قال نعيم بن حماد: كان ابن وهب جعل للغرباء يوم الثلاثاء، فيقرءون عليه فيأتي الداخل، وقد بقي عليه من الكتاب الذي يقرأه شيء. فيقول أجزه لي. فيجيبه، ويفعل ذلك بغير واحد، حتى يقوم إليه فيسأله عن الحديث فيقول: الساعة قرىء هذا. فيقول: إنا أن قرأنا عليك قلنا قرأنا على أبي محمد، وإن قرىء ونحن حضور قلنا قرىء على أبي محمد، ونحن حضور. وكان لينا حسن الخلق. فيقول لم نكن نأخذ الحديث كما تريدون.

قال محمد بن عبد الحكم: بيعت كتب ابن وهب بعد موته بثلاثمائة دينار، وفي رواية أخرى ستين، وأصحابنا متوافرون. وكان أبي وصيّه فلم ينكر ذلك أحد، ولولا أنه أوصى بعضهم أن لا يزيد لبلغت أكثر.

وروي أنه دفع لإحدى زوجتيه من ثمنها ثمانون دينارًا، ولم يورث بولد. وهذا الحساب أكثر من الأول والله أعلم. ذكره في المبسوط.

قال أبو زيد: اجتمع ابن وهب وابن القاسم وأشهب على أني إذا أخذت الكتاب من المحدث أن أقول فيه: أخبرني.

وقيل لابن حنبل وقد أثني على حديثه: أليس كان سيء الأخذ؟ قال: نعم. ولكن إن نظرت إلى حديثه وما أخذ عن شيوخه وجدته صحيحًا.

باب في غير شيء من أخباره

قال ابن وهب: كان أول أمري في العبادة قبل طلب العلم، يولع بي الشيطان في ذكر عيسى عليه السلام، وكيف خلقه الله، فشكوت ذلك إلى شيخ، فقال لي: اطلب العلم. فكان سبب طلبي.

وقال حسين بن عاصم كنت عند ابن وهب فوقف على الحلقة سائل، فقال يا أبا محمد، الدرهم الذي أعطيتني بالأمس زائف فقال: يا هذا، إنما كانت بأيدينا عارية. فغضب السائل وقال صلى الله على محمد. هذا الزمان الذي كان يحدث به أنه لا يلي الصدقات إلا المنافقون من هذه الأمة.

فقام رجل من أهل العراق فلطم المسكين لطمة خَرّ منها لوجهه. فجعل يصيح: يا أبا محمد! يا إمام المسلمين! يفعل بي هذا في مجلسك. فقال ابن وهب: ومن فعل هذا؟

قال العراقي: أنا أصلحك الله. فعلته للحديث الذي حدثتنا: أن النبي ﷺ قال: من حمى لحم مؤمن من منافق يغتابه حمى الله لحمه من النار وأنت مصباحنا وضياؤنا. يغتابك في وجوهنا؟

فقال: لأحدثنكم بحديث. أن النبي ﷺ قال: يكون في آخر الزمان مساكين يقال لهم العتاة لا يتوضئون لصلاة ولا يغتسلون من جنابة، يخرج الناس إلى مساجدهم وأعيادهم يسألون الله من فضله، ويخرجون يسألون الناس، يرون حقوقهم على الناس، ولا يرون لله عليهم حقًا.

وكان ابن وهب يقول: من قال في موعد إن شاء الله فليس عليه شيء.

وطلب ابن وهب من مالك كحلاً، فقال لجاريته أعطي من الكحل لصديقي المصري. قال: فأتوه بأنبوبة أو أنبوبتين.

قال الربيع صاحب الشافعي: جئنا عبد الله بن وهب للسماع واجتمع على بابه خلق كثير، فقام ليفتح، فلما فتح ازدحمنا للدخول فسقط وشج وجهه، فقال ما هذا إلا الخفّة وقلة الوقار ونحو هذا، والله لا أسمعتكم اليوم حرفًا. ثم قعد وقعدنا. فلما رأى ما بنا من الهدوء، قال أين سكينة العلم؟ إنما أنا أكفِّر عن يميني وأسمعكم اليوم، فكفّر وأسمعنا.

ونظر ابن وهب إلى رجل يمضغ اللبان فقال له: إنه يقسي القلب ويضعف البصر ويكثر القمل.

قال ابن وهب: كنت أصلي في المسجد بالإسكندرية فسمعت العلاء بن كثير يقول لأصحابه: ما منكم من ينتدب هذا الفتى فيزوجه ابنته؟ تفرسا فيه.

قال سحنون: نَذَرَ ابن وهب أن لا يصوم يوم عرفة أبدًا. وذلك أنه صام مرة فاشتد عليه الحر والعطش في الموقف قال: فكان الناس ينتظرون الرحمة وأنا انتظر الإفطار.

قال ابن وهب: قال لي مالك: لا تترك أحدًا من أهل الكتاب يعلم المسلمين. قال ابن وهب: وكان معلمي نصرانيًا.

قال يحيى بن يحيى: سمعت ابن وهب يحدث بحديث فيه: بعد العشرين ومائة ليَرُبِّي أحدكم جروًا خير له من أن يربي ولدًا. فاستنكرت ذلك عليه.

فقال لي: يا أبا محمد ما أراك فيما أتاك الله من فضله ولدت إلا بعد هذا الأجل. فقلت له: نعم. فوالله ما عاد إلى ذكر الحديث حتى فارقته.

قال يحيى ولم كان أحد يسلم من عيب الإكثار لسلم منها ابن وهب.

وقال النسائي: لا بأس به، إلا أنه تساهل في الأخذ تساهلاً شديدًا. قال ابن سَعْد[1]: وكان يُدَلِّس.

---

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «قال ابن سعيد» وصوابه لدى ابن سعد في كتاب الطبقات الكبير ٩/ ٥٢٦ ولديه: «وكان كثير العلم ثقة فيما قال: حدثنا. وكان يُدَكّس».

وقال سعيد بن منصور: وكان عبد الله بن وهب يسمع معنا عند المشايخ؛ فكان ينام في المجلس ثم يأخذ الكتب من بعضنا فيكتبها.

قالوا وهو أول من فرق بمصر بين «حدثنا» و«أخبرنا».

ذكر عبادته وزهده وخوفه ووفاته

قال أبو عمر: كان ابن وهب صالحًا خائفًا لله.

قال غيره: كان كثير الحج.

قال سحنون: كان ابن وهب قد قسم دهره أثلاثًا، ثلث في الرباط، وثلث يعلم الناس بمصر. وثلث في الحج. وذكر أنه حج ستًا وثلاثين حجة.

قال ابن وهب: جعلت على نفسي كلما اغتبت إنسانًا صيام يوم، فهان علي، فجعلت عليها كلما اغتبت إنسانًا صدقة درهم فثقل علي وتركت الغيبة.

قال أبو جعفر الأيلي: قال ابن وهب: ما من ليلة تمر إلا وأنا أستهولها وأذكر بها هول الآخرة.

ولما طلب لقضاء مصر، استخفى عند حرملة سنة وأشهرًا.

قال الحجاج بن رشدين: فأشرفت عليه من غرفتي وكانت تحاذيه يومًا، فقال لي: يا أبا الحسن بينا أنا أرجو أن أحشر في زمرة العلماء، أحشر في زمرة القضاة؟

قال ابن أخيه: ما رأيت قط أزهد في الدنيا منه. كان ينهدم عليه بعض بنيانه فلم يصلحه، وما بنى قط شيئًا، ولا رأيت أكثر رباطًا منه.

قال: وشهدت عبد الله بن وهب يقرأ عليه في منزله كتاب الأهوال

الذي كان يرويه أنه بلـغه عن أبي هريرة وشهـده أبو أسامة البكاء فـأخذا في البكاء، ثم إن أبا أسامـة قام بتلك الرِّقة وابن وهب على حاله والـقارىء يقرأ وابن وهب ينشج رافعًا صوته، حتى إني لأحسب من كان على خمسين ذراعًا يسمـعه، فلم يزل كذلك حـتى مال على الحـائط الذي كان مسـتندًا إليه، ثم احتمل إلى منزله فلم يزل على حاله لا يعقل، حتى توفي. فكنا نرى أن قلبه انصدع.

قال يونس. قال ابن وهب: إن أصحاب الحديث طلبوا مني أن أسمعهم صفة الجنة والنار، وما أدري أقدر على ذلك.

ثم قعد لهم فقرءُوا عليه صفة النار، فغشى عليه ورش بالماء وجهه فقيل اقرءوا عليه صفة الجنة، فلم يفق وبقي كـذلك اثني عشر يومًا فدعي له طبيب فنظر إليه فقال: هذا رجل انصدع قلبه.

وكانت وفاته بمصر سنة سبع وتسعين ومائة. فـيما قاله أحمد بن صالح وأبو عمر الكندي.

قال ابن الجزار: يوم الأحـد لخمس بقين من شعبـان منها. وقيل: سنة ثمان وتسعين وقيل سنة خمس أو ست وتـسعين. وقال الباجي: سنة تسعين. والأول أصح وأشهر.

وقال ابن سـحنون: الثابت أنه مات سنة ست وتـسعين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. وقيل ابن خمس وسبعين سنة. وقيل ابن ثمانين.

ولد بمصر سنة أربع وعشرين ومائة، وقيل سنة خمس وعشرين.

قال أبو إسحاق: وكان أسنّ من ابن القـاسم بثلاث سنين، وعاش بعده خمس سنين.

قال ابن أخيه لما توفي ابن وهب رأى رجل في المنام تلك الليلة أنه قيل له: مات الليلة أربعمائة عالم. فلما انتبه سمع النوح، فسأل فقيل له: مات ابن وهب قال وكان ابن وهب روى عن أربعمائة عالم.

قال الطباع فلما غسلوا ابن وهب وجدوا في فيه رطبة وصلى عليه عبَّاد والي مصر.

قال أبو بشر بن قعنب: رأيت ليلة مات ابن وهب، كأن مائدة العلم رفعت.

قال الطباع وغيره: وبيعت كتبه بعد موته، فبلغت خمسمائة دينار.

قال محمد بن عبد الحكم: أوصى ابن وهب إلى أبي في كفّارة الأيمان، وأمره فيها بمّدين مدّين، وأوصى بها إليه ابن القاسم بمدّ بمدّ.

وألف تواليف كثيرة جليلة المقدار عظيمة المنفعة منها سماعه على مالك، ثلاثون كتابًا، وموطأه الكبير، وجامعه الكبير، وكتاب الأهوال، وبعضهم يضيفها إلى الجامع، وكتاب تفسير الموطأ، وكتاب البيعة، وكتاب لا هام ولا صفر، وكتاب المناسك، وكتاب المغازي، وكتاب الردة.

وله أخ اسمه عبد الرحمن والد أحمد، وعبد العزيز.

وأخ اسمه عمر بن وهب، قيل: له حديث وما أعرفه.

توفي في محرم سنة سبع وتسعين ومائة. قاله ابن يونس.

وكان له ابن اسمه حميد. ذكر الكندي أنه كان مقبولاً عند قضاة مصر، قال الطحاوي وكانت فيه بطالة.

٧٣ - عبد الرحمن بن القاسم العُتَقِيّ

قال أبو عُمَر الكندي في كتابه موالي مصر: كنيته أبو عبد الله، وهو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جُنادة. كذا ضبطه الدارقطني والأمير، ونقله الباجي: جبارة وهو وهم، مولى زُبَيْد بن الحارث العتقي. وكان زبيد في حجر حميد، وذلك أن العتقاء جماع فيهم من حجر حمير، ومن سعد العشيرة، ومن كنانة مُضَر(١) وغيرهم.

قال ابن وضاح: وأصله من الشام من فلسطين، من مدينة الرملة. وسكن مصر، قال الدارقطني: وله بمصر مسجد يعرف بمسجد العتقي. قال ابن الحارث: وهو منسوب إلى العبيد الذين نزلوا من الطائف إلى النبي ﷺ، فجعلهم أحرارًا. وكان أبوه في الديوان وعنه ورث ابن القاسم المال الذي أنفقه في رحلته إلى مالك، وأعطى سعدًا منها خمسين دينارًا. وسمعت أنه خرج عن موروثه كله منه لأجل ذلك.

وروى عن الليث، وعبد العزيز بن الماجشون، ومسلم بن خالد الزنجي، وبكر بن مضر، وابن الدراوردي، وابن زبيد وابن أبي حازم، وسَعْد(٢)، وعبد الرحيم(٣)، وعثمان بن الحكم وغير واحد.

---

٧٣ - من مصادر ترجمته: الانتقاء - ص ٩٤، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٥٦، تهذيب التهذيب ٢/ ٥٤٤، تهذيب الكمال ١٧/ ٣٤٤، الديباج المذهب ١/ ٤٠٩، شجرة النور ١/ ١٢٣، المقفى الكبير ٤/ ٤٨.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «مصر» بالصاد المهملة، وهو تحريف قبيح صوابه لدى ابن عبد البر في الانتقاء.

(٢) هو سَعْد بن عبد الله المعافري.

(٣) هو عبد الرحيم بن خالد بن يزيد المصري.

وروى عنه أصبغ، وسحنون، وعيسى بن دينار، والحارث بن مسكين وسعيد بن عيسى بن تَليد[1] ويحيى بن يحيى الأندلسي، وأبو زيد بن أبي الغمر، ومحمد بن المواز، وأبو ثابت المدني، ومحمد عبد الحكم وأكثر روايات محمد بن المواز وابن عبد الحكم عن رجل عنه وخرج عنه البخاري.

ثناء الأجلاء عليه

قال الكندي: ذكر ابن القاسم لمالك، فقال: عافاه الله، مثله كمثل جراب مملوء مسكًا.

وقال الدارقطني: ابن القاسم صاحب مالك من كبراء المصريين وفقهائهم.

قال أبو عمر بن عبد البر: كان قد غلب عليه الرأي، وكان رجلاً صالحًا مقلاً صابرًا، وروايته في الموطأ صحيحة، قليلة الخطأ. وكان فيما رواه عن مالك متقنًا حسن الضبط. سئل مالك عنه وعن ابن وهب، فقال ابن وهب عالم، وابن القاسم فقيه.

قال ابن مَعين: هو ثقة. قال أبو زرعة: هو ثقة رجل صالح، كان عنده ثلاثمائة جلد عن مالك من المسائل أو نحو هذا. سأله عنها أسد، وذكر باقي القصة وستأتي بعد.

وقال النَّسائي: ومن فقهاء الأمصار بمصر عبد الرحمن بن القاسم، وأشهب بن عبد العزيز.

وقال النسائي: ابن القاسم ثقة رجل صالح، سبحان الله! ما أحسن حديثه وأصحّه عن مالك، ليس يختلف في كلمة، ولم يرو أحد الموطأ

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «عيسى بن تليد» وصوابه لدى المزي.

عن مالك أثبت من ابن القاسم، وليس أحد من أصحاب مالك عندي مثله. قيل له: فأشهب؟ قال: ولا أشهب ولا غيره، هو عجب من العجب، الفضل، والزهد، وصحة الرواية، وحسن الدراية، وحسن الحديث، حديثه يشهد له.

وقال ابن وهب لأبي ثابت: إن أردت هذا الشأن، يعني فقه مالك، فعليك بابن القاسم، فإنه انفرد به وشغلنا بغيره.

وبهذا الطريق رجح القاضي أبو محمد عبد الوهاب البغدادي مسائل المدونة لرواية سحنون لها عن ابن القاسم، وانفراد ابن القاسم بمالك وطول صحبته له، وأنه لم يخلط به غيره إلا في شيء يسير، ثم كون سحنون أيضًا مع ابن القاسم بهذه السبيل، مع ما كانا عليه من الفضل والعلم.

قال يحيى بن يحيى: كان ابن القاسم أحدث أصحاب مالك بمصر منا، وأحدثهم طلبًا وأعلمهم بعلم مالك وآمنهم عليه.

قال ابن الحارث: هو أفقه الناس بمذهب مالك. قال: وسمعنا شيوخنا يفضلون ابن القاسم على جميع أصحابه في علم البيوع. وقال له مالك: اتق الله وعليك بنشر هذا العلم.

قال أبو عبد الله بن أبي صفرة: لم يقعد إلى مالك مثله. يعني ابن القاسم. قال: وكان الأصيلي يقول ذلك فيه.

وقال الحارث بن مسكين: كان في ابن القاسم الزهد، والعلم، والسخاء، والشجاعة، والإجابة.

قال أحمد بن خالد: لم يكن عند ابن القاسم إلا الموطأ، وسماعه من مالك، كان يحفظها حفظًا.

قال أحمد: إلا أنه كان لا يحسن أن يقرأ. غاب القارئ يومًا، فاحتاج إلى أن يقرأ فما تم صفحة حتى احمرّ وجهه، ولم يقدر على شيء: وقال: انظروا من يقرأ لكم، ورمى بالكتاب.

وسئل أشهب عن ابن القاسم وابن وهب فقال: لو قطعت رجل ابن القاسم لكانت أفقه من ابن وهب، وكان ما بين أشهب وابن القاسم متباعدا، فلم يمنعه ذلك من قول الحق فيه.

قال أبو الطاهر: أخبرني خالي وكان من المتهجدين ومن أهل العلم، رأيت في المنام كأن قائلاً يقول لا يفتي الناس إلا ابن وهب وابن القاسم المهذّب، ثم رأيت ذلك بعد حول.

قال ابن وضاح: لم يخرج لمالك وعبد العزيز مثل أشهب وابن القاسم وابن وهب. كان علم أشهب الجراح، وعلم ابن القاسم البيوع، وعلن ابن وهب المناسك.

وقال أبو إسحاق الشيرازي: جمع بين الفقه والورع. صحب مالكًا عشرين سنة، وتفقه به وبنظرائه.

قال الحارث، وذكر ابن القاسم واقتصاره على مالك قال: سمع من سفيان أحاديث فكتبها في ألواحه، ثم سمع من مالك شيئًا فمحا تلك، وكتب ما سمع من مالك.

قال الحارث: قلت لابن القاسم: أخبرني بالرؤيا التي بلغني أنك رأيتها سنة كذا. قال ولا تخبر بها أحدًا، رأيت كأنه يقال لي: إن الله يصلي عليك وعلى سعيد بن زكريا. يعني سعيد الأَدَم[1].

(١) بهمزة مقصورة ومهملتين مفتوحتين قيده ابن حجر في التقريب - ص ١٧٥، وتحرف في طبعة المغرب إلى: «الآدم» بالمد.

قال بعضهم: وقف أشهب على قبر ابن القاسم فقال: رحمك الله يا أبا عبد الله قد - كنا نترك كثيرًا خوفًا من نقدك، فسنهلك بعدك.

ذكر ابتداء طلبه وسيرته في ذلك

قال ابن وضاح: سمع ابن القاسم من الشاميين والمصريين، وإنما طلب وهو كبير، ولم يخرج لمالك حتى سمع من المصريين. وأنفق في سفرته إلى مالك ألف مثقال.

قال سحنون عنه: ما خرجت لمالك إلا وأنا عالم بقوله.

وقال لابنه موسى بن عبد الرحمن -: ألا أخبرك كيف طلبت العلم؟ قال: بلى. قال: كان لي أخ فنازع رجلاً فسار إلى السلطان فتبعته حتى أتياه، فأمر بأخي إلى السجن فتبعته، فدخلت المسجد وعليّ نعل سندي، ومعصفرة، فإذا حلق الناس يتلقون العلم، فبهت فيهم وشغلت عن الذهاب إلى أخي. فرجعت إلى المنزل وأخذت حذاء ورداء آخر غير الأول، فأتيت المسجد فجلست فيه، وحدي أنظر إلى الناس، فانصرفت فقمت فأتاني آت فقال لي: إن أحببت العلم فعليك بعالم الآفاق. قلت ومن عالم الآفاق؟ قيل لي هذا الشيخ، فإذا شيخ أشقر طوال حسن اللحية، فاستيقظت وقد مضى أكثر شوال، فاكتريت إلى مكة وحججت مع الناس فلما أتينا المدينة اغتسلت ودخلت المسجد، ونظرت فإذا انا بالصفة التي رأيت في المنام، وإذا هو مالك ابن أنس والناس يعرضون عليه، فعرفت أنه الذي قيل لي في النوم أنه عالم الآفاق، فلزمته.

وقال أصبغ: قال ابن القاسم حملت أحاديث المصريين، فوقع في نفسي طلب الفقه، فأتيت أبا شريح وكان صالحًا حكيمًا، فاستشرته وقلت: أردت أن أشخص إلى مالك.

فقال لي: ما أحسن الفقه، وإن كان أهله يعتريهم الكبر، ولكن اطلب، فلأن توسد العلم خير من أن توسد الجهل.

قال: ثم نمت بأثر ذلك فرأيت في منامي كان عقابًا انقض على رأسي - وقال غيره: كأن بازيًا رفرف على رأسه أو على حجره - فأخذه فبقر جوفه. فقال له قائل: لا تضيع جوفه فإن حشوه جوهر. وفي رواية فجعلت ابتلعه حتى أتيت عليه. فعبر الرؤيا على أبي شريح.

قال غيره: وعلى رجل كان بصيرًا بالعبارة يقال إنه زين بن شعيب، فقال: البازي سيد الطير والجوهر العلم، هذا عالم أمرت أن تأخذ من علمه وأن تأتيه.

وفي حديث أصبغ: العقاب سيد الطير، والعالم سيد الناس، ولئن صدقت رؤياك لتؤتين علم عالم، فاتق الله يا عبد الرحمن. وأمرني أن اخرج إلى مالك وألزمه. فخرج إلى مالك وسمع منه ولازمه.

وفي رواية، أنه قال له: لعلك حدثت نفسك بشيء من طلب العلم؟ قلت: نعم. قال: فمن ذكرت؟ قلت: مالكًا. قال: هو بازيك الذي صدت.

قال ابن القاسم: كنت أسمع من مالك كل يوم غلسًا إذا خرج من المسجد ثلاثة أحاديث، سوى ما أسمع مع الناس بالنهار.

وفي رواية: كنت آتي مالكًا غلسًا، فأسأله عن مسألتين ثلاثة، أربعة، وكنت أجد منه في ذلك الوقت انشراح صدر، فكنت آتي كل سحر، فتوسدت مرة عتبته فغلبتني عيني، فنمت وخرج مالك إلى المسجد ولم أشعر به، فركضتني سوداء له برجلها وقالت لي: إن مولاك قد خرج، ليس يغفل كما تغفل أنت، اليوم له تسع وأربعون سنة قلما صلى الصبح إلا بوضوء العتمة. ظنت السوداء أنه مولاه من كثرة اختلافه إليه.

وفي خبر : أَنَخْتُ بباب مالك سبع عشرة سنة، ما بعت فيها ولا اشتريت شيئًا. قال: فبينما أنا عنده إذ أقبل حاج مصر، فإذا شاب متلثم دخل علينا فسلم على مالك. فقال أفيكم ابن القاسم؟ فأشير إلي فأقبل يقبل عيني ووجدت منه ريحًا طيبة، فإذا هي رائحة الولد، وإذا هو ابني، وكان ترك أمه به حاملاً، وكانت ابنة عمه، وكان اسمه عبد الله، وكان خبر أمه عند سفره لطول إقامته فاختارت البقاء.

ولم يذكر الناس عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم هذا في ولده، وسنذكرهم. ولعله مات شابًا قبله والله أعلم.

قال أبو زيد: سمعت ابن القاسم يقول: ما ضن أحد بعلمه فأفلح. لقد كنت أحضر مجلس مالك فأسمع منه، فإذا لم يحضر أصحابي سألوني ما سمعت أخبرهم، ويحضرون ولا أحضر فأسألهم فلا يخبرونني.

قال ابن القاسم كأني كنت أنا وأشهب نختلف إلى عاملين مختلفين، لاختلافهما في الرواية.

قال الصمادحي: من أجل هذا تركت السماع من أشهب.

وذكر الطالبي: أن ابن القاسم لما رجع إلى مصر اجتمع حوله الناس في المسجد، فسأل عن ذلك الليث فقيل له: هذا ابن القاسم. فقال: يأبى الله ذلك والمسلمون.

فرأى في المنام تلك الليلة: هاتفًا ينكر عليه ذلك، فاستيقظ وهو يقول: لا بل لا يأبى الله ذلك ولا المسلمون. ثم أتى الجامع فحدث الناس حوله برؤياه.

ولابن القاسم سماع من مالك عشرون كتابًا وكتاب المسائل في بيوع الآجال.

ذكر فضله وعبادته وورعه وكراماته وشيء من خبره

قال ابنه موسى: قال لنا أبي - وأمرنا بالصلاة والخير: كنت وأنا ابن ثمان عشرة سنة أختم في كل يوم - أحسبه قال وليلة - القرآن.

قال الحارث بن مسكين: سمعت ابن القاسم يقول: اللهم امنع الدنيا مني وامنعني منها، بما منعت به صالحي عبادك؛ فكان في الورع والزهد شيئًا عجيبًا.

قال غيره: ذكر أنه شهد عند بعض قضاة مصر، فلم يعرفه وطلب من يعدله لخموله وانقباضه، فخرج وهو يقول بل الله يزكي من يشاء. حتى عرف به، فلما عرف له، حكم بشهادة ويمين الطالب، وكان عراقيًا لا يرى ذلك، ولكنه فعل لفضل ابن القاسم.

وقيل بل شهد عند أحد القضاة، فقال القاضي: الاسم عدل، ولا أعرف العين. فجئني بمن يعنيها، إذ كان لا يداخل القضاة. قال: وإنما كان مشتغلاً بالعبادة والعفاف.

قال سحنون: كان مالك معلم ابن القاسم في العلم، وكان معلمه في العبادة سليمان بن القاسم.

وقال ابن القاسم فيهما: رجلان أقتدي بهما في ديني، سليمان في الورع، ومالك في العلم.

وذكر أن بعض مياسير مصر أراد أن يزوجه ابنته وينقد عنه ويتكلف مئونته، فقال: حتى أشاور. فشاور عمه سليمان بن القاسم. فقال له: تحب أن يخدمك الخصيان، وتلبس الخز، وتركب الخيل ويراح عليك غدوة وعشية بالجفان؟ قال: لا. فقال له فلم تشغل نفسك بمال فلان! فترك ذلك.

قال أسد: كان ابن القاسم يختم في كل يوم وليلة ختمتين، فنزل لي حين جئته عن ختمة رغبة في إحياء العلم.

قال يحيى بن يحيى، وقيل له: بلغنا أن ابن القاسم كان لا يأكل من حنطة مصر. فقال: كذبوا ما كان يأكل هو ومالك إلا منها. ولقيت ابن القاسم مقبلاً في سوق مصر ومعه حمال بطعام، فسألته، فقال: طعام اشتريته، فأدخلت يدي فيه لأبصره، فإذا هو كثير الغلث فقلت له: فهل كان أطيب من هذا؟

فقال لي: يا أبا محمد، إني رضيت باليسير، ما يكفيني من الدنيا، فاستجزيت به.

قال يحيى ولو أراد ابن القاسم أن يحمله له كبراء أهل مصر على ظهورهم لفعلت. ولكنه كان لا يفعل ذلك، ولا يشتهيه من أحد.

قال: وسمعت ابن القاسم يقول: ما كذبت منذ شددت على مئزري، يعني: الحلم. قال يحيى: وما كان أخلقه بذلك.

قال يحيى: سمع رجلان من أهل الأندلس عن ابن القاسم وكتبا عنه، فلما أفتاهما. قالا له: تشهد لنا رجالاً من أهل بلدنا بما سمعنا منك؟ فأنكر ذلك وقال: لا خير في قوم لا يصدقهم أهل بلدهم فيما ينقلون إليهم إلا بالبينة.

قال يحيى: ولما قرأ أسد على ابن القاسم الأسدية، وضع أشهب يده في مثلها، فخالفه في جلها، قال الفقيه القاضي أبو الفضل عياض رضي الله تعالى عنه: وهي المعروفة بمدوّنة أشهب، وبكتاب أشهب. فقلت لابن القاسم: يا أبا عبد الله لو أعدت نظرك في هذه الكتب، فإن صاحبك قد خالفك فما لايمك عليه أقررته، وما خالفك فيه، أعدت النظر فيه.

فقال: أفعل إن شاء الله.

فلما تقاضيته بعد أيام في ذلك فقال: يا أبا محمد نظرت في مقالتك، فوجدت إجابتي يوم أجبت، لله وحده، فرجوت أن أوفق، وإجابتي اليوم إنما تكون نقضًا على صاحبي، فأخاف أن أوفق، وإجابتي اليوم إنما تكون نقضًا على صاحبي، فأخاف أن لا أوفق في الأمر فتركته.

قال يحيى: وكان طول ما يقرأ عليه، رافعًا إصبعه مبتهلاً إلى الله تعالى في التوفيق والسلامة.

قال: وتذاكرنا يومًا مع ابن القاسم هذا الأمر، فكلنا، قال: لاورع أشد ما في هذا الدين.

فقال ابن القاسم ما هو عندي كذا. فقلت له يا أبا عبد الله وكيف ذلك؟ فقال: إنا أمرنا ونهينا فمن فعل ما أمر به وترك ما نهي عنه فذاك أورع الناس.

فقيل له: يا أبا عبد الله، لقد خف عليك ما ثقل على غيرك، فأي شيء وجدت من هذا الأمر أثقل؟ فقال ما وجدت شيئًا أثقل علي من مكابدة أجزاء الليل.

وحكى يحيى بن عمر عن بعضهم قال: شهدت العيد مع عبد الرحمن ابن القاسم، فلما انصرفنا دخل ابن القاسم المسجد فصلى، ثم سجد فطول، حتى خفت أن يفوتني الغداء مع أهلي، فدنوت منه فسمعته يقول: إلهي انقلب عبادك إلى ما أعدوه لهذا اليوم وانقلب عبد الرحمن إليك يرجو مغفرتك في هذا اليوم العظيم، فإن كنت فعلت فبخ بخ، وإن كنت لم تفعل فيا ويلي ويا حسرتي.

قال فجعلت على ثوبه علامة ثم سرت إلى أهلي، فتغديت معهم ووطئت وقمت ثم جئت المسجد فوجدته على هيأته كما تركته.

قال يحيى: وخرج ابن القاسم إلى الحج، فلما كان بالأبواء، إذ أتته جارية كأحسن الجواري، فناولها شيئًا فقالت له: ما أريد هذا، إنما أريد منك ما يكون من الرجل إلى المرأة، فأدخل رأسه بين ركبتيه وجعل يبكي، وأتاه أصحابه وهو كذلك فسألوه فأخبرهم، فجعلوا يبكون. فقال لهم لم تبكون؟ قالوا لأنا لو ابتلينا بما ابتليت به لم نأمن من الفتنة.

فرأى ابن القاسم في منامه يوسف عليه السلام، فقال له: لقد كان في شأنك مع امرأة العزيز عجب فقال له يوسف شأنك مع صاحبة الأبواء أعجب، إني هممت وأنت لم تهم!

ومن كتاب الفقيه أبي مروان بن مالك القرطبي: قال ابن القاسم: خرجت إلى الإسكندرية ومعي وديعة فأرسينا في موضع مخوف فآثرت السمر لحفظ الوديعة، فإذ في نصف الليل رجل أبيض على برذون أشهب، فشق البحر إليّ حتى وقف على السفينة فقال لي: نم يا ابن القاسم فنحن نحرسها.

قال ابن القاسم للحارث: لا تخبر به أحدًا في حياتي.

وفي رواية أخرى إن الوديعة كانت عشرة آلاف، وأن الفارس قال له: إن ربي أرسلني إليك أحرس لك هذه الأمانة فنم آمنًا، فكنت إذا استيقظت نظرت إليه يجول حوالينا. كان دأبه ذلك ثلاثة ليال حتى مضى إلى الإسكندرية.

وقال يحيى بن يحيى: خرج ابن القاسم إلى بعض صحارى مصر

فعطش، وكان بعض ملوكها خرج متنزهًا فبينما هو يسير إذ وقفت دوابه فلم تنطلق، فضربت فلم تنهض. فقال لمن معه، ما هذا الأمر؟ فانظروا، فنظروا. فقالوا: هذا شخص. فقال: سلوه، فسألوه. فقال: عطشت. فسقوه. فانطلقت الدواب.

قال عيسى بن دينار: وكنت بالإسكندرية مع ابن القاسم في الرباط، ومعه رجل كان يألفه، فبينا نحن في السفينة ليلة سبع وعشرين من رمضان، إذ قال رجل من أهل السفينة: أخبرك بشيء عظيم رأيته في نومي ساعتي هذه. فأخبره، فقال لصاحبه: إن كان ما قال حقًا فهي ليلة القدر. وذكر أن علامة ذلك عذوبة ماء البحر، ومالا إلى صدر السفينة، فرأيتهما يشربان ثم استقبلا القبلة، فقمت فأتيت الموضع الذي أتياه فشربت فوجدته عذبًا.

قال الحارث: كان ابن القاسم لا يقبل جوائز السلطان، وكان عليه دين، إلا أنه كان له من العروض ما يفي به.

قال، وكان يقول: ليس في قرب الولاة ولا في الدنو منهم خير. وكان أولاً يأتيهم، ثم ترك ذلك.

قال ابن وضاح، كان ابن القاسم لا يجالسه إلا واحد، أو اثنان. ولم يكن فيه منفعة للناس، ولا لأبويه ولا ابنه ولا نفسه في شيء من أمور الدنيا إلا بالعلم. وكان أشهب وابن وهب يقعدان في جماعة. وتقضى عندهما الحوائج، وينفعان الناس.

قال سحنون: كثيرًا ما كنت أسمعه يقول إياك ورقّ الأحرار. فيسأل فيقول كثرة الإخوان. ولم يكن يشهد جنازة لأحد، ولا يخرج من المسجد. وذكر حديث سليمان بن القاسم لا تحمل لغيرك على نفسك ما لا تحمله لنفسك على نفسك.

قال، وكان سبب موت ابن القاسم أنه اغتسل بماء بارد بمدين، لم يرد أن يسخن له منها، لأنها كانت غصبًا لبعض بني أمية.

قال سحنون، قمت يومًا في المسجد الحرام أشرب ماء، فقال ابن القاسم من أين تشرب؟ قلت، أليس في الفيء قدر شربة ماء؟ قال: وأي فيء بمكة؟ إنما هي صدقات.

قال سحنون، اشترى عبد الصمد الأطرابلسي لابن القاسم جارية ثم أخرى، لم يتخذ غيرهما حتى ماتتا، ولما ماتت الأولى أرسل إليه يشتري له جارية صقلبية كما تنزل. فاشتراها له وبعثها له، وهي أم ابنيه. وسيأتي ذكرهما بعد هذا. وكان عبد الصمد هذا من العباد، لزم المحرس بأطرابلس، قال ابن وضاح وإنما قصد للصقالبة لأنهم لا عهد لهم.

قال، وحكى أبو محمد بن أبي زيد أن ابن القاسم كان يتصدق بنصف قوته، يعمله كعكًا صغيرًا، فإذا وقف به السائل أعطاه كعكة صغيرة، كما عملت. وأنه باع نصف قوته سنة فاشترى به تمرًا يعطي السائل تمرة تمرة.

قال أبو محمد: كأنه رأى أن هذا أقل للتكلف وأزكى في القدر، لإشفاقه من رد السائل بغير شيء وهذا بقدر النية.

وقال ابن وهب حين مات ابن القاسم: كان أخي وصاحبي في هذا المسجد منذ أربعين سنة. ما رحت رواحًا ولا غدوت غدوًا قط إلى هذا المسجد إلا وجدته سبقني إليه.

وحكى عن أبن القاسم أنه كان يقرأ عليه الموطأ إذ قام قيامًا طولاً، ثم جلس. فقيل له في ذلك فقال: نزلت أمي تسأل حاجة، فقامت وقمت لقيامها، فلما صعدت جلست.

قال: فرات. قال سحنون: لما حججت كنت أزامل عبد الله بن وهب، وكان معنا أشهب وابن القاسم، فكنت إذا نزلت ذهبت إلى عبد الرحمن أسائله إلى وقت الرحيل، فقال لي ابن وهب وأشهب: لو كلمت صاحبك ليلة واحدة يفطر عندنا. فكلمته. فقال: إن ذلك يثقل علي.

فقلت له فيم يعلم القوم مكاني بك؟ فأجابني. فانتهيت إليهم فأعلمتهم، فلما كان وقت التعريس قام وقمت معه إلى القوم، فوجدت أشهب قد مدّ أنطاعه وأتى من الأطعمة بأمر عظيم، وصنع ابن وهب دون ذلك. فسلم ابن القاسم وقعد ثم أدار عينيه فإذا بسكرجة فيها دقة، فأخذها بيده فحرك الأبزار إلى ناحية ولعق من الملح ثلاث لعقات، وهو يعلم أن أصل ملح مصر طيب. ثم قام وقال: بارك الله لكم.

قال سحنون: فاستحييت أن أقوم. فتكلم أشهب وعظم الأمر. فقال ابن وهب: دعه.

قال أبو الفضل مولى نجم: كان ابن القاسم يأكل في الشهر عشرين مدًا من دقيق بمد النبي ﷺ، وكان فقيهًا عابدًا.

قال غيره: لأنه كان رد قوته إلى ثلث مد شعير في اليوم.

وذكر أن رجلاً من أهل العلم والخير قدم من العراق وأراد الاجتماع به فأتاه رجل في ذلك فوعده وقتًا لذلك، فلما استنجزه قال له ابن القاسم: إني نظرت في ذلك فرأيت أنه يدخله المباهاة فيتزين لي وأتزين له. دعني من ذلك.

وكان المصريون يقولون للكوفيين: اذكروا أخلاق سفيان، وتذكروا أخلاق ابن القاسم. فيسكتون.

قال ابن وضاح: كان أهل الأندلس قد مشوا بين ابن القاسم وأشهب حتى أفسدوا ما بينهما، وحلف أشهب بالمشي إلى مكة أن لا يكلم ابن القاسم، فندم، وأراد أن يمشي، فلما سمع بذلك ابن القاسم قال: هو يحنّث نفسه ويمشي، وأمشي معه. فمشيا جميعًا وحجا وعيسى بن دينار معهما.

قال يحيى: سمعت ابن القاسم يدعو على رجلين من أهل الأندلس، دخلا بينه وبين أشهب، فسمعته يقول: اللهم عنهما بسعيهما ولا تنفعهما بحملهما. فما ماتا حتى عرف ذلك فيهما.

وقيل بل كان ابن القاسم وأشهب اختلفا في قول مالك في مسألة. وحلف كل واحد منهما على نفي قول الآخر، فسألا ابن وهب فأخبرهما أن مالكًا قال: القولين جميعًا، فحجا قضاء لليمين التي حنثا فيها.

ذكر وفاته

قال ابن سحنون وغيره: كانت وفاة ابن القاسم بمصر ليلة الجمعة لتسع خلون من صفر سنة إحدى وتسعين ومائة. بعد قدومه من مكة بثلاثة أيام. وقيل ستة. وقد ذكرنا سبب ذلك، ومرض ستة أيام وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة. وقيل توفي سنة اثنتين وتسعين وهو ابن ستين سنة.

قال الكندي والشيرازي: مولده سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وقاله أبو الطاهر وابن بكير.

وقال أبو عمر بن عبد البر وابن حارث مولده سنة ثمان وعشرين ومائة. وترك ابنين يأتي ذكرهما.

وذكر الكندي عمر بن القاسم أخا عبد الرحمن بن القاسم.

قال الأمير أبو نصر: كانت فيه غفلة.

ورئي ابن القاسم بعد موته فسئل فأخبر بما لقيه من الخير، فقيل له بماذا؟ فقال بركعات ركعتها بالإسكندرية، فقيل: فالمسائل؟ فقال لا وأشار بيده، أي وجدناها هباءً.

قال علي بن معبد: رأيته في النوم فقلت له: كيف وجدت المسائل؟ قال أف أف.

قلت له: فما أحسن ما وجدت؟ قال الرباط بالإسكندرية.؟ قال عبد الله بن عبد الحكم: بينا أنا أفكر في وحشة القبر إلى أن قيل لي أما في ابن القاسم أسوة؟قال عبد بن الحكم: كنت أرى في النوم كأني أموت فأجزع من الموت فيشتد شدة شديدة ويقال لي: أنا ترضى أن تكون رفيقًا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا. ومع عبد الرحمن بن القاسم؟

٧٤ - أبو عَمْرو أشهب

هو أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم القيسي العامري الجعدي. من ولد جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر. اسمه مسكين. وأشهب لقب. وكنيته أبو عمرو.

---

٧٤ - من مصادر ترجمته: الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء - ص ٩٦، والتاريخ الكبير ٢/ ٥٧، والتذكرة للحسيني ١/ ١٣٤، وتهذيب الكمال ٣/ ٢٩٦، والثقات لابن حبان ٨/ ١٣٦، والجرح والتعديل ٢/ ٣٤٢، ودول الإسلام ١/ ١٢٧، والديباج المذهب ١/ ٢٦٨، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥٠٠، وشجرة النور الزكية ١/ ١٢٤، والكاشف ١/ ١٣٥، والمقفى الكبير ٢/ ٢١٢.

روى عن مالك والليث وفضيل بن عياض، وسليمان بن بلال، وابن لهيعة، ويحيى بن أيوب، وبكر بن مضر، والدراوردي، والمنذر بن عبد الله الحزامي.

وروى عنه الحارث بن مسكين، ويونس الصدفي، وبنو عبد الحكم، وأبو الطاهر، وسعيد بن حسان، وسحنون بن سعيد، فيما لا ينعد كثرة، وجماعة.

قال الشيرازي: تفقه بمالك والمدنيين والمصريين.

قال أبو عمرو المقريء: وقرأ على نافع.

قال الشافعي: ما رأيت أفقه من أشهب لولا طيش فيه. وكانت المنافسة بينه وبين ابن القاسم. وانتهت إليه الرئاسة بمصر بعد وفاة ابن القاسم.

قال سحنون: قال لي ابن القاسم: إن كنت مبتغيًا هذا العلم بعدي فابتغه عند أشهب.

وقال أسد: أتيت ابن القاسم فقال لي: أنا مشغول بنفسي، وجعلت الآخرة أمامي، ولكن، عليك بابن وهب فأتيته. فقال إنما أنا صاحب آثار، ولكن ايت أشهب.

قال أبو عُمَر[1] الحافظ: كان أشهب فقيهًا نبيلاً، حسن النظر من المالكيين المحققين. وكان كاتب خراج مصر، وكان ثقة فيما روى عن مالك. وصنف كتابًا في الفقه رواه عنه سعيد بن حسان وغيره.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «أبو عَمْرو».

قال أبو عمر الكندي في كتاب قضاة مصر: كان أشهب على مسائل القاضي العمري بمصر.

قال محمد بن عبد الحكم: أشهب. أفقه من ابن القاسم مائة مرّة.

قال ابن لبابة: ليس هذا عندنا كما قال. وإنما قاله لأن أشهب شيخه ومعلمه.

قال أبو عمر: كلاهما معلمه وشيخه وهو أعلم بهما.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: لم يسمع محمد بن عبد الحكم من ابن القاسم، وستأتي الحجة على هذا، ولا أدري من أين أتى على أبي عمر في هذا مع تقدمه في هذا الباب.

وسئل سحنون عنهما أيهما أفقه؟ فقال: كانا كفرسي رهان، ربما وفق هذا وخذل هذا وربما خذل هذا ووفق هذا.

وقال سحنون: حدثني المتحري في سماعه. وقال رحم الله أشهب، ما كان أصدقه وأخوفه لله تعالى، ما كان يزيد حرفًا واحدًا.

ولقد قال له ابن عبد الحكم يومًا لو أمسكت قليلاً. قال لقد علمت الذي تقول. ولو فعلت ذلك لكنت أجلّ في عيون الناس، ولقطعت بعض كلامهم، ولكن والله لا أعمل شيئًا أبدًا لا أريد به الله.

وكان سحنون يعطي لأشهب الورع في سماعه، ولم يسمعه منه، وإنما سمعه من ابن نافع.

قال ابن وضاح: سماع أشهب أقرب وأشبه من سماع ابن القاسم. وعدد كتب سماعه عشرون كتابًا.

قال ابن وضاح: ولما سمعناه أنا وابن حمير من محمد بن عبد الحكم قال لنا: ابن السكري، وكان يجالس محمد بن عبد الحكم ويسمع قراءتنا: أحبّ أن تعيداه لي. فقلنا له: وقد سمعته، قال لم أنو سماعه. وقد قال عليه الصلاة والسلام: إنما الأعمال بالنيات. وسمعته جيّد المسائل حسنًا جدًا. ولو أردت أن أخرج على كل مسألة منه حديثًا لفعلت.

قال سحنون: ما كان أحد يناظر أشهب، إلا اضطره بالحجة حتى يرجع إلى قوله. ولقد كان يأتينا في حلقة ابن القاسم فيتكلم في أصول العلم، ويفسّر ويحتج، وابن القاسم ساكت ما يرد عليه حرفًا. وكان أشهب مهيبًا. وكان أزرق العينين فإذا كلمه إنسان في مسألة يرفع عينيه إليه إذا تعذرت المسألة. وكان يلبس قلنسوة سوداء. وكان آمرهم بمعروف وأنهاهم عن منكر. قال: ثم سمعه من محمد بن عبد الحكم واعتقده.

قال ابن عبد البر: لم يدر الشافعي بمصر من أصحاب مالك إلا أشهب وابن عبد الحكم، وكان الشافعي وأشهب يتصاحبان بمصر ويتذاكران الفقه. وكان ما بينهما متقاربًا.

وذكره أبو عمر مع عبد الله بن عبد الحكم فيمن أخذ الشافعي من كبار أصحاب مالك، وإنما كانا - يريد الشافعي وأشهب - متناظرين.

وألف أشهب كتابه المدونة رواها عنه سعيد بن حسان وغيره، وهو كتاب جليل كبير كثير العلم.

قال ابن حارث: لما كمُلَتْ الأسدية أخذها أشهب، وأقامها لنفسه، واحتج لبعضها. فجاء كتابًا شريفًا. فبلغني أنه لما بلغ ابن القاسم ذلك قال: أَمَةً وكعاء. تفعل مثل هذا! يعني أنه وجد كتابًا تامًا فبنى عليه.

فأرسل إليه أشهب: أنت إنما غرفت من عين واحدة، وأنا من عيون كثيرة. فأجابه ابن القاسم: عيونك كدرة وعيني أنا صافية.

وله كتاب الاختلاف في القسامة. وله كتاب في فضائل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى.

ذكر شيء من فضائله - وجوده وأخباره

قال سحنون: كتب أشهب إلى رجل كان يقع فيه: أما بعد، فإنه لم يمنعني أن أكتب إليك أن تتزايد مما أنت فيه إلا كراهية أن أعينك على معصية الله، واعلم أني أرتع في حسناتك كما ترعى الشاة الخضر. السلام.

وجلس أشهب يومًا بمكة إلى ابن القاسم فسأله رجل عن مسألة، فتكلم فيها عبد الرحمن فمعر له أشهب وجهه، وقال ليس هو كذلك. ثم أخذ يفسرها ويحتج فيها.

فقال ابن القاسم: الشيخ يقوله، عافاك الله. يعني مالكًا.

فقال أشهب: لو قاله ستين مرة. فلم يرادّه ابن القاسم.

قال أشهب: أتيت الفضيل أستشيره في إتيان الوالي وكيف آتيه فليس أحد يأتيه أقوم بأمره ونهيه مني، وربما قبل فانتفع بذلك المسلمون.

فقال لي أنت رجل تسألني عن خاصة نفسك، لأنك لا تأتيهم ولا تودهم ولا تود من يودهم.

قال ابن وضاح: كان أشهب يقول: إنما الورع في المشتبهات وأما الكبائر فكل أحد يتقيها.

قال أشهب أمرني أبي أن أتخذ سقاية بموضع سمّاه فبنيتها مرات ويهدمها على جيران حسدوني فيها. فأدركني يومًا غمّ ذلك، فقعدت عندها

باكيًا مفكرًا، فسمعت صوتًا من الصحراء يقول: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ... ﴿٥﴾﴾ [القصص]، فحركت دوابي نحو الصوت فلم أر أحدًا. فعدت إلى موضعي فسمعت الصوت فقمت فلم أر أحدًا. فعدت للقعود فعاد الصوت ثالثة، فعلمت أني المراد فحمدت الله. وقامت لي نية في طلب العلم، وبنيتها ووكّلت من يحرسها، بأجرة. فلم يعد أحد إلى خرابها.

وقد حكيت مثل هذه الحكاية لليث بن سعد حين بنى داره والله أعلم.

وقال ما مرت بي إلا أعوام يسيرة حتى أحتاج أولئك وغيرهم من أهل بلدي إليّ.

قال ابن أبي مريم: شيعنا أشهب إلى الرباط ما يملك نصف درهم، فما مات حتى كان ينفق كل يوم على مائدته عشرة مثاقيل. وكان قد فتح عليه في الدنيا.

وقال سحنون: كانت بمصر مجاعة فحضرته يتصدق بالدنانير من الغدوة إلى الليل. ويتصدق بما كان معه من طعام.

وذكر عنه سحنون، أنه رآه يتصدق في يوم واحد بألف دينار.

وذكر ابن الجزار في كتاب التعريف: أن ابن القاسم ترك كلام أشهب، لأنه تقبل خراج مصر، فسأل رجل ابن القاسم عن قبالة أرض مصر، فقال له: لا تجوز. فقال له: فأشهب يتقبلها. فقال له ابن القاسم: افعل أنت ما يفعل أشهب. وتقبل الجامع.

وذكر أن رجلاً سأل أشهب عن الحرث في أرض مصر. فقال لا يجوز. فقال له أنت تحرث فيها. فقال له: فأحمل لنفسي ولك أيضًا؟

وسأل عنها ابن وهب فنهاه. فقال له: فـأشهب يفعله. فقال أعطنا آخر كأشهب. يكفل أيتـامنا، ويرق لضعفائنا، ونبيح لك أن تحرث فـي مسجدنا. قال سحنون: كان يتصدق بأضعاف كرائها.

قال سحنون: حضرنا أشهب يوم عرفـة بجامع مصر، وكان من حالهم إقامتهم بمسـجدهم إلى غروب الشمس، يعني للذكر والدعـاء كما يفعل أهل عرفـة بها، وكـان يصلي جالسًـا يعني النافلة. وفي جانـبه صرة يعطي مـنها السؤّال، فنظرت فإذا بيـد سائل دينار، مما أعطاه، فذكرته له، فـقال لي: وما كنا نعطي من أول النهـار؟ وذكر يونس قال: زعم أشـهب أنه سمع سليـمان السائح في مساجد الصحراء يقول: يا رب عبدك سليمان جائع، لم يأكل منذ ثلاث ليال. فلما فرغ سـمعته يمضغ فكرهت أن أدخل عليه فأحـشمه، وكان للمسجد بابان فخرج من القبلي ودخلنا من آخر. فإذا بأنواء تمر، وتمرة منتبذة فأكلتها، فأقمت معصوبًا عشرة أيام لا آكل ولا أشرب.

قـال سحنون: اجـتاز أشـهب بابن القـاسم يومًـا وعلى أشهب ثيـاب تتقعـقع، وتحته بغلة هملاج، فـقال ابن القاسم: ﴿...وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ... ﴿٢٠﴾﴾ [الفرقان]. ثم سكت ساعة وقال: يا رب نصبر ونصبر.

وقد نسبت هذه الحكاية وهذا الكلام للمزني، وقد مرّ به بنو عبد الحكم في موكبهم بمصر أيضًا والله أعلم.

وذكر أن رجلاً من أهل العراق لقي أشهب فقال له العراقي: أنتم تحلون إتيان النساء في أدبارهن، فقال أشـهب: أنتم تحرمونه ولكن تعال أحلف بالله ما فعلته، واحلف لي أنت بمثله، فلم يفعل العراقي.

وذكر أن أشهب بينما هو في أصحابه إذ سمع إنسانًا ينذر بلص، فقام وأخذ سلاحه وخرج يتبعه، فقيل له في ذلك: إن مثلك لا يليق به هذا، فقال: ما كنت لأتخلَّق بغير ما جبلني الله عليه.

ذكر مولده ووفاته

قال ابن عبد البر وأبو عمرو المقريء: ولد أشهب سنة أربعين ومائة. وحكاه ابن حزم الصدفي عن أبي الطاهر.

وحكى الشيرازي أنه ولد سنة خمسين ومائة، وتوفي بمصر سنة أربع ومائتين في رجب، وقيل لثالث وعشرين ليلة خلت من شعبان.

قال الشيرازي: بَعْد الشافعي بشهر. وقال ابن عبد البر: بثمانية عشر يومًا. وقيل بثلاثة وعشرين يومًا. وهذا هو المشهور من تاريخ وفاته.

وقال أبو علي البصري في كتاب المعرب: وقيل توفي سنة ثلاث ومائتين.

قال محمد بن عبد الحكم: سمعت أشهب يدعو على الشافعي بالموت. فذكرت ذلك له، فأنشد متمثلاً:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى تهيأ لأخرى مثلها فكأن قد

فمات الشافعي واشترى أشهب من تركته غلامًا طباخًا، فمات بعده بثمانية عشر يومًا واشتريت أنا الغلام من تركة أشهب، ونهيت عن شرائه. وقيل لي دعه فقد دفن العالمين في بضعة عشر يومًا، فاشتريته وتركت التطيّر.

وحكى الربيع بن سليمان، قال: سمعنا أشهب يقول في سجوده: اللهم أمت الشافعي وإلا ذهب علم مالك. فبلغ ذلك الشافعي، فأنشأ يقول، البيتين.

قال محمد بن حفص المعافري: في مرض أشهب، رأيت في المنام أن قائلاً يقول لي: يا محمد فأجبته، فقال:

ذهب الذين يقال عند فراقهم ليت البلاد بأهلها تتصدع

فقلت لامرأتي ما أخوفني أن يموت أشهب. فخرجت فإذا هو قد مات. وقال آخر نمت في القائلة فرأيت هاتفًا يقول:

ليبك على الإسلام من كان باكيًا فقد أوشكوا هلكًا وما قدم العهد

وأدبرت الدنيا وأدبر خيرها وقد ملّها من كان يقلقه الوعد

فخرجت إلى المسجد، فنعي إلي أشهب رحمه الله تعالى.

قال يونس: دخلت على أشهب في مرضه الذي مات فيه فقال لي: يا يونس، قلت: لبيك، قال: انظر ما ها هنا - وأشار إلى كتبه - ماذا جمعت من الحجج على هذا البدن الضعيف، ما أستريح. أن آخذ المصحف فأضعه على صدري.

قال: وكانت كتبه في زنبيل كبير مجلد.

٧٥ - سعيد بن كَثِير بن عُفَيْر بن مسلم

أبو عثمان الأنصاري المصري، سمع من مالك الموطأ وغير شيء، وصحبه. وغلب عليه علم الحديث، وعلم الخبر، وكان علامة بأخبار الناس، وله تاريخ. وسمع الليث بن سعد، وابن لهيعة، ويعقوب بن عبد الرحمن، وابن وهب. وكان أحد مشايخ مصر في وقته.

قال يحيى بن معين: هو ثقة. وقال أبو حاتم: هو صدوق، وليس بالثبت. كان يقرأ في كتب الناس.

روى عنه البخاري، ومسلم، ومحمد بن إسحاق الصاغاني[1]، وخرج عنه البخاري ومسلم.

ولما ورد المأمون مصر وحضر عنده العلماء، كان فيهم سعيد بن عفير، فقال له المأمون: هذه مصر التي قال الله فيها ما قال؟ وأقبل يحقرها فقال له ابن عفير: يا أمير المؤمنين: هذه مصر وقد دمرها الله، فما ظنك بها قبل التدمير؟ قال الله تعالى: ﴿ ... **وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا**

---

٧٥ - من مصادر ترجمته: الإكمال لابن ماكولا ٦/ ٢٢٦، والتذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة ١/ ٦٠١، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٢٧، وتقريب التهذيب - ص ١٨٠، وتهذيب التهذيب ٢/ ٣٩، وتهذيب الكمال ١١/ ٣٦، وتوضيح المشتبه ٦/ ٤٣٣، وحسن المحاضرة ١/ ٢٨٥، ٥٢٥، وشذرات الذهب ٢/ ٥٨، وطبقات الحفاظ - ص ٢٠٧، وفتوح مصر لابن عبد الحكم (الفهرس)، وكتاب الطبقات الكبير لابن سعد ٩/ ٥٢٦، ومرآة الجنان ٢/ ٩١، وميزان الاعتدال ٢/ ١٥٥، وفي حواشي جمهرة تراجم فقهاء المالكية ١/ ٥٣٧ مزيد من المصادر.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «ومحمد بن إسحاق، والصّاغاني» وصوابه من تهذيب الكمال والتقريب.

يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ [الأعراف]. فقال المأمون: من المتكلم؟ فقيل له: سعيد بن عفير صاحب مالك.

فقال: يا سعيد ما تقول فيمن قال: عليّ المشي إلى مكة؟ قال: عليه المشي. فقال له المأمون: لقد تيس مالك في هذه المسألة.

فقال سعيد: أتيس من التيس، من سمع التيس. يريد أن أباه الرشيد، لما حلف بذلك أفتاه مالك بالمشي، فمشى.

فوجم لها المأمون. فهم كذلك. إذ تشكى بعاملين فقال: يا سعيد! ما تقول فيهما؟ قال: غشومين ظلومين.

قال: هل غصباك شيئًا أو ظلماك؟ قال: لا. قال: فكيف تشهد عليهما؟

قال: كما شهدت أنك أمير المؤمنين قبل أن أراك.

قال ابن عفير: سمعت في المنام قائلاً يقول: إن الله لا يعبأ بصاحب رواية ولا حكاية، وإنما يعبأ بصاحب قلب ودراية.

مولده سنة سبع وأربعين ومائة. ومات سنة ست وعشرين ومائتين، وبقي العلم في بيته زمانًا طويلاً.

وكان لابن عفير ابنان: عبيد الله، وأبو الحارث أسد.

روى أبو الحارث عن أبيه، وابن وهب الشافعي، وتوفي في صفر ستين ومائتين.

وإبراهيم بن عبد الله ابن ابنه أبو إسحاق، يعرف بالصيّرفي حدث أيضًا. توفي سنة خمس وتسعين ومائتين.

والحسين بن زيد بن أسد بن سعيد، أبو عبد الله، ويقال أبو علي. توفي في شوال سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة.

٧٦ - أبو عَمْرو إدريس بن يحيى

مولى بني أمية.

يعرف بالخولاني. من أصحاب مالك توفي في أول سنة إحدى عشرة ومائتين، وغلبت عليه العبادة.

٧٧ - المُفَضَّل بن فَضَالَة

هو المفضل بن فضالة بن عُبَيْد، أبو معاوية الحميدي القِتْبَاني، وقِتْبَان - بقاف مكسورة وتاء باثنتين من فوق وباء واحدة في أسفل - قبيلة من رعين، إليها ينسب المفضل.

يروي عن ابن عجلان، ويونس بن يزيد، وعقيل بن خالد.

قال أبو عبد الله الجيزي في كتابه في قضاة مصر: كان المفضل أحد أهل الفضل وخيار الناس.

---

٧٦ - من مصادر ترجمته: الإكمال لابن ماكولا ٤/ ١١٩، والثقات لابن حبان ٨/ ١٣٣، والجرح والتعديل ٢/ ٢٦٥، واللباب في تهذيب الأنساب ١/ ٤٧٢.

٧٧ - من مصادر ترجمته: أخبار القضاة لوكيع ٣/ ٢٣٧، والأنساب للسمعاني ١٠/ ٥٨، والتاريخ لابن معين ٥٨٣، وحلية الأولياء ٨/ ٣٢١، وطبقات علماء الحديث الترجمة ٢٢١، وكتاب الطبقات الكبير لابن سعد ٩/ ٥٢٤، والولاة والقضاة - ص ٣٧٧.

قال ابـن شاهين: هو رجل صـدق روى عنه ابنه فضـالة، وقتـيبـة بن سعيد، وحـسان الواسطي، وابن بكير، وحجاج ويونس بن مـحمد، وأخرج عنه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

وقال أبو حاتم: هو صدوق. وقال يحيى بن معين ليس بذاك.

قال أبو زرعة: يكتب حديثه.

وله أخ اسمه عبد الله بن فضالة. قال ابن يونس لا أعلم له رواية.

قال محمد بن سعد: ولي القضاء وكان محمودًا منكر الحديث.

سيرته وأخباره

ولي المفضل قضاء مصر مـرتين: إحداهما في سنة وثمان وستين ومائة، وصرف سـنة تسع، ثم رجع إلى القضـاء عند عزل أبي الطاهر الحـزمي[1]، وكـان عزله سنة أربع وسـبـعين، وبقي المفضل قـاضـيًا إلى صـدر سنة تسع وسبعين.

قال الجيزي: وهو أول القضاة بمصر، طول اللبث. وكان إذا أشكل عليه القضاء في شيء كتب به إلى مالك حتى يأتيه جوابه، فيعمل به.

قال غيره: كان يفتي بقول مالك.

قال ابن شاهين كان إذا جاءه رجل قـد انكسرت يده أو رجله، جبرها. وكان يصنع الأرحية.

---

(١) تحرف في طبعـة المغرب إلى: «الخرمي» بالخاء المعجمـة والراء المهملة، وصوابه لدى ابن حجر في رفع الإصر - ص ٤٤.

ذكر أبو الحسن ابن ضمضم قال: بلغني أن المفضل بن فضالة بلغه هذا الدعاء، فقال يا ذا الجلال والإكرام بحرمة نور وجهك الكريم أسألك صحة بصري، وطول عمري في حسن عمل، ورزقًا واسعًا، لا منَّة لأحد عليَّ فيه. فأعطي الثلاث.

وذكر الجيزي عنه قال: كتبت إلى مالك في حبس ابن أبي مدرك، ونسخته حرفًا بحرف، وأعلمته أن الذين طلبوه وأجازوه ولد البنين، واحتجوا بأن خير بن نعيم القاضي كتب لهم إجازة للآخر فالآخر منهم. وأن القضاة أجازته، ولم يقضوا فيه لنساء البنين ولا غيرهم بميراث، واحتج غيرهم بأن المحبس لم يذكر في حبسه كونه للآخر، ولم يصرفه بعد انقراض البنين إلى شيء من وجوه الأحباس في سبيل الله.

فكتب إليّ: نظرت في حبس ابن أبي مدرك، وفيما احتج به من أراد رده ميراثًا، فوجدت في كتاب ابن أبي مدرك الذي جاء به بنوه، وأقروا به وأنفذوه: أن كل دار هي [له][1] حبس على بنيه، وثلث فضل خراجها بعد سكن بنيه في سبيل الله. وذكر في الطاحونة مثل ذلك.

وذكر ابن الجراح صاحب كتاب الورقة: أن إسحاق بن معاذ الشاعر كان يخاصم عند المفضل بمصر، فأتاه يومًا وكان قد هجاه ببيتين وهما:

حف الله واسمع واتئد أي مفضل فإنك عن فصل القضاء ستسأل

وقد قال أقوام عجبت لقولهم أقاض له شعر طويل مرجل؟؟

(١) ساقط من طبعة المغرب، والتكملة من رفع الإصر - ص ٤٣٩.

وكان كتبها وجعلها في كمه مع ظلامته، وحضر عنده فأدخل يده ليخرج للقاضي رقعة الظلامة، فأخرج له رقعة الهجاء، فلما قرأها ردها إليه وقال: اللهم غفرًا، ليست هذه يرحمك الله.

توفي المفضل سنة إحدى وثمانين ومائة.

٧٨ - فِتْيان بن أبي السمح

وضبطه - بفاء مكسورة بعدها تاء باثنتين من فوقه ساكنة، وياء باثنتين من أسفل، مفتوحة وألف ونون، مولى تجيب تقدم نسبه.

قال أبو الحسن الدار قطني وغيره: هو أبو الخيار مصري، يروي عن مالك. وكان من كبراء أصحابه المتعصبين لمذهبه.

وقال أبو حارث في كنيته: أبو السمح.

قال أبو عمر الكندي في كتاب أعيان موالي مصر: ومنهم أبو الخيار فتيان بن أبي السمح، واسمه عبد الله بن السمح بن أسامة بن زنبر. مولى بني عامر بن عدي من تجيب. وكان فقيهًا من أصحاب مالك.

وكنى ابن وضاح أبا السمحاء. وقد تقدم ذكر أبيه في الطبقة الأولى، وكان أيضًا من أصحاب مالك.

قال ابن وهب: كان يشتري لمالك حوائجه، وكان له منه عشر مسائل فيجيبه، فقدم على مالك فسأله عن مسائله فأجابه. ثم زاد فأجابه ثم قال مالك: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ... ﴿٦٠﴾﴾ [الأحزاب].

---

٧٨ - من مصادر ترجمته: الإكمال لابن ماكولا ٢/ ٤١، وتاريخ الإسلام، وفيات (٢٠١ - ٢١٠) ص ٢٩٢.

قال غيره: كان فتيان يخدم ابن القاسم.

قال أبو عُـمَر[1]: كان فـيما حكي أنه شغب فـي المناظرة، وكانت بينه وبين الشـافعي مناظرة. فـي بيع الحر في الدين. فكان الـشافـعي يقول يبـاع وفتـيان يقـول: لا يباع. فـقال فـتيـان له: إن ثبتّ على هذا فعل بك كـيت وكيت.

وذكر عن مـحمد بن عـبد الحكم أن فتـيان كلم الشـافعي في مناظرة، وكانت فيـه عجلة. فخاطب الشـافعي بخطاب أغلظ فيه. ثم افـترقا، وبعث السري بن الحكم أمير مصر إلى الشافعي يستـخبره عما بلغه من الأمر، فيقال إن الشافعي أخبره، فضرب السري فتـيانًا بالسّوط. قال محمد فرأيته والمنادي ينادي عليه: هذا جـزاء من سب رسول الله ﷺ، وفتيان يقـول: عائذًا بالله من ذلك.

وقال أبو زيد: حضـرتهما جميعًـا فتناظرا فيما لا يعـجبني إعادته. ثم جرى بينهما الكلام إلـى ذكر الأئمة، فقال فتيـان: حدثني مالك أن الإمام لا يكون إمامًـا أبدًا إلا على شرط أبي بكر الصديق رضي الله تعـالى عنه، فإنه قال: وليتكم ولست بخـيركم. ألا وإن أقواكم عندي الضعـيف حتى آخذ له بحقه. ألا وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق. إنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوموني. فاحتج الشافعي بأشياء لا أذكرها أبدًا. فبلغ ذلك السري، فضرب فتـيانًا فوثب أهل المسجد بالشافعي، فدخل منزله فلم يخرج منه إلى أن مات.

---

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «أبو عَمْرو».

قال: وقال السري: لو شهد عندي فيه آخر بمثل ما شهد به عليه الشافعي لضربت عنقه.

قال الطحاوي: وكان أبو زيد ممن حضر مناظرتهما وكانت بينه وبين فتيان منازعة في صدقة البقر. فكان فتيان يقول هي كصدقة الإبل. ويحتج في ذلك بأشياء حتى تواثبا. فكان أبو زيد ممن دخل إلى السري مع الشافعي، فيقال أنه شهد عليه.

وسمع فتيان يقول: الله بيني وبين الشافعي، أولاً. أحلل الشافعي.

قال الدارقطني: اتهم الشافعي في أمر فتيان، فسئل عن ذلك فقال: والله ما ذكرته قط للسلطان. ولقد سمعت منه ما لو شهدت به عليه لحل دمه.

قال غيره: ولعصبيته لمالك وإفراطه فيها، نشأت العداوة بين المالكيين والشافعيين. بمصر، فثاروا بالشافعي وأرادوا نفيه، فضرب له الأمير أجلاً، فمات فيه.

[قال الكندي: وتوفي سنة خمس ومائتين، وولد سنة خمسين ومائة][1].

وقال ابن حارث ولد سنة خمس وعشرين ومائة: ومات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين.

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة المغرب.

٧٩ - إسحاق بن الفرات بن الجَعْد بن سُلَيْم

أبو نُعَيْم.

مولى معاوية بن حُدَيْج[١] الكندي، قاضي مصر.

قال ابن وزير: كان من أكابر أصحاب مالك، ولقى أبا يوسف وأخذ عنه.

قال الكندي: كان فقيهًا.

قال الشافعي: ما رأيت بمصر أعلم باختلاف الناس من إسحاق ابن الفرات.

وقال إبراهيم بن عُلَيَّة: ما رأيت ببلدكم أحدًا يحسن العلم إلا إسحاق ابن الفرات.

ولي القضاء بمصر سنة أربع وثمانين ومائة فكان شديدًا رفيقًا.

قال الشافعي: أشرت على بعض الولاة أن يولي إسحاق بن الفرات القضاء. وقلت له: إنه يتخيّر، وهو عالم باختلاف من مضى.

قال أحمد بن سعيد الهَمْدَاني. قرأ علينا إسحاق بن الفرات موطأ مالك من حفظه، فما أسقط منه حرفًا فيما أعلم.

وصرف عنها صدر سنة خمس وثمانين، وهو أول من ولي مصر من الموالي. ذكر ذلك كله أبو عمر الكندي.

---

٧٩ - من مصادر ترجمته: تهذيب الكمال ٢/٤٦٦، ورفع الإصر - ص ٧٩، وفتوح مصر - ص ٢٠، ١٦٦، ٢٧٣، والنجوم الزاهرة لسبط ابن حجر - ورقة ٢٢، والولاة والقضاة - ص ٣٩٣.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «خُدَيج» بالخاء المعجمة.

قال الكندي: وقال ابن أبي حازم: إسحاق بن الفرات قاضي مصر يروي عن يحيى بن أيوب، ومعاذ بن محمد الأنصاري.

روى عنه محمد بن عبد الحكم، وبَحْر[1] بن نصر، وعيسى بن أحمد العسقلاني.

قال أبو حاتم ليس بمشهور.

قال العقيلي: لا بأس به.

وقال الكوفي: هو ثقة.

وتوفي سنة خمس ويقال أربع ومائتين، وولد سنة خمس وثلاثين ومائة.

٨٠ - سليمان بن بُرْد بن نَجيح التُّجِيبي مولاهم

أبو الربيع. روى عن مالك الموطأ والفقه وغير ذلك.

قال ابن حبيب: كان سليمان بن برد من فقهاء مصر، وعده في طبقاته.

قال محمد بن عبد الحكم: الموطأ الذي سمع ابن برد أصح موطأ.

وذكره أبو عمر الكندي في كتاب القضاة، وكتاب الموالي، فقال: كان مقبولاً عند قضاة مصر، ولم يُرَ في عصر ابن برد أعلم منه بالقضاء وآلته. وكان القائم بأمر عيسى بن المكندر أيام قضائه بمصر، لم يضطرب أمر ابن المكندر حتى مات ابن برد، وولي عبد الله بن عبد الحكم مسائل ابن المكندر.

قال مقداد بن داود: ما رأيت أحدًا أعلم بالقضاء ورتبته من سليمان.

---

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «يحيى» وصوابه لدى المزي.

٨٠ - من مصادر ترجمته: الإكمال لابن ماكولا ١/ ٤٥٤، والأنساب ٢/ ١٤٢، والولاة والقضاة - ص ٤٣٦.

وتوفي سنة عشر ومائتين. وقيل اثنتي عشرة ومائتين، وأورث العلم عقبه بمصر، فلم يزل منهم مقدم للمالكية في كل طبقة على ما يأتي ذكره.

وذكر ابن أبي دليم وغيره في رواة مالك، سليمان بن برد في الإسكندرانيين. وذكر أبا الربيع بن سليمان بن برد في المصريين ولم يذكر غيره وهو وهم والله أعلم.

٨١ - يوسف بن عَمْرو بن يزيد بن يوسف بن خرخسن الفارسي

كذا قيده أبو نصر الحافظ - بخاءين معجمتين مضمومتين بينهما راء ساكنة وبعدها سين مهملة ونون ساكنتين.

وقال ابن أبي دليم: خرخسرو، وجعل مكان النون راءًا مضمومة بعدها واو. كذلك قال الكندي. وكنيته أبو يزيد، سمع من مالك، وسمع ابن وهب وغيره من أصحابه. وكان من فضلاء أصحاب مالك ذا زهد وفضل.

قال غيره وسنّه قريب من سنّ هؤلاء، وفي طبقتهم. ذكره ابن حبيب، روى عنه ابن عبد الحكم.

قال سعيد الأَدَم[1]: هو ثقة صالح.

قال الكندي: كان فقيهًا مفتيًا أحد أوصياء الشافعي، وكان مصابًا بعينه، وكانت لحيته قد ملأت صدره.

قال الحارث بن مسكين: كان يوسف لا يقبل جوائز السلطان، وكان عليه دين، ولقد مات فما بلغ ما ترك وفاء دينه.

---

٨١ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم فقهاء المالكية ٣/ ١٣٩٢ وما بحواشيه من مصادر.

(١) الأَدم: بهمزة مقصورة ومهملة مفتوحتين، قيده ابن حجر في التقريب - ص ١٧٥. وتحرف في طبعة المغرب إلى: «الآدم» بالألف الممدودة.

قال يوسف: صحبنا مالكًا ونحن شباب نتعاطى النحو، فما أنكرنا لسانه.

قال الحارث: كان أشهب أو يوسف بن عمرو، أكثر ظني أنه يوسف، شك الراوي عنه. قد جعل على نفسه إن أتى أحدًا من الولاة صدقة خمسين دينارًا وكأن يأتيهم. ثم ترك ذلك.

وسئل محمد بن عبد الحكم عن القراءة بالألحان فقال: مالك يكرهه. ولكن كان أبي ويوسف بن عمرو، وغيرهما في بيت الشافعي، فقال له بعضهم: اقرأ الراهب. أو نحو هذا. فاستبشع أبي تلك الكلمة. وقال يوسف: تعال فاقرأ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ... ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة]. حكاية الرهبان.

قال محمد: أحضر لهيعة القاضي أصحابنا للمشاورة فيهم أبي ويوسف ابن عمرو، فقال يوسف لا تحضرنا.

إن كان فلان يحضر مجلسك، فليس هو ممن يرضى.

قال أبو الربيع الرشديني: كان يوسف بن عمرو يقول ليحيى بن بكير اذهب بنا إلى رشدين بن سعد، لعل قلوبنا ترقّ، فيأتونه، وبيته بيت رجل صالح.

قال أبو الربيع: وسمعت يوسف بن عَمْرو يقول والله الذي لا إله إلا هو لا تصلح الدنيا لشيء مما خلق الله إلا للزهد فيها.

قال محمد بن عبد الحكم: كان أبي، والشافعي، وابن بكير، وجماعة من أصحابنا في منزل يوسف بن عَمْرو، في صنع، عرس لهم. وكان ثم لهو ودف فما أنكره واحد منهم.

قال يونس: مرض يوسف مرضًا شديدًا ثم نقه، فاشتهى رطبًا فأتاه به بعض أهله من السوق، فأكله وغلبته عليه شهوته، وكان قبل لا يأكل شيئًا، حتى يبحث عن أصله، فلما فرغ من أكله نام فاستيقظ فزعًا وسأل الذي اشتراه له من أين هو؟

فقال: لا أدري. إلا أني اشتريته من السوق.

فوجه ليبحث عنه. فقيل له من رطب حلوان.

قال يوسف رأيت في منامي كأني آت خنافس وكان والله أعلم في أرض حلوان شيء.

وتوفي في صفر سنة خمسين ومائتين.

مولده سنة خمس ومائة وسيأتي ذكر ابنيه بعد هذا إن شاء الله تعالى.

٨٢ - سعيد بن هاشم[1] بن صالح المخزومي

بصري نزيل الفيوم. قال الحارث بن مسكين: كان من أصحاب مالك. وكان قد تقدم.

قال ابن شعبان أسند عن مالك حديث: لا تسبوا الدهر. روى عنه الحارث بن مسكين.

وقال الحارث: قدم مصر قاض عمري كأنه شعلة نار. وكان يجلس للناس من صلاة الغداة إلى الليل. وكان حسن الطريقة مستقيم الأمر، وكان

---

٨٢ - من مصادر ترجمته: تاريخ الإسلام، وفيات (٢١١ - ٢٢٠) ص ١٧٥، وجمهرة تراجم فقهاء المالكية ١/٥٤٦.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «هشام» وصوابه من المصدرين السابقين.

ابن وهب وأشهب وجميع أهل العلم يحضرون مجلسه. فقال: أعينوني ودلوني على قوم من أهل البلد أستعين بهم، ممن يرضى.

قال سعيد: فكتب إليَّ أن أخلفه بالفيوم، وأعينه. وكتب إلي أصحابي يسألونني ذلك ويخبرونني بصحة ناحيته واستقامة أمره، فأشكل علي الأمر، ولم أدر ما أصنع. فسمعت قائلاً لا أراه يقول: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ... ﴿١١٣﴾﴾ [هود]. فقلت لقد بيّن لي ووعظت، وعزمت على أن لا أدخل في شيء، وكتبت إلى أصحابنا أن كفيتموني وإلا انتقلت فكتب إلى بعضهم يعتذر.

٨٣ - سعيد بن الجهم بن نافع

مولى الحارث بن ذاخر[1] الأصبحي. ثم السَّحُلولي أبو عثمان الجِيزي. مسكنه الجيزة. ذكره أبو عمر الكندي: وكان فقيهًا من أصحاب مالك، وهو أحد أوصياء الشافعي، وقبل شهادته قضاة مصر.

قال الأمير: هو مقبول القول، لا نعلمه أَسْنَدَ إلاّ حديثًا واحدًا.

ويروي عن ابن عُفَيْر، والربيع بن سليمان.

روى عنه أبو الربيع الرشديني، والحارث بن مسكين.

قال الكندي: لما اشتهر سعيد بن الجهم عند العمري، تصدق العمري وأعتق فرجا بشهادته.

---

٨٣ - من مصادر ترجمته: الإكمال لابن ماكولا ٣/ ٤٧، وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية ١/ ٥١٧.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «داحر» بالدال والحاء المهملتين، وصوابه من المصدرين المذكورين.

وذكره أبو الربيع الرشديني في كتاب عباد مصر. فقال: كان يرجى بعد يوسف بن عمرو، وكان من أصحاب مالك. وقد رأيته وجالسته.

قال سعيد بن الجهم: جمع أبو شريح، عبد الله بن شريح، وعمرو بن الحارث الصلاة في المسجد، يعني بمصر، فقال أبو شريح لعمرو بن الحارث: ما تقول في رجل ورث مالاً حلالاً فأراد أن يخرج من جميعه إلى الله زهدًا في الدنيا، ورغبة فيما عنده؟ قال: لا يفعل.

فقال أبو شريح: سبحان الله! لا يفعل، لا يزهد في الدنيا؟ فقال عمرو ابن الحارث: ما أدب الله به نبيه أفضل من ذلك. قال الله تعالى، لنبيه ﷺ. ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ... ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء]. ولكن تقدم بعضًا وتمسك بعضًا.

فقال له أبو شريح ما أفقهك يا أبا أمية، أزهد في الدنيا، يا أبا أمية، فقال عمرو: وادع الله لي يا أبا شريح.

توفي سنة تسع ومائتين.

٨٤ - أبو مسعود الماضي[1] بن محمد بن مسعود الغَافِقِي

ويقال أبو يعقوب، ويقال أبو عبد الملك، ذكروه في الرواة عنه[2]. وعده من القائلين بقوله من علماء مصر.

وتوفي سنة اثنتين وثمانين ومائة.

---

٨٤ - من مصادر ترجمته: الجرح والتعديل ٨/ ٤٨٢، وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/ ٩٧١ وبحواشيه ثبت واف بمصادر الترجمة.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «القاضي».

(٢) أي عن الإمام مالك.

٨٥ - أبو الحسن علي بن زياد الإسكندراني

من رواة مالك المشهورين، وأهل الخير والزهد. يعرف بالمحتسب. ولم يشتهر في الفقهاء من أصحاب مالك، ولكن له رواية عن مالك في الحديث والمسائل. وهو روى عن مالك إنكار مسألة وطء النساء في أدبارهن.

قال بعض رواة مالك: حضرت علي بن زياد يسأل مالكًا، فقال عندنا يا أبا عبد الله بمصر قوم يحدثون عنك أنك تجيز وطء النساء في أدبارهن، فقال مالك: كذبوا عليّ عافاك الله.

وقد ذكرناه في باب علي بن زياد التونسي في الطبقة قبل هذه. وذكرنا أخباره وفضائله هناك.

* * *

---

٨٥ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/٨٤٩، ونزهة الألباب في الألقاب ٢/١٥٨.

obeikandl.com

ومن أهل إفريقية:

٨٦ - أسد بن الفرات بن سنان

مولى بني سليم من قيس. كنيته أبو عبد الله.

قال أبو العرب في طبقاته: وأبو علي البصري في معربه: إنه من خراسان نيسابور.

قال بعضهم ولد بحرّان من ديار بكر.

وقيل: بل قدم أبوه وأمه حامل به.

وقد كان علم القرآن ببعض القرى، ثم اختلف إلى علي بن زياد بتونس، فلزمه وتعلم منه وتفقه بفقهه، ثم رحل إلى المشرق، فجمع من مالك بن انس موطأه، وغيره. ثم ذهب إلى العراق فلقي أبا يوسف، ومحمد بن الحسن، وأسد بن عمرو، وكتب عن يحيى ابن أبي زائدة، وهشيم، والمسيب، وأبي شريك، وأبي بكر بن عياش، وغيرهم. وأخذ عنه أبو يوسف موطأ مالك.

وذكر يحيى بن إسحاق أنه قال: أخذه عني محمد بن الحسن.

ولا أدري كيف هذا؟ محمد قد سمع الموطأ من مالك، وسمع عليه حديثًا كثيرًا.

قال محمد: أقمت عند مالك ثلاث سنين، وسمعت منه لفظًا أكثر من سبعمائة حديث.

---

٨٦ - من مصادر ترجمته: البيان المغرب ١/ ٩٧، ورياض النفوس ١/ ٢٥٤، وطبقات علماء إفريقية لأبي العرب - ص ٨١، ومعالم الإيمان ٢/ ٣ - ٢٦، وفي حواشي جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ١/ ٣١٩ مزيد من المصادر.

قال أسد: رأت أمي كأنَّ حشيشًا نبت على ظهري، ترعاه البهائم فعبر لها بأنه علم يحمل عني.

ذكر أخباره في رحلته

قال أسد: لما خرجت من المشرق وأتيت المدينة فقصدت مالكًا وكان إذا أصبح خرج آذنه، فأدخل أهل المدينة، ثم أهل مصر، ثم عامة الناس فكنت أدخل معهم. فرأى مالك رغبتي في العلم، فقال لآذنه: أدخل القروي مع المصريين.

فلما كان بعد يومين أو ثلاثة قلت له: إن لي صاحبين، وقد استوحشت أن أدخل قبلهما، فأمر بإدخالهما معي.

وكان ابن القاسم وغيره يجعلونني أسأل مالكًا، فإذا أجابني قالوا لي قل له فإن كان كذا وكذا، فضاق علي يومًا وقال هذه سلسلة بنت سليسلة. إن كان كذا كان كذا! إن أردت فعليك بالعراق.

فلما ودعته حين خروجي إلى العراق، دخلت عليه وصاحبان لي، وهما حارث التميمي وغالب صهر أسد. فقلنا له: أوصنا. فقال لي أوصيك بتقوى الله العظيم، والقرآن، ومناصحة هذه الأمة خيرًا. فراسة من مالك فيه. فولي أسد بعد هذا القضاء.

وقال لصاحبي أوصيكما بتقوى الله والقرآن.

قال: وما ودعت ابن القاسم قط إلا وقال لي: أوصيك بتقوى الله، والقرآن، ونشر هذا العلم.

قال سليمان بن خالد: لما سمع أسد الموطأ من مالك قال له: زدني سماعًا. قال حسبك ما للناس. وكان مالك إذا تكلم بمسألة كتبها أصحابه، فرأى أسد أمرًا يطول، فرحل إلى العراق.

قال: فلما أتيت الكوفة، أتيت أبا يوسف، فوجدته جالسًا ومعه شاب وهو يملي عليه مسألة. فلما فرغ منها قال: ليت شعري ما يقول فيها مالك؟ قلت: يقول: كذا وكذا.

فنظر إليّ، فلما كان في اليوم الثاني كان مثل ذلك، وفي الثالث مثله، فلما افترق الناس دعاني، وقال، من أين أنت؟ ومن أين أقبلت؟ قال فأخبرته. قال وما تطلب؟ قلت ما ينفعني الله به، فعطف عليّ الشاب الجالس، فقال ضمه إليك، لعل الله ينفعك به في الدنيا والآخرة.

فخرجت معه إلى داره، فإذا هو محمد بن الحسن. فلزمته حتى كنت من المناظرين من أصحابه.

قال أسد: قلت لمحمد بن الحسن أنا غريب، والسماع منك قليل. قال اسمع مع العراقيين بالنهار، وجئني بالليل وحدك، تبيت معي، وأسمعك.

فكان إذا رآني نعست نضح وجهي بالماء.

ورآني يومًا أشرب ماء السبيل فقال لي، تشربه؟ فقلت له أنا ابن سبيل. فلما كان الليل بعث إليّ بثمانين دينارًا. وقال ما عرفت أنك ابن سبيل، إلا الآن.

فلما أراد الانصراف إلى إفريقية لم يكن عنده ما يتحمل به، فذكر ذلك لمحمد بن الحسن، فقال له، أذكر شأنك لولي العهد. فلقيه ابن الحسن وذاكره أمره.

ثم قال لأسد، قف بالحاجب يوم كذا يدخلك عليه، واعلم أنك حيث تنزل نفسك أنزلوك.

فمضى أسد واستأذن، فأذن له فدخل حتى انتهى إلى موضع أمر

بالجلوس فيه، ومضى الخادم الذي أدخله، فجاء بمائدة مغطاة فجعلها بين يديه قال أسد ففكرت وقلت ما أرى هذا إلا منقصة. وقلت للخادم، هذا الذي جئتني به منك أو من مولاك؟ قال مولاي أمرني به. قلت: مولاك يرضى بهذا يأكل ضيفه دونه. يا غلام هذا برّ منك وجبت مكافأتك عليه.

وكانت في جيبي أربعون درهمًا لم يبق معي سواها فدفعتها إلى الخادم، وقلت له: ارفع مائدتك.

ففعل وعرّف مولاه. فبلغني أنه قال: حر والذي لا إله إلا هو.

ثم قال الخادم: ادخل. فدخلت عليه. وهو على سرير ومعلمه على آخر، وسرير ثالث خال. فأمرني بالجلوس عليه، فجلست. وجعل يسألني وأجيبه، فلما قرب انصرافي كتب رقعة وختمها ودفعها إليّ وقال قف بهذا إلى صاحب الديوان، وتعود إليّ.

فأخذت الرقعة وحقرتها. ولقيت محمدًا من الغد فسألني، فأعلمته. فقال لي أوصل الساعة الرقعة. ففعلت. فدفع إليّ صاحب الديوان عشرة آلاف درهم، فأعلمت محمد بن الحسن، فقال لي: إن عدت إلى القوم صرت لهم خادمًا، وفيما أخذت عون لك.

قال أسد، ورغب إليّ محمد أن أزامله إلى مكة. فكأني كرهت هذا. فقال لي أصحابه وددنا لو اشترينا هذا منه بعشرة آلاف درهم، فزاملته. فكنت أسأله عما أريد، وربما سألته وهو في الصلاة، فيجهر بالقراءة يعلمني أنه يصلي، فأقول: تشتغل عني بالصلاة وقد قطعت البلاد إليك؟ فيقطع ويجيبني.

قال محمد بن حارث وأبو إسحاق الشيرازي ويحيى بن إسحاق - وبعضهم يزيد على بعض: رحل أسد إلى العراق فتفقه بأصحاب أبي حنيفة.

ثم نعي مالك فـارتجت العراق لموته. قال أسـد: فوالله ما بالعـراق حلقة إلا وذكر مالك فيها. كلهم يقول: مالك، مالك. إنا لله وإنا إليه راجعون.

قال أسد: فلما رأيت شدة وجدهم واجتـماعهم على ذلك ذكرته لمحمد ابن الحسن، وهو المنظور فـيهم. وقلت له لأختـبره: ما كثـرة ذكركم لمالك، على أنه يخالفكم كثيراً؟

فالتفت إليّ وقال لي: اسكت. كان والله أمير المؤمنين في الآثار. فندم أسد على ما فاته وأجمع أمره على الانتقال إلى مذهبه، فقدم مصر

ولم يذكر أبو إسحاق أسدًا فيمن أخذ عن مالك ولا أن له عنه سماعًا، وإنما ذكـره في أتبـاع أصحـابه. وأرى أنه لم يبـلغه ذلك، وإلا فـأخـذه عنه صحيح مشهور.

قال ابن حـارث: فقال أسـد عند ذلك: إن كان فاتني لزوم مـالك فلا يفوتني لزوم أصحابه.

ذكر الكتب الأسدية والمدونة

قال أبو إسحاق الشيرازي: لما قـدم أسد مصر أتى إلى ابن وهب، فقال هذه كتب أبي حنيفـة، وسأله أن يجيب فيها على مـذهب مالك. فتورع ابن وهب وأبى. فذهب إلى ابن القاسم فأجابه إلى ما طلب، فـأجاب فيما حفظ عن مالك بقوله. وفيما شك قال: إخـال وأحسب وأظن، ومنها ما قال فيه: سمعته يقول في مسالة كذا، كذا. ومـسألتك مثله، ومنه ما قال فيه باجتهاده على أصل قول مالك، وتسمى تلك الكتب الأسدية.

قال أبو زرعـة الرازي: كان أبو أسد قد سـأل عنها محمـد بن الحسن. قال أسـد: فكنت أكتـب الأسئلة بالليل في فُنْداق من أسـئلة العراقـيين على

قياس قول مالك. وأغدو عليه بها، فأسأله عنها. فربما اختلفنا فتناظرنا على قياس قول مالك فيها. فأرجع إلى قوله أو يرجع إلى قولي.

قال: وقال لي ابن القاسم: كنت اختم في اليوم والليلة ختمتين، فقد نزلت لك عن واحدة رغبة في إحياء العلم.

قال: ولما أردت الخروج إلى إفريقية دفع إليّ ابن القاسم سماعه من مالك. وقال لي: ربما أجبتك وأنا على شغل. ولكن انظر في هذا الكتاب فما خالفه مما أجبتك فيه فأسقطه. ورغب إلي أهل مصر في هذه الكتب فكتبوها مني.

قال وهي الكتب المدونة وأنا دونتها. وأخذ الناس عن ابن القاسم تلك الكتب.

وقال سليمان بن سالم: إن أسدًا لما دخل مصر اجتمع مع عبد الله بن وهب، فسأله عن مسألة فأجابه بالرواية. فأراد أن يدخل عليه، فقال له ابن وهب: حسبك إذ أدَّيْنَا إليك الرواية.

ثم أتى إلى أشهب فأجابه. فقال له من يقول هذا؟ فقال أشهب. هذا قولي. فدار بينهما كلام فقال عبد الله بن عبد الحكم لأسد: مالك، ولهذا؟ أجابك بجوابه. فإن شئت فاقبل وإن شئت فاترك.

فرجع إلى ابن القاسم فسأله، فأجابه. فأدخل عليه، فأجابه حتى انقطع أسد في السؤال.

فقال له ابن القاسم: زد يا مغربي. وقل: من أين قلت؟ حتى أبين لك. فقام أسد على قدميه في المسجد، وقال: يا معاشر الناس، إن كان مات مالك، فهذا مالك.

فكان يسأله كل يوم، حتى دون عنه ستين كتابًا، وهي الأسدية.

قال وطلبها منه أهل مصر، فأبى أسد عليهم، فقدموه إلى القاضي، فقال لهم: أي سبيل لكم عليه؟ رجل سأل رجلاً فأجابه وهو بين أظهركم فاسألوه كما سأله.

فرغبوا إلى القاضي في سؤاله قضاء حاجتهم من نسخها، فسأله، فأجابه، فنسخوها، حتى فرغوا منها وأتى بها أسد إلى القيروان، فكتبها الناس. قال أبو إسحاق: وحصلت لأسد بتلك الكتب في القيروان رياسة.

قال غيره: وأنكر عليه الناس إذ جاء بهذه الكتب، وقالوا: جئتنا بأخال وأظن وأحسب، وتركت الآثار وما عليه السلف.

فقال: أما علمتم أن قول السلف هو رأي لهم وأثر لمن بعدهم، ولقد كنت أسال ابن القاسم عن المسألة فيجيبني فيها، فأقول له: هو قول مالك؟ فيقول: كذا أخال وأرى، وكان. ورعًا يكره أن يهجم على الجواب.

قال: والناس يتكلمون في هذه المسائل، ومنعها أسد من سحنون، فتلطف سحنون حتى وصلت إليه. ثم ارتحل سحنون بالأسدية إلى ابن القاسم فعرضها عليه، فقال له ابن القاسم: فيها شيء لا بد من تغييره، وأجاب عما كان يشك فيه، واستدرك فيها أشياء كثيرة، لأنه كان أملاها على أسد من حفظه.

قال ابن حارث: رحل سحنون إلى ابن القاسم، وقد تفقه في علم مالك، فكاشف ابن القاسم عن هذه الكتب مكاشفة فقيه يفهم، فهذبها مع سحنون.

وحكي أن سحنون لما ورد على ابن القاسم سأله عن أسد فأخبره بما انتشر من علمه في الآفاق، فسرّ بذلك. ثم سأله، وأحله ابن القاسم من

نفسه بمحل، وقال له سحنون: أريد أن أسمع منك كتب أسد فاستخار الله وسمعها عليه. وأسقط منها ما كان يشك فيه من قول مالك، وأجابه فيه على رأيه، وكتب إلى أسد أن عارض كتبك بكتب سحنون، فإني رجعت عن أشياء مما رويتها عني.

فغضب أسد وقال: قل لابن القاسم أنا صيرتك ابن القاسم، أرجع عما اتفقنا عليه إلى ما رجعت أنت الآن عنه؟ فترك أسد إسماعها.

وذكر أن بعض أصحاب أسد دخل عليه وهو يبكي، فسأله. فأخبره بالقصة. وقال أعرض كتبي على كتبه وأنا ربيته؟

فقال له: هذا، وأنت الذي نوهت بابن القاسم، فقال له لا تفعل. لو رأيته لم تقل هذا.

وذكر أن أسدًا همّ بإصلاحها، فرده عن ذلك بعض أصحابه، وقال له: تضع قدرك؟ تصلح كتبك من كتبه وأنت سمعتها قبله؟ فترك ذلك.

وذكر أن ذلك بلغ ابن القاسم، فقال: اللهم لا تبارك في الأسدية.

قال الشيرازي فهي مرفوضة إلى اليوم.

قال الشيرازي: واقتصر الناس على التفقه في كتب سحنون، ونظر سحنون فيها نظرًا آخر، فهذبها، وبوّبها ودونّها، وألحق فيها من خلاف كبار أصحاب مالك ما اختار ذكره، وذيّل أبوابها بالحديث والآثار، إلا كتبًا منها مفرقة، بقيت على أصل اختلاطها في السماع، فهذه هي كتب سحنون المدونة والمختلطة. وهي أصل المذهب المرجح روايتها على غيرها، عند المغاربة، وإياها اختصر مُخْتَصِرُوهُمْ وشرح شارحوههم، وبها مناظرتهم ومذاكرتهم، ونسيت الأسدية فلا ذكر لها الآن.

وكان لمحمد بن عبد الحكم فيها اختصار، ولأبي زيد بن أبي الغمر فيها اختصار، وللبرقي فيها اختصار، وهو الذي كان صححها على ابن القاسم، وكان عليها مدار أهل مصر.

قال أحمد بن خالد: كان واضع كلام ابن القاسم - يريد الأسدية - رجل من أهل مصر، يقال له الأحدب. فأخذها سحنون ودوّنها، وأدخل فيها الآثار.

قال سحنون: عليكم بالمدونة فإنها كلام رجل صالح، وروايته.

وكان يقول: إنما المدونة من العلم بمنزلة أم القرآن من القرآن. تجزئ في الصلاة عن غيرها، ولا يجزئ غيرها عنها. أفرغ الرجال فيها عقولهم، وشرحوها وبينوها فما اعتكف أحد على المدونة ودراستها إلا عرف ذلك في ورعه، وزهده، وما عداها إلى غيرها إلا عرف ذلك فيه، ولو عاش عبد الرحمن أبدًا ما رأيتموني أبدًا.

قال محمد بن عبد الحكم: جاء ابن وهب إلى أبي، بعد موت ابن القاسم، فقال له: تَبِر[1] ابن القاسم في قبره. لا ترو عنه شيئًا من كتبه. يعني الأسدية. فما رأى أبي فيها شيئًا إلا مثل المسألة والمسألتين على سبيل المذاكرة.

ومال أسد بعد هذا إلى كتب أبي حنيفة، فرواها وسمعها منه أكثر الكوفيين يومئذ، ومال إليهم.

ولما أحرق عباس الفارسي كتب المدونة وغيرها من كتب المدنيين، ضربه أسد دررًا، فعتبه رجل في ذلك، فقال: إنما أنجيته بضربي هذا من القتل فبه

(١) تبر: أي هلك.

أمر فيه الأمير لحرقه كتب أهل العلم، وفيها ذكر الله تعالى. فقلت: أيها الأمير دعني أضربه فأشهره، فهو أبلغ له، فاستنقذته بذلك من القتل.

وكان عباس هذا محدثًا يبغض أهل الفقه، والرأي، ويقع في أسد وابن القاسم، فيقال: إن ابن القاسم دعا الله عليه أن يشهره في بلده، وأنه تشكى منه لأسد.

ذكر مكان أسد من العلم والفضل والسنة

قال أبو العرب: كان أسد ثقة، لم كن فيه شيء من البدع[1].

قال بكر بن حماد: قلت لسحنون: يقولون إن أسدًا قال بخلق القرآن. فقال: والله ما قاله.

قال داود بن يحيى: رأيت أسدًا يعرض التفسير فتلا هذه الآية: ﴿... فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي ... ﴿١٤﴾﴾ [طه]. فقال أسد: ويح أهل البدع، هلكت هوالكهم، يزعمون أن الله خلق كلامًا يقول ذلك الكلام المخلوق. ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا﴾[2].

قال يحيى بن سلام: حدث أسد يومًا بحديث الرؤية، وسليمان الفراء المعتزلي في آخر المجلس، فأنكر الرؤية فسمعه أسد فقام إليه وجمع بين طوقيه ولحيته واستقبله بنعله، فضربه حتى أدماه وطرده من مجلسه.

وقيل بل كان يقرأ عليه في تفسير المسيب بن شريك: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]. وسليمان حاضر، فقال: مِنَ الانتظار، يا

(١) في طبعة المغرب: «كان أسد ثقة، لم يزن ببدعة» والمثبت رواية أبي العرب - ص ٨٢ - الذي ينقل عنه المصنف.

(٢) الخبر بنصه لدى المالكي في رياض النفوس ١/ ٢٦٥.

أبا عبد الله. فأخذ أسد بتلابيبه ونعلاً غليظة بيده الأخرى، وقال: يا زنديق لتقولنها أو لا: تبصر بها عينيك! فقال سليمان: نعم، ننظره[1].

قال سلمان بن عمران: سمع أسد بن هشيم اثني عشر ألف حديث. وقال: سمعت من أبي زائدة عشرين ألف حديث. وقال ربما رأيت أسدًا يدق صدره ويقول: واحسرتي إن مت ليدخلن القبر مني علم عظيم.

قال: وبسبب أسد ظهر العلم بإفريقية.

قال غيره. كان أسد أعلم العراقيين بالقيروان كافة. ومذهبه السنة لا يعرف غيرها.

قال: ولما قدم أسد القيروان سمع منه علماؤها ووجوهها، سحنون بن سعيد وأمثاله من المدنيين، وأصحابه المعروفون به، كمعمر، وبني وهب، وسليمان بن عمران، وبني قادم، وابن المنهال، وسائر الكوفيين سمعوا منه كتب أبي حنيفة.

وكان أسد إذا سرد أقوال العراقيين يقول له مشايخ المدنيين: أوقد القنديل الثاني يا أبا عبد الله. فيسرد أقوال المدنيين.

قال أسد: بعث إليّ ابن غانم يشاورني، فأجبته. فقال بعدما خرجت: ما أحب أن أشاور في هذا البلد غير هذا الفتى.

وكان أسد إذا جاء باب ابن غانم فقرعه، فقيل: من؟ قال: أسد الفقيه. فيقول ابن غانم: صدق.

قال عمران بن أبي محرز: جاءنا موت أسد فاستعظمه أبي، وقال: اليوم مات العلم.

---

(١) رياض النفوس ١/ ٢٦٥.

قال أسد: كـان مالك يقول: من بنى أو غـرس في أرض بينه وبين قوم مشاعة، فللشركـاء عوض من ذلك في الأرض، إن كان بقي منها عوض. ثم رجع مالك فقال: يقول أهل العـراق: إن الأرض تقسم، فإن صار الغرس في نصـيب غارسـه كـان له، وإن صار في نصـيب غـيره قـيل للغـارس: ارفع غرسك.

واستفـتى زيادة الله أمير إفريقـية، أسدًا وأبا محـرز الكوفي وزكريا بن الحكم في زنديق. فقال أبو محرز وأسد: يسـتتاب، فإن تاب وإلا قتل، وقال أبو زكريا: قد روى أهل العلم أنه إن كان مـظهرًا للإسلام ثم اطلع بعد ذلك لم تقبل له توبة.

قال أبو محـرز: فأعطه السيف يقتله. قـال زكريا: إنما رويت هذا، ولا آخذ به. فقـال أبو محرز: يا أحمق، فتجـري هذا على قتله، وأنت لا تأخذ به؟

قال أسد: لو قتل بعد التوبة كان عندي شهيدًا.

وكان أسد لا يرى في التعريض الحد، ويقول بتحريم النبيذ.

وسأله رجل عن الحـديث عن النبي ﷺ: «لا يكون الرجل مـؤمنًا حتى أكون أحب إلـيه من نفسـه وولده وأهله ومالـه والناس أجمعـين». وقال له: أخاف أن لا أكون كذلك.

فقال له: أرأيت لو كان النبي ﷺ بين أظهرنا، فقرب ليقتل أكنت تفديه بنفسك؟ قـال: نعم. وبأهلك وولدك ومالك؟ قـال: نعم. فقـال فلا بأس. فقال له الرجل: فرّجتها عني فرج الله عنك.

ولاية أسد القضاء والإمارة

ولي زيادة الله أسدًا القضاء شريكًا لأبي محرز الكناني، سنة ثلاث أو أربع ومائتين. فاشتركا في القضاء. وكان ما بينهما غير جميل، فكان أسد أغزرهما علمًا وفقهًا، وأبو محرز أسدهما رأيًا، وأكثرهما صوابًا. قام قاضيًا إلى أن خرج إلى صقلية، سنة اثنتي عشرة واليًا على جيشها. وكان على علمه وفقهه أحد الشجعان. فخرج أسد في عشرة آلاف رجل منهم تسعمائة فارس.

وكان سبب غزوة صقلية أنهم كانوا معه في هدنة، وكان في شرطهم أن من دخل إليهم من المسلمين وأراد أن يرد فعليهم رده، فرفع إلى زيادة الله أن عندهم أسرى، فجاء رسل طاغيتها، فجمع زيادة الله العلماء وسألهم عن الأمر.

فقال أبو محرز: يستأنى حتى يتبين. وقال أسد: يسأل رسلهم عن ذلك، فقال أبو محرز: كيف يقبل قولهم عليهم؟ فقال أسد: بالرسل هادناهم وبهم نجعلهم ناقضين. قال الله تعالى: ﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ ... ﴿٣٥﴾﴾ [محمد] فنحن الأعلون. فسئل الرسل، فاعترفوا أنهم في دينهم لا يحلُّ لهم ردهم. فأمر زيادة الله بالغزو[1] إليها. وقال أسد إذ ذاك لزيادة الله: من بعد القضاء، والنظر في الحلال والحرام تعزلني وتوليني الإمارة؟ فقال: لا، ولكني وليتك الإمارة، وهي أشرف، وأبقيت لك اسم القضاء. فأنت أمير، قاض[2].

---

(١) في طبعة المغرب: «بالغدو إليها» والمثبت رواية المالكي في رياض النفوس ١/ ٢٧١.

(٢) رياض النفوس ١/ ٢٧١.

فخـرج إلى صقلية وظفر بكثـير منها، وتوفي وهو مـحاصر سرقـوسة منها. وكان أيضًا قـد غزا سردانية، فأشرف على فتحـها، وحسده بعض من كان معه، فانهزم. وبلغ ذلك الأمير. فقال له: بلغني كذا. فسم لي من فعل ذلك، فلم يفعل.

ولك خرج أسد إلى سوسـة ليتوجه منها إلى صقلية، خـرج معه وجوه أهل العلم والناس يشـيعونه، وأمـر زيادة الله أن لا يبقى أحـد من رجاله إلا شيـعه. فلمـا نظر الناس حوله من كل جـهة، وقـد صهلت الخـيل وضربت الطبـول وخفـقت البنود، قال: لا إلـه إلا الله وحده لا شـريك له، والله يا معشـر المسلمين ما ولي لي أب ولا جدّ، ولا رأي أحـد من سلفي مثل هذا. ولا بلغت ما ترون إلا بالأقلام، فأجهـدوا أنفسكم فيها، وثابروا على تدوين العلم، تنالوا به الدنيا والآخرة[1].

وحكى سليـمـان بن سالـم أن أسدًا لقي ملـك صقليـة في مـائة ألف وخمـسين ألفًا. قال الرواي فـرأيت أسدًا وفي يده اللواء وهو يزمـزم، وأقبل على قراءة يس، ثم حـرض الناس، وحمل وحملوا مـعه، فهزم الله جـموع النصـارى، ورأيت أسدًا وقـد سالت الدمـاء على قناة اللواء حتى صـار تحت إبطه، ولقد رد يده في بعض تلك الأيام فلم يسـتطع مما اجتمع من الدم تحت إبطه[2].

---

(١) رياض النفوس ١/ ٢٧١ - ٢٧٢.

(٢) رياض النفوس ١/ ٢٧٢.

بقية أخباره ووفاته

قال عبد الرحيم الزاهد: قلت لأسد لما قدم علينا بكتب أهل المدينة وأهل العراق: أي القولين تأمرني أتبع وأسمع منك؟

فقال لي: إن أردت الله والدار الآخرة فعليك بقول مالك، وإن أردت الدنيا، فعليك بقول أهل العراق.

قال ابن حاري فكان هذا الرجل بعد، يطعن على أسد بهذه القصة. وكان يقول: الحق عنده في مذهب مالك. وكان يفتي بغيره.

ولما غلب عمران بن مجاهد على القيروان، بعث إلى أسد أن اخرج معنا.

فتمارض ولزم بيته، فبعث إليه: إن لم تخرج معي وإلا بعثت إليك من يجر برجلك. فقال للرسول: لئن أخرجتني لأنادين القاتل والمقتول في النار. فلما سمع ذلك تركه.

قال بعضهم: بعث الأمير إلى أبي محرز وأسد، وهما قاضيان فأقبل أسد، فإذا أبو محرز ينتظره مع بعض الرسل، فقال كيف أصبحت أبا محرز؟ فلم يرد عليه شيئًا، وصار إلى الأمير، فأجلس أبا محرز عن يمينه، وأسدًا عن شماله، ثم دفع صكًا إلى أسد ليقرأه، فلم يقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال له أبو محرز: أخطأت. فقال أسد أيها الأمير لقيته فسلمت عليه فلم يرد علي السلام، ولم أقرأ إلا كلمتين فقال لي أخطأت.

فنظر زيادة الله إليه، فقال أبو محرز: ما سلّم علي ولو سلّم علي لرددت عليه، وإنما قال: كيف أصبحت؟ وأصبحت مغمومًا فلو أخبرته لسررته.

ثم دخل عليهم رجل فذكر للأمير أنه رأى كأن جبريل هبط من السماء، ومعه نور حتى وقف بين يديك وصافحك. وفي رواية وقبل يدك، فابتهج لها زيادة الله، وقال: هذا عدل يجريه الله على يدي.

فقال أسد: كذب الشيخ أيها الأمير، فغضب ونظر إلى أبي محرز كالمحرك له، لما يعلم ما بينهما. فقال أبو محرز: صدق أسد وكذب الشيخ، إن جبريل لا ينزل بوحي إلا على نبي، وقد انقطع الوحي. وهذا وأمثاله يأتونك بمثل هذا طلبًا لدنياك، فاتق الله.

فسكت الأمير وخرجا. فجزى أسد أبا محرز خيرًا، فقال له: لله فعلته لا لك.

وكانا على تباعدهما لا يستحل أحدهما من صاحبه ما لا يحل. ولم يكن عند أسد عربية، وكان صاحبه معربًا قليل الكلام.

وقيل له: ما هذا الذي يقول الناس في أمر أبي بكر وعلي؟ فقال: والله ما يخفى علينا من يستحق الولاية بعد والينا وقاضينا. فكيف يخفى على أصحاب محمد ﷺ من يستحق الأمر بعد نبيهم عليه الصلاة والسلام.

ولما قدم منصور على ابن الأغلب ودنا من القيروان، خرج إليه أسد وأبو محرز وهما قاضيان، وكان من قوله لهما اخرجا معنا، أما تعلمان أن هذا ظلم المسلمين؟

فقال أبو محرز: وقد خاف منه. نعم، واليهود والنصارى.

وأما أسد فقال: قد كنتم أعوانا له وأنتم وهو على مثل هذا الحال.

قال أسد: لما انصرفت من العراق إلى مصر، قصدت أشهب واعتمدت عليه، وكان في خلقه ضيق، وكان علمه خيرًا من دينه، فذكر يومًا أبا حنيفة،

فأزرى عليه، ثم فعل بمالك مثل ذلك، فنهضت إليه وقلت له: يا أشهب. فأخذ الطلبة بثوبي وأقعدوني وقالوا: ما أردت أن تقول له؟ قال: أقول إنما مثلك ومثلهما مثل من بال بين بحرين، فرغى بوله فقال: هذا بحر ثالث.

قال فتركته. وملت إلى ابن قاسم فخير لي، وكان أورع منه. وكان أسد يقول: أنا أسد، وهو خير الوحوش، وأبي فرات وهو خير المياه، وجدي سنان وهو خير السلاح.

وكانت وفاة أسد في حصار سرقوسة، من غزوة صقلية، وهو أمير الجيش وقاضيه. سنة ثلاث عشر ومائتين. وقيل أربع عشرة، وقيل سبع عشرة. وقبره ومسجده بصقلية[1].

مولده سنة خمس وأربعين ومائة، بحران ويقال سنة ثلاث ويقال سنة اثنتين وأربعين.

وكان قدومه من المشرق، سنة إحدى وثمانين ومائة.

٨٧ - عبد الله بن أبي حسان اليَحْصُبي

من أنفسهم واسم أبي حسان فيما قاله أبو العرب وغير واحد: يزيد بن عبد الرحمن. وقال ابن سحنون: اسمه عبد الرحمن. ويقال عبد الرحمن بن يزيد.

قال أبو علي بن أبي سعيد في كتابه: هو من أشراف إفريقية، بشرف أبيه وبيته وفقهه وأدبه. وكان يسكن بالقيروان بحارة يحصب المنسوبة إليهم.

---

(١) معالم الإيمان ٢/ ٢٥.

٨٧ - من مصادر ترجمته: البيان المغرب ١/ ١٠٨، والديباج ١/ ٣٦٧، ورياض النفوس ١/ ٢٨٤، وطبقات علماء إفريقية - ص ٧٥، ومعالم الإيمان ٢/ ٥٨.

وأبوه من عـربها البلديين من أنفـسهم. وله في حـرب البرابرة بلاء حـسن، وولي الأُرْبُس[1].

قال أبو العـرب: ورحل إلى مالك فكان عنده مكرمًـا، وسمع من ابن أبي ذئب، وابن عيينة، وابن أنعم، وكان ثقـة لم يطعن عليه بشيء إلا بهفوة كانت منه عند زيادة الله فيما حكي، والله أعلم بها.

وروى عنه سحنـون بن سعيـد، وفرات بن سليـمان[2]، ومحـمد بن وضاح.

قال ابن أبي حسان: لما أتيت مالكًا وجدته قد ارتفع، وباب داره مغلق، فقرعت الباب فخرجت إلي جـارية صفراء، فقالت: من أهل المسائل أنت أم من أهل الحوائج؟ قلت غريب أتيته قـاصدًا. فقالت: ليس هذا وقتك. ادخل السقيفة.

فـدخلت فلمـا كان وقت خـروجـه، فـتحت البـاب ووصف صـورة المجلس، ثم خرج مـالك بين تلك الجارية وفتى، يخط رجـلاه الأرض كبرًا. كأني أنظر إلى جـماله وبهائه وشـعر رأسه قد تعـقف جعودة، فلما اسـتوى جالسًا، عم بسلامـه، فردّوا عليه، فقمت فسلمت عليه، ودفـعت إليه كتاب ابن غانم، فـقال لي: صاحبك على القـضاء؟ قلت نعم. قال: ما ذاك بـخير له.

---

(١) الأربس: بالضم ثم السكون، والباء الموحدة مضمومة وسين مهملة، مدنية وكورة بإفريقية واسعة، بينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب (ياقوت).

(٢) تحـرف في طبعـة المغرب إلى: «وفـرات وسليـمان» وصـوابه من الديباج (مـخطوط)، والجمهرة.

ثم قرئ عليه، فقال للقوم: هذا كتاب أتاني من هذا الرجل، يخبرني عن حاله في بلده وقدره، وقد قال عليه السلام: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه». فقمت بين يديه، فأوسع لي رجل منهم، فجلست. فذكروا العلم. فقال: لا يؤخذ العلم إلا عن الموثوق بهم في دينهم. ثم جعل يسأل، وأنا قاعد، فربما قال: العلم أوسع من ذلك. فسئل وأنا قاعد عن خمس وعشرين مسألة، فما أجاب إلا اثنتين. وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، واختلف إليه فلم يزل لي مكرمًا رحمه الله تعالى.

وكان قد جعل لرجل ثلاثة دراهم كل يوم، يأخذ له مجلسًا يجلس فيه عند مالك. فإذا جاء ابن أبي حسان قام له الرجل، فجلس فيه.

وكان ابن أبي حسان إذا جاء مجلس ابن عيينة قال أصحابه: جاءكم الشؤم لميل سفيان إليه، وحديثه معه.

قال ابن أبي حسان: سمعت مالكًا يقول: أهل الذكاء والذهن والعقول من أهل الأمصار ثلاثة، المدينة ثم الكوفة ثم القيروان.

قال ابن وهب: ما رأيت مالكًا أميل إلى أحد منه لابن أبي حسان.

ذكر علمه وفضله وبقية أخباره

قال سحنون: كنت أول طلبي إذا انغلقت على مسألة من الفقه، آتي ابن أبي حسان. فكأنما في يده مفتاح لما انغلق.

وجاء رجل إلى ابن وهب فأخبره بموت ابن غانم فاسترجع ابن وهب، فقال له: من ولي بعده؟ قال: أبو محرز: قال: ما أعرفه. فأين ابن أبي حسان؟ فوالله ما رأيت مالكًا أميل إلى أحد منه إليه.

قال أبو علي البصري: كان عبد الله بن أبي حسان غاية في الفقه بمذهب مالك. حسن البيان، عالمًا بأيام العرب وأنسابها، راوية للشعر، قائلاً له. وعنه أخذ الناس أخبار إفريقية وحروبها. روى ذلك عن أبيه، وكان جوادًا.

قال المالكي وكان مفوهًا قويًا على المناظرة ذابًّا عن السنة متبعًا لمذهب مالك، شديدًا على أهل البدع، قليل الهيبة للملوك، لا يخاف في الله لومة لائم.

دخل مرة على الأغلب فإذا الجعفري والعنبري يتناظران في القرآن، فقال الجعفري: هذا شيخنا أبو محمد يعينني عليكم. فقال ابن أبي حسان للعنبري ما أنت وذا؟ هذا بحر عميق، عليك بكذا. فقال: إن كان معه أبو محمد فهذا الأمير معي. فقال ابن أبي حسان ما للملوك والكلام في الدين؟ فأحفظ ذلك على الأغلب. ثم قال: من أتى السلطان فهو مثله.

فقال ابن أبي حسان: إنما أتاكم الآتي، لأنكم خير ممن هو شر منكم، ولو أتى من هو خير منكم أتاه الناس، ولم يأتوكم.

وجاء رجل إلى ابن أبي حسان فأعلمه: أن داره تهدمت، وشاوره في بنيانها، ومن يبني عنده، فدفع ابن أبي حسان إليه ثلاثين دينارًا، وقال استعن بها على بنائك. فقال له بعض ولده: أتاك يشاورك فأعطيته! قال لست ببناء وإنما تعرض لمعروفي. ولما ثار الجند على زيادة الله أغاروا على منازل ابن أبي حسان، وانتهبوها وطلبوه فاستخفى، وكان سيء الرأي فيهم، فقال شعرًا منه:

أباح طغام الجنـد جـهلا حـريمنـا وشقوا عصا الإسلام من كل جانب
وعاشـوا وثاروا في البلاد سفاهة وظنـوا بأن الله غـيـر معـاقـب
وما عجـب بغض الأعـاجم ضلّة نزارا وقحـطان الكـرام المناسـب
ولكن من قـوم إلينـا اعـتـزاؤهـم فبغضـاؤهم فيـها لإحدى العجائب

ولما اشـتد طلبـهم له لجـأ ابن أبي حسـان إلى من بالسّـوس من قومـه يحـصب، من جملة الجنـد الجائرين. ومتّ إليـهم بالنسب واسـتجـار بهم، فأجاروه، وأمنوه.

فما ظفر زيادة الله بعد بالقيـروان، جمع العلماء فسألهم في حال الجند القائمين عليه، فعرّفوه ما في العفو، ورغبوه فيه. فقال ابن أبي حسان: العفو مفسدة، ولن يلدغ المؤمن من جحر مرتين. ويقال بل أنشد:

من لم يـؤدبـه الجمـيل ففي عقـوبتـه صلاحـه

فقال أبو محرز القاضي، وقيل غيـره: العفو أقرب للتقوى. وقال لابن أبي حسان: من أجل شويهاتك أو رمـيكاتك، تستحل دماء المسلمين؟ ووجد هؤلاء الكوفيـون أعداؤه السبـيل إلى التشنيع عليـه، عند الجند والعامـة بهذه الكلمة. فحفظت عليه وسقط بها.

وقيل: عمد كل من سمع منه علمًا فكتبه عنه، فقطعها على باب داره، وأصبح على باب داره منه شيء كثيـر، واعتذر عنه من أنصف، إنما أراد فتّاك الجند الذين أفسدوا البلد.

قال ابن أبي حسان: رأيت هارون الخليفة وهو يسعى بين الصفا والمروة، فـمـشى في بطن الوادي ونسي السـعي، فلـما جـاوزه ذكـر، فـرأيتـه رجع

القهقري، حتى رجع إلى ما دون بطن الوادي، ثم سعى في بطنه واستدرك ما فاته، فأعجب ذلك من حضره من العلماء.

ولما أصلح زيادة الله جامع القيروان، قال ابن أبي حسان: عاد المسجد مضريًا. لأن مختطه عقبة القريشي، وزيادة الله تميمي وهما مضريان. وكان حسان بن النعمان الغساني، ويزيد ابن حاتم الأزدي، قد جدداه قبل زيادة الله، فقال له: ابن أبي حسان: إبل غيرت أحلاسها!

وقال له مرة: محونا أثاركم من الجامع. فقال: الأصل لنا، والفرع لكم.

قال ابن أبي حسان وجه إليَّ زيادة الله، وعنده قاضياه أبو محرز وأسد يتناظران في النبيذ، وأبو محرز يحله وأسد يحرمه. فقال ما تقول في النبيذ الشديد؟

فقلت: قد علمت سوء رأيي فيه، وهذان قاضياك وهما فقيها البلد يتناظران فيه.

قال: لا بد لك أن تقول أنت. وقال لهما: اسكتا، فقلت: أعزك بالله، عقل يساوي ألف درهم يزيله من النبيذ ما يساوي درهما! فقال لي: ثم يعود. قلت بعد انكشاف السوءة للأم، والعورة للأب، وفي رواية: بعد أن قاء في لحيته، وكشف عورته لأهله وقتل هذا. وضرب هذا. فقال: صدقت.

كذا ذكر أبو علي البصري، ومحمد بن حارث هذه الحكاية، وإن كان بعضها على نحو ما عند ابن حارث. ولا أدري كيف هي، إذ لا خلاف بينهم أن المسكر منه حرام.

وتوفي ابن أبي حسان سنة سبع وقيل ست وعشرين ومائتين.

قال ابن سحنون: مات وهو ابن سبع وثمانين سنة. مولده سنة أربعين ومائة.

٨٨، ٨٩ - أبو عثمان حاتم وأخوه أبو طالب ابنا عثمان المَعَافِري

ويعرف بالأبزاري فيما ذكره بعضهم.

وذكر أبو العرب وابن الحارث: أبا طالب أخا أبي عثمان. ولم يسمياه، ولا قالا في الأبزاري.

وذكر أبا طالب عبد الله بن عثمان الأبزاري ممن روى عن مالك، على أنه آخر، والله أعلم.

قال أبو العرب: لهما سماع من ابن أنعم، ومن مالك، وأحسب أن رحلتهما كانت مع ابن غانم.

روى عنهما داود بن يحيى الصدفي، وغيره. وكان أبو عثمان رسول ابن غانم إلى مالك في مسائله. وكانا تقيين.

قال أبو عثمان: سمعت مالكًا يقول: ينبغي للقاضي العدل أن يحترس من الناس بسوء الظن.

قال حاتم: أكلت معه فرأيته يأكل بثلاثة أصابع.

قال: وسمعت مالكًا يقول: حياة الثوب طيّه، وعيبه قصر أكمامه.

قال: وكنت إذا أتيت بكتاب ابن غانم إلى مالك قال لي: ادفعه إلى ابن

٨٨، ٨٩ - من مصادر ترجمة: حاتم بن عثمان: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ١/ ٣٨٣ وما بحواشيه من مصادر. ومن مصادر ترجمة: أبي طالب عبد الله بن عثمان. جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/ ٧٢٦ وما بحواشيه من مصادر.

كنانة. فيكتب ابن كنانة الجواب. ثم يأتي به مالكًا فيعرضه، فإن أنكر شيئًا أصلحه.

قال ابن شعبان: ويقال لأبي عثمان أبو طالوت. ولم يذكره غيره. قال واسم أبي طالوت عبد الله. وقال غيره: اسمه كنيشة ويكنى بأبي محمد.

٩٠ - أبو خارجة عنبسة بن خارجة الغافقي

من أنفسهم، قال ابن شعبان: ويقال أبو خالد أيضًا.

سمع من مالك، وسفيان الثوري، والليث، واليسع بن حميد، وعبد الله بن وهب، ورشدين بن سعد، والمغيرة بن عبد الرحمن المخزومي، وسعد ابن عيسى، وله سماع مدون من مالك، كسماع ابن القاسم وأشهب.

قال المالكي: كان شيخًا صالحًا عالمًا باختلاف العلماء، مستجابًا. وأكثر اعتماده على مالك. متفننًا في العلوم من الحديث والفقه، والعبارة[1] والعربية وغير ذلك. سمع منه نظراؤه بإفريقية، البهلول بن راشد وغيره، وسمع من بعدهم كعون ين يوسف، وعبد الله بن يونس، وسعيد بن حسان القَرَوِي، والجعفري، وأبي داود، والعطار وابنه.

قال: وكان سحنون يجله، ويعرف حقه. وإذا سئل بحضرته أحال عليه، وكان أسنّ من سحنون. وكان سكناه بحصن، بجهة سَفَاقُس.

قال أبو العرب: وسماعه من سفيان صحيح. وهو ثقة.

---

٩٠ - من مصادر ترجمته: رياض النفوس ١/ ٢٤١ وما بحواشيه من مصادر، الديباج المذهب ٢/ ٤٢، ولسان الميزان ٥/ ٣٤١.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «والعبادة» وصوابه من الديباج المذهب، ولدى المالكي موضحا «وعبارة الرؤيا».

وحكى بعضهم قال: دخلت معه إلى سفيان، فأصبناه قد مات، وسأله بعضهم، فقال: أنا سمعت من سفيان.

قال أبو العرب: أراه لقي سفيان في رحلة أخرى قبل والله أعلم.

وهو ثقة مأمون لا يشك في سماعه من سفيان.

وسئل أحمد بن برد عن أبي خارجة، فقال: لمثله يقال ثقة. وهو رجل صالح. لقي أبا يوسف ولم يأخذ عنه. وروى عن مالك، عن الذي يعتم بالعمامة ولا يجعلها تحت ذقنه، فأنكره، إلا أن تكون قصيرة لا تبلغ.

قال ابن حارث: سمعت كثيرًا عن الناس يحكون عن أبي خارجة عجائب من الأخبار والوصف، لما لم يكن فيكون ذلك، مثل ما يحكى بالأندلس عن بقية بن مخلد، إلا أن الحكاية عن أبي خارجة أكثر استفاضة، وأكثر عجائب.

قال ابن الجزار المتطبب في تعريفه - وذكره مثل ما ذكره ابن حارث - فبعضهم يقول: بل من خدمة الجان، ومنهم من يزعم أنه كان صالحًا يجري الله الحق على لسانه، فينطق به.

قال الفقيه القاضي أبو الفضل عياض: وأنا بريء من عهدة هذه التأويلات إلا الأخيرة فالحديث الصريح يحتج لها.

ذكر عجائب أخباره وبراهينه ووفاته

ذكر بعضهم، أنه نزل في طريق سوسة فاستلقى، ثم قال لأصحابه يأتيكم الساعة رجلان يسألان عن شيء، فتسمعان ما تكرهان، ومعهما طعام تأكلانه أنتم، ولا آكله أنا.

وإذا برجلين على بغلة، فسألا عن الشيخ وقالا له: رجل له عجل رأى في المنام أنه يخالفه إلى خمير عنده يأكله.

قال، فقال له أبو خارجة: له عبد خِلاسي[1] يخالفه إلى أهله.

فقال أحد الرجلين للآخر قد نبهناه عن دخوله إليه، فلم ينته. ثم قالا معنا شيء من زادنا فأخرجا خبز شعير ودجاجًا وزيتونًا، فأكل من حضر، ولم يأكل هو منه. إذ كانت به أرواح يضرّبها هذا الطعام.

وسأله رجل. أنه كانه يرى يحرث في صفا، ففسر أبو خارجة وقال: هذا رجل يطلب الصبيان.

وكان أبو خارجة يقول: اللهم أمتني قبل أن يخرج من ها هنا قوم ينبحون نباح الكلاب، يشير نحو أرض المغرب.

وكان بنى مسجد عظيمًا فيه نحو عشرين سارية عظامًا. فقالوا له: من يرفع هذه السواري؟ قال: الذي خلقها. فأصبحت السواري مرفوعة، ورءوسها عليها.

قال ابن مسكين: كان عندنا رجل له تابع فقال له يومًا: لأخوفن أبا خارجة. فنهاه صاحبه. فقال لأفعلن. فلما كان في الليل ركب أبو خارجة إلى منزله، فلقيه خيال، ثم عرض له شخص، فقصده أبو خارجة إلى منزله، فلقيه خيال، ثم عرض له شخص، فقصده أبو خارجة وجعل يضربه، ويفر منه، ويصيح، حتى غاب في الزيتون، فذهب أبو خارجة. فأتى التابع صاحبه، وهو لما به فأخبره، فقال: قد نهيتك.

---

(١) عبد خلاسي: والخلاسي بكسر الخاء، هو الولد من أبوين أبيض وأسود (هامش طبعة المغرب).

قال وكان أبو خارجة يصلي من الليل في مسجدٍ استضافه أهله، فبينا هو يصلي، نظر في ركن المسجد - وأراه بعد غلقه - إلى شيخ قائم يصلي، فلما سلم أبو خارجة استل سيفه فهزه وقصده وهو يقول: أعلي تجسر؟

فالتمع منه وذهب!

وكان يقول: لا تذهب الأيام والليالي حتى تمحى كتب أبي حنيفة. فكان كذلك أيام سحنون.

ومن حكمه قوله: ثلاثة من أعلام الإحسان كظم الغيظ، وحفظ الغيب، وستر العيب. وثلاثة من أعلام المعرفة: الإقبال على الله، والانقطاع إلى الله، والافتخار بالله. وثلاثة من أعلام الفكرة: سرعة الادكار، وإدمان الاعتبار، وكثرة الاستغفار.

وكان يقول عند إفطاره: الحمد لله الذي هداني فصمت، والحمد لله الذي رزقني فأفطرت، إن تعذبني فأنا أهل لذلك، وإن تغفر لي فأنت أهل لذلك.

وكان يقول: ثلاث من أعطيهن فقد اغتبط: علما نافعا، ورزقا طيبا، وعملا متقبلا.

وذكروا أنه أصاب الناس سبع سنين قحط، فأتوا أبا خارجة يستسقي لهم، فقال لهم: تأتون غداً بنسائكم وصبيانكم، وبهائمكم، وتبيتون الصيام الليلة، فإذا كان غداً قفوا بين يده، وتضرّعوا إليه، فإنه يرق لحالكم. ففعلوا ذلك. وخرج أبو خارجة، فصلى بهم وخطب ودعا، ثم جلس إلى صلاة الظهر، وقد اشتد الحر، وبكى الأطفال، وصاحت البهائم من الحر، فصلى بهم ثم بسط يديه وقال: أنت مولانا ما لنا غيرك ولا سواك. بك نالوا الدرجة

الرفيعة، والمواهب العالية، ولولاك ما نالوها، وأنت ذو رحمة واسعة، وأنت العالم بأحوالنا، وقبيح أعمالنا، وما لنا غيرك ولا سواك، وقد قامت آمالنا بك وقد جثونا بين يدك. بهائمنا جائعة، وأرضنا سوداء يابسة، وقلوبنا خائفة، وبيوتنا فارغة، وسماؤك عامرة، وخزائنك واسعة، فاسقنا سقية نافعة تجدد الإيمان في قلوبنا، ولا نبرح بين يدي كريم حتى تسقينا، وسيلتنا إليك نبينا الذي جعلته رحمة لنا. ﷺ.

وقال: فإذا بريح بيضاء بدت لهم، ثم اندفعت بالغيث. فمضى أبو خارجة يرفع ثيابه ويقول: بهذا يعرف الكريم، هذا فعلك فيمن قصدك. وبهذا تعرف وتوصف.

وتوفي أبو خارجة في ربيع الآخر سنة عشر ومائتين، وسنة ست وثمانون سنة.

٩١ - الحارث بن أسد

من أهل قَفْصة. كان ثقة خياراً مستجابًا، يختم القرآن في كل ليلة من رمضان. أخذ عن مالك.

روى عنه البهلول بن راشد، وعبد الله بن الفارسي، ومحمد بن تميم وغيرهم.

قال الحارث لما أردنا وداع مالك دخلت عليه أنا وابن القاسم وابن وهب، فقال له ابن وهب: أوصني. فقال: اتق الله وانظر عمن تنقل.

وقال لابن القاسم: اتق الله وانشر ما سمعت.

وقال لي: اتق الله وعليك بتلاوة القرآن.

---

٩١ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ١/ ٣٨٤ وما بحواشيه من مصادر.

قال الحارث: لم يرني أهلاً للعلم.

وقال محمد بن الحارث: رأيت في بعض الروايات أنه كان يستفتى فلا يفتي، ويقول لم يرني مالك أهلاً للعلم.

٩٢ - محمد بن معاوية الحضرمي الأَطْرَابُلُسي

من أصحاب مالك، وله عنه سماع، ثلاثة أجزاء. وله غيرها عن الليث رواها عنه محمد بن وضاح.

قال أبو العرب التميمي: سمع من أبي معمر، ومالك بن أنس موطأه، ومن الليث بن سعد، وابن لهيعة وغيرهم، مشهور ثقة. وكان له سن وإدراك. سمع من أبي معمر صاحب أنس بن مالك.

سمع منه بكر بن حماد، وفرات بن محمد. وحكى بكر أن سحنونًا قال فيه شيئًا.

قال أبو علي بن البصري: هو أعلم من محمد بن ربيعة الحضرمي الطرابلسي.

وكان أيضًا ابن ربيعة ممن روى عن مالك، وابن لهيعة، وأبي معمر وابن أبي حازم، وإبراهيم بن أبي يحيى.

قال أبو العرب: قال محمد بن معاوية: كان بقي عليَّ شيء من الموطأ، من كتاب الصلاة، فأتيت إلى مالك وقد دخل الناس، فقال لي من يقرأ لك؟ قلت: حبيب. وكنت قاطعته بخمسة دراهم، ويقرأ من الكتاب خمسًا وعشرين ورقة. فقرأها لي حبيب في مجلس واحد. وقال لي حبيب: لم تفتني دراهمك يا مغربي.

---

٩٢ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٣/ ١٢٠٥ وما بحواشيه من مصادر.

وفي روايته في الموطأ، جامع الجامع. وليس ذلك عند غيره، من أصحاب مالك. ذكر ذلك أبو بكر بن محمد المالكي في كتاب الرياض.

٩٣ - زكريا بن محمد بن الحكم اللخمي أبو يحيى

قال أبو العرب: كان ثقة مأمونًا صالحًا. وكان من أهل العلم. سمع من مالك، وحيوة بن شريح. وكان يستفتي بالقيروان مع أسد وأبي محرز وطبقتهم. وكان في عداد المدنيين منهم.

ذكر أنه كان مع جماعة من العلماء عند زيادة الله بن الأغلب، فأتى بجراب فيه حلي من حلي النساء، ودنانير. فأعطى منه لمن حضر وأخذوا غير زكرياء، فأبى ثم انصرف.

فلما ولي جعل زيادة الله يقول وهو ينظر إليه: لله درك يا ابن الحكم.

وذكر أبو العرب أيضًا في رواة مالك من أهل إفريقية:

٩٤ - محمد عبد الحكم اللخمي

وأنه مأمون ثقة، وأنه توفي سنة ست ومائتين.

٩٥ - يحيى بن زكريا بن محمد بن الحكم التجيبي القيرواني

قال أبو العرب: هو ثقة صالح. قال ابن فهر: روى عن مالك.

قال ابن وضاح: لقيت يحيى بن زكريا بن الحكم بالقيروان وهو شيخ.

---

٩٣ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ١/ ٤٨٤ وما بحواشيه من مصادر.

٩٥ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٣/ ١٣٤١ وما بحواشيه من مصادر.

ومن أهل الأندلس:

٩٦ - قَرَعَوْس بن العباس بن قرعوس بن حميد

ويقال: عُبَيْد بن منصور بن محمد بن يوسف الثقفي.

قال القاضي أبو الوليد ابن الفرضي: من أهل قرطبة. يكنى أبا الفضل. ويقال أبا محمد. رحل فسمع من مالك، والثوري، وابن جريج، والليث، وابن أبي حازم وغيرهم. وكان رجلاً متدينًا فاضلاً ورعًا، كان علمه المسائل على مذهب مالك وأصحابه ولا علم له بالحديث. وقيل: إنه سمع من مالك الموطأ. وغير شيء من مسائله.

وقال يحيى بن يحيى - وذكره - وهو رجل من أهل العلم كثير الفقه. لقي مالكًا وحمل عنه.

وقال غيره: لم أر بالأندلس أمرأ مروءة من قرعوس.

قال القاضي أبو الوليد: وكان ممن اتهم في أمر الهيج. فوقاه الله. يعني الذي هلك فيه أصحابه. وذكرنا عنه طرفًا في خبر يحيى بن مضر في الطبقة الأولى.

روى عنه أصبغ بن خليل، وابن حبيب، وعثمان بن أيوب.

وسأل قرعوس مالكًا عن الضرب الذي كان يضرب أبوه الناس، وكان أبوه ولي السوق، وكان رجلاً صالحًا شديدًا على أهل الريب، يضرب ضربًا شديدًا. فقال له مالك: إن كان فعل ذلك غضبًا لله وذبًا عن محارمه فأرجو أن يكون خفيفًا.

---

٩٦ - من مصادر ترجمته: تاريخ ابن الفرضي ١/ ٤١٣، وبغية الملتمس - ص ٤٣٧، وجذوة المقتبس - ص ٣١٤.

وكان ممن اتهم بالهيج والقيام بالنهض على السلطان، فسيق فيمن سيق ملببًا. ووقف به تحت النطع، وكلمه فتى على لسان الحكم، وقال له: مثلك من أهل الديانة والأمانة في العلم يتابع السفلة. فلو نفذ لهم أمركم كان يهتك من الستور ويستحل من الفروج، إلى أن يقوم إمام يُريح الناس.

فقال: معاذ الله أن أفعل أو أتابع في مثل هذا. بيدٍ أو لسان، فقد سمعت مالكًا والثوري يقولان: سلطان جائر سبعين سنة خير من أمة سائبة ساعة من نهار.

فقال له الحكم أنت سمعت منهما؟ قال: الله، لقد سمعته منهما. فخلّى سبيله.

وتوفي قرعوس سنة عشرين ومائتين.

وقد اعترض على ما ذكر من روايته عن سفيان، وابن جريج. فقال علي بن حزم: من المحال أن يروي قرعوس عن ابن جريج، إذ مات ابن جريج سنة خمسين ومائة، وقرعوس مات سنة عشرين ومائتين. ولم يطل عمر قرعوس طولاً يحتمل هذا. وكذلك وفاة سفيان سنة إحدى وستين.

٩٧ - محمد بن بشير القاضي

قال الفقيه أبو عبد الله بن حارث: هو أبو عبد الله، محمد بن سعيد ابن بشير بن شراحيل. ويقال: إسرافيل المعافري، أصله من جُنْد باجة، وعداده في عرب مصر. كتب في حداثته للقاضي المصعب بن عمران. ثم رحل إلى المشرق، فلقي مالكًا وجالسه، وسمع منه، واقتبس أيضًا بمصر، ثم انصرف إلى الأندلس، فلزم ضيعته بباجة إلى أن استدعي للقضاء بقرطبة.

---

٩٧ - من مصادر ترجمته: قضاة قرطبة للخشني - ص ٢٨.

قال غيره: روى عن مالك الموطأ.

قال أحمد بن خالد: طلب ابن بشير العلم بقرطبة عند مشيختها، فأخذ منه بحظ وافر، ثم كتب لوالي باجة ليعتصم به من مظلمة نالته، ثم انقبض وخرج حاجًا، فقضى الفريضة واتسع في المعرفة.

وقال ابن القوطية: كتب أولاً لوالي بلده، ثم رغب عن ذلك ومال إلى العلم.

وقال: إن المصعب القاضي إنما استكتبه بعد صدوره من المشرق.

وحكى عن مالك أنه كان يقول: انظروا في هذه الكتب ولا تخلطوها بغيرها. يعني الموطأ.

وكان يحيى بن يحيى كثيراً ما يحكى عنه عن مالك، من ذلك أنه سأل مالكًا عن لبن الأتن فلم يَرَ بِهِ بأسًا.

الثناء عليه

قال: كان يحيى بن يحيى من أشدَّ الناس تعظيمًا لمحمد بن بشير، وأحسنهم ثناء عليه. في حياته، وبعد وفاته.

ولقد سئل عن لباس العمائم فقال: هي لباس الناس بالمشرق، وعليه كان أمرهم في القديم.

فقيل له لو لبستها لاتبعك الناس. فقال: قد لبس محمد بن بشير الخزّ، فلم يتبع فيه، وكان ابن بشير أهلاً أن يقتدى به.

وذكره ابن القوطية فقال فيه، خير القضاة بالأندلس، وأفضلهم وأعدلهم.

وقال عبد الملك بن حبيب: كان ابن بشير، من خيار المسلمين. ووصف عدله وفضله، قال: وكان يصلي بنا الجمعة، وعليه قلنسوة خز.

قال ابن حارث: من مستفيض الأخبار التي لا يتواطأ على مثلها، لسعة الإجماع عليها، أنّه كان من عيون القضاة الهداة، ومن أولي السداد والمذاهب الجميلة، وإجالة الرأي، والسيرة العادلة، والذكر الجميل الخالد، وكان شديد الشكيمة ماضي العزيمة، صلبًا في الحق، مؤيدًا، لا هوادة عنده لأحد. ولا مداهنة لديه لأحد من أصحاب السلطان، لا يؤثر غير الحق في أحكامه. جيّد الفطنة حسن الانبساط صادق الحدس، قوي الإدراك.

ولايته القضاء وسيرته

قال ابن القوطية: لما توفي المصعب بن عمران القاضي، استشار الأمير الحكم فيمن يستقضيه، فأجمع له وزراؤه وفقهاؤه وأعلام الناس، على محمد بن بشير كاتب المصعب، وكان قد شهر عفافه واستقلاله بعهد المصعب، فولاه القضاء. فأربى على المصعب، وبعد في الفضل والعدل صيته، وخلدت آثاره بعد، فلم يزل قاضيًا إلى أن توفي فولي ابنه سعيد مكانه.

قال ابن حارث: رأيت في بعض الكتب أن ابن بشير لما وجه فيه، عدل في بعض طريقه إلى صديق له عابد، فنزل عليه، وتحدث معه في شأن نفسه، وتوقعه أنه وجه إليه في الكتابة التي قد تخلى عنها.

فقال له صديقه: ما أرى بعثه فيك إلا للقضاء، فقد مات قاضي قرطبة. فقال له ابن بشير: فإذا قبلتها فما ترى؟ فانصح لي وأشر علي. قال له العابد: أسألك عن ثلاثة أشياء فاصدقني فيها، كيف حبك لأكل الطيب،

ولباس اللين، وركوب الفاره؟ فقال ابن بشير: والله ما أبالي ما رددت به جوعي، وسترت به عورتي، وحملت به رجلي.

فقال له: هذه واحدة. فكيف حبك للوجوه الحسان، وشبه هذا من الشهوات؟ فقال ابن بشير هذه حالة والله ما استشرفت نفسي إليها قط، ولا خطرت ببالي.

قال: هذه ثانية. كيف حبك للمدح والثناء وكراهتك للعزل وحبك الولاية؟ قال والله ما أبالي في الحق من مدحني أو ذمني، وما أسرّ بالولاية ولا أستوحش للعزل. فقال له: اقبل القضاء، ولا بأس عليك.

وذكر أن ابن بشير ولي القضاء بقرطبة مرتين، وكان بعض إخوانه يعاتبه في صلابته في الحق في الحكومة، ويقول: أخشى عليك العزل. فكان يقول: ليته رأى الشقراء تقطع الطريق إلى ماردة.

فما قضى إلا يسير حتى حدثت حادثة أظهر ابن بشير صلابته، فكانت سببًا لعزله. فانصرف لبلده كما تمنى.

فما لبث إلا يسيرًا حتى أتى فيه بريد من قبل الأمير، فرفعه إلى قرطبة، فعدل في بعض الطريق إلى صديق له زاهد، واجتمع معه وقال له قد أرسل فيّ الأمير، وأظنه أنه يريدني على القضاء ثانية. فما ترى؟ فقال له صديقه: إن كنت تعلم أنك تنفذ الحق على القريب والبعيد، ولا تأخذك في الله لومة لائم، فلست أرى لك أن تحرم الناس خيرك، وإن كنت تخاف أن لا تعدل فترك الولاية أفضل لك.

قال ابن بشير: أما الحق فلست أبالي على ما أمررته إذا ظهر لي. فقال له: لست أرى أن تمنع الناس خيرك. فورد إلى قرطبة وولي القضاء ثانية.

وقال بعضهم: إن سبب عزله، أن يده قصرت عن بعض الخاصّة، ومنع من الحكم عليها، فحلف بطلاق زوجته ثلاثًا، وعتق مماليكه، وبصدقة ما يملك على المساكين إن حكم بين اثنين.

فعزل. فلما أراد رده، اعتذر إليه بتلك الأيمان، فعزم الأمير عليه، وأعتق وطلق وتصدق وأخرج إليه الأمير جارية من جواريه، ومالاً عوضًا من ماله، ومماليك عوضًا من مماليكه.

قال أبو عبد الملك بن عبد البر: كان محمد بن بشير، قد اشترط على الأمير الحكم عندما تولى له القضاء، ثلاثة شروط مضمونة إن التزمتها لي تقدمت، وإلا فلا أقبل ألبتة نفاد الحكم على كل أحد ما بينك وبين حارس السوق، وإن ظهر لي من نفسي عجز، استعفيتك، فأعفيتني. وأن يكون رزقي من الفيء. فضمنها له.

قال ابن حارث: وكان محمد بن بشير فيما قاله لي عنه بعض العلماء: أنه كان قبل الشاهد عنده على التوسم والفراسة. وربما عول على تزكية السر من أهل الثقة.

قال: وكان يقضي في سقيفة مغلقة بقبلي مسجد أبي عثمان، بأول الربض الغربي، فكان إذا قعد للقضاء هناك، جلس وحده وخريطته بين يديه. يتولى تقليبها بيده، ويتقدم إليه الخصوم على كتبه مرتبة، فيقف الخصمان على أقدامهما، بين يديه. ويدليان بحجتهما من غير صخب، فيفصل بينهما.

وكان رسمه القعود للخصوم من غدوة إلى وقت الزوال. ثم يعود للقعود بعد صلاة الظهر إلى العصر، فلا ينظر غير السماع من البيّنات، ويقيد الشهادات، لا يسمع ذلك في غير ذلك الوقت، ولا يخلو به أحد في

مجلس نظره ولا داره. ولا يقرأ كتابًا لأحد في سبب خصومه، ولا يدخل إليه.

قال ابن وضاح: لما ولى محمد بن بشير القضاء، طبع عشر طوابع يرفع بها الناس إليه. ثم لم تزل في خريطته بعينها، إلى أن مات. فإذا سأله أحد طابعًا لرفع خصم سأله، عما يريده له. فإن كان قريبًا بقرطبة أعطاه إياه، وأمر كاتبه بزمّ[1] اسمه ومسكنه، واسم من أخذ الطابع فيه، ويعهد إليه بصرف الطابع إليه إذا حضر خصمه، ويعظه ويوعده، فإن كان بعيدًا أجل له بقدر بعده.

قال يحيى بن يحيى لمحمد بن بشير: إن الحالات بالناس تتغير، ولا تثبت. فإذا عدل عندك الرجل فحكمت بشهادته عن صحة نظر، ثم تطاول العهد وعادت الشهادة عندك، فأعد فيه نظرك، وكلفه التعديل إن رابك، واستأنف الكشف عنه، فعمل بذلك وأخذ الشهود وحذرهم منه.

وكان ابن بشير يشاور في قضائه عبد الملك بن الحسن زونان، والغازي ابن قيس، والحارث بن أبي سعد، وإسماعيل بن البشير التجيبي، ومحمد بن سعيد السبائي.

قال ابن حارث: وكانوا إذا اختلفوا عليه، كتب إلى مصر، إلى عبد الرحمن بن القاسم، وعبد الله بن وهب.

قال القاضي أسلم عبد العزيز، عن بقي بن مخلد؛ قال: كانت لمحمد ابن بشير في قضائه مسالك رقاق، ومذاهب لطاف لم تكن لقاض قبله بالأندلس. وما يقارن إلا بمن تقدم في صدر هذه الأمة. ورأيت له غير

(١) في طبعة المغرب: «برسم» والمثبت لدى الخشني في قضاة قرطبة - ص ٣٠.

سجل، فوجدتها مختصرة جدًا، محتوية على فص المعنى، من غير إكثار. إنما هي أسطار قليلة. خلاف ما يجتلب الآن في زماننا من الكلام.

ذكر بعضهم أن ابن سماعة، صاحب الخيل، شكا إلى الأمير، أن ابن بشير يحيف عليه.

فقال: أنا أمتحن قولك الساعة بواحدة. اخرج من فورك فاقصده، واستأذن عليه. فإن أذن لك صدقت قولك وعزلته. وإن لم يأذن لك دون خصمك ازددت بصيرة فيه.

فخرج نحوه، فلما استأذن عليه خرج الآذِن له، إن كانت لك حاجة فاقصد لذكرها مجلس القضاء. إذا جلس القاضي، أما القاضي فلا سبيل إلى لقائه. وأعلم الأمير بذلك، فوافقه.

قال قاسم بن هلال: شهد عند ابن بشير رجل من أهل البادية من معارفه، فاحتاج إلى تعديله، فدخلت أنا وابن مرتنيل وثالث معنا. فقال: ما جاء بكم؟ قلت لأعدل هذا الرجل. فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وبها كان يفتتح حكومته.

قال قاسم: فلما سمعته قهقرت، فحوّل وجهه نحونا. وقال لنا: الله الذي لا إله إلا هو، إنه عندكم رِضًا[1]؟ فقلنا له: بيمين أصلحك الله. قال والله لا أكتب له اسمًا إلا أن تحلفوا بها، أنه كذلك. فتورعنا وانصرفنا[2].

وشهد عنده رجل، رافقه في الحج، له منه مكانة، فلم يقبل شهادته. فقال الخصم: عرفني بما لم تقبل، لأنظر في تعديله. فقال له: هو فلان صاحبي. ولن ينفعك تعديله عندي.

---

(١) رضًا: أي مَرْضيّ.

(٢) قضاة قرطبة - ص ٣٥.

فـبلغ ذلك الرجل، فجـاءه في مجـلسه على رءوس الناس وسـأله عن سبـب ذلك، وقال له: جـمعنا وإياك المنشـأ والحضـر، وطلب العلم وطريق الحج، وعلمت من باطني ما عـلمت من باطنك فعرفني بالسـبب أمام الناس لأعرفه وأعترف بخطئي فيه أمام الجماعة.

فقال ابن بشير: صدقت. ومـا عثرت لك في كل ذلك على جرحة في دينك، ولكن صدرنا من الحج فنزلنا مصر، وأخـذنا في السماع من شيوخنا، والمقـام بها، وشكوت لي العُـزْبَة[1] ونظرت في شـراء خادم، فـقلت لي: وجدت خادمًا تساوي على وجههـا كذا وكذا، وبيدها صنعة. فقلت لك: لا حاجة لك بصناعتها. وإنما تشتريها للمتعة. فدعها فلا معنى للزيادة فيها.

فعصيتني واشتريتهـا. فلما رأيت الشهوة قد غلبتك في إتلاف مالك في المغالاة فيها، خشيت أن تكون مثلها قادتك إلى مثل هذه الشهادة.

وشهد عنده صـديق له يكنى بأبي اليسع، فرد شهادته، فعـتبه في ذلك وقال: على محبتي فيك وخاصتي بك! فقال له: الورع يا أبا اليسع! الورع يا أبا اليسع! ولم يزده على ذلك.

وشهد عـنده رجلان ممن يُظنُّ بهما خـير لمملوكٍ توفى مولاه أنه أعـتقه وزَّوجه ابنته، وأوصى إليه بماله، وقضى بشهادتهما، فلم يلبث أحد الشاهدين أن حضرته الوفـاة، فأرسل إلى القاضي أنه يريد أن يراه. فدخل عـليه، فلما بصر به الشاهد، وهو في كربته، جثا على ركبتيه، وجعل ينجر إليه، فقال له القاضي: مـا شأنك؟ فقال: إنـي في النار إن لم تنقذني منها. الشـهادة التي شهدنا بها عندك لفلان لم يكن منها شيء، فاتق الله وافسخ الحكم.

---

(١) فلان عُزْبة: لم يكن له زوج.

فلم يزد محمد بن بشير على أن وضع يديه على ركبتيه، ثم قام وجعل يقول له: مضى الحكم، وأنت في النار. وخرج عنه.

قال الفقيه القاضي أبو الفضل عياض رضي الله تعالى عنه: ما فعله ابن بشير من إمضاء الحكم صواب، وقوله وأنت في النار دون استثناء. لعله قصد به الإغلاظ لأمثاله من شهداء السوء. وإلا فمشيئة الله في العفو عنه. من وراء هذا بفضله، فقبول توبة مثله، ومحو سيئته بها، موعود به.

ذكر زيّه

وكان ابن بشير، قبل استقضائه يفرّق شعره إلى شحمة أذنيه، ويلتحف رداءًا معصفرًا على الرسم الأقدم، وكان حسن الزي جميل الخلق، فتمادى على زيه في قضائه.

قال ابن وضاح: أخبرني من كان يرى محمد بن بشير القاضي داخلاً على باب المسجد الجامع يوم الجمعة، وعليه رداء معصفر، وفي رجليه حذاء صرَّار. وعليه جمة مفروقة. ثم يقوم يخطب ويصلي في زيه وكذا كان يجلس للقضاء بين الناس، وأن العيون لتغضي عنه مهابة، فإن رام واحد نيل شيء من دينه، وجده أبعد منالاً من الثريا.

ولقد أتى رجل طارئ[1] مجلسه لحاجة عنّت له، فسأل عنه بعض من جلس إلى قربه، فأرشده إليه، فلما رآه في زيه ذلك، وآثار الزينة في أطرافه من الخضاب والكحل والسواد بمحياه، رابه أمره، واتهم من أرشده، وقال يا هؤلاء: رجل غريب سألكم عن قاضيكم فسخرتم بي، أسألكم عن قاض فتدلوني على زامر. فأسكتوه. فقالوا: ما كذبناك. وزجر من كل ناحية.

---

(١) في طبعة المغرب: «طار».

فقال له ابـن بشير: تقدم واذكر حـاجتك. ففعل الرجل. فـوجد عنده فوق ما ظنه.

قال زونان: عـاينت محـمد بن بشيـر في إرساله للمـته، ولبسـه الخز والمعصفر، فقال إني على بينة من ربـي، حدّثني مالك، أن محمد بن المنكدر كان سيد القراء، وكانت له لمة. وأن هشام بن عروة كان فقيه هذا البلد، يعني المدينة. وكان يلبس المعـصفر، وأن القـاسم بن محمـد بن أبي بكر الصديق، كان يلبس الخز. فماذا يعيب من له بهؤلاء أسوة.

وكان مـحمـد بن عيسى الأعـشى يعرض بالقـاضي محمـد لزيه هذا، ويسميه في جـميع ما ذكره معشر الدلاّل - اسم مـخنث كان بالمدينة - حتى بلغ ذلك ابن بشير. فجمعه والأعـشى مجلس أمكنه فيه القول، فانعطف ابن بشير وقال: يا أبا عبد الله. إن الشر لا يعجز عنه أحد، وإن الخير لا يناله إلا أهل الصبـر الجميل، ومن يقوم على نفـسه بالرياضة المحـمودة، فأقصـر عما بلغني عنك، فإنه أجمل بك، واستحياه، وأقصر فيما بعد.

ومن المبسـوطة قال يحيى بن يحـيى: لا تجد من يعقل، يلزم مـا يعاب عليه، ولقـد رأيت محمـد بن بشير لبس مـا لا يعرف ببلده، يعني الخزّ فـما لبسه إلا أربعين يومًا، ثم ترك ذلك لاستبشاعه، لا لغير ذلك.

ذكر شيء من أعيان أقضيته التي دلت على ثبات قدمه في الحق وبقية خبره

قال أحـمد بن خالد: كـان أول ما أنفذه ابن بـشير من نافـذ أحكامه، التسجـيل على الأمير الحكم، في أرحاء القنطرة ببـاب قرطبة، إذ أثبت عنده حق مدعيها، ولم يـكن عند الأمير مدفع. فسجل فيها، وأشـهد على نفسه.

فلما مضت مـديدة ابتاعها له ابتياعًـا صحيحًا، فسر بذلك الحكـم بعد مساءة وجعل يقول: رحم الله ابن بشـير، فقد أحين فيمـا فعل بنا على كره منا، إذ كان في أيدينا شيء مشتبه فصحح ملكه لنا.

قال ابن وضاح: حكم ابن بشـير على ابن فطيس الوزير، في حق ثبت عنده، دون أن يعـرّفه بالشـهود عليـه. فـشكا ابن فطيس ذلك إلى الأميـر، وتظلم منـه. وأوصى إلى ابن بشـيـر بذلك، وذكـر شكوى ابـن فطيس من إمضائه الحكم عليه، دون إعذار، وهو حق له بإجماع أهل العلم.

فكتب إليه ابن بشير: ليس ابن فطيس ممن يعـرف بمن شهد عليه، لأنه إن لم يجد سبـيلاً إلى تجريحهم لم يتـحرج عن أذاهم، فيدعـون الشهادة هم ومن يقتدي بهم، ويضيع أمر الناس.

وقال ابن وضاح: وكل سعيد الخيـر، عم الأمير الحكم، وكيلاً يخاصم له عند محـمد بن بشير في مطلب قـيم به عنده عليه، وكانت في يد سـعيد وثيقة فيها شهادة جماعة من العدول، أتى الموت عليهم ما عدا شاهدا واحدا، من أهل القبـول، مع شهادة الأمـير الحكم ابن أخيه، فـاضطر عمّه إليـها في خصومته لما قبل القاضي شهادة الآخر، وضرب الآجال لوكيله في شاهد ثان.

فدخل سـعيد على الأميـر وعرفه حـاجته، إلى شهـادته، وكان الحكم معظمًا لعمه، فقال له: يا عم، أعفني من هذه الكلفة. فقد تعلم أنا لسنا من أهل الشهـادة عند حكامنا، إذ التبسنا من فتن هـذه الدنيا بما لا نرضى به عن أنفسنا، ولا نلومـهم على مثل ذلك فينا، ونخشى أن توقـفنا مع هذا القاضي موقف خزي نفديه بملكنا. فصر في خصامك حيثما صيرك الحق وعلينا خلف ما ينقصك وأضعافه.

فلج سعيد في ذلك، وعزم عليه إلى أن وجه شهادته مع فقيهين ليؤدياهما إلى القاضي، فأدّياها إليه.

فقال لهما: قد سمعت منكما فقوما راشدين، وجاء وكيل سعيد الخير، فتقدم مدلاً واثقًا، فقال أيها القاضي: قد نقلت إليك شهادة الأمير، فما تقول؟ فأخذ كتاب الشهادة وأعاد النظر فيها. ثم قال: هذه شهادة لا تعمل عندي، فجئني بغيرها.

فمضى الوكيل إلى سعيد فأعلمه، فركب من فوره إلى الحكم، فقال ذهب سلطاننا وأهينت عزتنا يجترئ قاضيك الحروري على ردّ شهادتك! هذا ما لا يجب أن تتحمله عليه.

وأكثر من هذا وأغرى بابن بشير، والأمير مطرق. فلما فرغ من كلامه، قال له: يا عم هذا ما قد ظننته، وقد آن لك أن تقصر عنه، فالحق أولى بك. والقاضي قد أخلص يقينا لله، وفعل ما يجب عليه ويلزمه. ولو لم يفعل ما فعله، لأحال الله بصيرتنا فيه، فأحسن الله جزاءه عنا وعن نفسه، ولست والله أعترض القاضي بعد فيما احتاط لنفسه.

فذكر أن بعض إخوان ابن بشير عاتبه فيما أتاه من ذلك. فقال له: يا عاجز! ألا تعلم أنه لا بد من الإعذار في الشهادات، فمن كان يجترئ على الدفع في شهادة الأمير، ولو قبلتها ولم أعذر لبخست المشهود عليه حقه.

وحكي أنه كانت لمحمد بن بشير، أيام نزوله بقرطبة خادم سوداء، اسمها بلاغ، تخدمه ويستمتع بها عند حاجته. فكان إذا غشيها وقضى وطره منها، دفع صدرها بيده وقال: يا بلاغ: إن فيك بلاغًا إلى حين.

قال ابن حارث: إن حظية للأمير الحكم بات عندها في بعض لياليه

فافـتقدته في بعض الليل، ولم تصـبه، فهاجت غـيرتها وقامت تقـفو أثره، فأصابته قائمًا تحت شجرة في الحائط يصلي ويدعو ويجتهد، فلما انصرف إلى مرقده ألّحت عليه في السبب الموجب لذلك، وظنت أن أمرًا طرقه، فقال: ما ذاك إلا أن محـمد بن بشيـر القاضي مـات، فأشفـقت من فقده، وأعـجزني الاعـتيـاض منه، فقـد كنت جعلتـه فيـما بيـني وبين الله في أحكام الناس، فاسـتندت منه إلى ثقة، إذ كانت نـفسي مستـريحة إلى عدلـه، فناجيت الله تعالى ودعـوته دعوة مضطر إلى إجـابته، في أن يحسن عـزائي عنه، ويجعل عوضي منه.

وكانت وفاة ابن بشير سنة ثمان وتسعين ومائة.

فاستقضى الحكم بعده ابنه سعيد بن محمد. وقيل: الفرج بن كنانة.

وسيأتي ذكرهما في طبقتهما إن شاء الله تعالى.

٩٨ - طالوت بن عبد الجبار المعافري

من أهل قرطبة. قال أبو بكر بن القوطيـة: كان آخر من أخذ عن مالك ابن أنس[1] ونظرائه من أهل العلم. وشـهر بالصلاح والفـضل. وإليه ينسب المسجد والحفرة، بداخل مدينة قرطبة. وهناك كان مسكنه. وكان ممن استخفى من أعلام فقـهاء قرطبة، في ثورة أهل قرطبة على أمـيرهم الحكم بن هشام. وظفر بهم، وهو صاحب القصة المشهورة المضروب بها المثل في الوفاء للذمة.

وكان طالوت قد اسـتخفى خوفًا على نفسـه، عند رجل من اليهود من

---

٩٨ - من مصـادر ترجمـته: التكملة لكتـاب الصلة لابن الأبار ١/ ٢٧٦، وجمـهرة تراجم الفـقهـاء المالكية ٢/ ٥٨٧، والمغـرب في حلى المغـرب ١/ ٤٣، ونفح الطيب ١/ ٣٣٩، ٢/ ٦٣٩.

(١) في المغرب: «أحد من لقى مالك بن أنس».

جيرانه، وثق به. فتقبله أحسن قبول. ومكث عنده بأفضل حال حولاً. حتى طفئت الثائرة، وظن الفقيه أنه أمل اليهودي.

وكانت بينه وبين أبي البسّام الوزير وصلة حن بها إليه، رجاء أن أخذ له الأمان.

فساء اليهودي تحوّله عنه، ونصحه. فلج وقصد الوزير خفية بين العشاءين فأظهر القبول له، وسأله أين كان قبل. فأخبره، فصوّب رأيه في انتقاله إليه، ووعده الشفاعة له، وبادر بالركوب في وقته، وقد وكل به من يحرسه، فقال الأمير ما رأيك في عجل سمين عاكف على مذودة منذ سنة يلذ مطعمه، هذا طالوت رأس المنافقين عندي. قد أظفرك الله له. قال: قم فعجل به.

ووثب فجلس على كرسي بباب مجلسه، يتوقد غيظًا عليه. فلم يلبث أن أدخل طالوت عليه، فجعل يتقرعه بذنوبه، ويقول: طالوت! طالوت! الحمد الله الذي أظفرني بك، ويحك، أخبرني لو أن أباك أو ابنك قعد مقعدي بهذا القصر، أكانا يزيدانك من البر والإكرام على ما فعلته أنا بك؟ هل رددتك قط في حاجة لك أو لغيرك؟ ألم أشاركك في حلوك ومرِّك؟ ألم أعدك مرات في علاتك؟ ألم أشاركك في حزنك على زوجتك؟ فمشيت في جنازتها راجلاً إلى مقبرة الربض وانصرفت مقك كذلك إلى منزلك؟ وغير شيء من التوقير فعلته بك، ما حملك على ما قابلت به إجمالي، ولم ترض مني إلا بخلع سلطاني، والسعي لسفك دمي، واستباحة حرمي؟

فقال له طالوت: ما أجد لي في هذا الوقت مقالاً أنجى من صدقك.

أبغضتك لله وحده. فلم ينفعك عندي كل ما صنعته، هي حظوظ دنياك.

فسري عن الأمير وسكن غيظه، وملىء عليه رقة. فقال: والله لقد أحضرتك، وما في الدنيا عذاب إلا وقد عرضته أختار أفظعه لك، فقد حيل بيني وبينك، فأنا أعلمك أن الذي أبغضتني له، صرفني عنك، فانصرف في أمان الله تعالى، وتصرف حيث شئت، وارفع إليّ حاجتك، فلم تعدم مني برًا. ما بقيت، فيا ليت الذي كان لم يكن.

فقال له طالوت: صدقت فلو لم يكن كان خيرًا لك، ولا مرد لأمر الله.

فلم يزل طالوت بعد لديه مبرورًا، إلى أن توفي عن قريب، فأسى له الحكم وحضر جنازته وأثنى عليه به بصدقه.

وسأل الحكم طالوتَ بعد أن أمنه في ذلك المجلس، كيف ظفر بك صاحبك الوزير؟

قال أنا أظفرته بنفسي عن ثقة، لوصلة بيني وبينه، ليشفع لي عندك، فكان منه ما رأيت. فقال له: فأين كان مثواك قبل؟ فأخبره بخبر اليهودي.

فقال الحكم للوزير: سوءة لك، رجل في أعداء الملة حفظ لهذا الشيخ محله من الدين والعلم، فأخطر بنفسه فيه، وناقضت أنت ذلك وهو من خيار أهل ملّتك، وأردت أن تزيدنا فيما نحن نادمون عليه من سوء الانتقام. أخرج عني قبّحك الله. ولا ترني وجهًا، ووفر أرزاقه وطوى من بيت الوزارة فراشه. فسقط آخر الدهر، وذهب عقبه، وما زالوا في ارتكاس وخمول.

وقد قيل إن إعلامه إياه بهذا القضية، وتباين ما بين الرجلين كان سبب عفو الأمير عن طالوت، وانقلاب حقده على الوزير الواشي به. والله أعلم.

٩٩ - عبد الرحمن بن موسى الهوَّاري

أبو موسى، من أهل إستجه

ذكر ابن حارث، إنه استقضي على بلده أيام الأمير عبد الرحمن في الحكم.

قال القاضي أبو الوليد: رحل أول خلافة الإمام عبد الرحمن بن معاوية، فلقي مالك بن أنس، وابن عيينة، ونظرائهما من الأئمة. ولقى الأصمعي، وأبا زيد، وغيرهما من رواة الغريب. ودَاخَلَ العَرَب، وتردد في محالها، وصدر إلى الأندلس من سفره، فعُطِب ببحر تُدْمير فذهبت كتبه، فلما قدم إستجه أتاه أهلها يهنئونه بقدومه، ويعزونه بذهاب كتبه فقال لهم: ذهب الخرج وبقيت الدرج. يعني ما في صدره.

وكان فصيحًا ضربًا[١] من الإعراب، حافظًا للفقه والتفسير والقراءات[٢]. وله كتاب في تفسير القرآن قد رأيت بعضه. رواه عنه محمد ابن أحمد العتبي، ومسيب بن سليمان الإستجي، وروى عنه أيضًا أصبغ بن خليل.

وهو كان القائم بالقضاء أيام الحكم بن هشام، بعد صعصة بن سلام ووفاته.

قال العُتْبي: وكان أبو موسى إذا قدم قرطبة لا يفتي يحيى ولا عيسى، ولا سعيد بن حسان، حتى يرتحل عنها، توقيرًا له.

وكان يسكن بعض قرى مورور، ثم انتقل إلى إستجة[٣].

---

٩٩ - من مصادر ترجمته: تاريخ ابن الفرضي ١/ ٣٠٠.

(١) الضرب: المثل يحتذى.

(٢) ابن الفرضي ١/ ٣٠٠.

(٣) ابن الفرضي ١/ ٣٠٠.

١٠٠ - عبد الرحمن بن عبيد الله

من أهل أشبونة. قال ابن الفرضي: قال خالد: كان مترددًا إلى قرطبة. وكان قد سمع من مالك بن أنس، وكان له مكرمًا. ذكر هذا غير واحد.

ويقال: إنه ممن روى عنه الموطأ.

روى عنه عبد الملك زونان، وغيره.

قال عبد الرحمن: كنت يومًا جالسًا إلى جنب مالك بن أنس، فنظر إلى ابن وهب وقال: سبحان الله أيما فتى، لولا الإكثار!

١٠١، ١٠٢ - حسان وحفص ابنا عبد السلام السلمي

من أهل سرقسطة، ذكر غير واحد. رحلتهما إلى مالك، وسماعهما منه.

قال ابن أبي دليم: ورويا عنه الموطأ.

قال ابن الفرضي: وكانا جميعًا فاضلين، ورحلا معًا إلى مالك. وكان حسان أسنّ من حفص. وكان من أهل العلم والدين.

وكان حفص متفننًا في العلوم بليغًا حاذقًا. كنيته أبو عمر. يحكى أنه لزم مالك مدة سبعة أعوام. وكان مالك يُدني منزلته. وسرد الصيام أربعين سنة. وكان الأمير الحكم يستقدمه كل عام يَؤُمُّ به في رمضان.

---

١٠٠ - من مصادر ترجمته: تاريخ ابن الفرضي ١/ ٢٩٩.

١٠١، ١٠٢ - من مصادر ترجمة حسان: تاريخ ابن الفرضي ١/ ١٣٦، وترجمة حفص كذلك لدى ابن الفرضي ١/ ١٣٩.

١٠٣ - شَبْطُون بن عبد الله الأنصاري

الطُّلَيْطُلي. ولي القضاء ببلده، وذكره أبو سعيد بن مفرج، وابن أبي دليم، وغيرهما. في الرواة عن مالك.

وذكر ابن أبي دليم أنه سمع منه الموطأ، وقيل إنه سمع منه كثيراً. وكان سمع منه حتى مات. وتوفي سنة اثنتي عشرة ومائتين.

١٠٤ - محمد بن يحيى السبائي من أهل قرطبة

يكنى أبا عبد الله. كان يعرف بفُطَيْس ابن أم غازية.

روى عن مالك بن أنس الموطأ، فيما ذكر ابن أبي دليم. وسمع منه مسائل معروفة.

روى عنه قاسم بن هلال.

قال ابن الفرضي: وفي كتاب أحمد بن محمد بن سعيد السبائي، وفي رواية ابن لبابة: محمد بن يحيى فلا أدري أهما رجلان أم واحد. اختلف في اسم أبيه.

وفي كتاب أبي سعيد المصري في موضع: محمد بن يحيى السبائي قرطبي، سمع من مالك بن أنس.

وقال في موضع آخر: محمد بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سالم بن خشخاش بن أبي وعلة السبائي، أندلسي قديم، كان المفتي في أيامه، فجعلهما رجلين.

---

١٠٣ - من مصادر ترجمته: تاريخ ابن الفرضي ١/ ٢٣٥.

١٠٤ - من مصادر ترجمته: تاريخ ابن الفرضي ٢/ ٤.

وقال أحمد: هو جد السبائيين بقرطبة. قال: ولا أعلم له رحلة.

وتوفي في صدر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم، بعد ست ومائتين.

وقال ابن حارث: كان ابن بشير القاضي يشاور في قضائه، محمد بن سعيد السبائي.

قال الأمير: لعلّ هذا هو المعروف بابن الملون، ووهم، فابن الملون متأخر عن هذه الطبقة. وقال ابن حارث: محمد بن سعيد بن عبد الله السبائي. ذكره عبد الملك في كتابه مع يحيى بن يحيى، وعيسى بن دينار وأمثالهم، وكان من أهل الورع والسمت الحسن. يروي عن يحيى بن يحيى. توفي نحو الثمانين ومائتين.

١٠٥ - داود بن جعفر بن الصَّغِير

ويقال ابن أبي الصَّغير، مولى بني تميم، قرطبي. سمع من مالك، والدراوردي، ومعاوية بن صالح، وابن عيينة، وزكريا بن منظور.

وقال ابن الفرضي: وقد روى عن ابن وهب، وابن القاسم، ومن الأندلسيين حسين بن عاصم، والأعشى، ومطرف بن عبد الرحمن بن قيس، ومحمد بن وضاح.

قال ابن وضاح: وروى هو عني. وكان ولي قضاء قلنْبريّة.

قال ابن أبي دُليم - وذكره في المالكية - كان يميل إلى الحديث، ولم يذكر له سماعًا من مالك. وذكر سماعه ابن الفرضي عن أبي لبابة، وذكره أيضًا غيره. وسماعه في المدينة كثير، مشهور.

---

١٠٥ - من مصادر ترجمته: الإكمال لابن ماكولا ٥/ ١٨٥، وتاريخ ابن الفرضي ١/ ١٦٩.

قال داود: رأيت ابن عـيينة يطوف بالبـيت متكئًا علـى رجل يسأله عن حديث. فنحى يده عنه وقـال له: نكرًا. فانضممت إليـه. واتكأ علي، حتى فرغ من طوافه ثم تحول إليَّ فقال: بارك الله عليك، قال علي بن أبي طالب: المؤمن حسن المعـونة قليل المئونة. قال مطرف بـن قيس: كان داود بن جعـفر لبـيبًـا فاضـلاً. كتب عنه نحـوًا من ثلاثة آلاف حديث، أو أكـثر. قـال ابن وضاح: هو جدّ بني الصغير، عندنا بالأندلس.

* * *

obeikandl.com

الطبقة الصغرى من أصحاب مالك

فمن أهل المدينة:

١٠٦ - أبو مُصْعَب أحمد بن أبي بكر

واسم أبي بكر القاسم بن الحارث بن زُرارة بن مُصْعب بن عبد الرحمن ابن عوف الزُّهْري.

روى عن مالك الموطأ وغيره من قوله، وتفقه بأصحابه: المغيرة، وابن دينار وغيرهما. وله كتاب مختصر في قول مالك مشهور.

قال الزبير بن بكار: كان على شرط عبيد الله بن الحسن بالمدينة. ثم ولاه قضاءها.

قال مصعب بن عبد الله: ويعرف بكنيته: أبي مصعب وهو فقيه أهل المدينة. قال الزبيري: ومات وهو فقيه أهل المدينة. غير مدافع.

قال أبو إسحاق الشيرازي: كان من أعلم أهل المدينة. روي أنه قال: يا أهل المدينة! لا تزالون ظاهرين على أهل العراق: ما دمت لكم حيًا.

روى عن مالك، والمغيرة، وابن دينار، وإبراهيم بن سعد، وابن أبي حازم، وصالح بن قدامة، والدراوردي والعطاف بن خالد، وغيرهم.

روى عنه البخاري، ومسلم، والذهلي، وإسماعيل القاضي، وأخوه حمّاد، والرازيان، وابن نمير، ومحمد بن رزين وغيرهم. وأخرج البخاري ومسلم عنه في صحيحيهما.

---

١٠٦ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ١/ ١٩٢ وما بحواشيه من مصادر.

قال ابن أبي حاتم: روى عنه أبي، وأبو زرعة وقالا: هو صدوق.

قال القاضي وكيع في كتاب طبقات القضاة: هو من أهل الثقة في الحديث.

قال أبو بكر بن أبي خيثمة: خرجت في سنة تسع عشرة ومائتين إلى مكة، فقلت لأبي: عمّن أكتب؟ فقال: لا تكتب عن أبي مصعب، واكتب عمّن شئت.

قال القاضي: وإنما قال ذلك، لأن أبا مصعب كان يميل إلى الرأي، وأبو خيثمة من أهل الحديث، وممن ينافر ذلك، فلذلك نهى عنه. وإلا فهو ثقة لا نعلم أحدًا ذكره إلا بخير.

قال ابن أبي خيثمة: وأبو مصعب ممن حمل العلم، وولاَّه عبد الله بن الحسن قضاء الكوفة. ثم ذكر أنه ولي قضاء المدينة.

قال ابن نمير: سمعت أبا مصعب يقول: سمعت مالكًا يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق. قال أبو مصعب: فمن شك أو وقف فهو كافر.

وقال حبيب: قال أبو مصعب: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. فمن قال غير هذا فهو كافر.

قال أبو مصعب: وحدثني عبد العزيز بن أبي حازم قال. قلت لمالك: من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ قال أبو بكر وعمر قال ابن أبي حازم، وهذا رأيي. قال أبو مصعب: وهو رأيي. ولو كان إلى المحاباة حابيت جدي عبد الرحمن بن عوف.

قال البخاري: ومات سنة اثنتين وأربعين ومائتين بالمدينة.

وقال ابن عبد البرّ وغيره: سنة إحدى وأربعين. قال ابن الجزّار: في آخرها.

وقال الشيرازي وعاش تسعين سنة.

١٠٧ - أبو محمد الحكم

مدني، ذكره ابن شعبان في جملة رواة مالك، وهو مشهور بصحبة محمد بن مَسْلَمَة، وعبد الملك بن الماجِشُون.

يروي عنه إسماعيل القاضي، وأخوه حماد، ومحمد بن عبد الحكم[1].

١٠٨ - يعقوب بن حُميد بن كاسب

أبو يوسف، مدني، سكن مكة. روى عنه مالك، وإبراهيم بن سعد، والدراوردي، وابن أبي حازم، والمغيرة، وأنس بن عياض، وعبد الملك بن الماجشون.

روى عنه أبو حاتم، وأبو زرعة الرازيان، والزبير بن بكار، وعبد الله بن شهاب، وضعّفه ابن معين، لعِلّة قال: وهو في سماعه ثقة. وإنما ضعّفه لأن الطالبيين حدّوه.

---

١٠٧ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ١/ ٤٢٦ وما بحواشيه من مصادر.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «محمد بن الحكم».

١٠٨ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٣/ ١٣٧٧ وما بحواشيه من مصادر.

قال أبو داود: فناظرت ابن معين في خبره وتحامل أولئك عليه، فأمسك عنه.

قال ابن وضاح: ما رأيت بالحجاز أعلم بقول أهل المدينة منه. قال سحنون: كان حافظًا، وكان يعرف بابن القسام، وضعفّه أبو حاتم وأبو زرعة.

قال البخاري: مات أول سنة إحدى وأربعين أو آخر أربعين ومائتين.

١٠٩ - أبو عبد الله محمد بن صدقة الفَدَكي

كان يسكن ناحية المدينة. قال البخاري: سمع مالكًا، ومحمد بن يحيى ابن سهل.

سمع منه إبراهيم بن المنذر، وله عن مالك مسائل كثيرة وحديث.

قال محمد بن صدقة: سئل مالك، عن الرجل يبتاع العبد، فيشج عنده موضحة، فيأخذ لها عقلاً، ثم يردّه بعيبه، فيطلب سيده أرش الموضحة، أنه لا شيء له منها، لأن الموضحة لا تشينه، وإن كان جرحًا يشينه لم يرده إلا بما أخذ.

وقال ابن القاسم: وكذلك الجائفة، والمأمومة.

وقال عيسى بن دينار: إذا شانه كان بالخيار أن يرده، وما نقص الشين ليس العقل الذي أخذ، وإن شاء حبس وأخذ قيمة العيب، وإن لم يُشن. فإما رد كل ما أخذ، أو أمسك ولا شيء له.

---

١٠٩ - من مصادر ترجمته: التحفة اللطيفة ٣/ ٥٨٧، وميزان الاعتدال ٣/ ٥٨٥.

١١٠ - الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب

ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوّام. مدني يروي عن مالك، وأبي ضَمْرة، وأبيه وعمه. يكنى بأبي عبد الله.

قال ابن أبي خيثمة: هو من أهل العلم. سمعت عمه مصعب بن عبد الله غير مرة يقول لي بالمدينة: ابن أخ، إن بلغ أحدٌ منا فسيبلغ، بغيته.

كان الزبير علامة قريش في وقته بالحديث والفقه والأدب، والشعر والخبر والنسب، وهذا الباب هو الغالب عليه، وله فيه كتاب: جمهرة أنساب قريش وغير ذلك.

ولي قضاء مكة وبها توفي في ذي الحجة سنة ست وخمسين ومائتين.

---

١١٠ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ١/ ٤٨١ وما بحواشيه من مصادر.

obeikandl.com

ومن المكيين ممن عداده في البغداديين:

١١١ - هارون بن عبد الله الزُّهْرِي

أبو يحيى، قال المصعب الزبيري: هو هارون بن عبد الله بن محمد بن كثير بن مَعْن بن عبد الرحمن بن عوف. وأمه سهلة بنت معن بن عمر بن معن بن عبد الرحمن. مكي نزل بغداد.

وذكره أبو إسحاق الشيرازي في الطبقة الأولى من الأتباع، وقد ذكر أبو إسحاق [وابن القُرْطِي، وابن مُفَرِّج القرطُبي][1]: إنه ممن روى عن مالك وأسندوا له عنه أحاديث، وحكاية تشهد بسماعه.

قال الشيرازي: تفقه بأبي مصعب الزبيري.

قال القاضي: وسمع من ابن وهب، وابن أبي حازم، والقاضي هارون أيضًا، رواية عن المغيرة، وعبد الملك، والواقدي.

روى عنه يحيى بن عمر، ويونس بن عبد الأعلى، والوليد بن مسافر، والعداس، وأبو جعفر ابن هارون الأيلي، وجعفر بن يزيد، والقاضي أبو المغيرة محمد بن إسحاق المخزومي، ومطرّف بن قيس.

قال الشيرازي: هو أعلم من صنّف الكتب في مختلف قول مالك.

---

١١١ - من مصادر ترجمته: أخبار القضاة لوكيع - ص ٦٦٢، وتاريخ الإسلام، وفيات (٢٣١ - ٢٤٠ هـ) ص ٣٧٧، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٣، والجرح والتعديل ٩/ ٩٢، وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٣/ ١٣٠٧، وحسن المحاضرة ١/ ٤١٦، والديباج المذهب ٢/ ٦٠٣، ورفع الإصر - ص ٤٤٧، وشذرات الذهب ٢/ ٧٥، وطبقات الفقهاء للشيرازي - ص ١٤٤، والعبر ١/ ٤١٢، والعقد الثمين ٧/ ٣٥٦، ونسب قريش لمصعب - ص ٢٧٢، والولاة والقضاة - ص ٤٤٣.

(١) ما بين حاصرتين ساقط من طبعة المغرب.

قال الزبير في جـمهرته: كان من الفـقهاء وكان يقـوم بنصرة قول أهل المدينة فيحسن.

قال مطرف بن قيس: سمعت منه بمكة وكـان لزمها، وكان عظيم القدر وله رواية عن مالك. وقال لي محمد بن عبد الحكم: إن لقيته فاحمل عنه.

وقال القاضي وكيع: كـان هارون الزهري من الفقهاء لمذهب أهل المدينة من أصحاب مالك. ومن أهل الأدب الواسع.

قال هو والجيزي: كان في قضائه محمودًا عفيفًا محببا.

ولايته القضاء وسيرته ومحنته

قال المصعب الزبيري: ولاه المأمون قضاء المصيصة ثم صرخد، ثم قضاه الرقة، ثم صرفه. ثم قضاء عسكر المهدي ببغداد. ثم صرفه. ثم قضاء مصر، فلم يزل على قضائها إلى أن صرف آخر أيام المعتصم(١).

قال الحميدي في قضاة مـصر: بقيت مصر بعد ابن المنكدر دون قاضٍ، إلى أن ولّى المأمون قضاءها هارون بن عـبد الله الزهري. قال هارون: دعاني المأمون فقال: يا هارون قد وليتك بلدًا يقولون بقولك، مصر.

قال أبو عـمر الكندي في كـتابه في قضـاة مصـر: قدم هارون الزهري مصـر، في رمضـان سنة سبع عـشرة ومـائتين من قبل المأمـون، وجلس في المسجد الجامع ولم يُبقِ شـيئًا في أمور القضاء إلا شاهده، بنفـسه وحضره مع أهل مصـر وتقصّى الأحبـاس وأموال الأيتام، ووقف عـلى وجوهها بنفـسه، وحاسب عليها، وضرب رجلاً على حال رآه منه في مال يتيم، كان ينظر له،

(١) نسب قريش - ص ٢٧٢.

وأطافه. وأورد أموال الغيَّب، ومن لا وارث له بيت المال، وسجل بجميع ذلك[1].

وكتب إليه المعتصم يأمره بأخذ الفقهاء بالمحنة فاستعفى من ذلك. فكتب ابن أبي دُوَاد إلى أبي بكر الأصم يأمره بأخذهم بذلك. فكان رأسًا في ذلك وحمل الناس فيها.

فكان هارون يقول: الحمد لله على معافاتي مما ابتلي به غيري.

فذكر أنه نال علماء مصر في ذلك محنة عظيمة. وأن ابن عبد الحكم الكبير ضرب بالسياط، وضرب بنو عبد الحكم كلهم، وامتحنوا. وامتحن الأصم أيضًا: أبا الطاهر، وأبا جعفر الأيلي، ويحيى بن بكير، وأبا إسحاق البرقي، وأبا راشد، وضرب ظهره بالسياط. وجعل على حمار وجهه إلى ذنبه، وطيف به. وضرب ابن كاسب، وعبد الله بن زيد بن ظبيان، وقابوس ابن أبي ظبيان وغيرهم.

وأجابه بعضهم تقية. وكل من أجابه تركه، ومن أبى عليه بعثه إلى العراق، إلى ابن أبي دُوَاد، وفرّ جماعة على وجوههم، منهم ابن المواز. واختفى آخرون. منهم أصبغ بن الفرج، فلزم داره.

وذكر الكندي: أن المأمون لما أخذ الناس بالمحنة في القرآن، كتب إلى أمير مصر، يأخذ القاضي هارون، فزعم أنه أجابه، وأنه كان لا يقبل من الشهود إلا من أقرَّ به. وذلك تقية، والله أعلم، وامتثالاً لما أمر به.

ويدل على أنه تقية استعفاؤه من الأمر بعد ذلك وامتحانه على يد هذا الأصم المذكور، وما نذكره بعد.

---

(١) الولاة والقضاة - ص ٤٤٣.

قال أبو عُمَر والجيزي وثقل مكانه على ابن أبي دُوَاد، فصرفه عن قضاء مصر، سنة ست وعشرين، ولم يجد سبيلاً إلى عزله. لأن المعتصم كان وقع اختياره عليه. حتى قرّر عند المعتصم، أنه استعمل أصحاب ابن المنكدر، الذي كان يشنأه المعتصم كما ذكرنا في أخباره، وأنه صيرهم بطانة فعزله، وولى أبا بكر ابن أبي الليث الأصم، فأقام رجلاً فرفع على هارون باستهلاك مال من بيت المال. وكان هارون يدفع مفتاح التابوت إلى غير ثقة. فأتى عليه منه. فأمر الأصم، بإحضار كتاب المعتصم برفع ذلك عنه.

فأخذ الله عما قريب من الأصم، ما فعل بهارون وزيادة، على يد الحارث بن مسكين، لما ولي قضاء مصر. أقام الأصم أيامًا يضربه كل يوم عشرين سوطًا في رد مال بيت المال، ثم أمر المتوكل لما ولي بعد ذلك بحلق لحية الأصم ورأسه وضربه، وطوافه مصر على حمار، وسجنه وحمله وأصحابه. واستصفاء ماله، ولعنه على المنبر، فنفذ ذلك كله. وكان الأصم مبتدعًا متعزليًا خبيثًا.

وكانت وفاة القاضي هارون سنة ثمان وعشرين ومائتين.

ذكر ملح وحكم من شعره

أنشد له القاضي وكيع في طبقات القضاة، ما قاله عند انصرافه عن ابن أبي دُوَاد:

أيام معروفك ما لم تكن ... بالصبر أحوال وأحوال

فاصبر لها واصبر لمكروهها ... فللذي يدبر إقبال

ورب أمر مرتج بابه ... عليه أن يفتح أقفال

ضاق بذي الحيلة في فتحه ... حيلته والمرء محتال

حتى تلقــته مفاتيحه من حيث لا يخطــره البال
والرزق فاطــلبه على أنه آت لـه وقـــت وآجـــال
وليس يبطىء عنك في وقته ولا له عـــن ذاك إعجـــال
فلا تقم عبدًا على مطمع فربما أخـلفـك الـحـــال
فالفقر خير فاعلمن من غنى يكـــون كـــل فيـه إذلال
والمال للمكـثـــر شـــين إذا لم يك منه فـــيه إفضـــال
والحرّ حرّ حيث أمسى ولا يمنعـــه من ذاك إقـــلال

وأنشد الزبير بن بكار له:

هل الشــوق إلا أن يحن غريب وأن يستطـيل العهد وهو قريب
أرى الشوق يدعوني إلى من أوده وللشوق داع مسـمع ومجيب
سقى الله أكناف المدينة أنه يحل به شخـص إليَّ حبيب
وإني وإن شطت بي الدار عنهم إليهم لمشتاق الفـؤاد طروب
وقائلة ما بال جسـمك شاحبًا وأهون ما بي أن يكون شحوب
فقلت لها في الصدر مني حرارة تقطع أنفـاسـي بـها وتذوب
إذا ما تذكرت الحجاز وأهـله فللعين من فيض الدموع غروب

وأنشد له أبو عمر الكندي[1]:

ولما رأيت البين منها فجاءة وأهون للمكروه أن يتوقعا
ولم يبق إلا أن يودّع ظاعن مقيم وتذري عبرة أن تودعا

(١) الولاة والقضاة - ص ٤٤٨.

نظـــرت إليها نـظـــرة فـرأيتـــهـا وقد أبرزت من جانب الخدر إصبعا

وذكر عن هارون أنه قال: أنشدتها لعبد الملك بن الماجشون ونسبتها إلى رجل من بني قيـس، فقال: أحـسن والله. فقلت أنا والله قلتـها في طريقي إليك. فقـال قد عـرفت فيهـا اللين حين أنشدتهـا. وأنشد له القـاضي وكيع قصيدة كثيرة الحكم والوصايا، أولها:

أمسى مشيبك في المفارق شائعـا ورددت من عهد الشباب ودائعـا[1]

وتركت وصل الغاتيات وطـالمـا عاصيت فيهن العـواذل طـائعـا

ولقد لبست من الشباب غضـارة ونضـــارة لو كـان ذلـك راجـعـا

أزمان تصغي للصـــبـا وحـديثـه سمـعًا يميل إلى الغواية سامـعـا

فدع الغـواني والشبـاب وذكـره كم موضع في الغي أصبح نازعا

والله فاخش وخف ذنوبك عنـده يوم الحساب وكن لنفسك وازعـا

لا تعط نفسك ما تريد ولا تـكن فيما يضرّك أن دعيت مسـارعـًا

لا تمس عبدًا للمطـامع ولتـكـن للفضل متبـوعًا ولا تك تـابـعـًا

كن للعشيرة في الأمور إذا عدت كهفًا وعنـها في الأمور مـدافعـًا

لا تحســدن نبيــها واخـضــع لـه خير من أن تلفى لآخـر خاضعـًا

سهل له فـيمـــا يـريد طـريقـــه حتى يكـون برفـعه لك رافـعـًا

فمتى ينـل حظا يكن لك حـظـه وتكون فيـه مفـارقًا ومجـامـعـًا

فإذا نشـأ لك ناشيء فانهـض لـه وامنعه من ضيـم يكن لك مانعـًا

حـافظ عـلـيه واتـخـذه عـــدة سيـفًا إذا لاقى الكـريهة قاطـعـًا

---

(١) أخبار القضاة لوكيع - ص ٦٦٣.

أكثر صديقك ما استطعت فما به ضرّ إذا ما لم يكن لك نافعًا
داو العداوة من عدوّ بالتّقى واحذر عدوّك دانيًا أو شاسعًا
وإذا دعاك إلى الرجوع مجاملاً فارجع له وليلف سربك واسعًا
إلا الحسود فإن تلك عداوة تبدي الرضا وتكون سمًّا ناقعًا
فاصبر عليه فليس فيه حيلة ولتطلعنّ ظوالعًا وطوالعا

وينشد أيضًا له:

ماذا على الحي يوم البين لو رفعوا أو وصلوا من حبال البين ما قطعوا
بل لم يبالوا أسيرًا في الديار ولو بالوه لم يصنعوا في ذاك ما صنعوا
لما رأيت حمول الحي باكرة يحثها جذل بالبين مندفع
ناديت ليلى ولا ليلى تودعني مني السلام فكاد القلب ينصدع
يا ليل أهلك أحمونى زيارتكم والدار واحدة والشمل مجتمع
فالآن مرّ عليّ العيش بعدكم فلست بالعيش بعد اليوم أنتفع
هل الزمان الذي قد مر مرتجع أم هل يرد على ذي العولة الجزع
قالت سليمي علاك الشيب من كبر والشيب أهون ما لم يأتك الطمع
يا سلم إني وإن شيب يفزعني رحب اليدين بما حملت مضطلع
ولن أرى بطرا يومًا لمفرحه ولن أرى لمصروف الدهر أختشع
قد جربتني صروف الدهر فاعترفت صلب القناة صبورًا كيفما يقع
فرد الخلائق لا يقتادني طمع إن اللئيم الذي يقتاده الطمع
هذا وخائن قوم ظل يشتمني كالكلب ينبح حينًا ثم ينقمع

تركتــه معرضًا لي واستـهـنـت بـه إذا لم يكن لي فيه ريّ ولا شبـع
لا واضـعًا غضبي في غير موضعه ولا انتظـاري إذا ما نالني الـفـــزع
ولا ألين لقـــوم خـاضـعـًا لـهـــم ولا أكافئــهم بالشـر إن جـمـعـوا
حلمًا بحلم وجهلاً إن هم جهـلوا إنـي كــذلـك مـا آتـــي ومـا أدع

obeikandl.com

ومن أهل المشرق:

١١٢ - قتيبة بن سعيد

ابن جَمِيل بن طَرِيف بن عبد الله الثقفي، البلخي البَغْلاني. وبَغْلان قرية بخراسان. مولى ثقيف. كنيته أبو رجاء. عداده في أهل بلخ. وكان طريف أبو جده مولى الحجاج، وخبازه.

قال أبو أحمد بن عدي وغيره: قتيبة لقب، واسمه يحيى.

قال ابن شعبان: له عن مالك الكثير من جيد الحديث والمسائل. سمع من مالك والليث، وابن لَهيعَة. وهو آخر من روى عنه، وبكر بن مُضَر، ويعقوب الإسكندراني، وحماد بن زيد، وأبي عوانة، وعبد الواحد بن زياد، وإسماعيل بن جعفر.

روى عنه عبد الله بن الزبير الحميدي، وابن حنبل، وابن مَعِين، وأبو خَيْثَمة، وأبو بكر بن أبي شَيْبَة، وابن نُمَيْر، والحسن بن عَرفة، ويوسف بن موسى[1] القطان، وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، والبخاري، ومسلم. وأخرجا عنه في الصحيح، كثيرا. وأثنى عليه أحمد بن حنبل.

وقال يحيى: ثقة. وقال أبو حاتم: ثقة.

قال عبد الرحمن: سمعت أبي يقول: حضرت قتيبة بن سعيد ببغداد، وجاء ابن حنبل فسأله عن أحاديث فحدثه بها. ثم جاء ابن أبي شيبة، وابن نمير بالكوفة. فلم يزالا يلحان عليه، وألح معهما إلى الصبح.

---

١١٢ - من مصادر ترجمته: تهذيب الكمال ٢٣/ ٥٢٣، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/ ٩٥٤ وما بحواشيه من مصادر.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «سيف بن موسى» وصوابه لدى المزي.

وذكر أبو القاسم البلخي في مقالاته: أن حمزة بن محمد الحافظ، قال: اجتمع قوم من الطلبة بباب قتيبة بن سعيد، فسأله أحدهم أن يسمعه الحديث وبعضهم يسأله أن يسمعه الفقه. وأتى عليه الرحالون، وكان روى كثيراً، ولقي رجالاً فتبسم ثم قال:

تسألني أم صَبِيِّي جملاً يمشي رويداً ويكون أولاً

مهلاً رويدا فكلانا مبتلى

قال القاضي وكيع: ولي قتيبة القضاء ببغداد، واستناب بشراً المريسي، فأقامه على صندوق من صناديق المصاحف، فقال بشر: معاذ الله، لست بنائب. فكثر الناس عليه حتى كادوا يقتلونه.

قال أبو داود: سمعت قتيبة بن سعيد، وقيل له الواقفة يعني في القرآن. فقال: الواقفة شر منهم يعني ممن قال بالمخلوق.

وذكر أن إسحاق بن راهويه كتب إلى قتيبة مرة وثانية، فلم يجبه. فكتب إليه الثالثة:

إذا الإخوان فاتهم التلاقي فلا شيء أسرّ من الكتاب

وإن كتب الصديق إلى أخيه فحق كتابه ردّ الجواب

وذكره أبو القاسم البلخي في مقالاته.

قال أبو عبد الله البخاري: وتوفي قتيبة غرة شعبان، سنة أربعين ومائتين، وهو ابن اثنتين وتسعين سنة، ومولده ببلخ في رجب، سنة ثمان وأربعين ومائة.

ومن أهل مصر:

١١٣ - عبد الله بن عبد الحكم بن أَعْيَن بن الليث

مولى عميرة. امرأة من موالي عثمان بن عفان. ويقال مولى نافع، مولى عثمان بن عفان، قاله ابن شعبان: يكنى أبا محمد.

سمع مالكًا، والليث، وبكر بن مُضَر، وعبد الرزاق، والقعنبي، وابن لَهِيعَة، وابن عُلَيَّة، وإسماعيل بن عَيّاش، ويعقوب بن عبد الرحمن الزهري. والعطاف بن خالد، وابن عُيَيْنة.

روى عنه ابن نُمَيْر، وهارون بن إسحاق وبنوه، والمقدام بن داود، وأبو يزيد القراطيسي، والربيع بن سليمان، وابن المَوّاز، والعداس، وأحمد بن زكير، وابن حبيب، وأحمد بن صالح ومحمد بن مسلم، وغير واحد.

قال أبو عمر بن عبد البر: كان ابن عبد الحكم رجلاً صالحًا، ثقة محققا بمذهب مالك.

قال الكندي: كان فقيهًا.

قال أبو زرعة الرازي: هو صدوق ثقة.

قال محمد بن مسلم، كتبت عنه وهو شيخ مصر. وقال مثله أحمد بن صالح.

قال أبو حاتم الرازي: هو صدوق.

قال أحمد بن عبد الله الكوفي: عاقل، حليم، ثقة، كتبت عنه.

---

١١٣ - من مصادر ترجمته: تهذيب الكمال ١٥/ ١٩١ وما بحواشيه من مصادر.

قال الشيرازي: وإليه أفضت الرئاسة بمصر بعد أشهب. وكان أعلم أصحاب مالك بمختلف قوله. ولابن عبد الحكم سماع من مالك: الموطأ ونحو ثلاثة أجزاء.

وروى عن ابن وهب، وابن القاسم، وأشهب كثيرًا. وصنف كتابًا اختصر فيه أسمعته، ثم اختصر منه كتابًا صغيرًا، وعلى هذين الكتابين مع غيرهما معول المالكيين من البغداديين، في المدارسة وإيّاهما شرح أبو بكر الأبهري، وغير واحد من العراقيين، وأهل المشرق.

قال بشر بن بكر: رأيت مالكًا في النوم بعد الممات بأيام، فقال: لي ببلدكم رجل، يقال له ابن عبد الحكم، فخذوا عنه فإنه ثقة.

جملة من أخباره وفضائله وتواليفه

قال أبو عمر الكندي: ولي ابن عبد الحكم بعد ابن المنكدر، فرد مسائل عيسى ابن المنكدر، قاضي مصر. فأدخل في العدول من استحق ذلك عنده، وإن لم يكن له قدر[1]. وقبل شهادته، فأضغن ذلك عليه بعض مشيخة المصريين. فقال له يومًا أبو خليفة الرعيني: كان هذا الأمر مستورًا فكشفته. وأدخلت في الشهادة من هو ليس بأهل لها. فقال له ابن عبد الحكم: هذا الأمر دين، وقد فعلت ما يجب علي[2].

قال: وبلغ بنو عبد الحكم بمصر من الجاه والتقدم، ما لم يبلغه أحد.

---

(١) في طبعة المغرب: «وإن لم يكن له قديم» والمثبت رواية الكندي - ص ٤٣٦، الذي ينقل عنه المصنف، ولديه: «فأدخل في العدالة مَنْ لاَ قَدْرَ له ولا بيت مثل فلان الحائك وفلان البياع...».

(٢) الولاة والقضاة - ص ٤٣٦.

قال ابن عبد البر: وكان عبد الله صديقًا للشافعي، وعليه نزل إذ جاء من بغداد، فأكرم مثواه وبالغ الغاية في بره، وعنده مات[1].

قال الشيرازي: يقال أنه دفع للشافعي ألف دينار، وأخذ له من أصحابه ألفًا، ومن رجلين آخرين ألفًا[2].

قال ابن عبد البر: وقد روى عبد الله عن الشافعي وكتب كتبه لنفسه، ولبنيه. وضم ابنه محمدًا إليه[3].

وكانت بين عبد الله بن عبد الحكم وبين أصبغ منازعة ومباعدة. حتى كان يرمي كل واحد منهما صاحبه بالبهتان، فقيل لابن عبد الحكم: إن هذا الرجل قد وجب لك عليه حد، فحدّه، فأبى. وقال إن جلد صرنًا حديثًا. يقال حد فلان، بسبب فلان.

ومن تواليف عبد الله بن عبد الحكم: المختصر الكبير. يقال إنه نحا به اختصار كتب أشهب، والمختصر الأوسط والمختصر الأصغر، والمختصر الصغير قصره على علم الموطأ. والمختصر الأوسط، صنفان. فالذي في رواية القراطيسي فيه زيادة الآثار، خلاف الذي في رواية محمد ابنه، وسعيد بن حسان.

وله أيضًا كتاب الأهوال. وكتاب القضاء في البنيان. وكتاب فضائل عمر بن عبد العزيز. وكتاب المناسك. وقد اعتنى الناس بمختصراته، ما لم يعتن بكتاب من كتب المذهب بعد الموطأ والمدوّنة.

---

(١) الانتقاء - ص ١٧٥.

(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي - ص ١٤٢.

(٣) رواية ابن عبد البر: «وكتب كتبه لنفسه ولابنه محمد».

فشرح المختصر الكبير الشيخ أبو بكر الأبهري.

وللخفاف[1] فيه شرح أيضًا.

ولأبي جعفر بن الخصاص[2] عليه تعليق. نحو مائتي جزء فيما ذكر وقد رأيت بعضه.

وشرح أيضًا الشيخ أبو بكر الأبهري المختصر الصغير.

ولأبي بكر بن الجهم فيه شرح أيضًا كبير، واختصره محمد بن أبي زيد.

وآخر من شرحه من طبقة شيوخنا ابن باخي البصري.

ولمحمد بن عبد الله بن عبد الحكم في الصغير زيادة، خلاف الشافعي، وأبي حنيفة. وفيه عمل على هذا لأبي عبد الله بن عبد الرحيم البرقي. زاد على هذا قول سفيان، وابن راهويه، والأوزاعي، والنخعي، وبعضهم جعله لابنه، أبي القاسم عبيد الله بن محمد البرقي.

ولأبي الحسن علي بن يعقوب الزيات المعروف بابن رمضان، على هذا زيادة أقوال بعض الفقهاء، ممن لم يذكره البرقي، ثم لعبيد الله بن عمر البغدادي الشافعي، من أهل قرطبة المعروف بعبيد، على ما ذكر ابن رمضان، زيادة مذهب داود، وابن عُلَيّة، والليث، والطبري.

ذكر بعضهم أن مسائل المختصر الكبير ثمانية عشر ألف مسألة. وفي الأوسط أربعة آلاف مسألة.

وفي الصغير ألف ومائتا مسألة.

---

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «الحفاف» بالحاء المهملة.

(٢) تحرف في طبعة المغرب إلى: «الحصاص» بالحاء المهملة، وصوابه من جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٣/ ١١٣٤ ومن ترجمته لدى المصنف فيما يأتي.

وذكر بعضهم أن مسائل المدوّنة ستة وثلاثون ألف مسألة[1].

ذكر خبره مع ابن معين ومحنته ووفاته

ذكر الباجي، في كتابه خبره مع ابن مَعِين، فاختصرته على المعنى، وذكر أنه كان صديقًا له، وأعلمه أنه يحضر مجلسه في الغد، وأمره بالتحفظ، فغدا عليه يحيى من الغد، وهو يحدث بكتاب الأهوال، من تأليفه. فقال حدثنا فلان وفلان وذكر عدة من شيوخه بما في هذا الكتاب، فقال له يحيى: كلهم حدثك بجميع ما فيه، أو بعضهم ببعضه، فجمعت حديثهم؟ فهاب كلامه ابن عبد الحكم، ودهش، وقال: كلهم حدثني به. فقام يحيى وقال: الشيخ يكذب.

وذكر أبو العرب التميمي، في كتاب المحن، عن عبد الله بن عبد الحكم، أنه امتحن في القرآن على يد الأصم، وضرب بالسياط في مسجد مصر، أقل من ثلاثين سوطًا أيام المأمون وابن أبي دُوَاد على قضائه.

وترجم أبو العرب في الترجمة عبد الله بن عبد الحكم الكبير، وذكر في الحكاية أن فعل به هذا هو ابن عبد الحكم الكبير، وأراه ابنه فإن محنة الأصم كانت بعد موت عبد الله على ما ذكرناه، في أخبار القاضي الزهري قبل.

قال أبو عمرو الكندي: وكان القاضي عيسى بن المنكدر قد كتب إلى المأمون كتابًا في شأن المعتصم أخيه، لما ولاه مصر. فعرضه المأمون على المعتصم. فلما ورد المعتصم مصر عزل ابن المنكدر، وسجنه إلى أن مات في سجنه ببغداد، رحمه الله تعالى. وسجن عبد الله بن عبد الحكم بالتهمة في هذا الكتاب، إذ كان الغالب على ابن المنكدر وصاحب مسائله، وكان أشار على ابن المنكدر ألا يفعل فعصاه.

---

(١) بعد هذا في طبعة المغرب: «وألف أيضًا كتاب الأصوال» وهو تكرار لما سبق.

فمرض عبد الله فمات لإحدى وعشرين ليلة خلت من رمضان، سنة أربع عشرة ومائتين، وهو ابن ستين سنة.

قيل مولده بمصر سنة خمس وخمسين. وقيل سنة ست في السنة التي ولد فيها الحارث بن مسكين، وعبد الله أكبر منه بشهرين. وقيل سنة خمسين ومائة. وإليه أوصى ابن القاسم وابن وهب وأشهب.

١١٤ - أبوه عبد الحكم

يكنى أبا عثمان، له عن مالك مسائل في المدبر وغيرها. وتوفي سنة إحدى وتسعين ومائة.

وأما بنوه فسيأتي ذكرهم بعد هذا إن شاء الله تعالى.

١١٥ - يحيى بن عبد الله بن بُكَيْر أبو زكريا[1] المخزومي

مولاهم، قال الكندي: هو مولى عمرة مولاة أم حجر بنت أبي ربيع بن المغيرة بن عبد الله بن عَمْرو بن مخزوم.

وقال ابن وزير: ثلاثة من أهل مصر لا يعرف لهم ولاء صحيح: ابن بكير، وأصبغ، وابن عفير.

قال الكندي: كان ابن بكير، فقيه الفقهاء بمصر في زمانه ولاه القاضي العمري مسائله مع أشهب.

سمع من مالك موطأه، وغير ذلك ومن الليث بن سعد، والعطّاف بن

---

١١٤ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/ ٦١٢ وما بحواشيه من مصادر.

١١٥ - من مصادر ترجمته: تهذيب الكمال ٣١/ ٤٠١، وحسن المحاضرة ١/ ٣٢١، والديباج المذهب ٢/ ٣٤٠.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «بن زكريا» وصوابه من مصادر الترجمة.

خالد، وابن لَهِيعَة، وبكر بن مُضَر، ومُفَضَّل بن فضالة، والمغيرة بن عبد الرحمن، وابن وهب.

روى عنه البخاري وخرج عنه في صحيحه، وأبو إبراهيم، والزهري، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، وأبو داود السجستاني، وعلي بن عمر التميمي، والرمادي، وأبو زرعة، ويونس بن عبد الأعلى، والذهلي.

قال أحمد بن عبد الله الكوفي: كنت آتي ابن عبد الحكم فيمر به ابن بكير، ويسلم عليه، ويقول: شيخنا ابن بكير، ومحدث بلدنا، ويتبعه ثناء حسنًا.

ذكر عن يحيى بن معين أنه قال: شر العرضات عرضة ابن بكير، وكان حبيب يصفح له ورقتين في ورقة.

وهذه الحكاية باطلة والله أعلم، لأن مالكًا رحمه الله تعالى ومن حضره، لم يصح جواز مثل هذا عليهم لحفظهم حديث الموطأ. وقد أنكر هذا بعض أصحاب مالك الجلة: وقال: إنما كانت عرضتنا على مالك ورقتين، من الموطأ. فكيف يصح هذا؟

قال الباجي: تكلم بعض أهل الحديث في سماعه للموطأ، وأنه إنما سمعه بقراءة حبيب وهو ثبت في الليث.

وقد روى عنه من طريق بقي بن مخلد وغيره أنه سمعه من مالك بضع عشرة مرة، وأن بعضها بقراءة مالك.

قال أبو أحمد بن عديّ: هو أثبت الناس في الليث.

قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به. كان يفهم هذا الشأن.

ذكر ليحيى بن معين، يحيى بن بكير فقال: ثقة إلا أن حديثه عن ابن وهب لم يكن جيد القراءة له. وضعّفه النسائي.

وذكر ليحيى بن معين أيضًا فقال: لا صلى الله عليه. دخلت عليه بمسجده فلما رآني سجد. وقال ما كنت أرى أنك تأتيني. وأراه لم يحدث عنه بغير هذه القصة.

وذكر ابن باز: قرأ لنا يحيى بن بكير بمصر كتابًا كان يرويه عن عبد الله ابن لهيعة من حديثه. فلما فرغ من قراءته قال للناس: اسمعوا هذا الكتاب سمعته من ابن لهيعة بعدما اختلط.

روى عنه من أهل الأندلس وإفريقية والغرب جماعة، منهم: يحيى بن عمر، وفرات بن محمد، وإبراهيم بن باز.

توفي في مصر سنة إحدى ويقال اثنتين وثلاثين ومائتين.

مولده سنة ثلاث وخمسين.

١١٦ - عبد الملك بن مَسْلَمة بن يزيد مولى بني أمية

أصله من لُوبْية[1]، يكنى أبا مروان. قال أبو عمر الكندي: وكان فقيهًا من أصحاب مالك.

مولده سنة أربعين ومائة.

وتوفي سنة أربع وعشرين ومائتين.

---

١١٦ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/ ٧٩٣ وما بحواشيه من مصادر.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «نوبية» وصوابه من الجمهرة.

١١٧ - يونس بن تميم بن يونس

مولى زوف بن مراد أبو معاذ.

قال الكندي: كان فقيهًا، وذكر ابن شعبان وابن مفرج روايته عن مالك.

توفي سنة خمس عشرة ومائتين.

١١٨ - هاني بن المتوكل بن إسحاق بن إبراهيم بن حرملة

مولى بني شبابة، من فهم. نزل بالإسكندرية. وذكر له رواية عن مالك.

قال الكندي: كان مفتيًا سنيًا.

توفي سنة إحدى وأربعين ومائتين.

مولده سنة ثمان وثلاثين ومائة.

١١٩ - سعيد بن الحكم بن محمد بن أبي مريم الجُمَحي

قال الكندي: مولى أبي الصَّبِيغ، مولى بني جُمَح. كنيته أبو محمد. كذا نسبه الكندي، وكذا قال البخاري، وأبو حاتم.

وحكى اللالكائي عن غيرهما: سعيد بن محمد بن الحكم، يروي عن

---

١١٧ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٣/ ١٤٠ وما بحواشيه من مصادر.

١١٨ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٣/ ١٣١١ وما بحواشيه من مصادر.

١١٩- من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ١/ ٥٢٠ وما بحواشيه من مصادر.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «مولى أبي فطيمة» وصوابه لدى المزي ١٠/ ٣٩١.

مالك، وعبد الله العُمريّ، وابن عُيَيْنة، والليث، وابن وهب، وسليمان بن بلال وغيرهم.

روى عنه ابن معين، والذهلي، وأبو عُبيد، ومحمد بن إسحاق الصاغاني، والبخاري وأبو حاتم. ويعقوب بن سفيان. وأخرج عنه البخاري ومسلم.

ويقال إنه سمع الموطأ من مالك، وله عنه حديث كثير وغير ذلك.

قال الكندي: كان فقيهًا من أهل الفضل والدّين.

قال ابن معين فيه: ثقة.

وقال أبو حاتم: مثله. وقال يحيى أيضًا: هو ثقة الثقات.

وسئل أحمد بن حنبل عمن يكتب بمصر؟ فقال: عن ابن أبي مريم.

وقال أحمد بن عبد الله الكوفي: هو ثقة، وأثنى عليه ابن أيمن، والأعناقي.

وذكره ابن وضاح، فذكر من فضله وثقته، فأطنب فيه. وقال: هو ثقة الثقات، كتبت عنه بمصر مسألتين لا غير.

قال ابن وضاح: وسمعت ابن أبي مريم يقول: كان لأبي طوماران[1] يكتب في أحدهما شهادته، وفي الآخر أيمانه.

قال بعضهم كنا عند سعيد بمصر، فأتاه رجل فسأله كتابًا ينظر فيه، أو سأله أن يحدثه فامتنع عليه، وسأله رجل آخر فأجابه. فكلمه الأول في ذلك وقال: ليس هذا من الحق أو نحوه.

---

(١) طوماران: أي صحيفتان.

فقال ابن أبي مريم: إن كنت تعرف من الشيباني من السيباني وأبا حمزة من أبي جمرة، وكلاهما عن ابن عباس، حدثناك وخصصناك كما خصصنا هذا.

قال الكوفي: كان له دهليز طويل، يقف الرجل فيسلم عليه، فيقول: سلم الله عليك، وفعل وصنع ويظن الآخر أنه يردّ عليه، فأقول: ما هذا؟ فيقول: قدري خبيث. ثم يأتي آخر، فيفعل به مثله.

فأسأله، فيقول: جهمي خبيث، أو رافضي خبيث. وكان عاقلاً لم أرَ بمصر أعقل منه، ومن ابن عبد الحكم.

قال البخاري: توفي سنة أربع وعشرين ومائتين.

مولده سنة أربع وأربعين ومائة.

١٢٠ - عبد الرحمن بن أبي جعفر الدمياطي

قال أبو إسحاق ابن شعبان: روى عن مالك وأسند عنه.

قال ابن أبي دليم، وابن حارث: سمع من أكابر أصحاب مالك، كابن وهب، وابن القاسم، وأشهب. وله عنهم سماع مختصر، مؤلف حسن. رواه عنه يحيى بن عمر، وغيره. وهذه الكتب معروفة باسمه، تسمى بالدمياطية.

قال الشيرازي: تفقه بأشهب، وابن وهب، وابن القاسم، ومطرف، وعبد الملك، وابن نافع[1].

---

١٢٠ - من مصادر ترجمته: حسن المحاضرة ١/ ٤١٥، وطبقات الشيرازي - ص ١٤٥.

(١) طبقات الشيرازي - ص ١٤٥.

وقد روى عن الفضيل بن عياض.

قال الدمياطي: أتينا الفضيل نسمع منه، فلم يخرج إلينا. فقلنا لرجل كان معنا، حسن الصوت بالقرآن: اقرأ، فخرج إلينا، وإن الدموع على لحيته يبكي. فقال مالي ولكم، آذيتموني. العلم تريدون؟ تركتموه والله، كتاب الله.

وروى عنه يحيى بن عمر والوليد بن معاوية، وعبيد بن عبد الرحمن وغيرهم. وتوفي سنة ست وعشرين ومائتين.

١٢١ - عبد الله بن محمد بن إسحاق البَيْطَارِيّ

نسب إلى ذلك، لأنه كان ينزل عند بلال البيطار، مولى لقيس. كنيته أبو محمد.

قال أبو عُمر الكندي: كان فقيهًا، ولقي مالكًا. توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين.

١٢٢ - بلال بن يحيى بن هارون الأسواني

من بني أمية. قال الكندي: من أصحاب مالك، وذكره فيهم. وكان مقبولاً عند قضاة مصر. وغمصه ابن عُفَير بما يقال في أهل اسوان.

١٢٣ - محمد بن رُمْح بن المُهاجر بن المحرز بن سلام التجيبي

مولاهم، أبو عبد الله. ويقال أبو بكر، صحب مالكًا، وسمع الليث والمُفَضّل، وابن لهيعة.

---

١٢١ - من مصادر ترجمته: الأنساب ٢/ ٣٧٠.

١٢٢ - من مصادر ترجمته: الطالع السعيد - ص ١٧٤.

١٢٣ - من مصادر ترجمته: التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة ٣/ ١٥٠٩، وتهذيب التهذيب ٣/ ٥٦٢، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٢٠٥.

حدث عنه مسلم، وعلي بن الحسن بن المنذر، وخازم[1] بن يحيى الحلواني، وابن وضاح، والحسن بن سفيان، وابن زبّان، وغلبت عليه الرواية. وهو ثقة مأمون.

قال الكندي: خرج له مسلم في صحيحه كثيرًا.

قال ابن الجُنَيد: وكان رجلاً صالحًا، أوثق من ابن زُغْبَة[2]. قال ابن ريان: هو ثقة.

قال ابن وضاح: هو نعم الشيخ.

قال الكندي: كان فقيهًا.

قال، ابن رمح. اختلف عندنا في مالك والليث - فذكر من اختلافهم شيئًا غاظه - حتى كانوا أحزابًا. فرأيت النبي ﷺ، في النوم. فقلت يا رسول الله: اختلف عندنا في مالك والليث. فما ترى؟ فقال: مالك ورث جدي.

قال الحسن بن علي الأشناني: قال قائلون: جدي، يعني إبراهيم الخليل ﷺ. وقال آخرون: الدين وقال آخرون: السنة.

وقال أبو عمر الكندي في كتاب القضاة: كان أبو بكر الأصم قاضي مصر، قد أخذ أهلها، بترك لباس القلانس الطوال، وكانت زي شيوخهم، وفقهائهم وعدولهم. وقال لهم: لا تشبهوا بلباس القاضي فلم ينتهوا. فاجتمعوا مرة عنده، في الجامع. فأمر الأعوان بضرب رءوسهم حتى ألقوها.

---

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «حازم» بالحاء المهملة وصوابه لدى المزي.

(٢) في طبعة المغرب: «قال ابن الجيزي: كان رجلا صالحا أوثق من ابن زرعة» وهو تحريف قبيح، صوابه لدى المزي وابن حجر.

فكان الصبيان يلعبون بها، ولم يلبسوها في مدته، إلا ابن رمح فإنه ثبت على لباسها فلم يعارض[1].

توفي في شوال سنة اثنتين وأربعين ومائتين. وقال الكندي: ثمان وأربعين. مولده سنة اثنتين وخمسين

* * *

(١) الولاة والقضاة - ص ٤٦٠ - ٤٦١.

obeikandl.com

ومن أهل الأندلس:

١٢٤ - يحيى بن يحيى الليثي

قال القاضي أبو الوليد بن الفرضي[١]: يحيى بن يحيى بن كثير بن وِسْلاَس[٢] شَمَّال[٣] بن مَنْغَايَا[٤]. يكنى أبا محمد.

قال الأصيلي: ويحيى أبوه هو المكنى بأبي عيسى، وهو من مصمودة طنجة ويتولى بني ليث. ولا يعلم على الصحة سبب ذلك.

قال الرازي في كتاب الاستيعاب: هو من مصمودة من مضارة قبيل منها.

دخل يحيى بن وسلاس، مع ابن أخيه نصر بن عيسى في جيش طارق، وأسلم وسلاس جدهم، على يد يزيد بن عامر الليثي، ليث كنانة. فهذا-والله أعلم-سبب انتمائهم إلى ليث.

قال الرازي: ثم دخل بعدهما كثير بن وسلاس، وهو جد يحيى. وولي ابنه يحيى الجزيرة، وشذونه. وطلب يحيى ابنه العلم.

وقال أبو عمر بن عبد البر، وكثير هو المكنَّى بأبي عيسى. وهو الداخل إلى الأندلس، وكانوا يعرفون ببني أبي عيسى[٥].

---

١٢٤ - من مصادر ترجمته: الانتقاء - ص ١٠٥، وتاريخ ابن الفرضي ٢/١٧٦، ووفيات الأعيان ٦/١٤٣، ونفح الطيب ٢/٩.

(١) تاريخ ابن الفرضي ٢/١٧٦.

(٢) بكسر الواو وسينين مهملتين الأولى منهما ساكنة وبينهما لام ألف، قيده ابن خلكان.

(٣) بفتح الشين المعجمة وتشديد الميم وبعد الألف لام، قيده ابن خلكان.

(٤) بفتح الميم وسكون النون، وفتح الغين المعجمة وبعد الألف ياء معجمة باثنتين من تحتها وبعدها ألف مقصورة، قيده ابن خلكان.

(٥) الانتقاء - ص ١٠٥.

ذكر ابتداء طلبه العلم ورحلته

قال الرازي: كان سبب طلب يحيى بن يحيى العلم، أنه كان يمر بزياد، وهو يقول على أصحابه، فيميل إليه، ويقعد عنده، فأعجب ذلك زيادًا، وأدناه يومًا، وقال له: يا بني إن كنت عازمًا على التعلم فخذ من شعرك وأصلح زيك - وكان بزي الخدمة - ففعل يحيى ذلك، فسُرَّ به زياد واجتهد في تعليمه حتى برع تلاميذه.

ثم قال له زياد بعد مدة: إن الرجال الذين حملنا العلم عنهم، باقون، وعجز بك أن تروي عمن دونهم.

فخرج يحيى، بعد أن استسلف زياد له مالاً. إذ رغب من مال أبيه، فحج وسمع مالكًا، والليث. وكان لقاؤه لمالك سنة تسع وسبعين. السنة التي مات فيها مالك. وانصرف إلى الأندلس، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى هلك أبوه بعمله بالجزيرة. فأخذ ما طاب من مال أبيه، ثم عاد، فحج ولقي جلّة أصحاب مالك، ثم انصرف.

وذكر مثل هذا ابن حارث: وأنه كانت ليحيى رحلتان من الأندلس. سمع في أولهما من مالك والليث وابن وهب، واقتصر في الأخرى على ابن القاسم وبه تفقه.

قال ابن الفرضي وأبو عمر بن عبد البر وغيرهما - وبعضهم يزيد على بعض -: سمع يحيى من زياد لأول نشأته، موطأ مالك بن أنس، وسمع من يحيى بن مُضَر. ثم رحل وهو ابن ثمان وعشرين سنة. فسمع من مالك الموطأ، غير أبواب في كتاب الاعتكاف، شك فيها، فبقي يحدث بها عن زياد. وسمع من نافع بن أبي نعيم القارىء، والقاسم بن عبد الله العُمَري،

وحسين بن ضُمَيْرة، وعبد الله بن نافع، وسمع بمكة من سفيان بن عيينة، وبمصر من الليث بن سعد، وعبد الله بن وهب، موطأة وجامعه. وسمع من ابن القاسم مسائل، وحمل عنه عشرة كتب. فكتب سماعه[1].

قال أبو عمر: ثم انصرف إلى المدينة، ليسمعه من مالك. فوجده عليلاً. فأقام بالمدينة إلى أن توفي مالك رحمه الله تعالى، وحضر جنازته[2].

وقدم الأندلس بعلم كثير، فعادت فتيا الأندلس بعد عيسى بن دينار إلى رأيه، وقوله. وأخذ عليه في روايته في الموطأ، وفي حديث الليث وغيره، أوهام نُقلت وكُلِّم فيها، فلم يغير ما في كتابه، واتبعه الرواة عنه. وقد عرفها الناس، وبينوا صوابها. وأما ابن وضاح، فإنه أصلحها ورواها الناس عنه على الإصلاح. وكان يفتي برأي مالك، لا يدع ذلك إلا في مسائل نذكرها بعد.

قال الشيرازي: رحل يحيى بن يحيى إلى مالك، وهو صغير، وتفقه بالمدنيين والمصريين من أصحابه[3].

قال أبو عبد الملك بن عبد البر[4]: وبه وبعيسى بن دينار، انتشر مذهب مالك، وانتمى الناس إلى سماع الموطأ، من يحيى. وأعجبوا بتقليده، فقلّدوه، وتبعوه.

قال ابن الفرضي: وسمع منه رجال الأندلس في وقته. وكان آخر من حدث عنه ابنه عُبيد الله[5].

---

(١) الانتقاء - ص ١٠٦.

(٢) الانتقاء - ص ١٠٦.

(٣) طبقات الشيرازي - ص ١٤٣.

(٤) هو أحمد بن محمد بن عبد البر أبو عبد الملك، ألّف تاريخ الفقهاء والقضاة بقرطبة.

(٥) تاريخ ابن الفرضي ٢/ ١٧٧.

ذكر شيء من فضائله وأخباره

قال أحمد بن خالد: لم يعط أحد من أهل العلم بالأندلس، منذ دخلها الإسلام من الحظوة، وعظم القدر وجلالة الذكر، ما أعطيه يحيى بن يحيى. وكان الأمير عبد الرحمن بن الحكم يبجله، تبجيل الأب، ولا يرجع عن قوله، ويستشيره في جميع أمره، وفيمن يوليه ويعزله، فلذلك كثر القضاة في مدته. وكان يفضل بالعقل على علمه.

وألح عليه الأمير عبد الرحمن في ولايته القضاء، فأبى عليه. فوكل عليه من يقعده في الجامع، وقال للناس: هذا قاضيكم. فأبى من الحكم. فقال لهم يحيى: إن المكان الذي أنا فيه أنفع وخير لكم مما تريدون. أنا إذا تظلم الناس من قاض أجلستموني، فنظرت لكم في أحكامه. وإذا كنت قاضيًا فتظلم مني كما يتظلم من القضاة من تقصدون ينظر في أحكامي؟ فكفوا عنه.

قال ابن لبابة: فقيه الأندلس عيسى، وعالمها ابن حبيب، وعاقلها يحيى ابن يحيى.

قال الشيرازي: إليه انتهت الرئاسة بالأندلس في العلم. وكان مالك يعجبه سمت يحيى وعقله.

روي عنه إنه كان عنده يومًا جالسًا في جملة أصحاب مالك، إذ قال قائل: قد حضر الفيل.

فخرج أصحاب مالك كلهم لينظروا إليه، فقال له مالك: مالك لم تخرج فتراه، إذ ليس بأرض الأندلس؟

فقال له يحيى: إنما جئت من بلدي، لأنظر إليك، وأتعلم من هديك وعلمك، لا إلى النظر إلى الفيل. فأعجب به مالك وسماه العاقل.

قال أبو عمر بن عبد البر: كان يحيى إمام أهل بلده المقتدى به، المنظور إليه، المعول عليه. وكان ثقة عاقلاً، حسن الهَدْي والسَّمْت يُشَبَّه في سمته مالك. ولم يكن له بصر بالحديث(١).

قال إبراهيم بن باز: والله الذي لا إله إلا هو، ما رأيت أوقر من يحيى ابن يحيى قط. ما رأيته يبصق، ولا يسعل في مجلسه، ولا يتحرك عن حاله، وكان أخذ بزي مالك وسمته.

قال يحيى: لما ودعت مالكًا سألته أن يوصيني. فقال لي: عليك بالنصيحة لله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم، ثم قدمت على الليث، فلما حان فراقي إياه، قلت له مثل مقالتي لمالك. فقال لي مثل قوله سواء.

قال ابن حارث: كان يحيى لا يرى القنوت في الصبح، ولا غيرها، اقتداء بالليث أيضًا. وخالف أيضًا مالكًا بالأخذ باليمين مع الشاهد، فلم ير القضاء به. وأخذ بقول الليث أيضًا فيه. وقضى بدار أمين إذا لم يوجد من أهل الزوجين حكمان. ورأى كراء الأرض بما يخرج منها، على مذهب الليث(٢).

وذكر أبو عبد الملك بن عبد البر، أن يحيى كان لا يرى الحكمين، وأن ذلك مما أنكر عليه. وكان يأتي الجمعة معتمًا راجلاً.

وحكى عبيد الله بن يحيى عن أبيه، قال: كنت مع الحاجب عبد الكريم

---

(١) الانتقاء - ص ١٠٩.

(٢) الانتقاء - ص ١٠٦ - ١٠٧.

ابن مغيث في الغزو يوم أربونة، ومعي صاحبي سعيد بن محمد ابن بشير، وكان يكرمنا ويرسل إلينا، ويستشيرنا. وربما استخصني، بالإرسال، حتى قلت له: لا تفعل، فربما أحفظ ذلك صاحبي.

ووجّه إلي يومًا بصلة مائة دينار. وإلى سعيد بمثلها. فصرفتها إليه، وقلت له: أما أنا فمستغنٍ عنها، بحمد الله. ولكن اجمعها لصاحبي لحاجته إليها. فلما فتح الله على المسلمين، وقفلنا، قال لي يومًا: يا أبا محمد، أردت أن أكرمك أنت وصاحبك، فأمكن بكما الأندلس. قلت: وبم ذلك؟ قال بأن أسمعكما سماعًا حسنًا عندي.

قلت: أنت والله تريد إهانتنا، لا إكرامنا. فقال لي: يا أبا محمد لا تظن إلا خيرًا. فما كان رأي من قبلك، إذا تبلغ في تكريمهم حتى يفعل ذلك بهم.

فقلت لا جزاهم الله خيرًا عن أنفسهم، ولا عنك، فقد والله خانوا الله ورسوله. فخجل واعتذر.

وذكر أحمد بن عبد البر، أن قاضيًا من قضاة قرطبة - سماه - جميل المذهب، كان أشار بن يحيى بن يحيى، فكان طاعة له في قضائه، لا يعدل عن رأيه، إذا اختلف الفقهاء عليه، فاتفق إن وقعت قصة تفرد فيها يحيى وخالفه جميعهم، فأرجأ القاضي القضاء فيها، حياء من جماعتهم، وردفته قصة أخرى، شاوره فيها أيضًا، فلما أتى كتاب يحيى وقد أحقده توقفه على إنفاذ الأولى، صرفه على رسوله، وقال: ما أفك له ختامًا، ولا أشير عليه بشيء، إذ قد توقف عن القضاء لفلان بما أشرت عليه به، وعابه.

فلما انصرف إليه رسوله، وعرفه بقوله، قلق منه وركب من فوره إلى

يحيى معتذرًا وقال له: لم أظن الأمر وقع منك هذا الموقع. وسوف أقضي له غد يومي إن شاء الله.

فقال له يحيى: وتفعل ذلك صدقًا؟ قال: نعم. قال له: فالآن هيجت غيظي، فإني ظننت إذ خالفني أصحابك، إنك توقفت مستخيرًا الله، متحريا في الأقوال. فأما إذا صرت تتبع الهوى وتقضي برضى مخلوق ضعيف، فلا خير فيما تجيء به، ولا فيّ إن رضيته منك. فاستعف من ذلك، فإنه أستر لك، وإلا رفعت في عزلك، فرفع يستعفي، فعزل.

قال عبيد الله بن يحيى: قال لي أبي: لما قام الناس على قاضي قرطبة يحيى بن معمر وتشاهدوا فيما كتب عليه، أتاني سعيد بن حسان فقال لي: ما ترى في الشهادة عليه؟ فقلت له: لا تفعل، وانتظر أن تكون مشاورًا في شهادة غيرك. فتكون فتواك أنفذ من شهادتك.

فغلبته الشهوة، وخالفني، فشهد فجاءني كتاب الأمير يقول: تصفحت الشهادة على فلان فلم أرَ لك فيه شهادة. وقد وجهت إليك بكتاب الشهادات عليه، فتصفحها وأكتب إلينا برأيك إن شاء الله.

فأجابه يحيى: ما عندي من أخبار الرجل علم، لأنه لم يكن يحضرني في مجلسه، ولا يشاورني في أحكامه، فأما الشهادة الواقعة عليه فقد تصفحتها، ولو شهد على مالك والليث رحمهما الله تعالى بمثلها ما رفعا بعدها رأسًا. فعزل لحينه.

قال يحيى: وأخبرني الليث أنه أخذ بركاب ربيعة. فقال له ربيعة: يا ليث: خدمك العلم.

قال يحيى وإنما أراد ربيعة أن يبلغ مبلغ الكرامة.

فما خرج يعني الليث من الدنيا حتى رأى ذلك.

قال يحيى: وأخـذت أنا بركاب الليث. فقال لي: أقـول لك ما قال لي ربيعة: خدمك العلم يا يحيى.

قال يحيى بن إسحاق: وذكر يحيى بن يحيى حديثًا يرويه عن يحيى بن أبي كثير، أنه قال: لا يستطاع العلم براحة الجسم.

قال: وإن رجلاً ممن بلغه هذا الحـديث من طلبة العلم، ذكره وهو على بطن امرأته، قبل أن يفضي إليها. فأخذ دفترًا من العلم ينظر فيه.

قال يحـيى: ولقد طلبت هذا الأمر يـوم طلبته ومـا أريد به إلا نفسي. حتى هيّأ الله ما هيأ. فعلمت أن النـاس يحتاجون إلي، ولقد تقت إلى النساء أيامي مع ابن القاسم بمصر، فـاشتريت جارية بها. فوالله مـا رأيت لها وجهًا نهارًا طول ما أقامت عندي، حـتى بعتها اشتغالاً بـابن القاسم وعلمه. وكان ابن القاسم موضع دلك وأهله، في ورعه وإمامته.

فقيل لي: يا أبـا محمد، فتـمني هذا الأمر، مما يفسد النيّـة؟ فقال: لا والله. وما عقل من لم يتـمن ذلك، قال الله تعالى: ﴿...وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان]. قال يحيى: كنت آتي عبد الرحمن بن القاسم، فيقول لي من أين يا أبا محمد؟ فأقول له: من عنـد عبد الله بن وهب. فيقول لي: اتق الله، فإن أكثر هذه الأحاديث ليس عليها العمل. ثم آتي عبد الله بن وهب، فيقول لي من أين؟ فأقول لـه: من عند ابن القاسم، فيقول لي: اتق الله يا أبا محمد، فإن أكثر هذه المسائل رأي.

ثم يرجع يحيى فيقـول: رحمهما الله فكلاهما قد أصـاب في مقالته. نهاني ابن القاسم عن اتباع ما ليس عليـه العمل من الحديث وأصاب. ونهاني

ابن وهب عن غلبة الرأي، وكثرته، وأمرني بالاتباع وأصاب.

ثم يقول يحيى: اتباع ابن القاسم في رأيه رشد. واتباع ابن وهب في أثره هدى.

وكان يحيى جمع مسائل، سأل عنها أشهب وابن نافع وغيرهما من أصحاب مالك، وكتبها عنهم. فعرضها على ابن القاسم، ليرى فيها مذهبه، فجعل ابن القاسم ينتقص عليهم، فلما رأى يحيى ذلك طوى كتابه، وأدخله في كمه. فقال له ابن القاسم ما بالك؟ قال: إن هؤلاء لهم علي حق كحقك، وقد كتبت عنهم ولم أرد أن أعرّض بهم للوقوع فيهم. فإذا كان هذا فلا حاجة لي بذلك، ومثله له معه في سماع زياد. وقد ذكرناه، في خبره.

ووقع الأمير عبد الرحمن على جارية له في يوم من رمضان ثم ندم، وبعث في يحيى وأصحابه، فسألهم. فبادر يحيى وقال: يصوم الأمير، أكرمه الله شهرين متتابعين.

فلما قال ذلك يحيى: سكت القوم. فلما خرجوا سألوه لم خصه بذلك دون غيره مما هو فيه، مخير من الطعام والعتق؟ فقال لو فتحنا له هذا الباب وطىء كل يوم وأعتق. فحمل على الأصعب عليه لئلا يعود.

ذكر فصول من كلامه، وحكمه وأخبار من تنزهه وعقله وزيه

وكتب إلى يحيى رجل من قريش، يسأله عن حنث شك فيه، وأنه لم يرض مسألة غيره.

فكتب إليه: أرى لك أن تتورع عنها، ولا تهونن الناس عليك، فتكون عليهم أهون، والسلام.

وقال لآخر سأله عن مسألة حنث وقعت في مجلسه: لا ينبغي لك أن تسأل العلماء عن كل ما يحضر مجلسك، مما لا ينبغي أن يحرج دينك، فإنه أزين لك والسلام.

وجمع بعض أصحاب يحيى وفوده على ابن القاسم، فأراد أن يقرأها عليه، فتعظم ذلك وأبى منه.

فقيل له: أو ليست حسنة؟ فقال: أنا لا أحبّ كل حسن أكون فيه مخالفًا لمالك وابن القاسم. ثم لم يمكن من عرضها عليه.

وكان يحيى يقول: تعاونوا على قطع المعانقة. وأول من أحدثها عنّا النساء والصبيان والخصيان.

وقيل ليحيى: قال الحسن: لولا الحمقى ما عمرت الدنيا. فقال، يحيى: لكني أقول: لولا الحلماء ما عمرت الدنيا.

وقيل له، قال سفيان الثوري: ما أخاف على نفسي إلا القراء والفقهاء. ما أنا قلته، قاله إبراهيم النخعي.

فجعل يحيى يتعوذ ويقول: اللهم لا تخف بنا أحدًا من خلقك، مرارًا.

ثم قال: إن رجلاً يخيفه الله خيار خلقه، رجلُ سوءٍ.

وكان يحيى يقول: أدخل الحشمة بينك وبين الناس. فإنه أوقر لحرمتك.

وسأله رجل في غير مجلسه عن مسألة فأنكر ذلك، وقال: إذا جلست مجلس السائل والمجيب، أجبناك.

وقيل له: لم لا تنبسط في الملإ كانبساطك في الخلا؟

فقال: لو فعلت ذلك لتلوعب بين يدي، وأنا أحب أن يقتدي بي كما اقتديت بغيري.

وأراد أن يجاوب في مسألة، فاستمد فلم يجد المداد، ثم تكرر فلم يمكنه. فقال له رجل إلى جنبه: هذه الدواة. يا أبا محمد!

فقال: لو كان لكان.

فضم الفتى الدفتر إلى وجهه، وتبسم، ولحظه يحيى ثم قال: لو جلست في بيتك كان أستر لك.

وقال: من أراد أن يعمل بما يقول، اقتصد. ومن لم يرد ذلك لم يبال ما يقول.

وكان يحيى يعجب بكلمة حكمة قالها له الحاجب عبد الكريم بن مغيث. وقال له يحيى مرة إني أريد أن أكلمك بشيء يرق وجهي عنك فيه شديدًا. فقال له: يا أبا محمد: كل شيء تبلغ الحشمة منك فيه هذا، فضعه عن نفسك.

وكان يحيى يعجبه ويقول: ما أزين الحلم بالرجال.

وسمع يحيى بن يحيى يقول في قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ... ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف]. قال: لباس التقوى، السكينة والوقار وحسن السمّت.

ثم يرجع يحيى فيقول: مع العمل بما يشبه ذلك.

وسئل عن الزهد في الدنيا، فقال: من لم يرض منها إلا بالحلال فهو فيها زاهد، وإن كان عليها مكبًا حريصًا.

وقال: من جاءه الموت وهو يطلب العلم، لم يكن بينه وبين الأنبياء في الجنة إلا درجة.

وذكر يحيى أصحاب الأعراف فترجع واسترجع، وقال: قوم أرادوا وجهًا من الخير، فلم يصيبوه.

فقيل له: أفيرجى لهم مع ذلك لسعيهم ثواب؟ فقال: ليس في خلاف السنة رجاء ثواب.

وقال قوم ليحيى: يا أبا محمد، لو توكلنا على الله حق توكله، لأتانا بالرزق إلى بيوتنا، كما يأتي الطير.

قال: والله ما كان يأتي عيسى بن مريم البقل البري حيث هو جالس، حتى يخرج إليه إلى الصحراء يلتمسه.

وقيل ليحيى: إن من مضى كان يتمنى الفقر، فأنكر ذلك، وقال: لا ينبغي لمن يعقل أن يتمنى ما تعوذ منه نبيه ﷺ.

وكان يحيى يلبس الوشي الرفيع، يريد القطني، ثمنه المال العظيم، في الأعياد والدخول على الأمراء.

وقال الأمير محمد: ركبت يومًا في حياة أبي، فلقيت يحيى بن يحيى، فراكبني ثم ضرب على يدي، وقال لي: إن هذا الأمر صائر إليك، فاتق الله في عباد الله. فكانت في نفسي حتى صرت إليه، ووليت الأمر بعده.

محنة يحيى بن يحيى رحمه الله تعالى

كان يحيى ممن اتهم بالإجلاب بالهيج بقرطبة، على الأمير الحكم بن هشام. فلما أظفره الله بالقائمين عليه، واستباحهم، ثم أجلى بقيتهم، كان ممن فر عنه: عيسى بن دينار، ويحيى بن يحيى.

فذكر أن يحيى بن يحيى خرج مع أخيه فتح - وكان رأسًا في أصل الخلاف - متنكرين على باب اليهود بقرطبة، يريدان الفرار، وقد أنذر الأمير

أهل الأبواب أن يقتلوا كل من اجتاز بهم، ممن ينكرونه، فعدل أخو يحيى إلى كبير أولئك البوابين، لصداقة كانت بينه وبينه. وثق بها منه، ليودعه ويوصيه بمن يخلفه. وقد نهاه أخوه يحيى عن ذلك.

فلما دنا منه، كشف له عن وجهه وطلب خلوته. فساعة وقعت عينه عليه قبض عليه، وأمر بضرب عنقه، ويحيى ينظر بناحيته فتزايد ذعره، وبالغ في تنكر نفسه.

ونزل من مصمودة، قومه في طريقه. فراموا الفتك به، لأخذ ما كان على بطنه من المال. فأنذرته ابنة أحدهم بذلك. فلما اجتمعوا معه للعشاء قام كأنه يريد حاجة، وركب رَمكة[1] وجدها في الدار سائبة عريًا، فنجا عليها.

فلما أبطأ عليهم خرجوا فوجدوه قد فات، وسار إلى أن نجا. فلحق بطليلة وردّ رمكتهم، فتقبله أهلها وأجاروه.

وكان مجيره المعروف بأبزي وطالبهم الأمير الحكم، بإسلامه إليه. فلم يفعلوا ومنعوه بعزة أنفسهم.

فأتاه كتاب الأمير أخيرا في الرجوع إلى وطنه، وبذل له الأمان، ويرد إليه متاعه وماله، وكان يحيى قد كتب اليه في ذلك فاستجاب له، وعاد إلى قرطبة أخريات أيام الحكم، فلم يزل تحت كرامته بقية أيامه، وأيام ولده، وعرض جاهه وشهر فضله وعلمه.

ولما انصرف إلى قرطبة، باع جميع عبيده، واستبدل بهم. فقيل له في ذلك، فقال: نكره أن يصحبنا من عرف ما دار علينا، من الهرب والذل. وامتدت أيامه، إلى أن توفي، لثمان بقين في رجب، سنة أربع وثلاثين ومائتين، فيما قاله ابن الفرضي.

---

(١) الرمكة: بفتح الراء والميم، الفرس أو البرذونة تتخذ للنسل.

وقال الرازي عشية يوم الأربعاء لثمان بقين من ذي الحجة.

وقيل إنما توفي سنة ثلاث وثلاثين. حكاه أبو عمر الحافظ.

وكان سنّه يوم توفي: سنتين وثمانين سنة. وترك ابنين يأتي ذكرهما.

ولما مات يحيى، أسند وصيته إلى القاضي محمد بن زياد بن ربيع، أجل خاصته. وهو الذي صلى عليه بعد موته.

فذكر أن ابنه الأصغر عبيد الله كان قدّمه، وأن ابنه الأكبر، إسحاق، تقدم بتقدمه للصلاة عليه، يكبر بتكبيرابن زياد، ويسلّم بتسليمه.

فلما ووري يحيى، أنكر ابن الزياد على إسحاق ما فعله، ووبخه، وقال له: ما أقدمك على هذا؟ فقال له إسحاق: ومن أقدمك أنت على أبي؟ فقال ابن زياد: أمر الصلاة إلي، ومع هذا، فإن أخاك عبيد الله قدمني وهو أرشد منك على شبابه - وكان سن عبيد الله إذ ذاك سبع عشرة سنة - والله لولا حفظي لصاحب الحفرة، لأدبتك.

فكان ثناء ابن زياد يومئذ على عبيد الله أول أسباب سؤدده.

قال يحيى بن إسحاق، في كتاب المبسوطة: قال لي أبي: دخلت أنا وعبد الملك زونان على أبي يحيى، وهو مريض، فسأله عن علته، فقال له: يا أبا الحسن، إنه ليخفف عني ما أنا فيه، تفكري في عظيم ما له خُلقت.

فكان زونان يردد هذا، من كلامه ويعجب به.

وقال له مرة أخرى: يا أبا الحسن ليتني أزحزح عن النار، على أن لا أسمع بذكر الجنة.

وليحيى وصية لطلبة العلم مشهورة.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

قال القاضي الإمام أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض رضي الله تعالى عنه:

قد انتهى بنا القول في الطبقات الثلاث من أصحاب مالك، الذين أخذوا عنه، وسمعوا منه منتهاه، وبلغ بنا الذكر بعون الله تعالى لتعيين من نصصنا عليه مداه، واستوفينا من أخبارهم ومختلف أحوالهم، ما شرطناه.

فلنعج على من بعدهم من أتباعهم، ورواتهم، الملتزمين مذهبهم، الناهجين في التفقه على مذهب مالك نهجهم، وإن كان منهم من قارن الطبقة الوسطى والصغرى من أصحاب مالك، ومن تقدم بعضهم في الزمان والظهور، ولكن قدمنا أولئك لمراتبهم، لصحبة إمامهم، وجئنا بهؤلاء، ثم بمن جاء بعدهم، إلى زماننا. مرتبًا لهم على طبقاتهم، من تقدم الزمان، وتأخره، ذاكرًا لكل واحد ما بلغني عنه، من مفيد شمائله، وخبره.

والله المعين لا رب غيره.

* * *

الطبقة الأولى الذين انتهى إليهم فقه مالك والتزموا مذهبه ممن لم يره ولم يسمع منه

فمن أهل المدينة:

١٢٥ - أبو ثابت محمد بن عبيد[١] الله بن محمد ابن زيد بن أبي زيد

مولى عثمان بن عفان أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه.

روى عن ابن وَهْب، وابن القاسم، وابن نافع.

قال الشيرازي: وبهم تفقه.

وروى عن أشهب، وعن إبراهيم بن سعد، وإبراهيم بن علي الرافعي[٢]، وابن أبي حازم، وحاتم بن إسماعيل، وحماد بن زيد وغيرهم.

روى عنه إسماعيل القاضي، وأخوه حماد، والبخاري، ومحمد بن إبراهيم، وخرج البخاري عنه في الصحيح.

قال أبو حاتم: صدوق.

قال القاضي إسماعيل: كان الإجماع ونحن بالمدينة، أنه ليس بها أفضل من أبي ثابت وكان شريك القعنبي، فكان أبو ثابت بالبصرة. فسمع من حماد ابن زيد، وكان القعنبي بالمدينة، ولم يسمع منه أبو ثابت.

---

١٢٥ - من مصادر ترجمته: تهذيب الكمال ٢٦/ ٤٦ وما بحواشيه من مصادر.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «عبد الله» وصوابه لدى المزي.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «الرافقي» وصوابه لدى المزي، وللرافعي ترجمة لدى المزي في تهذيب الكمال ٢/ ١٥٥.

قال أبو ثابت: رآني ابن وهب عند أشهب بعد موت ابن القاسم، فقال لي: أنت كما قال القائل:

تبدّلت بعد الخيزران، جريدة. . . البيت.

١٢٦ - أبو بكر بن وثاب المدني

من أصحاب محمد بن مَسْلَمَة، وعبد الملك بن الماجِشُون. يحكي عنه القاضي إسماعيل بن إسحاق في مبسوطه. نسبه ولم يسمِّه. وكناه القاضي أبو عبد الله التستري.

وقرأت بخط الفقيه أبي عبد الله بن عتاب، إن الكتب الثمانية التي أدخل أبو زيد القرطبي من سماعه، عن عبد الملك ومطرف واصبغ، أن ابن وثاب أيضًا رواها عنهم، إلا ما منها لأصبغ.

وقد روى ابن ثابت عن ابن بابين.

١٢٧ - أبو شاكر محمد بن مسلمة بن محمد بن هشام بن إسماعيل، بن الوليد بن المغيرة، بن عبد الله بن عمر بن مخزوم

يروي عن أبيه.

روى عنه القاضي إسماعيل بن إسحاق، وأخوه حماد.

---

١٢٦ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٣/ ١٤٢٠.

١٢٧ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٣/ ١٤٢٨.

١٢٨ - يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك بن حُمَيْد ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري، المدني أبو يوسف

ذكر الخطيب أبو بكر، عن محمد بن سعد أن أبا يوسف هذا، كان كثير العلم والسماع للحديث حافظًا له. قال: ولم يجالس مالكًا. لكنه جالس من كان بعده من فقهاء المدينة، ورجالهم، وأهل العلم منهم(١).

وكذا نسبه الخطيب في أصل النسخة التي وقعت إلي.

ورأيت أنا في كتاب محمد بن سعد فيه، يعقوب بن محمد بن عيسى(٢).

قال الخطيب: وقدم بغداد فحدث بها عن عبد العزيز الدّراوردي، وابن أبي حازم، وإبراهيم بن سعد، ومحمد بن فُليح، وصالح بن قُدامة، وسفيان ابن حمزة، وحاتم بن إسماعيل، وابن أبي فديك(٣).

روى عنه الحارث بن أبي أسامة. وعباس الدُّورِيّ، وحجاج بن الشاعر، وحاتم بن الليث الجَوْهَرِي، وأحمد بن زياد السمسار، وإسحاق الحَرْبي، وأبو العباس الكُدَيْمِي(٤).

---

١٢٨ - من مصادر ترجمته: تاريخ بغداد ١٤/ ٢٦٩، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٣٦٧، وكتاب الطبقات الكبير ٧/ ٦١٩.

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٧١، وكتاب الطبقات الكبير ٧/ ٦١٩.

(٢) كتاب الطبقات الكبير ٧/ ٦١٩.

(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٦٩.

(٤) تحرف في طبعة المغرب إلى: «أبو العباس الكرسي» وهو تحريف قبيح، صوابه لدى الخطيب البغدادي والمزي.

قال يعقوب: مررت ببغداد فعرض لي رجلان قاما من مجلس، فأخذا بعنان دابتي، ثم قالا: اختلفنا في شيء فأردنا أن نعرف فيه قول أهل بلدك، فقلت: ما هو؟ فقال أحدهما: قلت: القرآن مخلوق، وقال الآخر: قلت: ليس بمخلوق. فقلت لهما: قول أهل بلدي، لو أخذوكما لأوجعوكما ضربًا.

وضعفه ابن حنبل، وقال: ليس بشيء.

وسئل عنه ابن مَعِين، فقال: إذا حدث عن الثقات.

وقال أيضًا: هو صدوق، ولكن لا يبالي عمّن حدّثك.

وقال أيضًا: أحاديثه تشبه أحاديث الواقدي.

وقال مثله صالح بن محمد، وأبو زرعة الرّازي.

قال ابن نافع: توفي سنة ثلاث عشرة ومائتين. وكان أبوه محمد من سراة المدنيين، وأهل المروءة منهم.

obeikandl.com

ومن أهل العراق:

١٢٩ - أحمد بن المعذَّل

هو: أحمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم، بن المختار بن ذهل بن عجل بن عمر بن وديعة بن بكير بن أفصى بن عبد القيس، العبدي. يكنى أبا الفضل، بصري، وأصله من الكوفة.

وأبوه المُعَذَّل بن غَيْلان، بذال معجمة مفتوحة، مشدّدة. كذا ضبطه الداراقطني وغيره(١).

على أن أبا الحسن الداراقطني، ذكر اسمين في هذا الباب. المعذل بن غيلان، وأحمد بن المعذل. ولم يقل أنه ابنه، وهو ابنه كما قدمنا. وكان المعذل سريانيًا شاعرًا. قال الدارقطني: روى المُعَذَّل بن غيلان البصري، عن فضيل بن مرزوق. روى عنه عُمَر بن شَبَّة(٢). قال: وأحمد بن المعذل بن غيلان البصري الفقيه المتكلم(٣).

قال الشيرازي: هو من أصحاب عبد الملك بن الماجشون. ومحمد بن مسلمة. وكان مفوهًا ورعًا، متبعًا للسنة. وله مصنفات وكتاب في الحجة، وكتاب الرسالة(٤).

---

١٢٩ - من مصادر ترجمته: تبصير المنتبه ٤/ ١٢٩٩، وتوضيح المشتبه ٨/ ٢١٠، وطبقات الشيرازي - ص ١٥٣، والمؤتلف والمختلف لدارقطني ٤/ ٢١٣٤.

(١) المؤتلف والمختلف ٤/ ٢١٣٣.

(٢) تحرف في طبعة المغرب إلى: «محمد بن شبيب» وهو تحريف قبيح، صوابه من تبصير المنتبه ٤/ ١٢٩٩، والمؤتلف والمختلف للدارقطني ٤/ ٢١٣٤.

(٣) المؤتلف والمختلف ٤/ ٢١٣٤.

(٤) الشيرازي - ص ١٥٣.

قال الإمام أبو الفضل رضي الله تعالى عنه: وسمع أيضًا من إسماعيل ابن أبي أويس، وبشير بن عمر السندي.

روى عنه ابن هارون وغيره، وعليه تفقه جماعة من كبار المالكية، كإسماعيل بن إسحاق القاضي، وأخيه حماد، ويعقوب بن شيبة.

وسمع منه ابنه محمد بن أحمد، وعبد العزيز بن عمر البصري.

ذكر الثناء عليه وفضائله

قال أبو عمر الصدفي: هو ثقة. كان أبو حاتم يثني عليه.

قال أبو سليمان الخطابي: أحمد بن المعذل، مالكي المذهب، يعد في زهاد أهل البصرة وعلمائها. وكان أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي القاضي يثني عَلَى ابن المعذل.

قال أبو بكر النقاش: قال لنا أبو خليفة: أحمدنا - يعني ابن المعذل - أفضل من أحمدكم - يعني ابن حنبل - والله أعلم.

قال أبو القاسم الشافعي المعروف بعبيد: كان ابن المعذل من العلماء الأدباء الفصحاء النظار.

قال ابن حارث: كان فقيهًا بمذهب مالك. ذا أفضل وورع ودين وعبادة.

ذكر الدينوري في كتاب المجالسة. وجّه المتوكل إلى أحمد بن المعذل وغيره من العلماء، بجمعهم في داره. ثم خرج عليهم فقام الناس كافة غير أحمد. فقال المتوكل لعبيد الله: هذا لا يرى بيعتنا، فقال: بلى يا أمير المؤمنين، ولكن في بصره سوء. يريد: العذر عنه. فقال أحمد: يا أمير المؤمنين، ما في بصري سوء، ولكن نزهتك من عذاب الله. قال النبي ﷺ:

من أحب أن يمتثل له الرجال قيامًا، فليتبوأ مقعده من النار. فجاء المتوكل فجلس إلى جنبه.

وقال الحسن بن عبد الرحمن بن عبيد البصري في كتابه: وممن كان يقرض الشعر من الفقهاء النساك: أحمد بن المعذل. وكان من أفصح الناس وأبلغهم وأنسكهم وأصمتهم، حتى نسب بذلك إلى الكبر. وله مواعظ وأخبار حسان. وكان أهل البصرة يسمونه لفقهه ونسكه الراهب. وكان فقيهًا بقول مالك، لم يكن لمالك بالعراق أرفع منه، ولا أعلى درجة ولا أبصر بمذهب أهل الحجاز منه، وعنه أخذ إسماعيل بن إسحاق، وهو مفقهه.

وذكر الحسن بن عبد الرحمن عنه، وذكرها ابن الجراحي أيضا - وأحدهما يزيد على الآخر - أنه كان يسكن مع أخيه عبد الصمد في دار واحدة. وكان عبد الصمد منهمكا في الشراب، فكان أحمد يبكر إلى صلاة الصبح، وكان إمام المسجد، فيمر سحرا بأخيه وهو سكران، فيحركه ويقول: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ ... ﴿٤٦﴾﴾ [النحل]. وفي الرواية الأخرى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأعراف]. فيرفع عبد الصمد رأسه، ويقول: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ... ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال].

قال أحمد: دخلت المدينة، فتحملت على عبد الملك بن الماجشون، برجل يخصني، ويعني بي، فلما فاتحني، قال ما تحتاج أنت إلى شفيع. معك من الحذاء والسقاء ما تأكل به لب الشجر، وتشرب به صفو الماء. وكان أحمد يذهب إلى البادية، ويكتب عن الأعراب.

قال المبرد: رأيت أحمد بعرفات مضحيا للشمس لا يستظل، فقلت ما هذا يا أبا الفضل؟

فقال:

ضحيت لكيما أستظل بظله إذ الظل أضحى في القيامة قالصًا

فيا أسفا إن كان أجرك حابطا ويا حزنًا إن كان حجك ناقصًا

وحكى الدينوري، قال: كان أحمد بن المعذل إذا حج لا يستظل، فلقيه بعض أصحابه بين مكة والمدنية، في يوم صائف شديد الحر، ليس له مظلة، وقد أحرقته الشمس، فقال له: لو سترت نفسك من الحر!

فأنشأ يقول:

ضحيت له كي استظل ظله إذا الظل أضحى في القيامة قالصًا

وعادت نفوس الناس عند حلوقهم يريقون ريقا غائر الماء شاخصًا

وما كنت ترجو أن ينالك حرها وقد كنت في حر الظهيرة حائضا

لعمري لقد ضاعت أمور لأهلها ليغتبطن بالسبق من كان خالصًا

قال: وكان أحمد بن المعذل، إذا أحزنه أمر، قام في الليل يصلي، ويأمر أهله بذلك. ويتلو: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ ... ﴿١٣٢﴾﴾ [طه] ثم ينشد:

أشكو إليك حوادث أقلقنني فتركنني متواصل الأحزان

لولا رجاؤك والذي عودتني من حسن صنعك لاستطار جناني

من لي سواك يكون عند شدائدي إن أنت لم تكلأ فمن يكلاني

وأنشد ابن عبيد الله له:

التمس الأرزاق من عند الذي ما دونه إن سيل من حاجب

من يغمر التارك تسآله جودًا ومن يرضى عن الطالب

ومن إذا قال جـــرى قـولـه من غير توقيع ولا كـاتـب

وله قصيدة مشهورة في صفة النخلة، ولأخيه أرجوزة مشهورة فيها.

وأنشد له الحصري والجراحي:

أخـــو دنـف رمـــته فأقصـدتـه سهام من لحظـك لا تطـيش

قواتل لا قداح سـوى احـورار بهن ولا سوى اللحظات ريش

أصبن ســواد مهجته فأضحـى سقـيمًا لا يمـوت ولا يعـيش

كئيــب إن تحـمل عنـه جـيـش من البــلوى ألم بــه جيــوش

ذكر القاضي أحمد بن إبراهيم بن حماد، قال:

خرج أحمد بن المعذل من البصرة إلى طرسوس فأطال بها المكث فكتب إليه ابنه: يا أبت! أوحشت بقاعك، وفقدك إخوانك مكانك.

فكتب إليه أحمد:

أثامن بالنفــس النـفـيسة ربـــهـا وليس لها في النــاس كلهـم ثـمـن

بها أملك الدنيا فإن أنـا بـعـتـهـا بشـيء من الدنيــا فذلكـم الـغـبـن

إذا ذهبت نفسي بدنـيا تـنـالـهـــا فقد ذهبــت نفسي وقد ذهب الثمن

فبعــها بها ممن إلـيــه مـصـــيرهـا فإنك فيـــــها للـمـنـــية مـرتـهـــن

ودع لذة الـدنـــيا لـننـعـم خـالـدًا لدى جـنة لا خوف فيها ولا حـزن

فتبــذل شيـــئًا لسـت تمـلـك منعه فيجزيك بالإحسان ذو الفضل والمنن

وأنشد له القاضي وكيع[1]:

وقالت سل المعروف يحيى بن أكثم فقلت سليه رب يحيى بن أكثما

وقال ابن الجراح في كتاب الورقة: كان ابن المعدل فقيهًا نبيلاً. له أشعار ملاح.

قال القاضي إسماعيل بن إسحاق - وكان أحمد أستاذه -: إلا أنه كان ورعًا حرجًا.

بقية أخباره وفضائله وآدابه وشعره

قال أبو إسحاق الحصري وغيره: كان أحمد بن المعذل من الفقه والنسك والأدب، والحلاوة في غاية وكان أخوه عبد الصمد يؤذيه ويهجوه. فكتب إليه أحمد:

أما بعد، فإن أعظم المكروه ما جاء من حيث يرتجي المحبوب، ولقد كنت مرجوًا حتى شمل شرّك وعمّ أذاك، فصرت فيك كأبي الابن العاق، إن عاش نغصه وإن مات نقصه، واعلم، لقد خَشْنت صدر أخ ناصح. والسلام.

وكان يقول له: أنت كالإصبع الزائدة، إن تركت شانت وإن قطعت ألّمت.

وذكر أبو علي القالي الكلام الأول بقريب من هذا اللفظ، فأجابه عبد الصمد:

أطاع الفريضة والسنه فتاة على الإنس والجنه

كأن لنا النار من دونه وأفرده الله بالجنه

(١) أخبار القضاة لوكيع - ص ٣٤١ وتحرف أكثم في طبعة المغرب إلى: «أكتم» بالتاء المثناة.

وينظر نحوي إذا زرته بعين حماة إلى كنه

قال أبو العباس. كان أحمد بن المعذل، من الأبهة والتمسك بالمنهاج، والتجنّب للعيب والتعرض لما في أيدي الناس، وإظهار الزهد فيه على غاية، فلما حمل إلى بغداد في جملة فقهاء البصرة، وقبل الصلة، نقم ذلك عليه. فتسبب به أخوه إلى أذاه، ووجد سبيلاً.

وذكر له في ذلك أشعارًا تركناها.

قال الحصري، والجراحي، عن القاضي إسماعيل وكانت أم عبد الصمد طباخة فكان أحمد يقول إذا بلغه هجاؤه له: ما عسيت أن أقول فيمن ألقح بين قدر وتنور. ونشأ بين زق وطنبور.

قال أبو العباس: وذكر الدولابي في كتاب نزهة الأسرار: أن ابن المعذل قال له أهله، حين ورد القاضي يحيى بن أكثم البصرة: لو أتيت يحيى فسألته - لضرّ أصابهم - فلم يجبها ثم قال هذين البيتين:

تكلفني إذلال نفسي لعزها وكان عليها أن أذلّ فتكرما

تقول سل المعروف يحيى بن أكثم فقلت سليه رب بن أكثما

وذكر الدينوري، عن محمد بن موسى البصري، كنا عند أحمد بن المعذل بالبصرة يوم مات ابنه، فاسترجع ثم أنشأ يقول:

نؤمل جنة لا موت فيها ودنيا لا يكدرها البلاء

وأنشد ابن الجراح له:

ألا أبلغ أبا سوار عني رسالة عاتب أهدي سلامًا

أفي حق الأخوة أن أقضى ذمامكم ولا تقضوا ذمامًا

وقد قال الحكيم مقـــال صدق رآه الأولـــون لهـــم إمـــامًا

إذا أكـــرمتـــكم وأهنتـــمـونـي ولم أغضب لذلكم، فذا، ما!!

وأنشد له في وصف الرطب:

انشـــق جيب قميصهـا فالدمـــع منهـا واكـف

يلفـــى بقـــاع إنـائهـا حيث استقرت قاطف

ومن الغـــرائب أنـهـا بكـــر عـــوان ناصـف

قال القـاضي إسمـاعيل: عرضت على أحـمد بن المعـذل هذه الأبيات بكمالهـا، فقـال: هي هكذا، إلا البيت الأخـير، فإني لم أقلـه، وينبغي أن يكون عبد الصمد قاله.

قال القـاضي: فانظر توقيـه في هذا المقدار من الشعـر، وذكر أبو علي البصـري عن المعذل، والد أحمـد، أنه ركب إلى الأمير عـيسى بن جعـفر، فوقف ينتظره، فلمـا أبطأ عليه، أقبل يصلي، فخـرج. وكان المعذل لا يقطع الصلاة. فـناداه عيسـى: يا معذل، يا أبـا عَمْرو، وهو مـقبل علـى صلاته، فغضب عيسى ومضى، فلما أتم الصلاة لحق عيسى، وأنشد شعرًا منه:

قد قلت إذ هتف الأمير يا أيها القـمر المنـــير

حرم الكلام فلم أجـب وأجاب دعوتك الضمير

وأنشد له ابنه أحمد، في كتاب الورقة:

ولســت بنظار إلى جانب الغنـى إذا كانت العلياء من جانب الفقر

وإني لذو صـبر على ما ينونبـي وحسبك أن الله أثنى على الصبر

وأنشد له ابن الجراح أيضًا:

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني أرى صالح الأعمال لا أستطيعها

أرى خلة في أخوة وقرابة وذي رحم ما كنت ممن أضيعها

وذكر ابن الحارث عنه، أنه كان يقف في القرآن. ولعل ذلك تقية. ولعله في وقت المحنة، أو كراهة للكلام فيما لم يتكلم فيه السلف، كما ذكرنا عن غيره.

وأما أبو الفرج الأصبهاني في كتابه الكبير، فنحله ما لا يقوله، ولا يعرف له بوجه.

وجدت في بعض الكتب أنه توفي وقد قارب الأربعين سنة.

١٣٠ - إسحاق بن إسماعيل بن حَمّاد

ابن زيد بن درهم البصري، أبو يعقوب الأزدي الجهضمي مولى لآل جرير بن حازم، والد إسماعيل القاضي.

ولي المظالم بمصر، أيام المأمون والخطابة والإشراف على المعتصم، وولي مظالم البصرة.

ولم يكن بالحافظ. لكن ولده وآل تجردوا لمذهب مالك في أيامه، وتفقهوا فيه.

مولده سنة ست وسبعين ومائة. وتوفي بالبصرة سنة ثلاثين ومائتين.

نقلت هذا كله من الأوراق المؤلفة، للحكم عبد الرحمن في ذكر المالكية، من أهل العراق. ومن كتاب ابن حارث.

---

١٣٠ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ١/ ٣١٠.

وذكر أبو بكر الخطيب عن حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: دخلت على ابن شكلة في بقايا غضب المأمون عليه. فقلت:

هي المقادير تجري في أعنتها فاصبر فليس لها صبر على حال

يومًا تريك خسيس الحال ترفعه إلى السماء ويومًا تخفض العالي

فأطرق ساعة ثم قال:

عيب الأناة وإن سرت عواقبها ألاّ خلود وأن ليس الفتى حجرا

قال: فقمنا. فما مضى ذلك اليوم حتى بعث إليه المأمون بالرضا، ودعاه إلى مجالسته. قال: فالتقيت معه، في مجلسه. فقلت: ليهنك الرضا. فقال: ليهنك مثله من متيّم-جارية أهواها- فحسن موقع كلامه عندي. فقلت:

ومن لي بأن ترضى وقد صحّ عندها ولُوعي بأخرى من بنات الأعاجم

وجده، حماد بن زيد إمام البصرة، مشهور، كان أولاً بزازًا، فلزم العلم، فانتفع وانتفع به. وارتفع ولده به.

قال الفرغاني: فلا نعلم أحدًا من أهل الدنيا بلغ مبلغ آل حماد.

١٣١ - يعقوب بن إسماعيل بن حماد

أخوه[1] أبو يوسف.

قال محمد بن خلف القاضي، في كتاب طبقات القضاة: كان يعقوب هذا من حملة العلم. أخذ عن يحيى بن سعيد، وابن مهدي وغيرهما، وسمع أيضًا من وهب بن جرير، وجرير بن ضمرة.

---

١٣١ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٣/ ١٣٧٦.

(١) أي أخو إسحاق بن إسماعيل بن حماد صاحب الترجمة قبل هذه مباشرة.

حدث عنه ابنه يوسف، ومحمد بن هارون.

وذكر أبو بكر بن ثابت البغدادي: أن ابن القاضي أبا عمر، روى عنه أيضًا حديثًا واحدًا، وأخذ الفقه وهو ابن أربع سنين.

قال الخطيب: ولي القضاء بمدينة النبي ﷺ، وقدم بغداد، فحدث بها عن سفيان بن عيينة، ويحيى بن سعيد القطان، وابن مهدي، ووهب بن جرير، وروح بن عبادة، وأبي عاصم النبيل، وأبي أحمد الزبيري.

روى عنه إسماعيل القاضي، وعبد الله بن أبي سعد الوراق، وابن أبي الدنيا، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وابن ناجية، وقاسم المطرّز وغيرهم.

قال ابن أبي حاتم: سألت عنه أبي، فقال: صدوق. وكتبت عنه.

وكان يعقوب في صحابة المعتصم، وقدم إلى المعتصم وهو في صحبته للعشاء: هريسة. فقال المعتصم: ليست بطيبة. فقال يعقوب: أنا آكلها، فأتى عليها. فقال له المعتصم: أنت آكل الناس لهريسة رديئة[1].

قال ابنه: كان أبي يقول: أهل البيت في الشتاء إذا لم يأكلوا، أو يصطلوا، فكأنهم غضاب.

قال وكيع: ولاه المتوكل قضاء المدينة، ثم صرفه[2].

قال ابن نافع: وتوفي بفارس وهو يتولى قضاءه سنة ست وأربعين ومائتين.

---

(١) أخبار القضاة لوكيع - ص ١٦٦.

(٢) أخبار القضاة لوكيع - ص ١٦٦.

ومن أهل مصر:

١٣٢ - أَصْبَغ بن الفَرَج

ابن سعيد بن نافع. مولى عبد العزيز بن مروان.

قال أبو عمر الكندي في موالي مصر: كذا زعم أصبغ، وكثير من أهل مصر لا يصححون له ولاء. يكنى أبا عبد الله. سكن الفسطاط.

روى عن الدراوردي، وابن سمعان، ويحيى بن سلام، وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم.

كان قد رحل إلى المدينة ليسمع من مالك، فدخلها يوم مات وصحب ابن القاسم، وأشهب، وابن وهب، وسمع منهم وتفقه معهم.

قال أبو أحمد الجرجاني: كان كاتب ابن وهب.

قال اللالكائي: وكان ورّاقه وأخص الناس به.

روى عنه الذهلي، والبخاري، ويعقوب بن سفيان، ومحمد بن أسد الخُشِّي[1]، وابن رَنْجُويه، وابن وضاح، وسعيد بن حسان، وأخرج عنه البخاري.

ذكر مكانه من العلم والثناء عليه

قال ابن أبي دليم: كان فقيه البدن، طويل اللسان، حسن القياس، من أفقه هذه الطبقة.

---

١٣٢ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ١/ ٣٣٨ وما بحواشيه من مصادر.

(١) الخشي: بضم الخاء المعجمة، وكسر الشين المعجمة وتشديدها، نسبة إلى خُش قرية من أَسْفَرايين، ذكره السمعاني في: «الخشي» من الأنساب. وتحرف في طبعة المغرب إلى: «الخشني» بالنون بعد الشين.

قال أبو حاتم الرازي: هو أعلى أصحاب ابن وهب، صدوق.

وقال ابن مَعِين: ثقة.

وقال ابن وضاح مثله.

قال ابن حبيب: كان أصبغ من أفقه أهل مصر، وعليه تفقه ابن المواز، وابن حبيب، وأبو زيد القرطبي، والبرقي، وابن مزين، وعبد الأعلى القرطبي وغيرهم.

قال ابن أبي حاتم: روى عنه أبو حاتم الرازي.

قال ابن حارث: كان ماهرًا في فقهه، فقيه البدن، طويل اللسان، حسن القياس، من أفقه هذه الطبقة، وأهل التبيان والبيان. وتكلم في أصول الفقه.

قال ابن حبيب: كان أفقههم - بعد أن ذكر ابن القاسم وطبقته، ثم ذكر أصبغ، وعبد الله بن عبد الحكم.

قال أحمد بن صالح الكوفي: هو ثقة. صاحب سنة.

حكى القاضي أن أشهب مرض، فدخل عليه عوّاده وفيهم أصبغ، فلما خرجوا قالوا له من لنا بعدك؟ قال: هذا الخارج عنا.

قال: وكان ابن وهب يقول: لولا أن تكون بدعة لسّورناك يا أصبغ، كما تسوّر الملوك فرسانها.

قال أبو عمر الكندي: كان أصبغ فقيهًا، نظارًا.

وسأل مطرف بعض المصريين عن عبد الله بن الحكم، فقال: مات. قال: فما فعل أصبغ؟ قال: باق.

قال مطرف: الحي عندنا أفقه من الميت.

قال ابن اللباد: ما انفتح لي طريق الفقه إلا من أصول أصبغ. وقد روي أن ابن القاسم قال: إن قبل أصبغ لرواية.

قال عبيد بن سعيد: قدمت على أصبغ بن الفرج، فلما كان توجهي إلى المدينة، كتب معي إلى عبد الملك بن الماجشون يسأله أن يجيز له كتبه.

قال: فقدمت على عبد الملك بكتابه، وهو يومئذ قد كف بصره، فقال لي: قل له: اشخص للعلم إن كنت تريده، فإنما العلم لمن شخص له.

قال: فذاكرته، حال أصبغ. قال ما أخرجت مصر مثل أصبغ. قلت له: ولا ابن القاسم؟ قال: ولا ابن القاسم - كلفًا منه به.

وقال ابن مزين فلما قدمت على أصبغ سلمت عليه، وهو محتب، فأخرج يده من تحت حبوته - وكنت أعرف مروءة أصحابنا بالأندلس - فقلت في نفسي: لقد ضاع سفري إلى هذا الرجل، ثم جلست، فلما خاض في العلم قلت في نفسي: ما يضرك لو أخرجتها عن طوقك.

وكان أصبغ يستفتي بمصر مع أشهب وغيره، من شيوخه.

قال ابن غالب: خرجت من الأندلس، وأصبغ عندي أكبر أهل زمانه: لما كنا شاهدناه من تعظيم شيوخنا له.

وحكى الكندي عن المزني والربيع قالا: كنا نأتي أصبغ قبل قدوم الشافعي، فنقول له: علمنا مما علمك الله.

قال ابن معين: كان أصبغ من أعلم خلق الله كلهم، برأي مالك، يعرفها مسألة مسألة، متى قالها مالك، ومن خالفة فيها.

ولأصبغ تواليف حسان، ككتاب الأصول، له عشرة أجزاء. وتفسير غريب الموطأ. وكتاب آداب الصائم. وكتابه سماعه من ابن القاسم، اثنان وعشرون كتابًا، وكتاب المزارعة، وكتاب آداب القضاة، وكتاب الرد على أهل الأهواء.

قال أبو بكر بن أصبغ: قال أبي: أخذ ابن القاسم بيدي يومًا، فقال لي: يا أصبغ، أنا وأنت اليوم في هذا الأمر سواء، فلا تسألني عن هذه المسائل الصعبة بحضرة الناس، ولكن بيني وبينك، حتى أنظر وتنظر.

قال: وقدم طومار عليه من الأندلس، أو من المغرب فيه مسائل، فقال لي أجب فيها، وائتني بجوابك. وقال لعيسى بن دينار مثله فجئنا بذلك. وقرأنا عليه، فأخذ جوابي وطبع عليه، وأعطاه لصاحب المسألة، وقال أخبرهم أن هذا جوابي وما غيّر منه شيئًا.

جمل من أخباره

قال أصبغ: خرجت إلى مكة، سنة تسع وسبعين للسماع من مالك. فدخلت المدينة فلم ألق إلا باكيًا، أو مسترجعًا أو ضاربًا يدًا على أخرى، أو معددة. فقلت لبعضهم ما شأن الناس؟ فلم يكلمني أحد، وجعلت كلما لقيت فوجًا أسأله حتى قال لي رجل جالس متقنع يبكي، وقد رأى حالي: أراك غريبًا؟ قلت: نعم. الساعة دخلت. قال لي مات اليوم عالم المشرق والمغرب. قلت: يرحمك الله، ومن هو: فال لي أراك جاهلاً! أقول لك عالم المشرق والمغرب، فتقول: من هو؟ قال: فأسكتني. فلما نظر لي وقد وجمت، قال: مات مالك بن أنس.

قال: فصحت مات مالك؟ ومضيت مع الناس إلى منزله. فإذا به قد مات ذلك اليوم. فحضرت جنازته.

وذكر أبو عمر الكندي في كتاب الموالي: قال كانت بين عبد الله بن عبد الحكم وأصبغ منازعة، ومباعدة.

وقال في طبقات القضاة بمصر: إن أبا ضَمْرة الزُّهْرِي، كان أشار بين يدي ابن طاهر بأصبغ للقضاء. وقال أصبغ، الفقيه، العالم لها، فلم يوافقه عليها ابن عُفَيْر، وقال: ما بال أبناء الصبّاغين يذكرون هنا؟

فأشار ابن عبد الحكم، بعيسى ابن المنكدر، فولي، ولم يكن له رأي في أصبغ.

فبلغ قول ابن عفير أصبغ فقال: من أخبره أن في آبائي صباغًا[1]؟

محنته

قال أبو العرب: قال يحيى بن عمر، اختفى أصبغ بن الفرج أيام الأصم، وأخذه الناس بالمحنة في القرآن، فطلبه الأصمُّ، فاختفى في داره، وكان إخوانه يأتونه فيها الواحد بعد الواحد، حتى مات.

وقال أبو عمر الكندي: إن المعتصم كتب في أصبغ ليحمل في المحنة. فهرب إلى حلوان، فاستتر بها. وفي ذلك يقول الجمل المصري، في مدحه للأصم:

وطويت أصبغ خيفة في بيته فسترته جدر البيوت الستر

أبدلته برجاله وجموعه خوفًا مقاعدة النساء الخدر

وتوفي أصبغ بمصر، سنة خمس وعشرين ومائتين.

قال ابن سحنون: وذلك في يوم الأحد لخمس ليال بقين من شوال منها. وقال نحوه الكندي.

---

(١) الولاة والقضاة - ص ٤٣٣ - ٤٣٤.

وقال أبو نصر الكلاباذي: توفي سنة أربع وعشرين ومائتين. قال الكندي مولده بعد الخمسين ومائة.

١٣٣ - أبو زَيْد بن أبي الغَمْر

واسمه عبد الرحمن بن عمر بن أبي الغمر. كذا قال الكندي والدارقطني وغيرهما. مولى بني سهم.

يروي عن يعقوب بن عبد الرحمن الإسكندراني، والمفضل، وابن القاسم وأكثر عنه - وحبيب كاتب مالك، وابن وهب، ومعاوية بن يحيى الأطرابلسي.

قال ابن أبي دليم: ورأى مالكًا فلم يأخذ عنه شيئًا. وحكي ذلك الكندي عنه.

روى عنه ابناه محمد وزيد، والبخاري. وأخرج عنه في الصحيح، وأبو زرعة، وأبو الزنباع روح بن الفرج. وأحمد بن رشدين، ومحمد بن المواز وأبو إسحاق البرقي. ومحمد بن عامر الأندلسي. وأبو الطاهر المصري، والحارث، ويونس، ويحيى بن عمر، ومحمد بن عيسى الأعشى.

وهو رواية الأسدية. والذي صححها عَلَي ابن القاسم بعد ابن الفرات. وله كتب مؤلفة حسنة، موعبة لطيفة، في مختصر الأسدية. وله سماع من ابن القاسم مؤلف.

قال ابن وضاح: لقيته بمصر، وهو شيخ ثقة.

قال الكندي: كان فقيهًا مفتيًا.

---

١٣٣ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/ ٦٤٠، والديباج المذهب ١/ ٤١٦.

وذكـر لسحنون فـقـال: أن أبا زيد لم يكن من أهل هذا الشـأن، يعني الفقه.

قال ابن باز: والذي لا إله إلا هو، ما رأيت أفضل من أبي زيد بن أبي الغمر، لا أحاشي أحدًا.

وقال ابن أبي دليم: كان رجلاً صالحًا.

قال غيره: كان لا يرى مخالفة ابن القاسم.

وكتب أبو زيد إلى أبي سنان الـقيرواني: عليك يا أخي بنفـسك. فلها فاعمل، وعلى حضـها فاحرص، وعلى دوام بقائها في النّعـيم المقيم فقم لها بذلك. فكأن قد حجـبت عن القيام بما ذكرت لك، فاغـتنم ذلك ما كان لك مبـذولاً، واعلم أنك لن تقوى على ذلك حـتى تترك ما تحـب إلى ما تكره. فعند ذلك تقوى على ما تريد، ويهون عليك طلب ذلك. وتقدر عليه إن شاء الله، وأبعد ما تكون منه حين تعطي لنفسك مناها وتدرأ عنها ما تكره، واعلم أن ذلك بالله ومنه، فعليك بالاستكانة إليه في ذلك. فلعلك تعطاه إن حسنت فيه نيّتك.

قال ابن باز: سألت. أبا زيد بن أبي الغـمر، عمّن تزّوج وبشرط أنه إن لم يأت بمهر إلى كذا، فأمرها بيدها.

فقال: النكاح جائز، فقلت له: يُروى عن مالك: لا يجوز.

فقال لي: ومن أعلم بقول مالك، أنا أو أنت؟

قلت: أنت. ولكن أخبرني سـحنون عن ابن القاسم عن مالك: أنه لا يجوز.

قال إبراهيم: ثم وجدتها رواية كما قال.

قال محمد بن عيسى: قال إبراهيم: صليت وراء أبي زيد بن أبي الغمر، على جنازة. فرفع يده في التكبير كله، ثم صليت وراءه على أخرى فلم يرفع لا في الأولى ولا في غيرها.

وتوفي سنة أربع وثلاثين ومائتين.

مولده سنة ستين ومائة.

١٣٤ - أبو علي بن مِقْلاَص

واسمه عبد العزيز بن عمران بن أيوب بن مِقْلاَص، الخزاعي. وهو ابن بنت سعيد بن أبي أيوب بن مقلاص[1]، مولاهم، من أكابر أصحاب ابن وهب، أخذ عنه، وعن الشافعي، وعن لَهِيعَة بن عيسى.

روى عنه أبو إبراهيم الزهري، ويعقوب بن سفيان، وابن وضاح، وجماعة من الأندلسيين، وابن حارث، وكان فقيهًا زاهدًا صوفيًا حسنًا. ذكره ابن أبي دليم، والكندي.

وتوفي سنة أربع وثلاثين ومائتين.

وله ابن اسمه:

١٣٥ - عمر

روى عنه ابن قُدَيْد.

---

١٣٤ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/ ٦٧٩ وما بحواشيه من مصادر.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «قلاص».

١٣٥ - من مصادر ترجمته: التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة ٢/ ١٢٤٣، وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٣٩، وتهذيب الكمال ٢١/ ٤٣٢.

قال ابن وضاح: لقيته بمصر، وكان كثير الرواية ضابطًا للحديث حافظًا له، نعم الشيخ ثقة.

وكان جده لأمه:

١٣٦ - سَعِيد بن أبي أيوب

ويكنى بأبي يحيى من رواة الحديث. يروي عن عُقَيْل.

روى عنه ابن المبارك، والمُقْرِئ[1]، وأبو مُطِيع معاوية بن يحيى.

قال ابن مَعِين: هو مولى أبي هريرة، وثّقه هو والنسائي.

توفي - فيما قاله البخاري - سنة تسع وأربعين، وقال ابن بكير: سنة إحدى وستين ومائة.

١٣٧ - سعيد بن عيسى

ابن تليد، بفتح التاء، أبو عثمان القتباني، ثم الرعيني مولاهم.

وقِتْبان قبيلة من رعين - بقاف مكسورة بعدها تاء باثنتين من فوق ساكنة، وباء موحدة مفتوحة، وبعدها نون - فقيه مشهور بمصر.

قال الكندي: في كتاب الموالي، وهو عم مقدام بن داود بن عيسى، وكان كاتبًا لغير قاض، بمصر.

يروي عن المفضل بن فضالة، وبكر بن مضر، وابن عيينة، وابن وهب، وابن القاسم، والليث بن عاصم، وغيرهم.

---

١٣٦ - من مصادر ترجمته: تهذيب الكمال ١٠/ ٣٤٢.

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المُقْرِئ.

١٣٧ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ١/ ٥٣٤ وما بحواشيه من مصادر.

روى عنه ابن أخيه المقدام، وأبو حاتم الرازي، وعلي بن عمر النفيلي، والبخاري. وخرج عنه في صحيحه.

قال أبو حاتم: هو ثقة.

قال أبو عمر الكندي، في قضاة مصر، ولاه لهيعة بن عيسى، على مسائله، وكان أول شأنه خياطًا.

وقال الجيزي: إن الفضل بن حاتم قاضي مصر، استكتبه، بعد أن أبى عليه، فحلف له إن لم يفعل ليعاقبنه.

قال الدارقطني: وتوفي سنة تسع عشرة ومائتين، وقال الكندي: سنة أربع عشرة.

١٣٨ - أبو الزِّنْباع رَوْح بن عبد الجبار بن نصير

مولى مراد. وهو أخو أبي الأسود. يروي عن ابن القاسم، وكان مقبولاً عند قضاة مصر. ذكره ابن أبي دليم في المالكية.

قال: وتوفي في ذي القعدة سنة إحدى وعشرين ومائتين.

وأخوه أبو الأسود:

١٣٩ - النضر بن عبد الجبار

كان يكتب لِلَهِيعَة، قاضي مصر. ذكره الكندي في علماء موالي مصر.

مولده سنة خمس وأربعين ومائة، وتوفي سنة سبع عشرة ومائتين.

---

١٣٨ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ١/ ٤٧٥ وما بحواشيه من مصادر.

١٣٩ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٣/ ١٢٩٩ وما بحواشيه من مصادر.

وابن أخيهما:

١٤٠ - محمد بن عبد الله بن عبد الجبار

يكنى أبي العوام. قال الكندي: كان فقيهًا مقبول الشهادة توفي سنة ثمان وستين ومائتين.

١٤١ - أبو عَمْرو الحارث بن مِسْكِين

ابن محمد بن يوسف. مولى محمد بن زَبّان[١] بن عبد العزيز بن مروان.

سمع من ابن القاسم، وأشهب، وابن وَهْب، ودوّن أسمعتهم وبوّبها. وبهم تفقه وعد في أكابر أصحابهم. وله كتاب فيما اتفق فيه رأيهم الثلاثة.

ورأي الليث، ومالكا، والمفضل بن فضالة.

وروى أيضًا عن سفيان بن عيينة، وسعيد بن الجهم، ويوسف بن عَمْرو[٢]. وحدث ببغداد وبمصر.

وممن روى عنه ابن زَبّان[٣] الحَضْرمي، وأبو داود، وابنه، ويعقوب بن شيبة، وأبو حاتم الرازي، ويحيى ومحمد ابنا عمر، ومحمد بن رمضان،

---

١٤٠ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٣/ ١١١٣ وما بحواشيه من مصادر.

١٤١ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ١/ ٣٨٥ وما بحواشيه من مصادر.

(١) تحرف في طبعة المغرب إلى: «زيان» بالياء المثناة وصوابه من الجمهرة، وما بحواشيها من مصادر.

(٢) تحرف في طبعة المغرب إلى: «يوسف بن عُمر» وصوابه لدى المزي في تهذيب الكمال ٥/ ٢٨٢ وهو: يوسف بن عَمرو الفارسي المصري.

(٣) قيده ابن ناصر الدين في التوضيح ٤/ ٢٤٥: «بالزاي والموحدة» وتحرف في طبعة المغرب إلى: «زيان» بالياء المثناة.

والنسائي، وابن وضاح، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، والقاسم بن المغيرة الجَوْهَري، وحَمْدَان بن علي.

سئل أحمد بن حنبل عن الحارث بن مسكين، قبل أن يستقضي، فأثنى عليه خيرًا وقال: إنه رآه. وقال: ما بلغني عنه، إلا خير. قال: وكانوا يتساهلون في الأخذ عن ابن وهب والمصريين، تساهلاً شديدًا.

وقال يحيى بن معين: لا بأس به. قال ابن وضاح: هو ثقة الثقات. قال الكندي: كان مفتيًا فقيهًا.

قال يحيى بن نصر: عرفت الحارث أيام ابن وهب، وبعد وفاته على طريقة زهادة وورع، وصدق لهجة حتى مات.

قال أبو بكر الخطيب: كان فقيهًا على مذهب مالك، ثقة في الحديث ثبتًا.

وحكى الخطيب عن علي بن الحسين بن حيان، قال: وجدت في كتاب أبي بخطه. قال أبو زكرياء: الحارث بن مسكين، خير من أصبغ، وأفضل من عبد الله بن صالح.

وقال النسائي: الحارث بن مسكين ثقة مأمون.

وللحارث بن مسكين كتاب حسن، دون فيه سماع ابن القاسم وابن وهب.

قال أبو حاتم: هو صدوق.

قال عبد الله بن محمد القاضي: كان الحارث من علماء هذه الطبقة بمصر، مع خيره وفضله وثقته في روايته. وكان عدلاً في قضائه، محمودًا في سيرته.

قال الكندي: وكان أصحاب الأصم قد أشاروا عليه بامتحان الحارث في القرآن، عند قدوم الحارث من العراق فقال لهم: السلطان لم يمتحنه هناك، أنا أمتحنه؟ اسكتوا عن هذا.

وذلك إن ابن أبي دُوَاد كان أوصاه به، لأن الحارث حضر جنازة له، فشكر ذلك له.

قال الأمير أبو نصر: حمل إلى بغداد للفتنة، فحبس بها إلى أن ولي المتوكل فأطلقه.

وقال الخطيب مثله. وزعم أن الذي حمله المأمون، وفيه يقول سعدان ابن يزيد:

لو تراه وأبا زيد معًا ... وهما للدين حصن وعضد

يدرسون العلم في مسجدهم ... وإذا جنّهم الليل هجد

وإذا ما وردت معضلة ... أسند للقوم إليهم ما ورد

نوّر الله بهم مسجده ... بهم المسجد نور يتقد

ذكر ولايته القضاء وسيرته في ذلك

قال الجيزي في كتاب قضاة مصر: ولي الحارث بن مسكين قضاء مصر سنة سبع ثلاثين في جمادى الأولى منها.

قال أبو عمر في كتاب قضاة مصر[1] وفي كتاب الموالي: ولي الحارث ابن مسكين قضاء مصر من قبل المتوكل، وأتاه كتاب القضاء وهو بالإسكندرية. فلما قرأه امتنع من الولاية فأجبره أصحابه على ذلك، وشرطوا عونهم له.

(١) الولاة والقضاة - ص ٤٦٧.

فقدم الفسطاط وجلس للحكم، وكان مقعدًا من رجليه. فكان يحمل إلى الجامع في محفة، ويركب حمارًا مبرقعًا، وطولب بلباس السواد فامتنع، فخوفه أصحابه سطوة السلطان وتهمته بتولي بني أمية. فلبس كساء صوف أسود.

قال بعضهم: رأى بعض من بمصر كأن ابن أكثم ذبح الحارث بن مسكين، فلم يكن حتى جاءه قضاء مصر، وكان على يدي ابن أكثم قاضي القضاة حينئذ.

قال أبو محمد الضراب في كتابه: روى الحارث عن ابن وهب، عن مالك، في رجل يدعى للعمل فيكره أن يجيب إليه، وخاف على دمه أو جلد ظهره، وهدم داره، كيف ترى في ذلك؟

فقال أما هدم داره وجلد ظهره، وسجنه، فإنه يصبر على ذلك، ويترك العمل خير له. وأما أن يباح دمه فلا أدري ما حدث ذلك، ولعله في سعة من ذلك إن عمل.

قال يونس: روى الحارث هذا الخبر، وولي، ووالله لقد سألني: تراني أهلاً للفيتا كما قال مالك؟

وحكى القاضي يونس: ولي جعفر المتوكل الحارث، قضاء مصر، بعد أن سجنه على إبائه، ذلك زمانًا.

قال محمد بن عبد الوارث: كنّا عند الحارث فأتاه علي بن القاسم الكوفي، المدني. فقال له: رأيت في النوم الناس مجتمعين في المسجد الحرام، فقلت: ما اجتماعكم؟

فقالوا عمر بن الخطاب جاء يقعد الحارث بن مسكين للقضاء.

فرأيته أخذه، وسمر مقعده في الحائط، وانصرف. فتبعته، فلما أحسّ بي، قال: ما تريد؟

قلت: أنظر إليك.

قال: اذهب للحارث، فاقرأه مني السلام، وقل له يقضي بين الناس بأمارة أنك كنت في الحبس بالعراق، فقمت في الليل، فعثرت فنكبت إصبعك، ودعوت بذلك الدعاء، فنجيت من الغد.

فقال له الحارث: صدقت. وهذا شيء ما اطّلع عليه أحد إلا الله.

فسألته عن الدعاء، فقال: يا صاحبي عند كل شدة، ويا غياثي عند كل كربة، ويا مؤنسي في كل وحشة، صل على محمد وعلى آل محمد، واجعل لي من أمري فرجًا ومخرجا.

قال: ودعي إلى لباس السواد، فأبى من ذلك. فخاطب الوالي المتوكل، فورد كتابه: إن لم يلبس السواد فاخلعه، وركيه.

فوجه الوالي وراءه رسلاً، فأسلمه القريب والبعيد.

قال الطحاوي عن محمد بن سعيد: فلقيته والرسل تزعجه، وقد وله. فعلمت أنه قصد وجهًا من الحق فخالف فيه هوى السلطان، فدنوت منه وقلت له: سرا: يا شيخ! لا يهولنك ما ترى، فإن إبراهيم أسلمه أهل الأرض فلم يضره، لما كان الله له.

فاعتنقني وقال: أحييتني والله يا أخي بهذا الكلام، فأحياك الله سعيدًا.

فلما أتي به إلى الوالي، أمر بكتاب المتوكل فقرئ عليه، فامتنع من لباس السواد، فقال رجل من ناحية المسجد: إن الشيخ رأيته يلبس هذه الثياب العرجية التي تعمل باليمن.

فقال الحارث: بلى! إني ربما لبستها.

فقال له الوالي: فالبسها.

فقال: أما تلك فنعم.

وقنع منه بذلك، وكتب به إلى المتوكل، وخلي عن الشيخ.

قال الكندي: وأمر الحارث بإخراج أصحاب الشافعي وأبي حنيفة. ومنع أصحاب أبي حنيفة من الجامع، وفض مجالسهم، وأمر بنزع حصرهم بين العمد. ومنع عامة المؤذنين من الأذان. ومنع قريشًا والأنصار من طعمة رمضان. وعمر المساجد، وبنى سقاية. وحفر خليج الإسكندرية. ونهى عن تقبل المصائد، وأباحها ونهى عن النداء على الجنائز، وضرب القراء الذين يقرءون القرآن بالألحان. وهو أول من ولي على مصاحف الجامع أمينًا. وترك تلفي الولاة والسلام عليهم. ولاعن. وقتل ساحرين نصرانيين، وقتل نصرانيًا سبَّ النبيّ ﷺ، بعد أن جلده الحد. ونفى وحد من سبَّ عائشة[1].

ولم يكن في ولايته خلل. وهدّم مسجدًا، كان بناه خراساني، بين القبور، بناحية المقطب في الصحراء. وكان يجتمع فيه للقراءة والقصص والتعبير.

وبمثل هذا أفتى يحيى بن عمر في كل مسجد بني نائيًا عن القرية. حيث لا يصلي فيه أهل القرية. وإنما يصلي فيه من ينتابه.

وبذلك أفتى في مسجد السبت بالقيروان.

وبمثله أفتى أبو عمران في المسجد الذي بني بجبل فاس.

---

(١) الولاة والقضاة - ص ٤٦٩ - ٤٧٠.

وحمله أصحابه على النظر في أمر أبي بكر الأصم القاضي قبله، وكانوا قد لعنوه لما عزل، ورموا حصره، وغسلوا من المسجد موضعه. فكان الحارث يوقف الأصم كل يوم، فيضربه عشرين سوطًا، ليخرج ما وجب عليه من الأموال. أقام على ذلك أيامًا.

فقال بعضهم للحارث: إنه قبيح بالقاضي أن يتولى مثل ذلك. فخلى عنه.

وألقيت إليه سحاءة[1] فيها مكتوب ميزان حراني، وصنجات ناقصة! فلما قرأها استبدل بكتّابه وأعوانه غيرهم.

وكان كاتب الحارث، أبو إسحاق القسطال. وعلى مسائله عمر ويزيد، ابنا يوسف بن عمر.

وقال أبو عمر الكندي: وحكم الحارث في حبس بمذهبه مذهب مالك بإخراج أولاد البنات منه. فشكا أصحابه ذلك إلى المتوكل، فأفتى أهل العراق على مذهبهم وخطأوا الحارث، ونقصت القضية فاستعفى الحارث، إذ ذاك، فأعفي.

وكان في كتاب استعفائه: انتهى إلى أمير المؤمنين، أن كتابًا وصل باستعفائك فيما تقلدت من القضاء بمصر. فأمر أيده الله بإجابتك إلى ذلك وإعفائك فيما تقلدت منه، إسعافًا لك فيما سألت، وتفضلاً لما أدّى لموافقتك فيه، فرأيك أبقاك الله في معرفة ذلك والعمل على حسبه.

وذلك سنة خمس وأربعين ومائتين. فكان أمد قضائه سبع سنين وأحد عشر شهرًا.

---

(١) السحاءة: غلاف رقيق يُسَلُّ من ورق البردي.

وولي بعده بكار بن قتيبة. فلم يكشف أحداً من أصحاب الحارث. وقال: حارث في فضله ودينه، أعلم بأهل بلده مني، إلا أن تتبين لي جرحة.

وذكر أبو عمر الصدفي: إن رجلاً أتى الحارث برجل معه نصرانية، معها صغير أراد أن يبيعها من نصراني، فذكر ذلك للحارث. فقال له الحارث: فما أصنع به؟

فردد عليه الرجل الخبر، والحارث يقول: ما أصنع؟ حتى أكثر عليه. فقال يزيد بن يوسف: أصلح الله القاضي، هو رجل صالح.

فقال الحارث: إذا كان صالحًا وأحمق، فما أصنع؟

قال بعضهم: حضرت جنازة. فأخذ يونس بن عبد الأعلى في كلام الزهاد حتى بكى بعض من حضر.

فقال الحارث: يونس! يونس! تحسن هذا كله، وأنت تصنع ما تصنع؟

فقال له يونس: أنت قاض، وقد قال رسول الله ﷺ: من جعل قاضيًا فقد ذبح بغير سكين.

وذكر أن رجلاً تقدم إلى حارث في خصومة، فناداه رجل باسمه. وكان اسمه إسرافيل. فقال له الحارث ما حملك على أن تسمّى بهذا الاسم؟ وقد قال عليه الصلاة والسلام: لا تسموا بأسماء الملائكة. فقال له: فلمَ سمي مالك بن أنس مالكًا؟ وقد قال الله تعالى: ونادوا يا مالك. ثم قال: والله لقد تسمي الناس بأسماء الشياطين. فما عيب ذلك. يعني الحارث اسمه. ويقال هو اسم إبليس لعنه الله.

ذكر محنته وبقية خبره

قال الكندي: لما قدم المأمون مصر، تلقاه الناس يرفعون على عمال مصر، وجاء متظلم من ابن تميم وابن أسباط، فجلس الفضل بن الربيع في الجامع، وحضر مجلسه القاضي ابن أكثم، والقاضي ابن أبي دُوَاد، وإسحاق ابن إسماعيل بن حماد، وكان على مظالم مصر - وجماعة من فقهاء مصر ومحدثيها، وأحضر الحارث ليولى قضاء مصر، فدعاه الفضل، فسأله عن ابن تميم وابن أسباط.

فقال: ظالمين غاشمين! فقال ليس لهذا أحضرناك، واضطرب المسجد فقام الفضل وسار إلى المأمون وقال له: لقد خشيت على نفسي، من قيام الناس مع الحارث.

فأرسل المأمون إلي فسأله عنهما، فقال: ظالمين غاشمين. فقال له: هل ظلماك بشيء؟ قال: لا. قال فعاملتهما؟ قال لا. قال: فكيف شهدت عليهما؟ قال كما شهدت أنك أمير المؤمنين، ولم أرك قط إلا الساعة. وكما شهدت أنك غزوت ولم أحضر غزوك؟

قال: اخرج من هذه البلاد فليست لك ببلاد، واجمع قليلك وكثيرك فإنك لا تعانيها أبدًا. وحبسه في رأس الجبل في خيمة.

ثم انحدر لمحاربة بعض بلاد مصر، وأحدره معه. فلما فتحها سأل حارثًا عن مسألته الأولى، فرد عليه جوابه بعينه.

فقال له: : فما تقول في خروجنا هذا؟ فقال أخبرني عبد الرحمن بن قاسم بن مالك، أن الرشيد كتب إليه يسأله عن قتال أهل دهلك. فقال: إن كانوا خرجوا عن ظلم من السلطان، فلا يحل قتالهم، وإن كانوا إنما شقوا العصا، فقتالهم حلال.

فجاوبه المأمون بجواب قبيح، سبّه فيه، وسبّ مالكًا، وقال له: ارحل عن مصر.

فقال: يا أمير المؤمنين! إلى الثغور؟ قال: الحق بمدينة السلام.

فقال أبو صالح الحراني: يا أمير المؤمنين تغفر زلته. فقال يا شيخ: شفعت؟ ارتفع.

قال: وكان لما حضر قال له المأمون: يا ساع! يرددها عليه.

فقال له: لست بساع، وإن أذن أمير المؤمنين في الكلام تكلمت. قال: تكلم.

قال: والله يا أمير المؤمنين ما أنا بساع، ولكني أحضرت، فسمعت وأطعت حين دعيت. ثم سئلت عن أمر فاستعفيت. فلم أعف ثلاثًا. فلما رأيت أنه لابد لي من الكلام، كان الحق آثر عندي من غيره.

فقال المأمون: هذا رجل أراد أن يرفع له علم في بلده، خذه إليك.

ثم حمله إلى العراق، وخرجت إليه امرأته، وحمل ابنه إبراهيم إلى الثغور. فأقام الحارث بالعراق ست عشرة سنة، حتى مات المأمون، والمعتصم. وذكره الواثق لابن أبي دُوَاد. فقال له: هو حاضر.

فقال: ما ظننت أنه حي. فأرسل إلى الحارث وهو ببغداد، يقول له: سل حاجتك؟

قال: حاجتي ألا تحملني إلى سرَّ من رأى.

فقال ابن أبي دُوَاد للواثق: هو شيخ ضعيف، خفت أن أحمله فيموت.

قال: فاكتب له يتوجه حيث شاء.

فانصرف إلى مصر، سنة اثنتين وثلاثين ومائتين. فلما ولي المتوكل، ولاه قضاءها.

قال محمد بن عبد الحكم: قال لي ابن أبي دُوَاد: لقد قام حارثكم مقام الأنبياء.

وكان ابن أبي دُوَاد يحسن ذكره، ويعظمه جدًا، ويكتب إلى الأصم بالوصاة به.

وتوفي الحارث سنة خمسين ومائتين. وقيل: سنة ثمان وأربعين. والأول الصواب. وسنّه خمس وتسعون. وصلى عليه أمير مصر.

مولده سنة أربع وخمسين وقيل سنة ست وخمسين ومائة.

١٤٢ - محمد بن أبي زُكير

واسمه: يحيى بن أبي إسماعيل، أبو عبد الله. مولى آل خالد بن يزيد ابن أسِيد الصَّدفي، مولى لهم.

هو: أبو مُزَاحم المُحْتَسِب، قاله الكندي في أعيان موالي مصر.

وقيل: بل اسمه ركين بضم الراء مصغرًا. قاله الأمير والدارقطني.

كان فقيهًا، من أكابر أصحاب ابن وهب، ويروي عن الشافعي.

حدّث عنه أبو إبراهيم الزهري، وأبو زكريا البردعي، والمصريون.

قال أبو عمر الصدفي: سألت عنه أبا جعفر العقيلي، وأبا بكر الحضرمي، فقالا: ثقة.

---

١٤٢ - من مصادر ترجمته: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٢/١٠٦٨ وما بحواشيه من مصادر.

وابنه مزاحم، ولي الحسبة. وكان مقبولاً بمصر.

توفي[1] سنة اثنتين وثلاثين ومائتين.

١٤٣ - الوَقّار[2]

قال ابن حارث: هو أبو يحيى، زكريا بن يحيى بن إبراهيم بن عبد الله، من موالي قريش، مصري.

قال غيره: هو مولى بني عبد الدار.

روى عن ابن وهب، وابن القاسم، وأشهب وغيرهم. وكان مختصًا بابن وهب.

قال أبو العرب في كتابه في علماء إفريقية: قدم علينا إفريقية، سنة خمسين ومائتين، وكان إذا حدث عن ابن وهب يقول حدثني سيدي ابن وهب.

قال: وفي حديثه، لين وانقطاع، وعن رجال شاميين، غير أعلام.

وسمع عليه بإفريقية. ثم انصرف إلى مصر، وكان يلقب بالبَرْطيح[3].

وقرأ القرآن على نافع المدني، وعنه أخذ أبو عبد الرحمن المقرئ، حرف نافع. قال: وأوطن أطرابلس.

---

(١) أي محمد بن أبي زكير.

١٤٣ - من مصادر ترجمته: الإكمال ٧/ ٣٠٤ - ٣٠٥، والديباج المذهب ١/ ٣٢٢، وطبقات علماء إفريقية لأبي العرب - ص ٩٩.

(٢) الوقار: بفتح الواو والقاف المخففة وبعد الألف راء، وإنما قيل له ذلك لسكونه وثباته.

(٣) تحرف في طبعة المغرب وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية إلى: بالبرطنج» وصوابه لدى ابن حجر في نزهة الألباب في الألقاب ١/ ١١٨.

قال أبو عَمرو الداني: أبو يحيى، يلقب بالبَرْطيح، مقريء، روى القراءة عندنا على نافع بن أبي نعيم، وروى عنه القراءة محمد بن برغوث المقريء.

قال: وأبو يحيى هذا مجهول.

قال الفقيه القاضي أبو الفضل عياض رضي الله تعالى عنه: وأبو يحيى هذا المجهول عند أبي عَمْرو، هو أبو يحيى الوقار. ولم يذكر أبو عَمْرو الوقار، جملة، وأراه لم يبلغه خبره. أو لم يعلم أن البَرْطيح هو الوقار، وقد بين أبو العرب وابن حارث ذلك بحمد الله.

قال أبو عمر والكندي: كان فقيهًا صاحب عجائب، ولم يكن بالمحمود في روايته.

قال: وكان ممن خرج من مصر أيام أبي بكر الأصم، وأخذه الناس بمحنة القرآن.

قال ابن هلال: كان الوقار بمصر يَقُصّ، فيجتمع إليه الناس. وكان لا يقعد إلى المزني إلا النفر اليسير، فقلت في ذلك للوقار - أو قيل له - فقال: إنّ كلّ من ترى حولي، لو خطرت به دبة أو قردة، افترقوا عني. ولو سقط المسجد على أصحاب المزني لوجدوا حوله.

وسمع منه، بمصر والقيروان. وكأنه كانت فيه غفلة.

قال سهل القيرواني: لما أراد عبد العزيز بن يحيى المدني الخروج عنا، استعنّا عليه أن يصبر علينا حتى يستوعب الناس سماعهم منه، فصبر، فقال لنا الوقار: إني أريد الخروج، فإن استعنتم علي، كما استعنتم على عبد العزيز جلست. أو كما قال.

قال أبو إسحاق الشيرازي: كان الوقار يغلو في مالك، ويتعصب له على أبي حنيفة. ويقول: ما مثل أبي حنيفة إلا كما قال جرير:

يعد الناسبون إلى تميم[1] بيوت المجد أربعة كبارا

يعدون الرباب وآل سعد وعمرًا ثم حنظلة الخيارا

ويذهب بيننا المَرْئِيُّ[2] لغوًا كما ألغيت في الدية الحوارا

وعدّه أبو إسحاق الشيرازي، في صغار الآخذين عن مالك، ولم يذكر ذلك أحد. ولا أراه يصح.

وتوفي سنة أربع وخمسين ومائتين بمصر. هذا المعروف، والذي قاله الكندي وابن أبي دليم وغيرهم. وقيل سنة ثلاث وستين.

وقال الأمير أبو نصر: قتله البُجَةُ، بالحرس، سنة أربع وخمسين ومائتين. وسيأتي ذكر ابنه أبي بكر بعد هذا.

١٤٤ - أبو جعفر أحمد بن صالح

يعرف بابن الطبري، كان أبوه من أصحاب ابن الأشعث، من عجم الجُنْد، من أهل طبرستان.

سمع ابن وهب، وعنبسة بن خالد.

قال أبو عمرو المقرئ: كان حافظًا للحديث وأخذ القراءة عن ورش، وقالون، وابني أبي أويس، وحرمي بن عمارة.

---

(١) في طبعة المغرب: «معد» والمثبت رواية الشيرازي - ص ١٤٣، الذي ينقل عنه المصنف.

(٢) تحرف في طبعة المغرب إلى: «المري» وهو غير صحيح عروضيا، وصوابه لدى الشيرازي الذي ينقل عنه المصنف، والأبيات من بحر الوافر.

١٤٤ - من مصادر ترجمته: تهذيب الكمال ١/ ٣٤٠ وما بحواشيه من مصادر.

كتب عنه أحمد بن حنبل، والبخاري، والذهلي، وخرّج عنه البخاري، في الصحيح. وأحمد بن رِشْدين، والحسن بن أبي مهران، وأبو داود السجستاني وغيرهم.

وكان أحمد بن حنبل والبخاري وابن نمير وابن المديني ويحيى وأبو حاتم وغيرهم، يوثقونه.

قال يحيى: هو ثبت ثقة.

وقال أحمد: هو ثبت ثقة، صاحب سنّة.

وقال مَسْلَمة بن القاسم: الناس مجمعون على ثقته وخيره، وفضله.

قال الكوفي: هو ثقة صاحب سنّة.

قال الكندي: كان فقيهًا نظارًا.

قال البخاري فيه: ثقة مأمون، ما رأيت أحدًا تكلم فيه بحجة.

وقال يحيى: سلوه فإنه ثبت.

وقال محمد بن الحسن فيه: أبو جعفر أحد الأئمة.

وذكر الرشديني عنه، أنه كان يقول في المخيرة، إنها واحدة. وإن اختارت ثلاثًا. وبذلك كان يأخذ. وهو قول عبد الله بن عَمْرو بن العاص.

قال أبو نعيم: ما قدم علينا فتى أعلم بحديث الحجاز[1] منه.

قال أحمد: هو يفهم حديث المدينة.

---

(٣) تحرف في طبعة المغرب إلى: «الحجاج» وصوابه من تهذيب الكمال للمزي، ولديه: «... سمعت أبا نعيم الفضل بن دُكَيْن يقول: ما قَدِم علينا أحدٌ أعلم بحديث أهل الحجاز من هذا الفتى - يريد أحمد بن صالح».

قال ابن خلاد: هو ممن جمع الأقطار في رحلته، اليمن والعراق ومصر.

وتكلم فيه النسائي، فضعّفه. قال: وكان سبب ذلك أن ابن صالح، كان لا يحدث أحدًا حتى يشهد عنده رجلان من المسلمين، أنه من أهل الخير والعدالة. فحينئذ كان يحدثه ويبذل له علمه على مذهب زائدة وغيره.

فدخل عليه النسائي دون إذن ولا معرفة ولا تزكية، فأنكره وأمر بإخراجه.

قال العقيلي: كان النسائي يصحب قومًا من أهل المدينة، ليسوا هناك. أو كما قال: فأبى أحمد أن يأذن له، فلم يره. فجمع النسائي أحاديث قد غلط فيها أحمد. فشنّع بها. ولم يضر ذلك أحمد شيئًا، هو إمام ثقة.

قال أبو الوليد الباجي: أحمد بن صالح من أئمة المسلمين الحفاظ المتقنين. لا يؤثر فيه تجريح.

قال ابن نمير: حدثنا أحمد بن صالح: وإذا جاوزت الفرات فليس أحد مثله.

وقال فيه أبو حاتم: ثقة.

قال ابن زنجويه: ذاكر أحمد بن صالح ببغداد أحمد بن حنبل في حديث الزهري، فما رأيت مذاكرة أحسن منها، وما يغرب أحدهما على الآخر. وذكر خبرًا طويلاً.

قال أبو داود: قلت لأحمد بن صالح: من قال القرآن كلام الله، ولم يقل مخلوق، ولا غير مخلوق؟ قال هذا شاك، والشاك كافر.

قال ابن أبي دليم: كان فقيهًا صاحب مناظرة. وألف في الصحابة.

وكان يرى في الجنب إذا لم يقدر على طهره بالماء من برد وخوف على نفسه، أنه يتوضأ ويصلي، ويجزيه على ما جاء في بعض الروايات في حديث عمرو ابن العاص، فتوضأ وصلى بهم. ولم يقل بهذا الرأي أحد من فقهاء الأمصار، سوى طائفة ممن ينتحل الحديث لهذا الحديث. ولأن الوضوء عندهم فوق التيمم.

قال ابن أبي دليم: كان فقيهًا صاحب مناظرة.

وتوفي في ذي القعدة سنة ثمان وأربعين ومائتين. مولده سنة اثنتين وسبعين ومائة. قاله الكندي وغيره.

وقال أبو عَمْرو المُقْرئ: مولده بمصر سنة سبعين ومائة.

١٤٥ - عيسى بن المُنْكَدر

ابن محمد بن المُنْكَدر القرشي، قاضي مصر أيام ابن طاهر. أشار به عبد الله بن عبد الحكم، وأعلمه أنه فقير، فأجرى له سبعة دنانير كل يوم. وأجازه بألف دينار، وكان رجلاً صالحًا، وكان قد أشار أبو ضمرة الزهري بأصبغ بن الفرج فرد عليه سعيد بن عفير، فأشار عبد الله بن عبد الحكم بعيسى.

واستكتب أبا الأسود النضر بن عبد الجبار، وداود بن أبي طيبة، واستكتب أيضًا فيما حكاه ابن أبي دليم: أبا إسحاق القسطال. وكان القائم بأمره، سليمان بن برد، إلى أن مات. فولى بعده مسائله عبد الله بن عبد الحكم.

---

١٤٥ - من مصادر ترجمته: تاريخ قضاة الأندلس - ص ٢٤، ورفع الرصر - ص ٢٩٤.

قال محمد بن عبد الحكم: أشار والدي على ابن المنكدر بوجوب اليمين للمدعي على المدعى عليه بالمال، وإن لم تقم بينة بخلطة. وبه أخذ، لأن الناس قد فسدوا.

وذكر نحوه عن أصبغ في الغرباء الذين يضربون في الأرض، وهل يشترون ويبيعون إلا ممن لم يعرفوه ويخالطوه؟

قال ابن أخي ابن وهب: سمعت القاضي ابن المنكدر يصيح بالشافعي: يا كذا! يا كذا! دخلت هذه البلدة وأمرنا ورأينا واحد، ففرّقت بيننا، ودعا عليه.

وكانت له طائفة من أصحابه يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. فلما ولي كانت تأتيه فتعرّفه بما حدث، فيترك الحكم ويصير معهم لتغييره.

فكان إذا عذله في هذا أحد، يقول: لابد من القيام بأمر الله.

وكان يتنكر بالليل ويمشي، فيستخبر أحوال الشهود، ويسأل عنهم. فولي نحو السنتين. وعزله المعتصم عند قدومه مصر، وأقامه للناس، وسجنه، وأخرجه معه إلى بغداد، فمات بها مسجونًا.

وكان سبب حقده عليه، ما ذكرنا في خبر عبد الله بن عبد الحكم، قبل هذا.

ذكر هذا كله أبو عُمر الكندي.

وقال الجيزي: قال ابن عبد الحكم: قال لي ابن طاهر حين طلبت منه لابن المنكدر: كم ترى أن نعطيه؟ فخشيت أن أقول ما يريد أكثر منه. فقلت يقول الأمير. فقال: أمرنا له بألف دينار.

فكرهت أن أعظمها عنـده، أو أصغرها، وليست بصغـيرة. فقلت: في ألف ما أغناه.

فأمر له بها، وأجرى عليه أربعة آلاف درهم في الشهر. وكان أول قاض بها أجري عليه.

قال سَـعْد بن عـبد الله بن عـبد الحكم: لما ولي ابن المنكـدر، وكانت حاشـيته الصوفـية، فكان إذا بلغ أبي، إنه كان منه مـا ينكره الناس، بعث له أخي عبد الحكم، ينهـاه عن ذلك، ويأمره بما يراه. فبعث إليه مـرة، فالتفت إلى أخي وقال: ما يظن أبوك إلا أنه أعتق المنكدر.

فأمسك عبد الله أن ينهاه عن شيء. وغلبت عليـه الصوفية. فقالوا له: اكتب إلى أمير المؤمنين تشتكي عمال الخراج.

فكتب، ودفع المأمون كتابه إلى المعتصم - وكانوا عماله - فأغاظه. ولما قدم مصر عزله وأوقفه للناس، فجعلوا يثنون عليه، ويصيحون.

فبعث إلى إخوانه، وذلك بعد موت ابن عبد الحكم في السجن، بسبب التهمة معـه، فاستشارهم فيما نزل به. فقـالوا: لم تحتج، أنت، تحفظ كلّ ما قضيت. إذا ناظرك غدًا ابن أبي دُوَاد فقلت له: لم أقض لأحد ولا عليه، إلا وقد كتبت قـضيته في الديوان، فانظروها. فإن كان مما اخـتلفت فيه العلماء، فللقاضي أن يختار. وإن كان مما خرج عن أقاويل المسلمين، لزمني غرمه.

فلما أصـبح ووقف، قال ذلك، قال ابن أبي دُوَاد لأصـحابه: علم هذا الرجل خلاف ما كنا نعتقد فيه.

فأعلموا المعتصم، فقال: يفتش الديوان - حنقًا عليه.

فأرسل عيسى إلى إخوانه في ذلك، فقالوا له: إذا سألوك أن تحضر الديوان: فقل هو ديوان أمير المؤمنين، فإن كان أمركم بذلك، فهو بين أيديكم، وأما أنا فلا أدخل يدي فيه.

فكره المعتصم هذا، وخاف المأمون وأمر بإشخاصه، وذلك سنة أربع عشرة ومائتين.

١٤٦، ١٤٧ - أبو الأزهر عبد الصمد وأبو هارون موسى ابنا عبد الرحمن بن القاسم.

كانا فاضلين عابدين ورعين سمعا من أبيهما.

وغلب على عبد الصمد علم القرآن. وله في ذلك كتاب.

وغلب على موسى العبادة.

روى عنهما ابن وضّاح.

وروى عبد الصمد عن ورش، وهو من جلة أصحابه المتصدرين. ومن وقته اعتمد أهل الأندلس على رواية ورش.

وروى أيضًا عن داود بن أبي طيبة، وسمع سفيان بن عيينة.

وروى عنه الفضل بن يعقوب، والمحاربي، ومحمد بن سعيد الأنماطي، وإسماعيل بن عبد الله النحاس. وبكر بن سعيد الدمياطي، وحبيب بن إسحاق القرشي وابن باز، وابن وضاح، وغيرهم.

---

١٤٦ - من مصادر ترجمة أبي الأزهر عبد الصمد: غاية النهاية ١/ ٣٨٩، ومعرفة القراء الكبار ١/ ١٨٢.

١٤٧ - من مصادر ترجمة أبي هارون موسى: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية ٣/ ١٢٨٤.

وقد روى الحارث ابن مسكين عن أحد ابني عبد الرحمن بن القاسم.

قال ابن اللباد: كان لابن القاسم ثلاثة من الولد: موسى، وعبد الصمد، وابنة.

فأما عبد الصمد، فكان يقرأ مقرأ نافع.

وأما موسى، فكان يروي موطأ مالك.

وكان موسى مع أخيه، سدته مقابل سدته في بيت واحد، حتى ماتا شيخين، ولم يتزوج واحد منهما.

قال الكندي: كانا يشهدان ثم امتنعا من الشهادة، بعد. وكانا من أفضل الناس.

ذكر محمد بن عبد الحكم عن عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم: حلف أخي بالمشي إلى مكة في شيء. فسألت أبي عن ذلك وأخبرته بيمينه، فاشتد عليه، وأمره أن يكفر يمنيه، ولا يعود.

قال ابن يونس الصدفي: توفي عبد الصمد بن عبد الرحمن في رجب سنة إحدى وثلاثين.

وقال الكندي: سنة خمس.

قالا: ومات موسى أخوه في جمادى الآخرة سنة تسع، وأربعين.

وقرأت أنا بخط بعض الشيوخ عن ابن القرطبي: أن موت موسى سنة ثمان وأربعين ومائتين.